

اتحاد الجامعات العربية



جمعية كليات الآداب

مجلة اتحاد الجامعات العربية

للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

المجلد الخامس العدد الأول 1429هـ/2008م

تنضيد واخراج: مجدي الشناق

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب
مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب** مجلة علمية نصف سنوية محكّمة معتمدة تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (IBM (Ms Word.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف :00962 2 7211111

فاكس :00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني:website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين( )

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

البحوث باللغة العربية

البحوث باللغة الفرنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:

منذ إعلان تأسيس جمعية الآداب عام 2000 وتكليف الأمانة العامة بإصدار مجلتها العلمية المحكمة التي أصبحت تصدر في عددين في العام الواحد، كانت في بداية صدورها البحوث التي تصلنا شحيحة وفي تخصصات محدودة، وقد أصبحت الدراسات في هذا العام تنهال علينا من الباحثين والدارسين من مختلف أقطار الوطن العربي بغزارة وتميز في الإنتاج، مثمنين لهم هذا الجهد المبذول الذي أسهم في ديمومة صدور هذه المجلة في مواعيدها وفق أسس التحكيم العلمي ومعاييره ونزاهة وتجرد الباحثين في عمق تحليلهم ونفاذ بصيرتهم.

وفي هذا المقام نرحب بجميع الباحثين في الوطن العربي. ونرجو أن يبقوا على تواصل معنا بفكرهم وبحوثهم ودراساتهم في المجالات الإنسانية والاجتماعية لنحافظ على المستوى العلمي لهذه المجلة ولتحقيق الأهداف المنشودة لها، وتحمل أمانة مسؤولياتها لما فيه خير امتنا العربية وتقدمها.

والله ولي التوفيق

أ.د. فهمي الغزوي

رئيس التحرير
أمين عام جمعية كليات الآداب
للجامعات في اتحاد الجامعات العربية
جامعة اليرموك - الأردن



Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

English	Arabic
Name:	الاسم:
Address:	العنوان:
P.O. Box:	ص.ب:
City & Postal Code:	المدينة والرمز البريدي:
Country:	الدولة:
Phone:	هاتف:
Fax:	فاكس:
E-mail:	البريد الإلكتروني:
No. of Copies:	عدد النسخ:
Payment:	طريقة الدفع:
Signature:	التوقيع:

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكَمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

قسيمة اشتراك

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — **لمدة**

- ◘ One Year — ◘ سنة واحدة
- ◘ Two Years — ◘ سنتان
- ◘ Three Years — ◘ ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي
One Year Subscription Rates

خارج الأردن Outside Jordan	داخل الأردن Inside Jordan	
7 دولار أمريكي US $ 7	3 دنانير JD 3.00	الأفراد Individuals
10 دولار أمريكي US $ 10	5 دنانير JD 5	المؤسسات Institutions

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

Standard Price JD 2.000 — سعر البيع العادي 2.000 ديناران

Students JD 1.300 — سعر البيع للطلبة 1.300 دينار

40% Discount for Bookshops — خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع

Correspondence

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7211137

المراسلات

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555
فاكس : 00962 2 7211137



توظيف الدرس اللغوي الشامل في شرح النصوص الشعرية
شرح التبريزي نموذجاً

احمد فليح*

ملخص

لاحظ الدارس توفر القدماء على شرح النصوص الشعرية، توفراً لافتاً، سواءً أكان في شرح الدواوين، أم المختارات، أم المجموعات الشعرية، خلافاً لعصرنا الحديث، فحاول تفسير هذه الظاهرة، ثم التعرف إلى الآلية التي وظفها أحد كبار الشراح وهو الخطيب التبريزي المتوفى سنة 502هـ في مصنفه الشائق: شرح القصائد العشر، في استرفاد مستويات الدرس اللغوي الشاملة من أصوات، وصرف، ونحو، ودلالة، وبلاغة، وخلافها، للكشف عن تلكم النصوص، وتقديمها للقارئ مجلوة ممزوجة بهذه العلوم المتآزرة، فقدم للقارئ منظومة لغوية تكاملية شاملة، فكانت هذه الحزم المعرفية الرائقة في منهج لغوي تكاملي شامل، وننصح ذوي الشأن ترسم خطاه، من أجل تجسير الهوة بين الموروث لإحيائه، والأجيال المعاصرة لرتق الفتق الذي بدأنا لمسه في بنية الهوية الثقافية المجبوهة بالتحديات.

والتبريزي يتراءى لنا عالماً لغوياً بالمعنى الشمولي الذي لمسناه في هذا المصنف الجليل، ثمر معارفه اللغوية لتجلية هاتيك النصوص، تثمير الخبير العارف بالعربية وشجونها، والقارئ المتلقي وحاجاته المعرفية.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأنبياء والمرسلين.

تواجه المنقر في النصوص المتقادمة ظاهرة توفر العلماء على النصوص بالشرح والتفسير والتحليل، فما من ديوان شعر، في الغالب، وما من مجموعة شعرية إلا تكنفها الدارسون بالشرح والتحليل، وتخولوها بالتفسير والتوضيح، فجل الدواوين الشعرية، أو المجموعات الشعرية، أقيم لها شرح أو أكثر، فقلما تجد ديواناً شعرياً أو مجموعة شعرية إلا ازدحم حولها جلة من العلماء بالشرح. فثمة غير شرح للبردة، أو لامية العرب للشنفرى، وشرح ديوان الخنساء، وشرح ديوان النابغة أو شرح، بل شروح ديوان المتنبي، بما يعكس مرآوياً شدة تعلق القدماء بهذه الدواوين وهي ظاهرة لافتة في موروثنا تقتضي التفسير والتوضيح.

* قسم اللغة العربية، جامعة جرش، جرش ـ الأردن.

فهل كان الدافع هو الولع بهذه النصوص والإعجاب، أم أحسوا فيها غرابة تستعصي على أفهام الناشئة، ولا سيما الداخلين من الأعاجم في محراب الإسلام والعروبة، فإذا كانوا قد أحسوها عصية على الفهم، فكيف نفسر الأطروحة التي تزعم أن العربي يتحدث العربية سليقة وطبعاً، ومعرفته بها جبلية لا تعلمية! والناس يومئذٍ كانوا لصيقي عهد بنقاء العربية، وخلوها من الشوب، فهم على أي حال رغبوا في التجسير بين المتلقي الدارس والمبدع المنتج للخطاب اللغوي، ولعل المنتج الشعري ظل أبداً أرفع مستوى من أذهان العامة، يتقاضاهم الشرح والكشف، ولا سيما الموقف التعليمي للناشئة والمتلقين، فإقامة الدرس اللغوي الشامل على مثل هذه النصوص اقتضى العلماء شرحها وتوضيحها أو إعرابها، ليصار إلى تعليمها للناشئة والدارسين، فهي أشبه بالمواقف التعليمية التي تؤصل على الاسترسال في الشرح والتوضيح.

ولم تتوقف هذه الشروح عند النصوص الشعرية بل تعدتها إلى المتون اللغوية والنحوية، والبلاغية. وهي شنشنة تطالعنا في مفرزات لغوية مشتهرة أمثال شرح كتاب سيبويه، وشرح المفصل، وشروح الألفية، أو شرح شواهد المغني، أو شرح شواهد الكافية في النحو، وقد تجد الشرح على الشرح مثل حاشية الصبان على شرح الأشموني وغيرها... وهذا الانكفاء على النصوص أو على المتون كنا نتقبله لو كان منجزاً في عصر ما سمي بالعصور المتتابعة، ولحظناها بواحاً في أعقاب سقوط بغداد عام 656هـ وضياع جل الموروث فعمد علماء الأمة إلى الجمع في كل حقل توخي التعويض، فكثرت الشروح واستفاضت. أما أن تستفيض هذه الشروح في البواكير، فمسألة تتقاضى التأمل والتنبه.

ويلحظ المدقق في هذه الظاهرة أن جل الشراح من اللغويين أو النحويين، فلا غرو فهم أبناء بجدتها، وعليهم التكلان في تجلية غوامض الكلم، والشيء غير مستنكر من أهله، فلا مشاحة أن أهل اللغة والنحو، بحكم ما أوتوا من معرفة بمفاصل اللغة والنحو، هم الأجدر والأهل لهذا العمل. آية ذلك أنك لو استعرضت أسماء الشراح لوجدت جلهم من أهل تلك الصنعة اللغوية أو النحوية، وإن كانت العربية وقتئذٍ تعني المعرفة الشمولية بكل عروق اللغة من صرف ونحو وبلاغة ومعجم وأساليب، يطالعك من الشراح ثعلب، والزمخشري، والعكبري، والخطيب التبريزي، والزوزني، وابن الأنباري، وأبو جعفر النحاس... وغيرهم وهم في السواد الأعظم من أهل اللغة والنحو.

ولذا تجد تفاوتاً في مناهجهم، فمن كان اختصاصه في اللغو والنحو، آثر الاستفاضة والتعمق في المسائل التي تعتاص في اللغة والنحو والصرف، ومن كانت ذائقته أميل إلى البلاغة والنقد والأدب كان ذلك شاخصاً ملموحاً في منهجه.

والحق أن هذه الدراسات البينية التي تعالج نقاط التماس بين فروع العربية وتقييم الدرس اللغوي بكل مستوياته على سطح النصوص اللغوية الحية المعيشة جديرة بالتلبث لديها والانتفاع بها. فهي دراسات أرست أصولها على التوكئ على سطح النصوص، سواءً أكانت نصوصاً قرآنية، أم أحاديث نبوية شريفة، أم نصوصاً شعرية، وأدارت عليها الدرس اللغوي، والتحليل النحوي الشامل المتكامل على نحو ما هو ملموح في شرح التبريزي مثلاً للقصائد العشر، وهو موضوع درسنا، في اتخاذه نموذجاً، أو في شرح ابن الأنباري، أو في شرح العكبري للديوان. وفي وكدنا أن الغرض الذي يترماه الشراح هو إقامة آصرة متينة، وجسوراً عامرة بين النص بكل أشكال تفاصيله، وبين المتلقي الذي يتوق إلى المزيد من المعرفة، فهو يوضح النص، ويخدمه بالمعية فتجلي معطياته بكل أبعادها، وتعبر بالدارس إلى لب النص، ليكشف المعنى المقصود مقروناً بتصاريف من الاشتقاق اللغوي الذي يغني لغة الدارس، وألوان من الأعاريب والمسائل النحوية التي يتصدى لها الدرس، تنفيذاً لأطروحتهم الشائعة: الإعراب فرع على المعنى، ثم يسمح لك المعنى وينديه أو يطريه باستجلاب ألوان من الدرس متنوعة، تبعدنا عن جفاف التنظير، وتيبس القواعد المجردة، فبذا تتوسع آفاق الدرس، ويستجمع صنوفاً من العربية ثرة، ويدرس اللغة الوظيفية في واقع الاستعمال الحي، لإقامة الناس على محجة اللغة وليس الأنظار المثالية المفترضة بالمثل والمسائل المعتاصة.

ولعل هذا المنهج الحي الوظيفي الطري الذي تصدر له الشراح والمؤصل على واقع الاستعمال اللغوي، يقصد منه توقي السقوط في البرزخ الذي يفضي إلى معرفة العربية على مستوى النظر، ولا يحقق المعرفة على مستوى الأداء والاستعمال [1].

وهذا الذي تعانيه جمهرة عريضة من أبناء العربية، ويرقى إلى إشكالية ممضة، يحار المرء فيها، إذ إنك تلفي الدارسين يتحفظون القواعد والأنظار في مستوى النظر، ولكنك إذا امتحنتهم في مستوى التمثل والأداء، في إقامة النص نحوياً، أو صرفياً، أو أخطاء فاحشة تنسف كل أنظارهم.

والحق أن المرء يحس إبان متابعة هذه الشروح، وفي غضون التوفر على دراستها يحس استرواحاً واستعذاباً للمنهج الشمولي التكاملي الذي يتنقل بالمتلقي بين الأصوات، والصرف، أو النحو والإعراب، أو البلاغة والصور، والأسلوب، مما يجعل الدرس ملذاً ومستجمعاً فوائد جمة من أطرافها، وينأى بك عن الملل، ويقيمك على محجة العربية الشاملة، المبرأة من التيبس والنظر والجفاف، الذي يفضي إلى إجفال الناشئة وتجهمهم من العربية.

ومن هنا نوصي بلزوم الانتفاع بهذه المناهج، وإقامة الدرس اللغوي، بكل مستوياته، على نصوص وظيفية حية، بذا نسيغ هذه القواعد بالمستويات اللغوية الفاقعة الشاخصة في مواقعها،

يلمسها الدارس لمس خمس، من غير افتعال أو تكلف، أو لي لذراع النصوص أو اللغة. وقد قلنا قبلاً أن لهؤلاء الشراح مناهج وطرائق على وفق خلفيتهم العلمية، أو ذائقتهم الذاتية.

فبعضهم قعدت به همته أو مزاجه، أو ذائقته أو اختصاصه، لدى توضيح المعنى الإجمالي، مع لفيف من المفردات، يذكر المترادفات أو الاشتقاقات، بما يعمق ثقافة المتلقي، وهذا ملموح لدى الزوزني في شرح المعلقات السبع، فقلما يهتم بالمسائل النحوية، وإنما يشتد ولعه بذكر المعاني والمترادفات واشتقاقها. وقد يلتفت إلى تعدد الرواية، يقول الزوزني:

الخبط: الضرب باليد، والفعل خبط يخبط. العشواء تأنيث الأعشى، وجمعها عشو، والياء من عشي، منقلبة عن الواو، ويقال في المثل: هو خابط خبط عشواء. ...

وقوله: ومن تخطئ، أي ومن تخطئه، محذوف المفعول، وحذفه سائغ كثير في الكلام والشعر والتنزيل، والتعمير: تطويل العمر [2].

أرأيت كيف قدم الشارح ألوناً من اللغة والاشتقاق، والتذكير والتأنيث والقلب الصرفي، ودرساً في المثل، ودرساً في حذف المفعول؟، فضلاً عن شرح ملخص لمعنى البيت الشعري من معلقة زهير، قوله:

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِيب

تمتْه ومن تخطِئْ يُعمَّرْ فيَهْرَم [3]

ومن الشراح من سمت نفسه إلى أبعد من ذلك فأوغل في المسائل اللغوية في جل مستوياتها: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والأسلوبية، وهو مشتهر لدى العكبري في شرحه ديوان المتنبي، فقد اتخذ لنفسه دستوراً لا يريم عنه يبدأ بالغريب: أي شرح المفردات والتراكيب غير المأنوسة، ثم يعمد إلى المعنى يشرح البيت، ثم ينتقل في التو إلى الإعراب، حين يلغي بعض الكلمات المشكلة [4]، وربما التفت إلى البحر العروضي وتفعيلاته ويسترفد بعض الشواهد الشعرية ولا سيما التي يتناص معها المتنبي، أو من باب الشيء بالشيء يذكر[5]: وهو نموذج للدرس اللغوي يتنقل بك من فن إلى فن ومن علم إلى علم، فتحس اللذاذة والمنفعة.

ومن مذاهبهم، إن كانوا لغويين في المقام الأول، التوفر الزائد على أوجه الرواية، وألوان اللغة، وهذا شاخص في شرح ثعلب المتوفى سنة (291هـ) وقلما يلتفت إلى المسائل النحوية، ولكنه يتوفر كثيراً على جمهرة من العلماء يورد أقوالهم في المسألة، وذلك استبراء للذمة، وإمعاناً

في التحقيق والتدقيق [6]. ويدعم أقواله بجمهرة من الشواهد الشعرية التي يستجلي مراميها استجلاء ينم على تحفظه، وشدة ولعه بالاشتقاق، وحفظ المترادفات [7].

لكن أوسع الشروح وأشملها إحاطة بألوان من الدرس اللغوي المتكامل هو شرح الخطيب التبريزي الموسوم بـ: شرح القصائد العشر، وكان التبريزي، رحمه الله، توفي عام (502هـ) وشرحه عامر بألوان من مستويات الدرس اللغوي الشائقة اللافتة، فهو يعلمنا الأدب واللغة، والرواية، والنحو والبلاغة. وصنوفاً من العلم جمة، وعقيب ذلك ينفحك بتفسير للنص الشعري يدفق حلاوة ووضوحاً، من غير كد أو تعجل أو افتعال، ما أحرى أن يكون الدرس النحوي في هذا الإبان على منهجه، مؤصلاً على نصوص معيشة حيت بيننا وراجت بالاستعمال. وهو منهج يتمحور حول لز الشواهد والقواعد في قرن واحد، لا على الشواهد وحدها، ولا على القواعد وحدها [8].

وهو وأقرانه، من أهل هذا المذهب الدرسي، يزدلفون كثيراً مما يشتهر اليوم في الأوساط اللسانية، بلسانيات النص المتكامل المؤصل على إقامة وشائج بين عناصر المعطى اللغوي يفضي إلى تناسق وانسجام [9].

والسؤال هو: ما مدى تأثير المنهج القائم على الدرس اللغوي الشامل، بكل المستويات الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والدلالية، والبلاغية الأسلوبية، في تجلية النصوص الشعرية، واستجلاء كنوزها، والوقوف على مراميها؟ أي كيف وظف أولئكم الدارسون المنهج المذكور أي الشمولي التكاملي في شرح هاتيك النصوص الشعرية، وكيف انتفعوا به؟ وهل كان ذلك يخدم تلك النصوص، أم يثقلها بالاسترسال والاستطراد، يوضحها أم يعقدها إذ يقيم على سطحها ألواناً من المسائل الصرفية أو النحوية. هذا هو الغرض الذي تترماه هذه الدراسة، وإذا كان الجواب بالإيجاب فما المسوغات، ثم بماذا توصي هذه الدراسة في درس المنظومة اللغوية، أفي سلاسل منفصلة في مسائل الصرف والنحو والبلاغة، أم في شبكة لغوية متعالقة، وفي حزمة لغوية متواشجة، وفي رزم تعليمية يفضي بعضها إلى بعض بعفوية وأريحية.

فالعربية، كما سماها القدماء، تعني الدرس اللغوي الشامل المتكامل بكل مستويات اللغة، ولا يهدر جانباً، ولذا سموه (علم العربية) وهو علم بأمور يقتدر بالوقوف عليها عن الاحتراز عن الخلل في كلام العرب لفظاً وخطاً، وقسموه إلى اثني عشر قسماً بعضها أصول هي العمدة، ومنها علم اللغة، وعلم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم العروض والقافية، وأما الفروع فعلم الخط وعلم الشعر والنثر وعلم المحاضرات وعلم التواريخ، وأضافوا علم الأمثال وعلم الاستيفاء [10].

فهم قد فهموا العربية على أنها درس لغوي شامل، ونحن فصلنا بتعسف بين هذه المستويات، لتسهيل الدرس والمعالجة.

ويظل النحو السمة الغالبة، وله القدح المعلى، فما من كتاب شعر أو قول أو مثل أو حديث شرحوه إلا عنوا بإعرابه، وما من كتاب في اللغة أو الشعر أو الأدب أو الأخبار أو التفسير أو غير ذلك، حتى مما لا علاقة له باللغة إلا فيه نحو، وهذا ينم على مبلغ ولوج النحو في كل مفاصل ثقافتنا، وعروق أفكارنا (11). فقد تجد من دقائق النحو في غير كتب النحو ما لا تجده في أمهات كتبه، وما من علم شاعت اصطلاحاته وأمثاله ولغته على ألسنة الناس، حتى الأميين منهم، مثل علم النحو (12).

وهذا المنهج ارتضاه جمهرة من المعاصرين، ولقد التفت إليه القدماء قبلاً، فرسم ابن خلدون في مقدمته ملامح مناهجهم، فكان منها الجمع بين القواعد والشواهد من كلام العرب، وعلى هذا الأسلوب جرى سيبويه، وتقيله أهل صناعة العربية بالأندلس... وكان هذا منحاة أهل المشرق على زمن الدولة الأموية والعباسية (13). والمنهج الثاني القائم على حفظ القواعد والأنظار مجردة من الشواهد قال ابن خلدون: أما من سواهم، من أهل المغرب وإفريقية وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب (14). وهذا المنهج نلحظه اليوم في تلكم المتون النحوية المبتسرة المقطوعة الصلة بالواقع اللغوي الحي الفاشي فينا، وراج في أساليبنا.

أما المنهج الخلدوني المشتهر فهو في قوله: " إن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات ووجه التعلم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم... حتى يتنزل لكثرة حفظه كلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ... " (15).

ويقول السكاكيني: " فتعلقنا بالصياغة وأهملنا الملكة " (16) أي تشاغلنا بالنحو وأهملنا اللغة وهذا ما أشار إليه الجاحظ قبلاً حين قال:

"ولو جالست الجهال والنوكى، والسخفاء والحمقى، شهراً فقط، لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم، بمجالسة أهل البيان والعقل دهراً، لأن الفساد أسرع إلى الناس، وأشد التحاقاً بالطبائع، والإنسان بالتعلم والتكلف، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يجود لفظه ويحسن أدبه " (17) وهذا لا ريب ملموح ملموس في القدوة اللغوية لأساتذتنا.

فإتاحة الفرصة الجيدة للسماع والنقاش والجدل والحوار مع من تختلط بهم وتختلف إليهم وتسمع منهم، وبناءً على ذلك يصبح من أهم العوامل التي تساعد على إنماء وتطوير حصيلة الناشئ اللغوية (18).

والذي أشار إليه الدكتور أحمد المعتوق في بحوثه اللغوية القيمة يثمن أهمية التوفر على النصوص اللغوية، وإطالة التحديق فيها والتملي من نميرها الفياض بالأساليب، أفضل من استظهار قواعد جافة، وتحفظ أنظار نحوية مجردة، وهذا ما عززه علم اكتساب اللغة لدى دراسات الدكتور نايف خرما (19).

والمقصود من هذا المنحى الذي توقفنا لديه هو أن محور الدرس اللغوي ومناطه هو النصوص اللغوية، على سطحها وعلى معطياتها يجري الدرس متلبساً بالنص، فالدرس اللغوي يغني النص ويعمقه ويسيغه إلى الآخرين المتلقين، وقد جلاه الشارح وخدمه بجملة من قواعد اللغة المستلة من النص نفسه.

الهدف من هذه الدراسة:

الغرض الذي تستهدفه هذه الورقة هو التأكد من الأطروحة التي سنرافع عنها، وهي كيف وظف التبريزي، مفاصل الدرس اللغوي الشامل، وعروقه المتنوعة لخدمة النصوص الشعرية وهي القصائد العشر التي تكلف لها جهداً ممتازاً في هذا الشرح الموسوم بـ: شرح القصائد العشر. ومن ثم الاطمئنان على ضرورة تعميم هذه التجربة على واقعنا التعليمي الذي ينبغي أن يؤصل فيه الدرس النحوي، على مبدأ الدرس النحوي النصي أو الدرس اللغوي الشامل بكل مستوياته، كيما نصيب هدفين: الأول التوفر والتملي واستظهار النصوص، والتأثر بأساليبها، والثاني معرفة وظيفة عملية للقواعد والأنظار الشاملة التي تحكم هذه النصوص وتتحكم في حيثياتها، ظناً منا أن ذلك يسعف في طرد هذا الإجفال الملموس، والضعف المعربد في الناشئة، والتعبس الممتد من الناس إزاء العربية، وذلك بالتخفف من تحفظ القواعد، بتحفظ النصوص والشواهد، فنقيم الناس على سمت العربية النقية، وسنن الفصحى في أبهى نواميسها وتجلياتها، فالمرء يرتكس خيبة، ويتضور ألماً، حين يرى حال العربية، وما ينتابها من خروقات وفساد، وجفوة على ألسنة أهليها، مع أنها الهوية، والوجود برمته. والألم والحسرة يتضاعفان حين ترى غفلة الناس عن هذه الفاقرة التي تتغولنا شيئاً فشيئاً. والهدف أيضاً هو الكشف عن جهود هذا العالم الجليل في درس اللغة، وخدمة النصوص.

منهج الدراسة:

قام هذا البحث على منهج لاحب متواضع، وهو التوفر على كتاب " شرح القصائد العشر " للتبريزي المتوفي سنة 502هـ ورصد جل الفعاليات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية، وكيف وظفها لتجلية نصوص هذه القصائد الجاهليات، وهي من عصر الاحتجاج، وكيف انتفع بهذه المستويات اللغوية المحشودة في الشرح لإضاءة النص، وتلميعه وترويجه. فالقارئ يقع على جملة من العلوم فضلاً عن فهم النصوص والدنو من أساليبها، بالمخالطة والالتحام.

فستكون الدراسة في هذه المحاور من الشرح المذكور

- المسائل الصوتية، وتأثيرها في الإبانة عن النصوص.
- المسائل الصرفية، وتأثيرها في التوضيح والشرح.
- التنمية اللغوية المفرداتية والدلالية، كيما ينكشف النص للدارس.
- المسائل النحوية، وحشدها للإسعاد في تجلية دقائق المعاني المتوخاة.
- التبريزي يسهم في حل إشكالية بعض الشواهد بالرواية المختارة.
- المسائل الأسلوبية والبلاغية، تجعل النص شفافاً مقنعاً ومؤثراً.
- خاتمة البحث.

والبحث ليس في وسعه حشد كل المسائل، وإنما ينتقي المشخص لسائر المسائل، والبحث لا يستجمع كل المسائل المتشعبة التي تقتضي مجالاً أرحب لا تستوعبها طبيعة هذه الورقة، وهمه أن يبين عن أهمية استرفاد كل هذه الأطر، والانتفاع بالمنهج التكاملي الشامل لمستويات اللغة للإبانة عن مقاصد النصوص، وتقريبها من ذوق المتلقي وفهمه، وجعلها سائغة للدارسين من بعد.

فثمة جملة من الحزم اللغوية المتساندة المتآزرة للكشف عن معاني النصوص، وجمالها، وأسس التركيب، ومفاصل المفرادتية فيها، في لحمة متناسقة متآلفة، لتشكل هذا النسيج ذا اللحمة اللغوية والسداة الموضوعية التي تنسل خطاباً شعرياً قادراً على تحمل الرؤى والطروحات، والتوجهات باستحقاق متوازن.

فالرزم اللغوية من دلالة، أو صوت، أو صرف، أو تركيب، أو أسلوب كلها تحشد للكشف عن المعاني، وسبر أبعاد النص، ودلالات الخطاب، لينكشف الخطاب النصي بواحاً سابلاً بين يدي المتلقي.

محددات البحث:

لهذه الدراسة أطر تحصرها، فالدرس اللغوي المقصود به هو مستويات الدرس اللغوي المألوفة من أصوات، أو صرف، أو تراكيب، أو دلالة، أو أساليب، تشكل منظومة تفضي إلى مخرجات لغوية تشكل نصوصاً متكاملة، وهي تعني الدرس الشامل المتكامل للنصوص الحسية في أنساق إبداعية مألوفة.

والمقصود بالنصوص الشعرية، المطلق منها بعامة، والقصائد العشر الجاهليات التي شرحها التبريزي. والمقصود بالشارح هو الخطيب التبريزي، الذي وظف جل معطيات الدرس اللغوي الشامل لتسليط الضوء على هاتيك النصوص باستجماع ثلة من المقاربات الدرسية، واسترفد آليات الكشف في القراءة السطحية للنصوص ملزوزة إلى المضامين والمحتويات التي تشكل المنتج الأدبي كله.

والتبريزي شرح غير هذه القصائد، فقد شرح ديوان الحماسة الذي احتمل فيه ثكلاً ملأه مخافة التعثر وهو يزاحم المرزوقي، فوجدنا العرق النحوي واللغوي نابضاً لدى التبريزي، ووجدنا العرق النقدي والبلاغي أظهر لدى المرزوفي في شروح الحماسة.

ويسعنا أن نصدع قائلين: إن الخطيب التبريزي ابتلع تلكم القصائد العشر شعراً ثم تقيأها علماً ونحواً ولغةً وفكراً، هي أهل لتطلب اللغة والنحو، والبلاغة، وسائر مستويات اللغة، يلمسها لمس خمس، وليس أنظاراً جافة، على نحو ما ألفناه في مصنفات النحو الجافة.

فما المنهج الذي رسمه في هذا الدرس اللغوي الشامل؟

منهج التبريزي في شرحه القصائد العشر:

قبل الخوض في محتوى الشرح، يرى البحث أن من الأنسب عرض منهج التبريزي، يلمح إلى أسلوبه في تقديم هذه الشروح لتلكم القصائد. لا مراء في أن للتبريزي منهجاً ملموحاً مطرداً لا يكاد يحيد عنه، وهذا مما يحمد له.

- يذكر في البداءة مقدمة موضحة لمنهجه، تحت عنوان خطبة المؤلف ونهجه، ذكر القصائد العشر، والغرض المقصود معرفة الغريب، والمشكل من الإعراب، وإيضاح المعاني وتصحيح الروايات، وتبيينها، مع جميع الاستشهادات التي لا بد منها [(22)].
- يقدم ترجمة مقتضبة لقائل القصيدة، بذكر نسبه، مع بعض التعاليل لاسمه أو كنيته، أو لقبه[(23)].
- يذكر أبيات القصيدة، بيتاً بيتاً، ثم يجري الدرس اللغوي الشامل على كل بيت.

- يذكر عروض القصيدة، ثم قافيتها، ففي معلقة امرئ القيس يقول:
- هو من الضرب الثاني من الطويل، والقافية متدارك [24].
- المعالجة اللغوية الشاملة، وكانت تنطوي على فعاليات لغوية، وفهوم متنوعة تذكرنا بمستويات التلقي للنص الإبداعي، فهو يعنى بالمفردات ويعنى تارة بالاشتقاق اللغوي، والتصحيح اللغوي، والمسائل البلاغية الجمالية، وقضايا الرواية، وقضايا اللهجات، وغيرها. هو أسلوب ذو منهج تكاملي شامل، تقيله كثير من الدارسين، ونتمنى لو نتقيله، أبداً في تخولنا الدرس اللغوي بالدرس أو التدريس، فهو ينخل النص ويشرحه ويسيغه للمتلقي واضحاً معبراً. والتبريزي، لا يحيد عن هذا المنهج، ولا يستطرد، ولا يحشو كلاماً زائداً وإذا التوى عليه أمر فزع إلى القرآن الكريم، أو الحديث النبوي أو الشعر يستشهد به، دون عمد منه إلى افتئات أولي ذراع النص، أو تعقيده، أو لزوم ما لا يلزم في الاستطراد والإبعاد أو الإغراق أو التكلف في المسائل النحوية أو الصرفية، إنه أسلوب مسمح فيه تطرية وتندية، يلذ القارئ ويفتح له مغاليق الكلام، ولا سيما هذه النصوص المتقادمة التي تعتاص أحياناً على القارئ.

وسيشرع البحث يبين تفاصيل مفردات المسائل.

1. المسائل الصوتية وتأثيرها في الإبانة عن النصوص:

لا مشاحة في أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، على نحو مقولة ابن جني [20]. وتتشكل هذه الأصوات في مخرجات كلامية مؤتلفة، تشكل الكلم، فهي اللبنات الأولى في المنظومة الكلامية، والتشكيل الصوتي يتمظهر في العربية في مسائل الميزان الصرفي، المؤشر على الأوزان الناظمة للكلم، الذي يعد الرافعة الأولى في تبين الأصوات المدغمة أو المبدلة، أو المعلة، أو المزيدة، وتبين تأثيرها في تصاريف الكلم الاشتقاقية، وإضافة هوية المفردة. فقولنا: غفر غير استغفر، وغير غافر أو مغفور له، أو غفار، وهكذا فإن هذا العلم الصوتي الجليل الذي يفضي إلى قرينة علم الصرف، كان يشكل حجر الزاوية في منطلق الدرس اللغوي، بغرض تجلية النصوص، وسبر أغوارها ودورها في التشكيلات الدلالية. فكيف وظف الخطيب التبريزي هذا المستوى الصوتي في قراءة النصوص وشرحها؟

معلوم أن الخطيب التبريزي عاش في الحقبة الممتدة من عام (421-502هـ) ويتراءى لنا أن المقولات اللغوية كادت تستقر، وجل مسائل اللغة والنحو قد تخولها العلماء، ولحبوا قضاياها، وكل موروث يظل ميداناً خصباً للدرس والقراءة، ورجع النظر في كل المفاصل والعروق، ولسنا مع الذين يزعمون أن بعض إرثنا نضج واحترق، أو نضج وما احترق، فهذه طروحات تحجر واسعاً، وتثبط الهمم في البحث والتنقير في شعيرات الموروث، فالتراث روح الأمة العربية، والتنصل منه

يعني الضياع " [21] مع أن صيحات تملأ المدى تهيب بالناس، وتؤذن في كل نادٍ: كفى توفراً على الموروث، وانبذوه، فهو يشكل ثقلاً يجر إلى الوراء، ويلجم الناس عن التفكير.

وظف التبريزي المسائل الصوتية في الكشف عن محتويات النصوص وأعماقها وأبعادها دون تكلف أو تعسف، وبتقصد عرضي، لا يفسد جو النص ولا يقطع لذة القراءة. وقد وقع لنا جملة من المسائل الصوتية نهض بها التبريزي، وسمت نفسه إلى كشفها في إبانها، لإنماء فهم القارئ بالنص، وتعزيزه في نفسه:

1. تبيان الوزن الصرفي لعدد جم من المفردات، كيما ينكشف أصلها، ويتعمق فهمها لدى المتلقي:

تكلم على وزن مَطِيّة، قال: أصلها مَطيْوة، فلما اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء [25].

وتلكم على وزن (أرقْتُ) أفلت، وعين الكلمة محذوفة، كان أصلها أريقت على وزن أفعلت، وهو فعل معتل العين، تقول في الثلاثي منه: راق الماء يريق فالألف في راقه منقلبة عن ياء [26]. وثمة مسائل متنوعة صوتية ممتعة [27].

وكلما وقعت له كلمة آنس فيها غرابة صوتية عمد إلى تحليلها تحليلاً يبين عن وزنها وأصلها. فهو بهذا وظف مسألة الميزان الصرفي توظيفاً حصيفاً لإغناء القارئ، وحقنه بجملة من المعارف التي تسلحه لفهم النص، وتذوقه، وتسعف الدارس ليقيم دراسات منهجية حول هذه النصوص، ثم ليقدم العربية وعلومها من خلال نصوص لغوية حية معيشة، حيّت وراجت بيننا.

والحق أن كثيراً من هذه الأنظار كان قد أصله جمهرة من أنباه العلماء الأجلاء، واستوت جلية، بيد أن التبريزي راح يفعلها ويوظفها، أو يدلي برأيه، أو ينحو فيها منحى ذاتياً مبتكراً.

2. المسائل الصرفية، وتأثيرها في التوضيح والشرح:

ألح التبريزي كثيراً على المسائل الصرفية، وأتى فيها بالمعجب، والمجلي، وما حشده من مسائل صرفية، تغني عن مصنف كامل في مسائل الصرف العربي.

تكلم على الإعلال بالقلب، والإعلال بالنقل، والإعلال بالحذف، وإبدال الهمزة، وتكلم على جموع القلة والكثرة، وتكلم على أسلوب التفضيل، ومسألة التثنية، والاسم المقصور والممدود والمهموز، وتكلم على أقسام الأفعال ووظائفها، وعرج على المشتقات بأنواعها، وفصلها بتفاصيل معجبة، ومفرقة على الأبواب، وتكلم على مسائل تعمق فهم القارئ، وتقنعه وتزوده بثروة علمية هائلة، تمنيت لو أن الدرس الصرفي والنحوي، اليوم، يقام على هذا المنهج المؤصل على سطح

النصوص، وعلى هوامشها وليس تكلفاً وتعسفاً وتقحماً لأمثلة معتاصة مجترحة، إذن لاستقام لنا درس لغوي شامل متكامل، ولاحتوينا تجهم الناشئة، واستللنا سخيمتهم وتعبسهم للعربية.

تكلم التبريزي على الإعلال بالقلب: وأصل راق رَيَق على وزن فعل، فانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فلما أعلوها في الثلاثي وجب إعلالها في الرباعي، فإذا قالوا: أرقْتُ الماء فالأصل أريْقت [28].

وتكلم على الإعلال بالحذف، وذكر العلة وهو الاستثقال [29]. وما زالت العلل الصرفية والنحوية متلبسة بالوسط العلمي في ذلكم الإبان، ولا ضير من ذكر العلل التعليمية التي تشفع في التوضيح لإسلاك المسائل للدارس، خلافاً لما أذن به ابن مضاء في ثورته على العلل والعوامل، من غير أتيان ببديل مقنع [30]. والاعتراض على العلة الأولى ليس شيئاً.

وتكلم على الإبدال من غير توعر أو إعنات للقارئ: في عصيّ جمع عصا، وأصلها عصو وبزنة فعول، جرى فيها إبدال وإدغام [31]. وأصل كلمة ذبيان [32]، واحياناً يستنير بآراء شيوخه المتقدمين، استبراء لذمته [33]،

وتحدث عن اللهجات الصرفية في هرقت وأرقت [34] وأشار إلى جموع القلة، إشارات مبرأة من الاستكثار أو التجاوز. وتكلم على جمع التكسير، وجمع المؤنث والمذكر. وجموع القلة حصرها في: أفعل وأفعال وأفعلة وفعلة، وأما جمع المذكر السالم والمؤنث فيصلحان للعدد القليل والكثير [35]. وأنبهنا إلى آلية جمع المقصور والممدود والمهموز [36]. إنباهاً لا ينحط عن رتبة الإقناع باسترفاد الشواهد والمثل الموضحة.

تكلم على اسم التفضيل، وحذف النون من يكن بأشراطها [37].وكلامه على المشتقات لا ينفك يزاوله كلما عنّ له شيء من ذلك، من خلال اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو الصفة المشبهة أو صيغ المبالغة أو التفضيل، أو المصادر، أو أسماء المكان أو الزمان، أو الآلة، يكلمنا كلاماً ملذاً مقنعاً سهل التناول، قريب المبتغى [38]. وتكلم على المذكر والمؤنث [39]. وأحياناً يغم المصطلح أو يغيب فلا يذكره لك، وإنما يطالعك بالمثل أو الشاهد، وأنت تتعرفه.

والأدوات النحوية لصيقة بقضايا الصرف، فهي بنى صرفية لها معان سياقية، وتسعف في إحكام الربط في المكونات اللغوية. وحشد التبريزي جمهرة من معاني حروف الجر، أو الجزم، أو العطف، أو النصب، أو التنبيه، أو الزائدة، حشداً يلتفت إليه كلما حزبه موقف يتقاضاه ذلك [40]. تكلم على رب ولغاتها ووظائفها [41]. وتكلم على كم [42]. واستعمال ودّ بمعنى أن [43]. وهو الوجه، من قبل أنها حرف مصدري، تنسبك مع الفعل بعدها بمصدر، مثل انسباك أنْ الناصبة والفعل.

ويلحظ تماهي الأصوات، والصرف، والمستوى التركيبي أو الدلالي، أو الجمالي تماهياً ملحوظاً يفرز مزيجاً صالحاً مؤتلفاً، لا مذيقاً فاسداً مختلفاً، ولا متناكراً أو متدافعاً أو متخالطاً بعشوائية، يدفعك إلى التنقل المريح من علم إلى علم ومن فن إلى فن ضمن النص الواحد.

3. التنمية اللغوية المفرداتية والدلالية:

وظف التبريزي، رحمه الله، هذه الفعالية في سنن لاحب لا يكاد يزايله البتة، وذلك بتناول المفردة التي يأنس فيها غرابة أو حوشية فيفسرها بأساليب ينكشف فيها الغامض، وينجلي المبهم:

1. يذكر المرادف للكلمة، قال: السقط، ما تساقط من الرمل. ثم يتبعها بذكر حركتها، كيما يقيم المتلقي على يقين صوتي، وفيها ثلاث لغات: بكسر السين أو فتحها أو ضمها: سِقْط، وسَقْط، وسُقْط. واللوى: حيث يسترق الرمل، فيخرج منه إلى الجدد [44].

2. يذكر معنى الكلمة ثم يذكر سبب التسمية، وهو أدخل في باب فقه اللغة، وواحد المطي مطية، والمطية الناقة، سميت مطية لأنه يركب مطاها أي ظهرها، وقيل سميت مطية لأنها يمطى بها في السير أي يجد بها في السير [45].

3. يفسر بذكر الاشتقاق والتوالد اللغوي: الأثناء واحدها ثِنْي وثنى وثنى، وواحد آلاء الله: إليُ وإلىً وألى، وواحد آناء إني وإنىً وأنى.

وألهيت عن الشيء إلهاء إذا تركته وشغلت عنه، والمصدر لهى ولهيًا، وحكى الرياشي: لهياناً، ولهوت به ألهو لهواً لا غير. وتعذرت امتنعت أصله من العذر، تعذر فهو متعذر، وعذر معذر، وآلت: حلفت، يقال: آلى يولى إيلاء، وآلية وألوة، وأُلوة وإلوة. مضى الشيء يمضي مضاءً ومضياً، وأمضيته أنا أمضيه إمضاء، إذا أذهبته عنه، والمضاء السرعة [46].

4. يفسر بذكر المؤنث والمذكر: والضحى مؤنث صيغة وليست الألف فيها بألف التأنيث، وإنما هي بمنزلة موسى الحديد. والخصم يكون واحداً وجمعاً، ومؤنثاً ومذكراً. الغضوب والغضبى واحد، وغضوب للتكثير، والحليل: الزوج والمرأة حليلة، قيل لهما ذلك لأن كل واحد منهما يحل على صاحبه. قال: ربذ يداه، ولم يقل ربذة، واليد مؤنثة، لأنه أضمر في ربذٍ، وجعل (يداه) بدلاً من المضمر. والسقب ولد الناقة الذكر [47].

5. يفسر بالفصيح والأفصح، أي بذكر مراتب الفصاحة، قال: جرم أو أجرم، وأجرم أفصح، ويقال: جرم الشيء إذا حق وثبت، والجارم الذي أتى بالجرم وهو الذنب، وقوله تعالى: (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) [48] وجرم أي كسب وحق ومعناه: لا نفي لما كانوا

يعتقدون، كأنه قيل: لا ينفعهم ذلك ثم ابتدئ بعد ذلك (جرم أن لهم النار) أي جرم إفكهم وكذبهم لهم عذاب النار، أي كسب لهم عذابها.

وقوله: أنا أبلغ في المدح من كنا، يعني أن كنا إنما تدل على ما مضى فقط، فلهذا صار (أنا) أمدح [49].

6. التفسير بذكر الأضداد: ومنها يسرون أي يظهرون، ويسرون يكتمون وهو من الأضداد [50].

7. وقد يلجأ التبريزي تطلباً لمعنى الكلمة إلى التوصيف، أي وصف دلالة الكلم كي يقربها إلى ذهن المتلقي، قال: الضوى – الضاوي، وهو دقة العظم وقلة الجسم خلقة، بسبب الزواج من الأقارب. الخلقاء: الصخرة الملساء، والقرود الأرض الصلبة المستوية. الأعصام: قلائد من أدم تجعل على أعناق الكلاب. والآرام حجارة تجعل أعلاماً ليعرف بها الطريق. والمنور: الأقحوان الذي قد ظهر نوره [51] وغيره كثير، زهدنا في ذكره توخي الإيجاز، وتوقي الإملال والإثقال. وفي وكدنا أن التبريزي يترمى تقوية الحصيلة اللغوية لدى المتلقي وإنمائها بوتائر متنوعة، بما يرفده بأمشاج لغوية متنوعة.

8. قد يلجأ إلى التصحيح اللغوي ليمد في القارئ نسغ الفصاحة، ويجذره في العربية النقية التي يرتكس المرء خيبة وأسفاً حين يسمعها مكسرة مشوهة على ألسنة أهليها يعيشون بين ظهرانينا، ونتلقاها من لدنهم يومياً عبر وسائل الإعلام.

ومن معطيات التصحيح: العَماية، بالفتح، مصدر عمي قلبه.

والغواية: والغي واحد، بالفتح.

الشرب بكسر الشين والشرب بضمها: اسمان للمشروب

والشرب بالفتح، مصدر. والحجة: السنة فإذا جئت بالهاء كسرت لا غير [52].

9. التنمية اللغوية العلمية، أي حشد ألفاظ منوطة بعلوم بعينها، ومنها:

الخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة.

والبيت: ما كان على ستة أعمدة إلى التسعة.

والخيمة: ما كان على الشجر.

المتفضل: الذي يبقى في ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً، واسم الثياب الفُضل ويقال للرجل والمرأة: فُضل، والمفضل: الإزار الذي ينام فيه. ومنه الخبت: بطن من الأرض، والحقف ما

اعوج من الرحل وانثنى، والقف ما ارتفع وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً. ومنه المرط: إزار خز معلم، المرحل: الذي فيه صور الرحال من الوشي [(53)].

فهو ينفح المتلقي بجملة من المفردات العلمية التوضيحية فيما يخص الأرض أو اللباس أو الطعام، ويعزز المعجم اللغوي لديه.

10. قد يلجأ إلى تبيان هوية الكلمة، ويشير إلى عجمتها. مثلاً: السجنجل: المرآة وقيل: سبيكة الفضة، وهي لفظة رومية [(54)].

11. يتكلم أحياناً على اللهجات، كيما يمعن في الإنماء اللغوي، قال: الوادي بلغة أهل اليمن: الجوف [(55)].

12. يوظف الأساطير والحديث عنها في الموروث العربي، مثل: الصدى، أو يذكر بعض القصص والأخبار التي تدور حول بيت شعري، أو المناسبة التي تسعف في التحقق، والتوضيح [(56)].

13. يستعمل التبريزي في غضون الشرح، شأنه شأن الآخرين، أساليب تحديد الكلمة، بأسلوب (لا يقال) أو (لا يكون) وذلك مثلاً: الكأس فيه لبن أو ماء أو خمر، فلا يقال كأس إن كان فارغاً، ومثلها الظعينة، وغيره [(57)].

14. التبريزي ولوع بالترادف والتكثر منه، وهو أسلوب شائع في تفسير المفردات اللغوية، قال: مد النهار أوله حين امتد، وشد النهار، ووجه النهار، وسبب النهار أي أوله، وقال: اللحز والهلباجة والأحمق والطياش. وقال: أقفر معناه كمعنى أقوى، إلا أن العرب تكرر إذا اختلف اللفظان، وإن كان المعنى واحداً، ومنه النأي والبعد، وكذلك الشرعة والمنهاج [(58)]. والخلاف مستحر بين العلماء في ورود الترادف أو إنكاره في اللغة [(59)].

والحق أن للتبريزي نفساً لغوياً عميقاً، وذخيرة مفرداتية وافرة، تمده بهذه الألوان من التفسيرات التي تنسجم ومعطيات علم اللغة المحدث في شأن التفسير والمعجم، بالترادف أو بالوصف، أو بالضد[(60)]، بما ينم على أفق علمي واسع لديه لمسناه من كثب في أدائه.

15. يسترفد التبريزي في تفسيره الرواية من شيوخه، أو يفسر بالقرآن الكريم أو يفسر بالحديث النبوي الشريف، أو بالشعر، أو بالأمثال، أو بكلام العرب، أو بذخيرته الذاتية المندغمة في عقليته الواسعة في القدرة على توظيف المنقول والمعقول لشرح النصوص وتوضيحها.

أما الرواية فسنرجئ الكلام عليها إلى إبانها الملائم.

وقد انتفع كثيرا بالشواهد القرآنية لتجلية بعض المسائل، وأظهرها مسألة الترادف التي ألمحنا إليها قبلاً، قوله تعالى: (ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً) (المائدة، 48)

وقوله تعالى: (وسقاهم ربُهم شراباً طَهُوراً، إن هذا كان لكم جزاءً) (الإنسان، 21، 22)

وقوله تعالى: (حتى إذا كنتم في الفُلْك وجَرَيْنَ بهم) (يونس، 22) استشهد بهما في باب الالتفات.

وإذا فسر الكلمة وبغى التثبت استشهد بآي الذكر الحكيم.

ففي تفسيره (طوراً) استشهد بقوله تعالى: (وقد خلقكم أطْواراً) (نوح، 14)

والكريم: الشريف الفاضل، ومنه قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء، 70)

وهو في جل منهجه يفسر الكلمة بنفسه ثم يحشد لها الشاهد القرآني كي يستعصم به، ويعزز قوله.

وقد يلوذ بالحديث النبوي الشريف، لتجلية قضية لغوية [62]، والأحاديث النبوية المستشهد بها في هذا الشرح قليلة، مع أن مسألة الاحتجاج بالحديث الشريف كانت قد حسمت في هاتيك الحقبة [63].

واستشهاده بالشعر كان كثيراً، فهو تارة يفسر الشعر بالشعر المقارب في المضمون، أو في الإشكالية، وتارة ينشد البيت كاملاً، أو نصفه، أو قطعة منه. قال الشاعر في الشأمل:

وهبّت الشأمل البلبل، وإذ ... بات كميعُ الفتاة ملتفعاً

ومرة ينسب البيت: وقال جرير، وقال عمر بن أبي ربيعة في الشمل [64].

وإذا فسر كلمة النقف: نقف رأس الرجل بعصا أو غيرها، قال الشاعر:

إنّ بها أكتل أورزاما ... خُوير بَيْنِ ينقُفان الهاما [65]

والحق أن الشواهد الشعرية أو القرآنية أو غيرها تقتضي دراسة موسعة، ووقفة متأنية، لا تحتملها هذه العجالة.

كان هاجس التبريزي في شرحه، هو الإيغال في جسم النص وعروقه لتوضيح كل ما غمض، وتسهيل كل ما حزن، وتقريب كل ما بعد، فتجده يوظف كل القدرات اللغوية للكشف عن هذه النصوص التي تخولها بالتهذيب والشرح والتقريب.

4. المسائل النحوية وتأثيرها في الكشف عن دقائق المعاني المتوخاة:

ليس من مقاصدنا أن نطلع التبريزي نحوياً تعسفاً، بيد أنه لا ريب لغوي بالمعنى الواسع، فهو يتوخى إقامة الناس على محجة العربية بمعناها الواسع، فكثير من معالجاته أقعد في باب اللغة والنحو، فهو نحوي لغوي، ولكن ليس بالمصطلح الضيق، فهو نحوي وأكثر من ذلك، إذ له لفتات لغوية استظهرناها من منهجه الشمولي، الذي يتمحور حوله النص، وتجليته بطريقة تكاملية تستهدف المعنى والمبنى، من غير تحيف أو افتئات على اللغة.

وقد رصدنا جملة من المعالجات النحوية الشاخصة، وقفنا على أظهرها وليس في وسع هذه العجالة أن تتبعها باستقصاء، ولكنا نلمح إليها، لعل دراسة تتوقف عند جزئيات هذه الأنظار وتموقعها في مكانها الملائم.

وقد وقعت لنا قرابة خمسين مسألة نحوية، نهض التبريزي لمعالجتها، ورأى أنها قمينة بالكشف عن غوامض النص، وإشكالاته، ولم يعالجها بالمفهوم التقليدي النظري الذي أصل عليه منهج النحاة، بل معالجة وظيفية سياقية تخدم النص، وتوضح أبعاد المسألة باقتضاب، بما يعكس مرآوياً منهجه، ولم يعمد إلى ما عمد إليه الحضرمي (ت 609هـ) في: مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، الذي كان ممحضاً للنحو فحسب، ويزهد في سائر المستويات اللغوية، قال مثلا، في مشكل البيت:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك   إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

وهلا سألت: هلا: تحضيض، وبما لم تعلمي: الباء بمعنى عن، أي عما لم تعلمي، أي عنه، وإن كنت جاهلة، جواب الشرط دل عليه ما قبله أي فسليهم [66].

وهو منهج اختياري من المسائل المشكلة، وقد تخول هذه القصائد الجاهليات بخدمة جليلة من الجانب النحوي، ويحمد لمحققه الدكتور علي الهروط هذه الخدمة الجليلة في التحقيق الموفي على الغاية.

يقترب التبريزي من هذا المنهج ويبتعد، يقترب في النحو والإعراب، بيد أنه لا يكتفي به بل يتعداه إلى مقاصد أخرى شاملة، ويبتعد في أن غرضه ليس شِكم المتكلم على منهج العربية في الإعراب ليهطع مقتنعاً، بل همه أن يسيغ النص بكل معطياته اللغوية بين يدي المتلقي، ليقبل عليه متلذذاً متقبلاً.

وهذا ثبت بنماذج من معالجاته النحوية التي أربت على الخمسين، ولعل القارئ الكريم ينظر في أقلها فيحكم على أكثرها في منهج التناول.

1. جزم الفعل المضارع في جواب الأمر:

يورد التبريزي موضع الشاهد، ويلمع إلى ما تواضع عليه جمهرة النحاة، وعقيب ذلك يورد رأيه، وإليكم هذه المسألة.

قال: ونبك: مجزوم لأنه جواب الأمر، والجيد أن يقال: نبك جواب الشرط مقدر كأن التقدير: قفا إن تقفا نبك، لأن الأمر لا جواب له في الحقيقة، ألا ترى أنك إذا قلت للرجل: أطع الله يدخلك الجنة، ومعناه أطع الله إن تطعه يدخلك الجنة، لأنه لا يدخل الجنة بأمرك، إنما يدخلها، إذا أطاع الله (67).

المثال الذي أورده التبريزي تحكمي، وله خصوصيته الدينية، ثم إن في هذه المسألة تجاذباً وتراسلاً بين الوجهين، مبسوطة في المظان (68).

ورأي التبريزي فيه تكلف تقدير محذوف، وتأويل، والحمل على الظاهر أولى من التقدير، على نحو ما هو مشتهر في أصولهم.

لكن الإشكالية هنا في قولنا: لا تدن من الأسد يأكلك، فلا يصح معها: إن لا تدن يأكلك، ولا يستقيم المعنى، وهي جدلية خلافية لا يسمح بالتبسط فيها.

2. مسألة الحمل على الجوار، وذلك في قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عرانين وبله كبيرُ أناس في بجاد مزمل

قال: وكان يجب أن يقول: مزمل (بالرفع) لأنه نعت للكبير إلا أنه خفضه على الجوار، وحكى الخليل وسيبويه، هذا جحر ضب خربٍ، وإنما خرب نعت للجحر (69).

والوجه أن يقال: في بجاد مزمل صاحبه، على النعت السببي، ومثله: هذا جحر ضب خرب بابه.

3. عمل اسم الفاعل بعد حذف التنوين: فمن مبلغ الأحلاف عني:

يريد: مبلغٌ الأحلاف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، والمحذوف لعلة وسبب يعتبر كأنه موجود. ومثله: (ولا الليل سابق النهار) (يس، 40) على نية التنوين. وحذف التنوين، لا يلغي عمل اسم الفاعل (سابق) (70).

4. مسألة الحمل على المعنى، في قوله: فأحنق أي ضمر، ولا يقال أحنق السنام إنما يقال: ذهب لأنه حمله على المعنى، لعلم السامع بما يريد، كما يقال: أكلت خبزاً ولبناً، أي وشربت لبناً، وكقوله:

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شتت همّالة عيناها

أي: وسقيتها ماء [71].

والحمل على المعنى باب واسع لو استخدم لأراحنا من جملة من التآويل والتقادير الممضة، ولأضحى النحو أروح.

ويسع البحث أن يقدم للقارئ الكريم، وهو علام بهذه المسائل، ولا سيما كرام البحثة، وأنباه القرائين، ويقرنها بمواقعها في الشرح، ويسع القارئ المتفضل أن يراجعها ثمة بأريحية، قصد الوجازة والعجلة.

وسيعمد البحث إلى لز المسائل النحوية في قرن واحد تطلب التسهيل، وإن كان في ذلك مجافاة للمألوف:

5. رأيه في العطف بالفاء: (التبريزي 50)
6. مجيء الحال مصدراً: 55
7. الخطاب بالمثنى: 47
8. الإخبار عن النكرة بالنكرة: 57
9. إعراب الكاف: 60
10. أسلوب ولا سيما: 63
11. العطف على مجرور رب: 73
12. حذف رب: 73
13. رأيه في (مهما): 79
14. رأيه في (إذا): 88
15. الفصل بين المضاف والمضاف إليه: 90
16. استعمال أضحى تامة: 94
17. جزم الفعل المضارع المعتل الآخر بإثبات حرف العلة وتسكينه: 101
18. ترخيم النكرة: 120

19. الحمل على المحل أو الظاهر في العطف: 117
20. حذف حرف الاستفهام: 122
21. ارتفاع الاسم بالجار والمجرور: 133
22. الخافض لا يضمر: 118، 119
23. الاستثناء المنقطع: 160
24. المبتدأ معرفة والخبر نكرة: 187
25. بدل الجملة من الجملة: 221
26. توكيد النكرة: 225
27. رأيه في بات التامة: 277
28. هل ترد الواو زائدة: 285
29. النصب بإضمار أن: 319
30. جواز العطف على المضمر المرفوع: 331
31. إضافة الشيء إلى نفسه: 360
32. قد في جملة الحال الماضوية: 371
33. المنادى المرخم: 372
34. قوله في: ويك: 375
35. الابتداء بالنكرة: 376
36. الجمع بين الألف واللام والإضافة: 377
37. تعدي اسم الفاعل: 417
38. الجزم بلم ولما: 417
39. توسط أداة الشرط: 422
40. حذف لا بعد أن الناصبة: 423
41. الفرق بين أم وأو: 461

42. الممنوع من الصرف: 288

هذا فضلاً عن المسائل المكررة في الباب نفسه، وتشكل كل مسألة باباً نحوياً كبيراً، يدار حوله جملة من القضايا الفرعية، ومنها: تأنيث ثم، وحذف الفاء الرابط، وخبر كان، وحاشى، والمنادى النكرة، والاسم المنقوص المعرف بأل، والاستثناء، وغيرها كثير.

وللتبريزي منهج لاحب في المسائل النحوية التي عالجها، فالمعالجة لم تكن على النحو الاعتيادي في مصنفات النحو، بل هي وقفات تقاضاها النص المعالج، وتطلبتها حيثيات المعنى، والإعراب فرع على المعنى، ولكن التبريزي ظل وفياً بمناهج النحاة في الاهتمام بالعوامل النحوية، والعلل النحوية، والأوجه والأعاريب التي تتيحها أوجه القراءة، والتقدير والتأويل، واجتلاب الشواهد القرآنية وهي الأكثر، ثم الشواهد الشعرية من غير النص المعالج، معزوة وغير معزوة حيناً، ثم رسيس من الأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال، وأقوال الأعراب. يبسط المسألة التي يتصدر للمرافعة عنها إما بوجه بصري أو كوفي، وتسمو نفسه كثيراً إلى الاجتهاد برأيه الخاص، فبذلك يصل إلى منهج ائتلافي مقبول سائغ، وينظر نظر المتبصر الواثق المتعمق في سنن العربية ونواميسها.

إنه يقدم النحو النصي السياقي الوظيفي، الذي لا يبهظ المتلقي، ولا يكز الشداة، فما أحرى أن يدرس النحو، ويدَرس على هذا النحو المستطاب من خلال نصوص حقيقية، وليس أمثلة جافة، أو تمارين افتراضية، أجفل منها الناس، وبقينا دهراً نؤذن بها ونصدع، وطلابنا يتقدمون إلى الوراء، ويرقون إلى أسفل، فلا نحن استرحنا، ولا طلابنا انتفعوا بنا!!

5. التبريزي يسهم في حل إشكالية بعض الشواهد بالرواية:

للتبريزي حضور روائي قوي، فهو شديد الاحتفال بالسماع والرواية، روى عن الأصمعي كثيراً [(72)] وعن أبي عبيدة [(73)]. وعن المبرد [(74)] وعن ابن كيسان [(75)] والفراء [(76)] وابن الكلبي في المسائل التاريخية [(77)] وابن الأنباري [(78)]، والنحاس [(79)]، والزجاج [(80)] وأبي زيد [(81)] والكسائي [(82)] وأبي عمر والشيباني [(83)] في مسائل لغوية أو نحوية أو تاريخية.

وأما المسائل النحوية فجل روايتها عن الخليل، وسيبويه، والأخفش [(84)]. ينص على ذلك صراحة، وتارة يكتفي بقوله: ويروى، استبراء للذمة. وهذا التثبت الإحصائي ابتدائي، للتمثيل والتقريب، لا للإحصاء والتحقيق، الذي يحتاج إلى موقع آخر يستوعبه.

أما المقصد في هذه المسألة فهو الروايات التي تفرد بها الخطيب التبريزي التي كانت منارة أو مشكاة يستهدى بها لحل الجدلية القائمة في بعض المسائل النحوية التي ترتد إلى اختلاف الرواية في بعض الشواهد الشعرية المستلة من القصائد العشر، ومنها:

1. وإن شفاءً عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

أنشده جمهرة النحاة على أن المبتدأ نكرة خلافاً لسنن العربية، وتلاحوا حوله وتخلق هامش من القاعدة على القاعدة الأم [85]. مما أفضى إلى هذا التورم المشهود في كتاب النحو العربي. فلو توكأنا على رواية الخطيب التبريزي وهي:

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول[86]

فتصير (شفائي) معرفة، والخبر نكرة، على سمت العربية وأصولها، وهي رواية تعضدها رواية الديوان [87].

فرواية التبريزي مخرج من مأزق روائي، وتعدد الرواية من أكثر أدواء القاعدة النحوية، فإذا أقمنا النص على قراءة متوحدة متفق عليها على وفق ضوابط مرتضاة، استقامت القاعدة وزايلتها أو ضار التعدد، وكثرة الأوجه، التي تفضي إلى الاعتياص والتورم والمناكرة أحياناً.

2. الشاهد الثاني من معلقة لبيد:

ولقد علمت لتأتينَ منيتي إنَ المنايا لا تطيشُ سهامها

نزل علم منزلة القسم، لتأتين جواب القسم. فتخلقت قاعدة استثنائية على سطح القاعدة الرئيسة، وسود النحاة صحائف جمة حولها. أن أفعال القلوب تجاب بما يجاب به القسم [88].

إلا أن رواية الخطيب التبريزي حسمت الأمر وأراحتنا من هذه المناكفات والملاسنات المستحرة بين النحاة، فاختفت صحائف نحوية كثيرة وهذه رواية التبريزي:

صادفن منه غرة فأصبنها إنَ المنايا لا تطيش سهامها [89]

ثم جاء البغدادي فنفى الرواية الاولى، وأثبت رواية التبريزي [90].

3. قول الأعشى:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل

والتقدير: أنه هالك [91].

ورجعنا إلى رواية التبريزي فكانت:

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

وجعلها في باب دخول أن المخففة على الفعل الجامد (ليس) (92).

وتابعه البغدادي، وكذلك رواية ديوان الأعشى (93).

4. قضية العطف على التوهم، والشاهد من الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا   أو تنزلون فإنا معشر نزل

رواه النحاة، إما بالتحريف، أو التلعب القاصد، أو بتعدد القراءة والتغيير العفوي، من قبل أن جل الموروث كان بالشفاهية، روي على هذا النحو، ودارت حوله مسألة نحوية فيها تجاذب وملاحاة (94). ورجعنا إلى التبريزي الذي أسعفنا في روايته فكانت هذه الرواية:

قالوا: الطراد، فقلنا تلك عادتنا

أو تنزلون فإنا معشر نزل(95)

وعضده صاحب الخزانة ورواية الديوان (96).

ويحمد لهما حل هذه المسألة التي تشبه أن تكون إشكالية، تنسحب على كثير من رواية الشواهد النحوية (97).

5. نصب الفعل المضارع بأن المحذوفة، قول طرفة البكري:

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

بنصب الفعل المضارع (أحضر) بأن مضمرة (98).

وهي قضية خلافية، الكوفيون ينصبونه بأن محذوفة، والبصريون يسقطون النصب إذا سقطت أداة النصب، والرواية شذرت النحاة على هذا المشهود.

رجعنا إلى رواية التبريزي فكانت على النحو هذا:

ألا أيها اللاحيَ أنْ أحضر الوغى (99).

فأصابت محزاً، وحلت إشكالاً، ربما لا ينتهي.

وللتبريزي بدوات مجليات في التوفر على السماع، وتحري الرواية الأدق أو الأصح فما أكثر ما كان يغير الرواية المشتهرة لدى القراء، ويثبت روايته، أو رواية من يأنس فيه الأمانة والدقة العلمية، سواءً أكان شاهداً نحوياً أو غيره، فهو مولع كثيراً بالسماع والأدلة النقلية، فضلاً عن القياس والأدلة العقلية.

6. ترخيم المنادى النكرة، قول امرئ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبيَ مكلل

رخم: أصاح، وهو نكرة، والتقدير: أصاحب، وليس وجهاً. والوجه ما رواه التبريزي قوله: أحار، ترخيم: أحارث.

فحلت لنا روايته مسألة إقامة قاعدة استثنائية تربك الدارس.

6. المسائل الأسلوبية البلاغية:

يلتفت التبريزي كثيراً إلى الجوانب الجمالية البلاغية، ويقفنا لديها ليبين أن النصوص ليست لغة فحسب، وليست معاني، بل هي ائتلاف بين هذه المعطيات لتشكل منظومة جمالية يلتقطها المبدع، كيما يصوغ أفكاره ورؤاه ليقدمها للقارئ في ثوب جمالي مونق معجب، ليتم التفاعل بين المتلقي والمبدع، على وجوه متنوعة.

ولقد مرد التبريزي على هذه الظاهرة كلما ظفر بلفتة جمالية، سمت نفسه إلى كشف الجمال فيها، لتمتلئ نفوسنا بها، إن في التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية أو المجاز، أو في الصورة بشكل عام، ومعالجته ليست على النحو المعهود في مصنفات البلاغة، بل هي رسيس من البلاغة الإيمائية، كأن يقول: شبه كذا بكذا ليجسد صورة المرأة أو الناقة، فيشد القارئ إلى ذلك ويضع يده على مواضع الجمال ويعطيه حرية التملي من نمير الجمال الفياض، يقفنا كثيراً على مسائل التشبيه [(100)]. ويتكلم على الكناية[(101)]. ويتكلم على الالتفات[(102)]. وغيرها.

فالتبريزي ينقلنا من علم إلى علم ومن فن إلى فن، ومن كل شيء يعطيك طرفاً، فهو يشرح النص، بطرائقه المتنوعة، وبغتة يتوقف ليشغلك بمسائل نحوية أو صرفية، وتارة، يقفك على الأعاريب المتنوعة للمشكل أو غير المشكل أحياناً، فتحس أنك بين ألوان من العلم غزيرة، ومن الفنون ملونة، وهذا هو معنى العربية الشامل المتكامل، في أسلوب تعليمي يكنفه التكرار والتوضيح، والتلميح تارة، أو التفصيل، ولعله من آكد الأساليب في العلم والمتعة، والطراوة والتجدد. فهو درس في شرحه البنية اللغوية بكل تشكلاتها وتجلياتها ومستوياتها، ثم درسها في

الجانب الوظيفي الحيوي لدى المجتمع المتلقي، في المستوى اللهجي، أو سلوك الإنسان وعاداته، وبنيته العقدية، وما إلى ذلك.

والحق أنه من الظلم أن نغمط الخطيب التبريزي، ولا سيما منهجه اللغوي الشامل، ومن الخطأ والغبن أن نغيب صنيعه هذا عن الناس، ولا سيما البحثة والقرائين أو الشداة، بل ينبغي إذاعته والتأسي به في تعليمنا وتعلمنا، إذن لحرضنا الناس واستفززناهم على تقحم هذا الموروث وتدارسه.

خلاصة البحث:

بعد هذه الجولة المتعمقة في جسم هذا المنتج العلمي: شرح القصائد العشر للعالم الفاضل الخطيب التبريزي، والتوقف لدى أظهر مفاصله، تبين لنا أن المنهج الذي اصطفاه العالم الجليل هو منهج شمولي تكاملي في درس النصوص الشعرية وشرحها يعنى بتوظيف مستويات الدرس اللغوي من أصوات، وصرف، ونحو، ودلالة، وأسلوب للكشف عن مواطن التشكيل اللغوي والمضموني والجمالي في هذه النصوص، وهي آلية وقفنا القارئ الكريم على جل أبعادها. وهو نهج صحي سليم، يسعف بعفوية في فهم المستويات اللغوية، بل أظهرها وكلياتها، على سطح هذه النصوص الحية المعيشة، التي يتطلبها القارئ، ليستفيد فائدتين مترافقتين، وبذلك مهد الخطيب التبريزي السبيل أمام القارئ الاعتيادي، والدارس، والناقد، من خلال هذه المعالجات التي رشحت منه.

وفي هذا المقام تنصح الدراسة، وتوصي بترسم هذا المنهج في تدريس المسائل اللغوية الكبرى، مشفوعة بهذه النصوص الجميلة، والتوفر على الدرس اللغوي النصي بعيداً عن الأنظار الجافة المجردة، التي تجعل القارئ يجفل من المسائل اللغوية ويتعبس لها، ويعزف عنها.

لاحظت الدراسة كثرة تمحور العلماء على النصوص الشعرية المتقادمة بالدرس والشرح، سواءً أكانت مجموعات، أم اختيارات، أ دواوين شعرية، وذلك إما بسبب إقبال الناس على هاتيك النصوص، وإما بسبب المنهج التعليمي الذي كان يعمد إليه الدارسون آنئذٍ، وإما بإحساس الصعوبة والفجوة بينها وبين المتلقي، فتطلب هؤلاء الشراح التجسير والترويض لدى القارئين.

تذكر الدراسة أن شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي فيه المسائل الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية المعجمية، والبلاغية، وغيرها، فهو كتاب أدب، وهو كتاب لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، استجمع جل هذه المعطيات بوعابة وأريحية، لكنه ليس مصنف نحو بالطريقة المألوفة، ولا كتاب بلاغة بالشأن المعروف، بل هو مصنف لغوي أدبي شامل، يركز على المسائل الكبرى أمات الباب يستجمعها ويترك التفاصيل الصغرى الفرعية لتفاصيل المدرس أو الدارس، فأمتنا، ولله

المنة، ليست بكيئة، ولغتنا ليست بكيئة، وعلماؤنا أفذاذ كثر، ملأوا المدى علماً ومعرفة، لا نقول هذا تنفجاً ولا تنافخاً، بل هو حق مثلما أنتم تنطقون، ولكن الرزء الذي منيت به الأمة، والانكسار الذي انحدرت إليه، حين أخنى علينا الآخر، فاستلبنا، وحاول سلخنا من هويتنا، فتخلقت لدينا أزمة الانبهار أو الاحتقار، وفي ذلكم بلاء مبين.

تنصح الدراسة تنخب نماذج من مثل هذه الشروح يطلع عليها الطلبة إبان التطلب الجامعي أو المدرسي، في دراسة هذه النصوص في مظانها، في مساق لغة عربية، والنصوص الشعرية، وفن الكتابة، والشعر القديم، بدلاً من هذه الدراسات الجافة التي نلحظها ونعيشها، مع الأسف في تعثر، بتقديم نصوص فجة تعالج مسائل لغوية أو نحوية معتاصة، بأسلوب تنظيري يفتقر إلى النصوص المتقادمة الجميلة.

اتضح لنا أن التبريزي، رحمه الله، عالم فذ ذو منهج، وفكر وثقافة، يغرف من بحر معرفته الموار بالبنى الثقافية المتنوعة، مما جعل أسلوبه سائغاً، ملذاً، واضحاً، لا التواء ولا تعقيد، لأن الإناء ينضح بما فيه.

وندعو في هذه المناسبة الزملاء الكرام والعلماء والبحثة، إلى المبادرة إلى إعادة درس هذا المصنف وأمثاله فيسلط الضوء الكاشف على معطياته، وإقامة البحوث اللائقة بهذا الإرث النفيس، إذ إن المرء يلقى من العنت والصعوبة ما يزهده، أحياناً، بمتابعة جل الأفكار والمسائل في هذا المصنف.

أضرع إلى الله أن تلقى دعواتنا ودراستنا هذا القبول لدى القارئ الكريم، والعلماء الأجلاء، وأن ينهض الشداة والعلماء إلى التوفر على مثل هذه الثمار الإرثية بالدرس والدراسة، قبل أن يتغوله النسيان، ويتحيفه الفناء الذي يهدد كثيراً من إرثنا بالجفوة والإهمال من الأجيال الطالعة، التي تعرض وتعزف عن تراثنا، وتتشاغل مع الأسف بما لا يغني.

اللهم إني أردت خدمة العربية والعرب، والموروث، واستنهاض همم الأجيال نحو ما أفرزه لنا الأجداد من قرائحهم، وعصارة ألبابهم، وهذا هاجسي وقدري المنذور أبداً، فإن أصبت، فلله الحمد، وإن تعثرت فهذا جهدي البشري الضعيف، ولا أقوى على غيره. والله غالب على أمره، وله المنة والشكران.

والحمد لله أولاً وآخراً

الفاتح من شهر رمضان المبارك عام 1427هـ

The employment of the comprehensive linguistics in the interpretation of poetic texts Al-Tabrizi using as an example

Ahmad Flayih, *Arabic Dept .,Jarash. University, Jarash, Jordan.*

Abstract

The scholar noticed the concern at the ancients to explain the poetic texts of volumes, or anthologies, contrary to what is done in our times.

The scholars tried to interpret that. The research focused on the mechanics offered by one of the interprets, he was Al-Khateeb Al-Tabrizi in explicating of phonology, syntax, semantics, rhotrics, enriching, the reader with general language, encouraging the study of general linguistics.

Al-Tabrizi employed his linguistic knowledge in the services of these texts.

قدم البحث للنشر في 2007/1/15 وقبل في 2007/7/12

الهوامش:

(1) د. نهاد الموسى: اللغة العربية وأبناؤها، 64.

(2) الزوزني: شرح المعلقات السبع، 118-119.

(3) نفسه: 118.

(4) العكبري: شرح ديوان المتنبي، 49/1، 52، 55.

(5) نفسه: 56/1، 58، 59.

(6) ثعلب: شرح ديوان الخنساء، 144، 70، 120، 262.

(7) نفسه: 75.

(8) السكاكيني: الأعمال الكاملة، اللغويات، 53.

(9) محمد خطابي: لسانيات النص، 13.

(10) حمزة فتح الله: المواهب الفتحية، 18/1.

(11) السكاكيني: الأعمال الكاملة، اللغويات، 49.

(12) نفسه: 50.

(13) ابن خلدون: المقدمة، ص 773.

(14) نفسه: ص 774.

(15) نفسه: ص733.

(16) السكاكيني: الأعمال الكاملة، 53.

(17) الجاحظ: البيان والتبين، 86/1.

(18) أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، 212، آب 1996، ص 86.

(19) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، أيلول 1978، ص 43، واللغات الأجنبية: د. نايف خرما، عالم المعرفة، حزيران 1988، ص 69.

(20) ابن جني: الخصائص، 33/1.

(21) أحمد مطلوب: بحوث تراثية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2001، ص 14.

(22) التبريزي: شرح القصائد العشر، 45.

(23) نفسه: 46.

(24) نفسه: 47.

(25) نفسه: 56-57.

(26) نفسه: 57.

(27) نفسه: 176، 58، 64، 211، 219.

(28) نفسه: 57، 58.

(29) نفسه: 58.

(30) ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، 76.

(31) التبريزي: 211، 349.

(32) نفسه: 219.

(33) نفسه: 65.

(34) نفسه: 58، 528.

(35) نفسه: 131، 129، 146.

(36) نفسه: 204، 129، 495.

(37) نفسه: 225، 237.

(38) نفسه: 170، 46، 283، 298، 306، 141، 324، 177، 342، 204.

(39) نفسه: 302، 207، 95، 60.

(40) نفسه: 293، 60، 63، 78، 83، 86، 107، 110، 318، 340.

(41) نفسه: 63، 81.

(42) نفسه: 293.

(43) نفسه: 83.

(44) نفسه: 47.

(45) نفسه: 56.

(46) نفسه: 73، 75، 83، 141.

(47) نفسه: 95، 99، 347، 351، 362، 389.

(48) النحل: 68.

(49) التبريزي: 228، 309.

(50) نفسه: 82.

(51) نفسه: 286، 264، 138.

(52) نفسه: 85، 177، 204.

(53) نفسه: 81، 84، 82، 83، 85، 92، 93، 95، 96.

(54) نفسه: 89 وينظر الثعالبي: فقه اللغة، 306، السيوطي: المزهر، 276/1.

(55) التبريزي: 105، 160، 257.

(56) نفسه: 115، 136، 141، 178، 105، 160، 257.

(57) نفسه: 166، 176.

(58) نفسه: 363، 383، 322.

(59) أبو الطيب اللغوي: الإتباع، 5، وينظر السيوطي: المزهر، 402/1، إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، 155، حاكم لعيبي: الترادف في اللغة، 195.

(60) محمد علي الخولي: أساليب تدريس العربية، 96.

(61) التبريزي: 136، 179، 180، 205 وغيرها،

(62) نفسه: 179، 319، 353.

(63) سعيد الأفغاني: في أصول النحو، 46.

(64) التبريزي: 53.

(65) نفسه: 55 وينظر 59، 61، 62، 66، 71، 78، 88، 91، 157، 187، 217، 475.

(66) الحضرمي: مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، تحقيق الدكتور علي الهروط، 16.

(67) التبريزي: 49.

(68) الزجاجي: الجمل في النحو، تحقيق د. علي الحمد، 210، وينظر ابن هشام: أوضح المسالك، 179/3، سعيد الأفغاني: مذكرات في قواعد اللغة العربية، الطبعة الخامسة، 52-53، ابن عقيل: شرح ابن عقيل، 2، 278.

(69) التبريزي: 128.

(70) نفسه: 219 وينظر السيوطي: همع العوامع، 372/3، 373، وأحمد بن قاسم العبادي: رسالة في اسم الفاعل، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد، دار الفرقان، 1983م، ص 64، 78.

(71) التبريزي: 259، 331، 332، 373.

(72) نفسه: 219، 208، 207، 203، 129، 188، 129، 125، 119، 113، 110، 100، 86، 50، 225، 244، 255، 257، 260، 282، 310، 475.

(73) نفسه: 119، 266.

(74) نفسه: 118، 72، 48، 325.

(75) نفسه: 98، 72، 273.

(76) نفسه: 90، 76، 278.

(77) نفسه: 75.

(78) نفسه: 74، 248.

(79) نفسه: 74، 226، 283، 184.

(80) نفسه: 49.

(81) نفسه: 268.

(82) نفسه: 270، 272.

(83) نفسه: 324.

(84) نفسه: 128، 190، 128، 162، 72، 65، 57، 194، 263، 315.

(85) سيبويه: الكتاب، 142/2، المبرد: المقتضب، 91/4، ابن جني: سر صناعة الإعراب، 258/1، عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، 277/9.

(86) التبريزي: 57.

(87) امرؤ القيس: الديوان، 9.

(88) سيبويه: الكتاب، 110/3، شرح ابن عقيل، 439/1، ابن هشام: مغني اللبيب، 455/1، السيوطي: همع الهوامع، 154/1.

(89) التبريزي: 276.

(90) البغدادي: خزانة الأدب، 14/4-15.

(91) سيبويه: 282/1، 440/1، 480، ابن جني: الخصائص، 440/2.

(92) التبريزي: 494.

(93) البغدادي: خزانة الأدب، 547/3، ديوان الأعشى، 106.

(94) سيبويه، 51/3، الخزانة، 613/3، ديوان الأعشى، 102.

(95) التبريزي: 510.

(96) البغدادي: الخزانة، 613/3، ديوان الأعشى، 102.

(97) يراجع بحث متواضع للكاتب: أحمد فليح: تحقيق الشواهد، وتهذيب المناهج، يوحد القواعد، بحوث جامعة حلب، العدد 54 لعام 2006م.

(98) سيبويه: 99/3، الخليل: الجمل، 140، المبرد: المقتضب، 85/2، شرح ابن يعيش: شرح المفصل، 7/2، شرح ابن عقيل، 128/2.

(99) التبريزي: 172.

(100) نفسه: 120، 54، 135، 148، 157، 114، 280، 287، 302، 340، 371، 138.

(101) نفسه: 81، 94، 138، 365، 391، 223.

(102) نفسه: 324.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، الأنجلو المصرية، 1976م.

ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.
– سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى الحلبي، 1954م.

ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشرة، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1964م.

ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.

ابن هشام: أوضح المسالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م.

ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

أبو الطيب اللغوي: الإتباع، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، 1961م.

أحمد بن قاسم العبادي: رسالة في اسم الفاعل، تحقيق د. محمد حسن عواد، دار الفرقان، 1983م.

أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية: عالم المعرفة، 212، آب 1996م.

أحمد مطلوب: بحوث تراثية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2001م.

التبريزي: شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

الثعالبي: فقه اللغة، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، الطبعة الثالثة، 1972م.

ثعلب: شرح ديوان الخنساء، حققه د. أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن، 1988م.

الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار الفكر.

الحضرمي: مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، تحقيق د. علي الهروط، جامعة مؤتة، 1995م.

حمزة فتح الله: المواهب الفتحية، المطبعة الأميرية بمصر، 1312هـ.

الخليل بن أحمد: الجمل، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

الزجاجي: الجمل في النحو، تحقيق د. علي الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، 1984م.

الزوزني: شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، 1972م.

سعيد الأفغاني: في أصول النحو، الطبعة الخامسة، دمشق، 1966م.

السكاكيني: الأعمال الكاملة – اللغويات، المطبعة العصرية، القدس، 1962م.

سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

السيوطي: المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الفكر، همع الهوامع: تصحيح محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت.

عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1979م.

العكبري: شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار المعرفة، بيروت.

المبرد: المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، طبعة أولى، بيروت، 1991م.

محمد علي الخولي: أساليب تدريس اللغة العربية، دار الفلاح، الأردن، 1998م.

مغني اللبيب، تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله، دار الفكر.

نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، أيلول، 1978م.

نهاد الموسى: اللغة العربية وأبناؤها، مكتبة وسام، عمان، 1990م.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 1، 2008، ص ص 35- 80

محنة العروبة والسيادة العربية الإسلامية في حقبة الهيمنة البويهيّة

(334 – 447 هـ / 946 – 1055 م)

مضر عدنان طلفاح*

ملخص

تبنت الدولة البويهيّة طروحات الحركة الشعوبية، وبدأت بتطبيق سياسة معادية للعرب والعروبة، إضافة إلى بعثها للنظام السياسي الساساني الفارسي القائم على أسس طبقية، وهو ما دفع العرب، والمسلمين المنصفين، إلى معارضة السياسات البويهيّة ؛ دفاعاً عن الإسلام واللغة العربية، وحفاظاً على المكتسبات التي أمّنها النظام السياسي الإسلامي للأمة وأفرادها.

وانبثق من رحم هذه المعارضة دعوة عربية للتحرر من الهيمنة البويهيّة، واستخلاص البلاد العربية وتوحيدها، مرة أخرى، في دولة واحدة تحت حكم الخليفة العباسي، على أن تطبق النظام السياسي الإسلامي وتطرح النظام السياسي الساساني الفارسي.

انبثق عن الخطاب الإسلامي مبدأ استخلاف الأمة الإسلامية في النبوة والسلطة والأرض، وتكليفها بحمل الإسلام، بوصفه الرسالة السماوية الأخيرة، والناسخة لما قبلها من الرسالات والأديان، إلى الناس كافة حيث هم في أرض الله. وهو الأمر الذي ارتبط به تحويل السلطة إليها، ونزعها من الأمم الأخرى[1].

وقاد هذا الخطابُ العرب المسلمين، أول الأمم استجابة للدعوة الإسلامية نظراً لبعث رسول الله ﷺ من بين أظهرهم، إلى قيامهم بالفتوحات الإسلامية، التي أسفرت عن امتداد جغرافي هائل لدار الإسلام، ضم المنطقة الممتدة من حدود الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً، ومن جزر البحر المتوسط شمالاً حتى منطقة الصحراء الكبرى جنوباً. وشملت دار الإسلام نتيجة لذلك العديد من مراكز الحضارات الإنسانية الكبرى، والشعوب ذات الديانات والثقافات المختلفة، التي فقدت استقلالها السياسي، وأضحت تحت السيادة العربية، نظراً لتأسيس العرب للدولة الإسلامية وتولي حكمها آنذاك، ولقيادتهم حركة الفتوحات الإسلامية. قال ابن جلجل (حياً 384هـ/994م): (إنحسمت بدعوة الإسلام كل دعوة ظاهرة، ثم أعلى الله كلمة التقوى ومنار الهدى، فصارت

* جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

للعرب الدولة العظمى، والرئاسة الكبرى، والحكمة البالغة العُلى. وخمدت كل دولة قاهرة، وكل ملة ظاهرة)[2].

وأضحى الإسلام رمزاً لسيادة العرب، وحكمهم لدار الإسلام وشعوبها المختلفة، حتى أصبح (يقال لهذا الدين في رفعته وجلاله: دين العرب، ويقال لهذا المُلك [=الدولة الإسلامية] في اتساع رقعته وعلو مكانه: مُلك العرب)[3]، حتى في نظر الدول المجاورة للدولة العربية الإسلامية آنذاك[4].

كان الفرس الشعب الأبرز بين الشعوب التي فقدت استقلالها السياسي بالكامل، وأضحت خاضعة تماماً للسيادة العربية الإسلامية، وهو الأمر الذي نظر إليه العديد منهم نظرة كراهية وعداء، إذ رأوا أنهم انتقلوا "من العزة والجاه، إلى الذلة والقلة"[5]، فعمدوا إلى مقاومة السيادة العربية في حركة تطورت عبر مراحل التاريخ الإسلامي، مستخدمة وسائل مختلفة، كان أبرزها المقاومة الفكرية للعروبة أو الإسلام أو كليهما معاً، وسميت هذه الحركة بالشعوبية[6].

بدأ نشاط الشعوبية "في الفترة الأموية الأخيرة، واندفعت بقوة في العصر العباسي"[7]، لتغدو الشعوبية مظهراً من مظاهر الصراع "بين حضارتين: حضارة عربية إسلامية ناشئة تقود الدولة والمجتمع، وتعمل على توجيهه وفقاً للمبادئ والقيم التي قامت عليها. وحضارة فارسية قديمة تشبثت بأمجاد الماضي"[8]، قام أتباعها بمهاجمة الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية بهدف "ضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة"[9]، والتبشير بانقضاء السيادة العربية، والإعداد لاستعادة الفرس للحكم والسلطة. وهو ما دفع المسعودي (ت 346هـ/957م) للتحذير بالتلميح مما "تذكرهُ الفرس في المستقبل من الزمان، وينتظرونه في الآتي من الأيام؛ من عَوْد المُلك إليهم، ورجوعه فيهم وظهوره عليهم"[10]. وانقسمت طروحات الفرس "بإعادة المُلك / الدولة" إليهم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي طروحات:

1. **الفرس المجوس:** الذين أخذوا يبشرون بمهدي مجوسي أسموه "شُوتَن، ...، ينتظرون خروجه، ويزعمون أن المُلك يصير إليه"[11]، فـ "يعيد دولة المجوسيّة، ويستولي على الأرض كلها، ويزيل مُلك العرب وغيرهم، ويجمع الخلق على دين واحد وأمر واحد، ويزيل الشر"[12]. وينسبون التبشير بذلك إلى مؤسس المجوسيّة زرادشت بنبؤته التي تقول: "إن المُلك يزول عن الفرس [المجوس] إلى الروم اليونانية [الإسكندر المقدوني] ثم يعود إلى الفرس [الساسانيين]، ثم يزول عن الفرس إلى العرب [المسلمين]، ثم يعود إلى الفرس المجوس"[13]. وكان هذا الطرح الديني المجوسي لا يزال يحظى بالتأييد والارتقاب حتى نهايات القرن 4هـ/10م، قال المقدسي (حيّا 364هـ/975م): "سمعت المجوس يذكرون: [أن] واحداً منهم يخرج فيرجع المُلك إليهم"[14].

2. **الفرس الخرمية:** أتباع مذاهب الغلو، الذين يُظهرون "في محافلهم ولقاءاتهم، ...، الأسف والحسرة على قتل أبي مسلم"[15] الخراساني (قتل 137هـ/ 755م) قائد جيوش الثورة العباسيّة على يد الخليفة أبي جعفر المنصور (136– 158هـ/ 754- 775م)، ويتولون ابنته فاطمة التي "يزعمون أنه يخرج من نسلها رجلٌ يستولي على الأرض كلها، ويسلب بني العباس [=العرب] ملكهم"[16]. وهو ما ادعاه بابك الخرمي (قتل 222هـ/ 837م) أثناء ثورته على الدولة العباسيّة بإرجاع نسبه إلى مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم[17]. غير أن فشل بابك، وقتله على يد الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-842م)، دفع الخرمية إلى تغيير مسار نسب مهديهم المنتظر في سلالة فاطمة ليصبح "المهدي بن فيروز بن فاطمة بنت أبي مسلم"، و"يدعونه: الطفل الحكيم أو الفتى العالم"[18]، الذي ينتظرون خروجه وقضاءه على الدولة العباسية والسيادة العربية[19]. واستمروا بالتبشير في كافة المناطق التي ينتشرون فيها في إيران الحالية وأذربيجان وأرمينية "وسائر أرض الأعاجم"[20] بعقيدتهم الهادفة إلى "إزالة المُلك إلى العجم"[21].

3. **الفرس المسلمون:** الذين اعتنقوا الإسلام، غير أنهم رفضوا السلطة والسيادة العربية، وبدأوا يبشرون بقرب انتهاء حكم العباسيين العرب "وإن ملكهم ينتقل إلى رجل يخرج من أصفهان" فيعيد الحكم للفرس "وإن لم تكن سيرتهم هي الأولى"، أي التمسك بالإسلام، ورفض الارتداد إلى المجوسيّة[22]. وشاعت بين الفرس "بعد ظهور الإسلام أن الفرس من ولد إسحق بن إبراهيم الخليل"[23]، من زوجته "الحرة" سارة، في حين أن العرب أبناء إسماعيل من نسل "جاريتها" هاجر، وهو ما يجعل المُلك والنبوة للعجم دون العرب، الذين ورثوا عبودية أمهم هاجر، فقال "بعض أبناء الفرس" مفتخراً بذلك[24]:

قل لبني هاجر أبنْتُ لكم ما هذه الكبرياء والعظمة؟
ألم تكن من القديم أمكم لأُمنا سارة الجمال أَمَه؟[25]
والملك فينا والأنبياء لنا إن تنكروا ذاك توجدوا ظلمه[26]

ويحدثنا المسعودي (ت 346هـ/957م) أن الفرس في عصره كانوا يروجون "أن المُلك سينتقل من ولد إسماعيل [=العرب] إلى ولد إسحق [=الفرس منهم حسب الطرح الفارسي آنذاك]. وهذا هو الأغلب على ما ظنه أهل عصرنا من أصحاب التأويل [=الفرس] مع [وجود] من ينازعهم" في طرحهم هذا من العرب[27].

لم يقف العرب، والمسلمون المنصفون، مكتوفي الأيدي أمام طروحات الفرس بنقل الدولة إليهم، وتحويل السلطة في دار الإسلام من عربية إلى فارسيّة أعجمية؛ بل أكدوا زعامتهم على دار الإسلام وديمومتها حتى يوم القيامة! فنسب لعبدالله بن المقفع الفارسي (قتل 142هـ/760م)

القول: "رفع الله لهم [=العرب] أكرم الفخر، وبلغ بهم أشرف الذكر، وختم لهم بملك الدنيا على الدهر، وافتتح دينه وخلافته فيهم إلى الحشر، فمن دفع حقهم خسر، ومن أنكر فضلهم خُصم"[28]. وقارن ابن قتيبة (ت 276هـ/889م)، في معرض رده على الطروحات الفارسيّة، بين المُلك العربي والمُلك الفارسي، ليخلص إلى "تساوي العرب وفارس في أن الفريقين ملكوا، وتفضلها العرب بأن قواعد ملكها نبوة وقواعد مُلك فارس استلاب وغلبة. وتفضلها العرب بأن مُلكها ناسخ ومُلك فارس منسوخ، وتفضلها [العرب] بأن ملكها متصل بالساعة وملك فارس محدود. وتفضلها العرب بأن ملكها واغل في أقاصي البلاد داخل في آفاق الأرض، ومُلك فارس شظية منه"[29].

رغم مقاومة العرب الفكرية والفعلية للطروحات الفارسيّة باستعادة المُلك والقضاء على الدولة العربية، إلا أن هذا لم يثن عزائمهم أو يثبط هممهم لتنفيذ مشروعهم هذا، وشهد عصر الخلافة العباسيّة العديد من المحاولات الفارسيّة الفعلية، أو ممن ركب موجتها من غير الفرس، مما يشهد بانتقال الفرس من التنظير إلى الفعل، وهو ما ظهر منذ بداية الدولة العباسيّة. فقد أعلن سنباد الفارسي الثورة على الخليفة أبي جعفر المنصور "وغلب على الري [طهران الحالية]، وعاد إلى المجوسيّة"[30]، وأظهر عداءه للإسلام، فـ "أظهر أنه يريد أن يمضي إلى الحجاز ويهدم الكعبة"[31]. وأعلن على الملأ: "لقد أذنت دولة العرب بالأفول"[32] غير أنه احتاج إلى حلفاء لتحقيق القضاء عليها، فـ "كتب إلى ملك الديلم أنه: قد انقضى ملك العرب، فخف إليه في ديالمته"[33]. إلا أن الدولة العباسية استطاعت القضاء عليه وعلى ثورته.

وعندما ولَى الخليفة المأمون (198-218هـ/ 813-833م) علي بن موسى العلوي ولاية عهده سنة 201هـ/817م، حمل العرب بشدة على حاشيته التي زينت له هذا القرار، إذ لم يكونوا في نظرهم إلا "مجوساً"، هدفهم القضاء على الدولة العباسية العربية[34]، ولهذا قال أحد العرب للفضل بن سهل وزير المأمون: "إنك إنما تريد أن تزيل المُلك عن بني العباس إلى ولد علي [ابن أبي طالب] ثم تحتال عليهم فتُصَيِّر المُلك كسروياً، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض، إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس"[35]. ولعل ما عزز هذه النظرة أن الفضل بن سهل كان يعمد إلى التشبث في "مذهب الأكاسرة" في جلوسه ورسومه أثناء توليه وزارة المأمون[36].

وقبض الخليفة المعتصم على قائد جيشه الأفشين (قتل 226هـ/ 840 م) بتهمة إسراره المجوسيّة، وتنظيمه العمل على "نزع الدولة من العرب..، ونقل الملك وشؤون العالم إلى الأسرة الكسروية"، وإعادة "الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم"[37]. وكان يعقوب بن الليث الصفار (ت 265هـ/ 879م)، أثناء نزاعه مع الخلافة العباسية، يضفي حمايته على الفرس الدعاة إلى القضاء

على المُلك العربي، واستعادة المُلك الفارسي، منهم إبراهيم بن هشام الأصبهاني، الذي أرسل قصيدة إلى الخليفة المعتمد (256-279هـ/ 870-892م) يقول فيها [38]:

أنا ابنُ الأكارم من نسل جَمْ وحائزُ إرثَ ملوكِ العَجَمْ
ومحيي الذي بادَ من عزِّهِمْ وعفَّى عليه طول القَدَمْ
وطالب أوتارهم جهرةً فمن نام عن حقهم لم أنمْ
وإني لآملُ من ذي العلا بلوغَ مرادي بخير القِسَمْ
فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندمْ
مَلَكْنَاكُمُ عنوَة بالرماح طعناً وضرباً بسيف خَذِمْ
وأولاكُمُ المُلكَ آباؤنا فما أن وَفَيتم بشكر النعمْ
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضِّباب ورعي الغنمْ
فإني سأعلو سرير الملوك بحدِّ الحسام وحرف القلمْ

وأعلن مرداويج الجيلي (قتل 323هـ/935م)، أثناء توسعه في شمال إيران في عهد الخليفة الراضيَ (322-329هـ/943-940م)، عزمه القضاء على الدولة العباسية العربية، وإعادة بعث الدولة الفارسيّة، فقال: "أنا أرد دولة العجم وأُبطل دولة العرب"[39]، ووضع الخطة لـ "المسير إلى مدينة السلام [=بغداد]، والقبض على الملك [=الخليفة]، وتولية أصحابه مدن الإسلام بأسرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس وغيرهم. فأقطع الدور ببغداد لأهله، ولم يشك أن الأمر في يده والمُلك له"[40]. حتى إنه صمم تاجاً على مثال تيجان ملوك الفرس الأكاسرة[41].

وكانت المذاهب الشيعية تقدم طرحاً يناغم مشاريع الفرس بنقل الدولة والمُلك إليهم، فكان دعاة المذهب الإسماعيلي في فارس يحاولون استقطاب الفرس إلى الدعوة الإسماعيلية بنشرهم فكرة "أن الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن علي [بن أبي طالب]، فنقل خلافة الأئمة عنهم، كما نقل النبوة عن بني إسرائيل لما قتلوا الأنبياء، ولا يقوم بخلافة الأئمة إلا أولاد كسرى"[42].

أما المذهب الإمامي فقد نشر بين أتباعه الفرس جَمْع "علي بن الحسين [بن علي بن أبي طالب] بين النبوة والمُلك". النبوة من وراثته للرسول ﷺ، والملك من وراثته للأكاسرة من خلال أمه التي قال البعض بأنها "شاه زنان بنت كسرى يزدجرد"، وهو ما دفع النسابة العلوي ابن عنبة (ت828هـ/1425م) للتعليق على ذلك بالقول: "وقد منع من هذا كثير من النسّابين والمؤرخين. وقالوا: إن بنتي يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان. وقيل: إن أم زين العابدين [علي بن الحسين] من غير ولده. وقد أغنى الله تعالى علي بن الحسين لما حصل له [من] ولادة رسول الله ﷺ عن ولادة يزدجر بن شهريار المجوسي المولود من غير عقد [=زواج شرعي]، على ما جاءت به التواريخ. والعرب لا تعد للعجم فضيلة وإن كانوا ملوكاً، ...، وقد لهج كثير من العوام

[=الفرس؟] وكثير من بني الحسين بذكر هذه النسبة، وقالوا: جمع علي بن الحسين بين النبوة [الإسلامية] والمُلك [الكسروي الفارسي]. وليس ذلك بشيء ولو ثبت، على ما عرفته". [43]

ساير الحركات العسكريةَ الفارسيةَ الساعيةَ إلى نقل المُلك والدولة بالقوة إلى الفرس، تيارُ الكُتّاب، ذوي الاصول الفارسية او المرجعية الثقافية الفارسية قبل الاسلام، الذين نشطوا داخل بنية الدولة العباسيّة، وعملوا على تغيير صبغتها العربية الإسلامية، وإحياء التراتيب الفارسيّة الكسروية القهرية للأمة، لتغدو الدولة العباسيّة نسخة عن الدولة الفارسيّة أيام الأكاسرة الساسانيين، في سياساتهم وتراتيبهم، إذ كانوا في نظر تيار الكُتّاب "الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حظها والاقتصار على جديلتها"[44] !!

وكانت المرجعيّة الإسلامية التي تحكم الدولة العباسيّة والمجتمع الإسلامي وتنظمهما آنذاك تتعرض لعداء الكُتّاب وازدرائهم وتهجمهم المستمر عليها، ويؤكد الجاحظ (ت 255هـ/868م): "أنه لم يُر كاتبٌ قطّ جعل القرآن سميره، ولا علمه تفسيره، ولا التفقُّه في الدِّين شعارَه، ولا الحفظ للسُنن والآثار عماده، فإن وُجِد الواحدُ منهم ذاكراً شيئاً من ذلك لم يكن لدوران فكِّيه به طلاقة، ولا لمجيئه منه حلاوة. وإن آثر الفردُ منهم السَّعْيَ في طلب الحديث، والتشاغُل بذكر كتب المتفقِّهين استثقله أقرانُه، واستوخَمَهُ أُلاَّفُه، وقضوا عليه بالإدبار في معيشته، والحِرفة في صناعته، حين حاولَ ما ليس من طبعه، ورام ما ليس من شكله". ولذلك كان الكاتب منهم "يكون أول بَدوه الطعن على القرآن في تأليفه، والقضاء عليه بتناقضه، ثم يُظهر ظرفه بتكذيب الأخبار [=الأحاديث النبوية]، وتهجين من نقل الآثار. فإذا استرجح أحد عنده أصحاب الرسول ﷺ فتَل عند ذكرهم شدقه، ولوى عند محاسنهم كشحه. وإن ذُكر عنده" أحد أعلام المسلمين بخَسه ووضع منه. في ذات الوقت الذي كان الكُتّاب يسعون لإحياء مرجعيتهم الثقافية، المتمثلة بالتقاليد الكسروية الساسانية، ويعملون على تفعيلها واعتمادها في الدولة العباسيّة، ويقول الجاحظ في هذا الصدد: إن الكاتب إذا "روى لـ [الحكيم الفارسي شبه الأسطوري] بزرجمهر أمثاله، ولـ [مؤسس الدولة الساسانية الملك] أردشير عهده، ولـ [كاتب مروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين] عبدالحميد رسائله، ولـ [الأديب الفارسي] ابن المقفع أدبه، وصيّر كتاب [المتنبئ الفارسي] مزدك معدن علمه، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته، ظن أنه الفاروق الأكبر في التدبير، ...، [في ذات الوقت الذي يديم في] مجلسه [ذكر] سياسة أردشير بابكان، وتدبير [كسرى] أنوشروان، واستقامة البلاد لآل ساسان"[45]!!

ونشط الكُتّاب الفرس في تأليف الكتب والمؤلفات التي عملت على إعادة "قولبة" الدولة العباسيّة وفق النموذج الفارسي الساساني، الذي غدا ملوكه نماذج للاقتداء في السياسة

والتنظيمات، والعلاقة مع رجال الدولة وأفراد الأمة، بل حتى في هيئة الحاكم وجلوسه ومأكله وملبسه[46]. وكانت بعض مؤلفات الكُتّاب تهمل تماماً استقراء "التجربة السياسيّة الإسلامية"، وتعتمد النموذج الفارسي بأكمله، ككتاب "السياسية" للوزير المغربي (ت 418هـ/1027م)[47]، في حين قدمت بعض المؤلفات النموذج الفارسي ممزوجاً بأثر إسلامي "مطوّع"، لم يكن حضوره إلا لإسباغ نوع من الشرعية على الطرح والنموذج الذي يقدمه الكاتب[48].

ويمكن للباحث رصد نجاح الكُتّاب في إبراز النموذج الفارسي وفرضه على الدولة العباسية، إذ أخذ خلفاؤها تباعاً يعمدون إلى تطبيق مفرداته تدريجياً، و "سَمّوا آيين [=رسوم] العجم أدباً وقدّموه على السُنَّة التي هي ثمرة النبوة"[49]. فأقدم الخليفة المنصور على استعمال "مواليه وغلمانهم، وقدّمهم على العرب، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده"[50]، والتزم الرسوم الكسروية حتى وإن خالفت التقاليد والأعراف الإسلامية[51]، وهو ما سار عليه الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) [52]. وكذلك الخليفة المأمون الذي كان "يذهب مذاهب ملوك الفرس" في رسومه وتنظيماته[53]، وكان وزيره الفضل بن سهل يجاهر بالتمسك في "مذهب الأكاسرة" في جلوسه ورسومه الإدارية[54]. وارتفعت شكوى العرب في أيامه من سياسته التي تقدم الفرس على العرب[55]، حتى تحولت الشكوى إلى الثورة بقيادة نصر بن شيت العقيلي، الذي قال: "هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم محاماة عن العرب، لأنهم يقدمون عليهم العجم"[56].وسار الخليفة المعتصم على هذه الخطى حتى "كان يتشبه بملوك الأعاجم ويمشي مشيهم"[57]. وكان ابنه الخليفة الواثق (227-232هـ/842-847م) يفخر بحفظه "عهد أردشير" وسرد "جميع ما فيه" غيباً[58].

وشاع ذلك عند سائر الخلفاء العباسيين، حتى أضحت دولة بني العباس في نظر البعض "أعجمية خراسانية، [في حين كانت] دولة بني مروان [= الأموية] عربية أعرابية"[59]. مما دفع التوحيدي (ت414هـ/1023م) للشكوى من "أن الحال استحالت عجماً: كسروية وقيصرية [=النموذج الفارسي]، فأين هذا من حديث النبوة الناطقة والإمامة الصادقة [=النموذج الإسلامي]، ...، ولكن لما غلبت عليهم [=الخلفاء العباسيين] العزة ودخلت النعرة في آنافهم، وظهرت الخُنزُوانة بينهم، سمّوا آيين العجم أدباً، وقدموه على السنة التي هي ثمرة النبوة"[60]. وقارن ابن حزم (ت456هـ/1063م) بين محاسن دولة بني أُميّة "العربية"، ومساوئ دولة بني العباس، التي "كانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد الأمر ملكاً عضوضاً محققاً كسروياً"[61]. ولعل ذلك ما يفسر لنا دعوة الفقهاء إلى التمسك بالتقاليد العربية الإسلامية، والنموذج الإسلامي في الحكم والإدارة، وهو ما مثّله الفقيه المشهور مالك بن أنس (ت179هـ/795م)، بقوله: "أميتوا سنة الأعاجم، وأحيوا سنن العرب"[62].

نجحت الدولة البويهية الديلمية غير العربية[63]، في فرض هيمنتها وسيطرتها على الخلافة العباسيّة (334 – 447 هـ / 946 – 1055 م)، وانتزاع السلطة الفعلية من أيدي الخلفاء العباسيين العرب، لتنقسم السلطة رسمياً في دار الإسلام السني إلى: سلطة دنيوية [=المُلك] يمارسها الملوك البويهيون، وسلطة دينية [=الخلافة] اختص بها الخلفاء العباسيون، وهو الأمر الذي اكتسب أهمية كبرى في نظر العجم الرافضين للسيادة العربية، لكونها المرّة الأولى التي ينجح بها العجم في السيطرة على الدولة والمُلك بصورة شرعية معترف بها من الخلافة العباسية[64]، ورأوا في ذلك نجاحاً لمساعي استعادة العجم للمُلك من العرب. قال أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت 383هـ/993م) يرثي ركن الدولة الحسن بن بويه (ت 366هـ/976م)[65]

أحين جرى مُلكه في الملوك ورد به اللـهُ مُـلكَ العجمْ

وبدأ الفرس ينشطون لإضفاء الصبغة الفارسيّة على الدولة البويهية الديلمية، تحقيقاً لطموحهم باستعادة المُلك من العرب والتخلص من سيادتهم. في الوقت الذي كان فيه عضد الدولة بن ركن الدولة (338-372هـ/949-982م) ينزع نحو البحث عن "أصول شريفة" تضفي على الأسرة البويهية مهابة ومكانة في نظر أفراد الأمة آنذاك[66]، فتلاقت مصلحة الطرفين، وتم التنظير للدولة البويهية بوصفها تحقيقاً للنبؤة "في عود الدولة إلى الفرس"[67].

وعمد عضد الدولة إلى "ابتداع نسب ملكي فارسي" للأسرة البويهية، فكلف أبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابئ (ت384هـ/994م) تأليف "كتاب في مفاخر" ال بويه، يُرجع به نسبهم إلى ملوك الفرس الساسانيين، ملزماً إياه "إذا عمل منه جزءاً، حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأ ويصلحه، ويزيد فيه وينقص منه"[68]، وهو الكتاب الذي عرف بـ "التاجي"، وفيه أعاد الصابئ نسب الأسرة البويهية "إلى بهرام جور بن يزدجرد الملك الساساني"[69]، وهو ما استحق عليه مكافأة عضد الدولة[70]. وغدا الكتاب المصدر الأساسي لتاريخ الدولة البويهية حتى عهد عضد الدولة[71]، رغم ما تم فيه من إعادة النظر ببعض أخبارها وتبييض صفحاتها[72].

بدأ عضد الدولة البويهي، الذي غدا ساساني النسب، يظهر الالتزام بسياسات "الأكاسرة" الساسانيين، حسبما لاحظ معاصروه[73]، وعمد إلى بعث النظام الملكي الساساني الفارسي، عندما لقب نفسه "الملك شاهنشاه" أي ملك الملوك، وهو ما سار عليه خلفاؤه من بعده[74]. وأعلن نفسه وريثاً للدولة الفارسية الساسانية ومحيياً لها، مع نبذه المجوسيّة والتمسك بالإسلام ديناً، وقد آزره في ادعائه هذا المنظرون الفرس آنذاك، قال أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت383هـ/993م) يمدح عضد الدولة [75]:

ختمت بك العجم الملوك وراجعت بك تاج ملكهم القديم المنهج
لم يفقدوا بك أردشير وإنما فقدوا نقيصة دينه المستمسج

وهو الادعاء الذي اضطر بعض العرب لمسايرته، قال أبو نصر عبدالعزيز بن محمد بن نباتة السعدي (ت 405هـ/1014م) يمدحه[76]:

وسربلتَ إيوان المدائنِ بهجةً	أناف به والحاسدون شهودها
هو الملك المخلوق فيِ خطراته	طريف المعالي كلها وتليدها
ملوك بني ساسان تزعم أنه	له حفظت أسرارها وعهودها
فتاها ومولاها ووارث مجدها	وسيدها إن كان ربٌّ يسودها
قبيلة بهرام وأسرة بهمن	يميتُ ويحي وعدُها ووعيدها

وقال البيروني (ت 440هـ/1048م) يصف تطبيق الدولة البويهية للنموذج الفارسي الساساني: "احتشد طوائف من التوابع وخاصة منهم الجيل والديلم (الإشارة للبويهيين) في إلباس الدولة جلابيب العجم"[77]. وبدأت الدولة البويهيّة تطبق سياسة معارضة للعرب والعروبة، وتعلن عداءها لهما[78]، قال فَنَّاخسرو بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي[79]:

أحي بقتل الأعراب سُنّتنا وكن كشابور في الذي فعلا[80]

ونشطت في حقبة الهيمنة البويهية (334 – 447 هـ / 946 – 1055 م) حملة الفرس المتطرفين ضد العرب في تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وإنجازاتهم العلمية، حتى جردوهم من كل فضيلة وألصقوا بهم كل نقيصة[81]. واختصر مصطلح العجم، وهو يعني كل من هو غير عربي، لتصبح دلالته تقتصر على الفرس فقط، ليصور الفرس أنفسهم بذلك الشعب المكافئ للعرب، وغدا محور النقاش الدائر في المجتمع آنذاك تفضيل العرب أو العجم[82]. ليخلص منها الفرس إلى تفضيل أنفسهم ناسبين ذلك إلى الرسول ﷺ[83].

ونشط خلال حقبة الهيمنة البويهية استعمال اللغة الفارسية، حتى اعتبر إتقانها من مؤهلات المرشح لتولي الوزارة البويهية[84]، وحاول البويهيون اعتمادها رسمياً في الدولة، قال البيروني (ت440هـ/1048م)، يصف تطبيق البويهيين للنموذج الفارسي، و "منكراً محاولات، ...، إحلال الفارسيّة محل العربية: وكم احتشد طوائف من التوابع، وخاصة منهم الجيل والديلم (الإشارة للبويهيين) في إلباس الدولة جلابيب العجم، فلم يتفق لهم من المراد سوق. وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين، ...، ويخطب به لهم في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين وللفم"، ويضيف قائلاً: "والهجو بالعربية أحب إليَّ من المدح بالفارسيّة"[85].

وشاعت خلال الحقبة مدار البحث الحملات الفارسية على اللغة العربية والغض منها تحت شعار "الموازنة بين العربية والعجمية"[86]، أو "التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم"[87]. حتى وصل الأمر بالحملات الفارسيّة على اللغة العربية محاولة ضرب الاعتماد الإلهي لها، واختصاصها بحمل القرآن الكريم[88]، والدعوة لاعتماد الفارسيّة في قراءة القرآن الكريم[89].

ونظر أهل السنة إلى السياسة المذهبية التي طبقتها الدولة البويهيّة على أنها حرب على الإسلام ونقائه وتعاليمه[90]، خاصة أنها سمحت بإحياء الأعياد والطقوس المجوسيّة، وهو الأمر الذي أثار نقمة المسلمين، وتعالي أصواتهم بالنكير، قال بديع الزمان الهمذاني (ت398هـ/1007م): "في معنى السَّدق، وهو ليلة الوقود عند المجوس"، مشدداً في النكير على إحيائها علناً: "إن عيد الوقود لعيد إفك، وإن شعار النار لشعار شرك، وما أنزل الله بالسَّدق سلطاناً، ولا شَرَّف نيروزاً ولا مهرجاناً، وإنما صب الله سيوف العرب على فروق العجم لِما كره من أديانها، وسخط من نيرانها، ...، فلا وقدت نار المجوس. والله ما أقول ذلك إلا غيرة على نعمته، وشفقة على خطته [=دينه]، ...، أنهم ليشبون ناراً هي موعدهم، والنار في الدنيا عيدهم، والله إلى النار يعيدهم، ...، وإن أبعد الأمم ضلال لهذه المجوس، وإن مقيل الشيطان لتلك الرؤوس"[91]. وبلغ الامر ان عد البعضُ البويهيين "مجوساً" لا مسلمين، قال أحد شعراء الثغور يصف سيطرة وهيمنة البويهيين على الخلافة العباسية [92]:

والإمام الذي تؤمله الأمة في قبضة المجوس أسير

وكان لتبني الدولة البويهية النموذج الفارسي الساساني وتطبيقه في دار الإسلام للمرّة الأولى في التاريخ الإسلامي، وإسفارها الوجه المعادي للعرب ولغتهم، ردود فعل واسعة بين العرب. خاصة ان الحقبة مدار البحث شهدت تمايز الأقاليم العربية عن الأقاليم الأعجمية بصورة واضحة في دار الإسلام، فالمقدسي (ت 381هـ/991م) يقسم "مملكة الإسلام" إلى: "أقاليم العرب" و"أقاليم العجم"، ويقول: إن "**الأقاليم العربية: جزيرة العرب، ثم العراق، ثم أقور [=الموصل ونواحيها]، ثم الشام، ثم مصر، ثم المغرب**". أما أقاليم العجم فتضم كل البلاد الواقعة إلى الشرق من العراق[93].

نشط العرب، والمسلمون، في الحقبة مدار البحث، في الرد على طروحات الفرس المعادية للعرب ولغتهم والنموذج السياسي الإسلامي، فأخرجوا المعادين والمبغضين للعرب من دائرة الإسلام[94]. وأكد المنظرون فضل العرب في الجاهلية والإسلام، على حد سواء، وإختصاصهم بالصفات والأخلاق التي أهلتهم لاصطفاء الله لهم بحمل الرسالة السماوية الأخيرة[95]، والمؤهلات العقلية الفريدة التي يتمتعون بها، إذ "للعرب خاصة طبع عجيب في الإخبار والاستخبار، والمباحثة

والاستكشاف، وسرعة إدراك ما يسفر عن الأواخر عند النظر في الأوائل"[96]. مما دفع بعضهم إلى القول بـ "فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم"[97]، دون أن يتطرفوا الى إنكار منجزات الأمم الأخرى ومميزاتها[98].

وأبدى العرب والمسلمون معارضة كبيرة لإعتماد اللغة الفارسيّة في الدولة[99]، وعارضوا الطرح الفارسي باعتمادها لقراءة القرآن الكريم، قال أحمد بن فارس (ت 395هـ/1004م): "لا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، وإنما أمر الله جل ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسيّة لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها، وهذا لا يقوله أحد".[100] وأكد الباقلاني (ت403هـ/1012): على انه "لا يجوز القراءة بالفارسية"، وإن كان "يجوز ويحل للألثغ والألكن والتمتام أن يقرأ القرآن على وجه ما ينطق به لسانه"[101] .

وأبان المنظرون تفوق اللغة العربية وبلاغتها على غيرها من اللغات، وخاصة الفارسية منها، فخصص ابن فارس (ت395هـ/1004م) في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" باباً لـ "القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"، وذهب فيه "أن سائر اللغات قاصرة" عنها وعن بيانها[102]. وأكد التوحيدي (ت 414هـ/994م) فضل اللغة العربية، واختيار الله لها لحمل وحيه إلى الناس، فقال: "العربية عندنا أحسن الألفاظ مخارج، وأوسعها مناهج وأعقلها بالقلب، وأخفها على اللسان، وأوصلها إلى الآذان. وكل هذه المحاسن تابعة للشريعة التي جعلها الله تمام الشرائع، ومضافة إلى الرسول ﷺ الذي ختم الله به الأنبياء والرسل"[103].

وأكد المنظرون تحول اللغة العربية إلى لغة ثقافية علمية عالمية[104]، قادرة على حمل العلوم والإبانة عنها، قال البيروني (ت 440هـ/1048م): "وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة"، في حين تعجز الفارسيّة عن ذلك، "وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه، ....، وزال الانتفاع به"[105].

وانبرى المنظرون في الدفاع عن النموذج السياسي الإسلامي، بعد اعتماد الدولة البويهية للنموذج السياسي الفارسي الساساني، قال الآجري (ت 360هـ/970م): "من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعام منهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين [النصارى واليهود] كما قال النبي ﷺ، أو على سنن كسرى وقيصر، أو على سنن الجاهلية، وذلك مثل السلطنة [=المملكة البويهيّة] وأحكامهم في العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكب والخدام، والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء والمكاسب، من جهات كثيرة وأشباه لما ذكرت يطول شرحها، تجري بينهم على

خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ، والله المستعان"(106).

فتم تأكيد نسخ النموذج السياسي الإسلامي للنموذج السياسي الفارسي الساساني، قال بديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ/1007م): "إنما قدّم الله تعالى مُلك العجم ليحتج عليها، وإنما أخر مُلك العرب ليحتج بها"(107). وذلك لما يوفره النموذج السياسي الإسلامي من محاسن عدة ويحتويه النموذج الساساني من مفاسد جمّة، أبرزها اعتماده نظاماً طبقياً مغلقاً يمنع الحراك الاجتماعي ويخنقه، ليكتسب الإنسان مكانته في المجتمع من طبقته الاجتماعية لا من علمه وجَدّه، إضافة إلى قصر العلم على فئة معينة في المجتمع وحرمان غالبيته منه (108)، في حين أن الإسلام ألغى النظام الطبقي وأعلن المساواة التامة بين عناصره المختلفة، وسمح للفرد الترقي حسب علمه واجتهاده، خاصة أنه عمم العلم على جميع فئات المجتمع دون استثناء. قال العامري (ت381هـ/992م) مبيناً "مناقب الإسلام" في نموذجه السياسي، ومساوئ النموذج الفارسي الساساني: "قد عُلم أن الشرف الإنسي عند ملوك العجم [الساسانيين] كان معلقاً بالأنساب، وكانوا يُحَرِّمون على رعاياهم الترقي من مرتبة إلى مرتبة، وفي ذلك ما يعوق التراكيب السوية عن كثير من الشيم الرضيّة، ويُقعد الأنفس الأبية عن حيازة الدرجات العَليّة"(109). ولذا كان الفرس مبتلين "بمحنتين عظيمتين لا يدانيهما شيء من المحن الدنيوية في الفظاعة والنكر: إحداهما: عوق الموابذة [=رجال الدين الزردشتي] لدهمائهم [=العامة] بالقهر عن اقتناء الحكمة الإلهية، التي بها يتوصل إلى كمال الإنسانية، وباقتنائها تُستحق الرتبة الروحانية، ...، والأخرى: أن طبقاتهم بأسرهم [شريفهم ووضيعهم] كانوا مضطهدين بسياسة الاستعباد، وإيالة الاستخوال، ...، وليس يُشك أن تسخير العاقل الحر بالقهر والغلبة على المنزلة الواحدة، وزجره عن اكتساب المحامد بالهمة العليّة والتمني باجتهاد سعيه إلى ما يتمناه من الجاه والمعلوة في الغاية في الاتضاع والخسّة، وهي النهاية في الاستسلام للغضاضة"(110).

وفضيلة النموذج السياسي الإسلامي قضاؤه على النموذج السياسي الفارسي الساساني وتطبيقاته، وهو ما طبقه العرب "حين هبت ريحهم وأشرقت دولتهم بالدعوة، وانتشرت دعوتهم بالملة، وعزت ملتهم بالنبوة، وغلبت نبوتهم بالشريعة، ورسخت شريعتهم بالخلافة، ونضرت خلافتهم بالسياسة الدينية والدنيوية"(111). فحرروا العجم من الاستعباد والقهر، وحكر العلم على فئة معينة، قال العامري (ت381هـ/992م): "من الواجب أن تعلم أن مجيء الإسلام قد أفادهم بشرفه واستعلاء مكانه، عوائد ثلاثة: إحداها: إفادة السلامة عن التسخير للعبودية، وإزالة الحجر عنهم في التطلب للرفعة، ...، والثانية: الهداية للحكم الإلهية، وتحقيق مبادئها بالأدلة، ليقتنوا باقتباسها والتوسع في معالمها، ...، فتجلَ بها مراتبهم عند الخلق، ويبقى لهم الذكر في العواقب. والثالثة: فتح الطريق لهم إلى التفيؤ بظل هذه الدولة الميمونة" [=الدولة العربية الإسلامية]،

والتنعم بما تقدمه من مزايا المساواة والترقي حسب العلم والاجتهاد، وفتح المجال أمام الجميع لطلب العلم والمعرفة، "فهذه هي عوائد جيل العجم في أيام هذا الدين [=الإسلام]" ونظامه السياسي[112].

غير أن تطبيق الدولة البويهية للنموذج السياسي الفارسي الساساني حمل في باطنه خطر تقيد المجتمع الإسلامي بتطبيقاته، وهو ما دفع المنظرين لتأكيد حيوية النظام السياسي الإسلامي ومزاياه، والدفاع عنه، وبيان ترابطه مع السيادة العربية، "إذ كان هذا الدين من بركة تعميمه للأدنين والأقصين بالدرجة التي ذكرناها، ثم كانت قاعدته كرامة من الله تعالى جده لمحمد ﷺ، فبالحري أن نعلم أن،...، الذي يقطعه هو فلا واصل له، والذي وصله هو فلا قاطع له"[113]. ويقول البيروني (ت 440هـ/10481م): "ديننا والدولة عربيان، وتوأمان، يرف على أحدهما القوة الإلهية، وعلى الآخر اليد السماوية"[114].مما يوجب على المسلمين التمسك بنموذجهم السياسي والدفاع عنه، حسبما اكد الاجري عندما ينقل عن عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/ 717-720م) قوله: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر [= الخلفاء الراشدون] من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير المؤمنين، وولاه الله تعالى ما تولاه، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً". إذ يفهم منها الدعوى للتمسك بالنظام السياسي الذي شرّعه الله وطبقه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون، علاوة على الأخذ بسننتهم الدينية التي تشكل جزءاً من تراثهم الواجب على المسلم التمسك به.[115]

وأكدت حملات الفرس ضد العرب الوعي بذاتهم وهويتهم ولغتهم، فباتوا يعون الفرق والتمايز بينهم وبين العجم، ويحرصون على سيادتهم[116]. ولما خضعت الأقاليم العربية لحكم العجم، وخاصة الدولة البويهية، بدأت تسري بين العرب حالة من عدم الرضا والاستنكار، قال محمد بن محمد المشهور بابن لنكك البصري (ت 360هـ/970م)[117]:

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا وخَلَّفني الزمان على علوج
وقالوا: قد لزمت البيت جداً فقلت: لفقد فائدة الخروج
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم قروداً راكبين على السروج

ثم بدأت الأصوات العربية تتعالى داعية للتخلص من الحكم العجمي، وإعادة الحكم للعرب، قال عبدالعزيز بن محمد بن نباتة السعدي (ت 405هـ/1014م)[118]:

حتى م نقدم والأيام تغلبنا وغيرنا يغلب الأيام بالفشل
يا أهل بابل عزمي قبله فكري في النائبات وسيفي بعده عذلي

قالوا حنيفة شجعان فقلت لهم: كل الشجاعة والإقدام في الدول

وأبدى المتنبي (ت 354هـ/965م) ألماً حاداً من انتقال الحكم إلى غير العرب، الذين لم ير دولهم إلا "دولة الخَدِم"[119]، فيقول:

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أُمة ضحكت من جهلها الأمم[120]

ورغم أن هجومه هذا ابتدأ ضد كافور الإخشيدي في مصر[121]، إلا أنه سرعان ما طوره ليشمل كل دول العجم الذين باتوا يحكمون الأقاليم العربية، فيقول[122]:

وإنما الناس بالملوك وما تُفلح عُرْبٌ ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
لكل أرض وطِئتُها أُممٌ تُرعى بعبد كأنها غنم

لذا كانت أبرز مزايا سيف الدولة الحمداني التغلبي (333-356هـ/944-967م) عند المتنبي تمثيله لحكم عربي في محيط أعجمي، ليستحق وحده دون غيره أن يكون "أميرَ العرب"[123]، وليغدو فخراً للعرب والقيادة التي يجتمعون حولها ويطيعون أمرها آنذاك، فيقول:

رفعت بك العربُ العماد وصيرت قمم الملوك موائد النيران[124]
إذا العرب العرباء رازت نفوسها فأنت فتاها والمليك الحُلاحِلُ
أطاعتك في أرواحها وتصرّفت بأمرك والتفّت عليك القبائل[125]

غير أن الدولة الحمدانية كانت دولة صغيرة المساحة، ولا يشمل حكمها جميع الأقاليم العربية، التي طالب المتنبي بتوحيد أقاليمها الشرقية في دولة واحدة تحت الحكم العربي، فيقول[126]:

لا افتخار إلا لمن لا يُضامُ مدرك أو محاربٍ لا ينامُ
ذل من يغبط الذليل بعيش ربّ عيشٍ أخف منه الحِمامُ
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلامُ
ضاق ذرعاً بأن أضيق به ذرعاً زماني واستكرمني الكرامُ
واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي واقفاً تحت أخمصي الأنامُ
إقراراً ألذُ فوق شرار ومراماً أبغي وظُلمي يُرامُ
دون أن يشرق الحِجاز ونجدٌ والعراقان بالقنا والشام

لذا نراه يحض العرب على التخلص من الملوك العجم فيقول:

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
بأجساد يحر القتل فيها وما أقرانها إلا الطَّغام[127]
لا أقتري بلداً إلا على غرر ولا أمر بخلقٍ غير مضطغن
ولا أعاشر من أملاكهم ملكاً إلا أحق بضرب الرأس من وثن[128]

وفي الوقت الذي يرفض فيه فكرة المهدوية، وانتظار المخلص الذي يرى في فكرته تقييداً للعرب عن الفعل والركون إلى الآمال، فيقول[129]:

فإن يكن المهدي من بان هديه فهذا وإلا فالهدي ذا فما المهدي
يعللنا هذا الزمان بذا الوعد ويخدع عما في يديه من النقد

يؤكد المتنبي ضرورة العمل العسكري لتحقيق الحكم العربي؛ إذ "الدنيا لمن غلبا" على حد تعبيره[130]، لذا كان دائم الطلب من العرب أخذ الاستعدادات العسكرية، والتضحية بالغالي والنفيس لتحقيق "الحكم العربي"[131]، آخذاً على نفسه التبشير بهذا المشروع والدعوة إلى تحقيقه بجولاته المتعددة، وهو الأمر الذي أثار تساؤلات البعض، فيقول[132]:

يقولون لي: ما أنت في كل بلدة؟ وما تبتغي؟ ما أبتغي جَلّ أن يُسمى!!

كانت نظرة المتنبي تلتقي مع نظرة أهل العراق وبغداد، الذين نظروا باستياء كبير لخضوعهم للحكم البويهي العجمي، وأعلنوا معارضتهم علناً حتى وصلت إلى مسامع رجال الدولة البويهية. قال نائب بهاء الدولة بن عضد الدولة في بغداد لحاجبه: "أنت أيها الحاجب تعرف من أخلاق البغداديين وعيوبهم ومذاهبهم في الإزراء على العجم وعيبهم وإيراد الحكايات عنهم"[133].

واستمرت الطروحات العربية هذه خلال القرن 5هـ/11م، قال المعري (ت 449هـ/1057م) مبدياً امتعاضه من خضوع العرب للحكم الأعجمي:

غنينا من عفاف النفس أفقرنا وقَيْلُنا [=حاكمنا] عِلْجٌ ومشن يألف الأتنا[134]
أعاذل إن ظلمتنا الملوك فنحن على ضُعفنا أظلم
تسامت قريش إلى ما علمت واستأثر الترك والديلم
وهل ينكر العقل أن يستبد بالمُلك غانية غيلم[135]

ودعا إلى إقامة حكم عربي في الأقاليم العربية، التي نظر إليها في حالة "فراغ سياسي"رغم خضوعها للحكم الأعجمي، فقال:

إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان[136]
هل تَثْبُتَنَّ لذي شام وذي يَمنٍ عطية الدهر من عز وتمكين[137]

وفي أثناء حركة البساسيري ضد الخلافة العباسية (450-451هـ/ 1058-1059م)[138] هاجمت قوات القبائل العربية الداعمة له السلاجقة التركمان، وكانت النساء العربيات يحضرن القتال "وهن منكشفات الوجوه ينادين: يا للعرب! يا للعرب! وكن يلهبن نار العصبية ويذكين جمرات الأنفة والحمية. فكان هذا الفعل من وجوه الرأي التي أدارت رحى الطعن والضرب، وقضت على أجساد التركمانية في مطاحنها بالطحن"[139].

كان مشروع العرب كما يتضح استخلاص بلادهم من سيطرة الأعاجم وحكمهم، وإعادة الحكم العربي لها، وخاصة مدينة بغداد والعراق، قلب دولتهم الكبرى: الخلافة العباسية، التي شعروا بوطأة الحكم العجمي عليها وتطاوله[140]، وهو ما دفعهم للتهليل بدخول قوات أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني التغلبي العربي (356-369هـ/967-979م) إلى بغداد سنة 364هـ/974م أثناء ثورة سبكتكين الحاجب التركي على عز الدولة بن معز الدولة (356-367هـ/967-977م)، لِمَا رأوه في ذلك عودة للحكم العربي الذي خلصهم من الحكم الأعجمي، قال الحسين بن أحمد المشهور بابن الحجاج (ت 391هـ/1001م) يخاطب بغداد[141]:

جاءتكِ من تغلب سادتها وطال ما استعجمتِ فاستعربي
لو نطقت بغداد قالت: نعم سبحان من فرّج ما حلّ بي

غير أن الدولة البويهية استطاعت استعادة زمام الأمور، وفرض سيطرتها مرّة أخرى على العراق وبغداد، وهو ما أبقى المشاعر العربية مؤججة تنتظر اليوم الذي يستعيد فيه العرب سيطرتهم وحكمهم لأقاليمهم العربية، كما توضحه أشعار المعري السالفة، وهو ما جعلهم رديفاً مهماً وفعالاً للخلافة العباسيّة، التي بدأ سعي خلفائها للتخلص من الهيمنة البويهية، والانفراد بالسلطة في العراق، إذ كان يُنظر للخليفة العباسي بوصفه "سيد العرب"[142]. خاصة ان محور النقاش الدائر بين فئات الأمة في الحقبة مدار البحث اصبح المقارنة بين "سياسة إلهيّة" و"سياسة بشرية"[143]، ليخلص النقاش إلى أن **"الشريعة سياسة الله في الخلق، والمُلك سياسة الناس للناس"**[144]. وفي الوقت الذي مثلت فيه الدولة البويهيّة "السياسة الملكية البشرية" ذات المرجعية الساسانية الفارسية، مثلت الخلافة العباسية السياسة الإلهية القائمة على الشريعة.

وأُعيدت أسباب معاناة الأمة في الحقبة مدار البحث إلى كف أيدي الخلفاء عن تطبيق السياسة الإلهية القائمة على الشريعة، لصالح تطبيق السياسة الملكية البشرية البويهية، ذات المرجعية الكسروية، ورهن خلاص الأمة باستعادة الخليفة لسلطاته الدنيوية المنبثقة عن الشريعة الإلهية، "فإذا كانت الإمامة زعامة الدين والدنيا، وجب استقلاله بنفسه في تدبير الأمور الدنيوية، ...، فإن أمور الدنيا على مراسم الشريعة تجري، فهي المُتبع والإمام في جميع مجاري الأحكام. والرأي يجب أن يكون على مقتضى الشرع، فإن الرأي الذي لا يقتضيه الشرع لا معول عليه"، أما من "يتخذ سنن الأكاسرة والملوك المنقرضين عمدة، ...، فقد انسل عن ربقة الدين انسلال الشعرة من العجين"، حسبما صاغه الامام الجويني (419-487هـ/1028-1085م) من طروحات الحقبة مدار البحث[145].

وكان الفقهاء السنة يأملون تطبيق السياسة الدينية ذات المرجعية الالهية التي تحفظ لأفراد الأمة حقوقهم في المجالات المختلفة. قال القاضي المعافى بن زكريا الجريري (ت390هـ/1000م): "نحن نلجأ إلى الله جل جلاله راغبين إليه، خاضعين له، واثقين به، راجين لإحسانه، مستجيرين بعفوه وكرمه، في أن يحفظ علينا الخلافة الهاشمية والدولة العباسية، ونعوذ به أن نضحي بعد الاستظلال بظلها، والتقلب في عدلها، والبشر بخدمة أهلها، ونسأله سؤال من وجه رغبته إليه، واعتمد في دينه ودنياه عليه، أن يتمم نعمته، ويهني موهبته، ويوفر تشريفه وتكرمته، لعبده القادر بالله أمير المؤمنين، ويعز نصره، ويرفع في الملأ الأعلى ذكره، وينفذ في شرق البلاد وغربها أمره، ويبسط يده في جميع الرعايا ولسانه، ويديل من كل مخالفٍ عليه سلطانه، حتى يفيض العدل فينا، ويديل ظالمنا، وينيل مظلومنا، ويظهر له ما ستره المنافقون، ويمكنه من نقض ما أبرمه المارقون، حتى يدني كل أمين، ويقصي كل ظنين، ويستبطن أولي النعم من أهل الدين، ويصطنع ذوي الفقه والإمامة، ويطرح أهل الريب والخيانة، إنه لطيفٌ خبير"[146].

الا ان الدولة البويهيّة سقطت على يد السلاجقة الاتراك سنة 447هـ/1055م، وانتقلت الهيمنة على الخلافة من بويهية إلى سلجوقية، وليبدأ الخلفاء العباسيون من جديد مسيرة العمل على استعادة السلطة الدنيوية التي آلت إلى "السلطان السلجوقي"[147].

ومن الجدير بالذكر أن فكرة انتقال الدولة عن العرب إلى الفرس، سرعان ما انتقلت إلى الأتراك السلاجقة، حتى إن رجال الإدارة السلجوقية في بغداد أرسلوا سنة 454هـ/1062م إلى "الخليفة [العباسي القائم بأمر الله 422- 467هـ/1031-1075م] بالشكوى من [وزيره] ابن جهير،...، [متهمين اياه أنه] قد [شرع في] نقل الدولة التركية [= السلجوقية] إلى العربية [= العباسيّة]، واستدعى بني عقيل [العرب] إلى العراق، وفعل في ذلك ما سار في الآفاق"[148] !!!

Arab Dilema and Arab Sovereignity During the Buwayhid state (334-447 A.H / 946-1055 A.D)

Modar Adnan Telfah, *Yarmouk University, Irbid,Jordan.*

Abstract

The Buwayhid State has adobted many methods and started to apply policies anti Arabs and Arab ethnicity , in addition to conducting political Sasanic system basgd on Social layers .

This policy led to Arab opposition Dimed to defend Islam and Arab language and to preserve the gains and accomplishments of the political Islamic system.

This opposition also aimed at getting rid of Buwayhid hegonomy and the unification of Arab nations and its salvation from Buwayhid hegnomy. The final goal was to unify all Arabs under one Abbasid Caliphate and to apply the Islamic political system and abandon the political sasanic Persian system.

قدم البحث للنشر في 2007/3/25 وقبل في 2007/7/12

(1) انظر مبدأ استخلاف الأمة وشواهده التاريخية عند: رضوان السيد، الجماعة والمجتمع والدولة، بيروت: دار الكتاب العربي، 1418هـ/1997م، ص23-25؛ ص83 وما بعدها. سيشار إليه: رضوان السيد، الجماعة والمجتمع.

(2) ابن جلجل، سليمان بن حسان (حيا384/994م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985، ص53. سيشار إليه: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء.

(3) العامري، محمد بن يوسف (ت 381هـ/992م)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد غراب، الرياض: دار الأصالة، ط1، 1408هـ، ص174. سيشار إليه: العامري، مناقب الإسلام. وقال الدينوري (حياً 399هـ/911م) يبين ترابط الإسلام وحكم العرب: ((المنبر: سلطان العرب، وجماعة الإسلام)). الدينوري، نصر بن يعقوب (حياً 399هـ/911م)، القادري في التعبير، تحقيق: فهمي سعد، بيروت:عالم الكتب،ط1417،1هـ/1997م، 2ج، ج1، ص336.سيشار إليه: الدينوري، القادري.

(4) قال سليمان التاجر (حيّاً سنة 237هـ/852م): ((أهل الهند والصين مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة، فأول من يعدون من الأربعة: ملك العرب، وهو عندهم إجماع لا

اختلاف بينهم فيه أنه ملك أعظم الملوك، وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً، وأنه ملك الدين الكبير [=الإسلام] الذي ليس فوقه شيء)). أخبار الصين والهند، تحقيق: يوسف الشاروني، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1420هـ/2000م، ص42-43. سيشار إليه: سليمان التاجر، أخبار الصين والهند. ويحدثنا أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي (حيّاً 267هـ/880م) أن ملوك الصين كانوا شديدي الاهتمام بـ ((العرب، وكيف أزالوا مُلك العجم)). المصدر نفسه، ص70.

(5) ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (حيّا 613هـ/1216م)، تاريخ طبرستان، تعريب: أحمد محمد نادي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 60. سيشار إليه: ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان.

(6) حول ظهور الشعوبية، ودوافعها، وأساليبها التي انتهجتها، والميادين التي ركزت هجماتها عليها، انظر: عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1980م؛ نزار وسعيد الحديثي، الشعوبية: نشأتها وتطورها، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990م؛ عبدالله السامرائي، الشعوبية: حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بغداد: دار الرشيد، 1980؛ حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت، دار الجيل، د.ت؛ زاهية قدورة، الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الكتاب اللبناني،1972م؛ محمد جميل، الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الإسلامي، بغداد: منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، 1988م؛ فاروق عمر، الفكر العربي في مجابهة الشعوبية: عصر الخلافة العربية الإسلامية، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م. وانظر أيضاً: مجموعة الأبحاث لعدد من الباحثين حول الشعوبية في: وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، بغداد: هيئة كتابة التاريخ، 1410هـ/1989م، 3ج.

(7) عبدالعزيز الدوري، الشعوبية، ص9.

(8) هاشم الملاح، الهوية القومية والثقافية للأمة العربية والدس الشعوبي، ضمن: وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، بغداد: هيئة كتابة التاريخ، 1410هـ/1989م، ج1، ص51. سيشار إليه: هاشم الملاح، الدس الشعوبي.

(9) عبدالعزيز الدوري، الشعوبية، ص9.

(10) المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله الصاوي، القاهرة: دار الصاوي، د.ت، ص94. سيشار إليه: المسعودي، التنبيه والإشراف.

(11) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م)، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، 1408هـ/1988م، 8ج، ج6، ص477. سيشار إليه: الجاحظ، الحيوان.

(12) البيروني، محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: إدوارد سخاو، بيروت: دار صادر، د.ت، ص 213. سيشار إليه: البيروني، الآثار الباقية.

(13) البغدادي،عبد القاهر بن محمد (ت 429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين،صيدا:المكتبة العصرية، 1416هـ/1995م، ص286. سيشار إليه: البغدادي، الفرق بين الفرق.

(14) المقدسي، المطهر بن طاهر (حيًا 364هـ/975م)، البدء والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج.، ج1، ص194. سيشار إليه: المقدسي،البدء والتاريخ.

(15) نظام الملك، الحسين بن علي الطوسي (ت485هـ/1092م)، سياست نامه، تعريب: يوسف بكار، الدوحة: دار الثقافة، ط2، 1407هـ/1987م، ص 291. سيشار إليه: نظام الملك، سياست نامة.

(16) المقدسي، البدء والتاريخ، ج2، ص287.

(17) قال الدينوري (ت 282هـ/895م): ((الذي صح عندنا وثبت أنه [=بابك الخرمي] كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم، هذه التي تنتسب إليها الفاطمية من الخرمية)). الدينوري، أحمد بن داود (ت282هـ/895م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عمر الطباع، بيروت: دار القلم، ط1، 1415هـ/1995، ص367. سيشار إليه: الدينوري،الأخبار الطوال. وحول ثورة بابك الخرمي، واستفحالها في عهدي المأمون والمعتصم، انظر: ابن الأثير، علي بن محمد،(ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار الكتاب العربي، ط6، 1406هـ/1986، 10ج، ج5، ص184، 234، 237، 239، 245. سيشار إليه: ابن الأثير، الكامل.

(18) نظام الملك، سياست نامة، ص291.

(19) أبو دلف، مسعر بن المهلهل الخزرجي (ت نهاية ق4هـ/10م)، الرسالة الثانية، تحقيق: بطرس بولناكوف وأنس خالدوف، القاهرة: عالم الكتب، د.ت، ص48. سيشار إليه: أبو دلف، الرسالة الثانية.

(20) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص306.

(21) المقدسي، البدء والتاريخ، ج2، ص182. وانظر أيضاً عن الأبي مسلمية والخرمية: ابن النديم، محمد بن اسحق (ت 380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1415هـ/1994م، ص415 وما بعدها. سيشار إليه: ابن النديم، الفهرست.

(22) البيروني، الآثار الباقية، ص132، 213. وأصبهان: ((مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف)). تقع حاليا في غرب إيران. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، د.ت، 5ج، ج1، ص206. سيشار إليه: ياقوت، معجم البلدان.

(23) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص94؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت: دار القلم، 1408هـ/1989م، 4ج، ج1، ص228.سيشار إليه: المسعودي، مروج الذهب. وانظر أيضاً: ابن العديم، عمر بن أحمد (660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الفكر، 1408هـ، 10ج، ج3، ص1065. سيشار إليه: ابن العديم، بغية الطلب.

(24) الصولي، محمد بن يحيى (ت 335هـ/946م)، أخبار الراضي بالله والمتقي، تحقيق: ج.هيورث، بيروت: دار المسيرة،1399هـ/1979م، ص69-70، 80-81. سيشار إليه:الصولي، أخبار الراضي؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص228-229. وانظر أيضاً: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (328هـ/939م)، العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ/1983م، 9ج، ج3، ص352، 357. سيشار إليه: ابن عبد ربه، العقد الفريد.

(25) انتقلت هذه الفكرة إلى، أو تماثلت مع نظرة، الروم البيزنطيين، قال المسعودي (ت 346هـ/957م): إن الروم تسمى ((العرب سارا قينوس، تفسير ذلك: عبيد سارة. طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وإنها كانت أَمَةً لسارة)). التنبيه والإشراف، ص143. ونظراً لتوحد هذه النظرة بين الفرس والروم قام الشعوبي الفارسي يونس بن هارون بتأليف كتاب ((لملك الروم في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه)). الصولي، محمد بن يحيى (ت 335هـ/946م)، أخبار الشعراء المحدثين، تحقيق: ج،هيورث، بيروت: دار المسيرة،1399هـ/1979م، ص 10. سيشار إليه: الصولي، أخبار الشعراء. ويروي التوحيدي (ت 414 هـ / 1023م): ((خرج إسماعيل بن إبراهيم إلى أخيه إسحق بن إبراهيم يطالبه بميراثه عن أبيه إبراهيم، فقال [له إسحق]: أما ترضى وأنت ابن أَمَتِنا أن لا

نستعبدك!! حتى تأتي وتطالب ميراثاً؟ فأوحى الله إلى إسماعيل: وعزتي وجلالي لأُخرجن من صُلبك من يستعبد أولاد إسحق إلى يوم القيامة)). التوحيدي، علي بن محمد (ت414هـ/1023م)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي،بيروت: دار صادر، ط1، 1408هـ/1988م،9ج، ج9، ص126. سيشار إليه: التوحيدي، البصائر والذخائر. ومن الواضح أن هذه الرواية مكونة من جزئين: جزء أعجمي (فارسي ورومي)، ينظر لأولاد إسماعيل [=العرب] وارثين لعبودية أمهم هاجر. وجزء عربي ألحق ليشرع سلطته الأبدية على العجم بالوعد الإلهي، عقوبة لإنكار جدهم إسحق حرية أخيه إسماعيل، وسلبه حق ميراثه من أبيه إبراهيم الخليل.

(26) نجد بعض الأصداء الشعوبية بإعادة النبوة للعجم وسلبها من العرب، يظهر في أحد تيارات فرقة الخوارج على يد يزيد بن أبي أنيسة الذي ((زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة، ينسخ به شريعة محمد ﷺ)). وهو ما سيترتب عليه تغير الشعب الحاكم من عربي إلى أعجمي. انظر هذا الطرح عند: الأشعري، علي بن إسماعيل (ت 324هـ/935م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط3، د.ت، ص103. سيشار إليه: الأشعري، مقالات الإسلاميين؛ الآبي، منصور بن الحسين (ت 421هـ/1030م)، نثر الدرر في المحاضرات، تحقيق: خالد محفوظ، بيروت: دار الكتب العملية، ط1، 1424 هـ/2004م، 7ج، ج5، ص155. سيشار إليه: الآبي، نثر الدر؛ البغدادي،الفرق بين الفرق، ص24، 279-280؛ ابن حزم، علي بن أحمد (ت456هـ/1063م)، الفصل في الملل والاهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت، 5ج، ج4، ص144. سيشار إليه: ابن حزم، الفصل. ومن الجدير بالذكر أن بعض المنظرين العرب والمسلمين رأوا في المذاهب الإسلامية غير السنية أنها ابتداع فارسي مجوسي، هدفه الكيد للإسلام وهدمه، واستعادة الملك الفارسي الكسروي، غير أنهم تستروا بهذه المذاهب انتظاراً لأخذ زمام الأمور ليسفروا عندها عن وجههم الحقيقي وهدفهم المنشود. (انظر مثلاً: الفهرست، ص234-235). وينقل لنا ابن الجوزي (ت597هـ/1200م) ما استقر عليه الوجدان العربي والسني بهذا الصدد، فيقول: إن ((طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولة الإسلام كأبناء الأكاسرة والدهاقين وأولاد المجوس، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم، فهو كالداء الدفين، فإذا حركته تَخَائيلُ [= مخيلات وطروحات ومشاريع] المبطلين اشتعلت نيرانه، ...، قصدوا إبطال الإسلام ورد الدولة الفارسيّة، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين، وأظهروا مذهب الإمامية)) والإسماعيلية. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد

ومصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ/1992م، 18ج، ج12، ص298-299. سيشار إليه: ابن الجوزي، المنتظم. وانظر أيضاً: ابن حزم، الفصل، ج2، ص91.

(27) التنبيه والإشراف، ص96.

(28) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص55-56.

(29) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت 276هـ/889م)، فضل العرب والتنبيه على علومها، تحقيق: وليد خالص، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1998م، ص51. سيشار إليه: ابن قتيبة، فضل العرب.

(30) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ/892م)، أنساب الأشراف، حققه: سهيل زكار ورياض زركلي، ونشراه تحت عنوان: كتاب جمل من أنساب الأشراف، بيروت: دار الفكر، 1417هـ/1996م، 13ج، ج4، ص331. سيشار إليه: البلاذري، أنساب.

(31) ابن الطقطقا، محمد بن علي (ت 709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، بيروت: دار صادر، د.ت، ص171. سيشار إليه: ابن الطقطقا، الفخري.

(32) نظام الملك، سياسة نامة، ص255.

(33) البلاذري، أنساب، ج4، ص331.

(34) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ/905م)، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، د.ت، 2ج، ج2، ص450. سيشار إليه: اليعقوبي، تاريخ.

(35) الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت 331هـ/942م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ط2، 1401هـ/1980م، ص313. سيشار إليه: الجهشياري، الوزراء.

(36) المصدر نفسه، ص316.

(37) انظر في ذلك: الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، د. ت، 10ج، ج9، ص108-109. سيشار إليه: الطبري، تاريخ؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج2، ص300؛ مسكويه، أحمد بن محمد (ت421هـ/1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم امامي، طهران: دار سروش، 2001م، 6ج، ج4، ص265-268، 272-273. سيشار إليه: مسكويه، تجارب الأمم؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص261؛ ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ص224؛ ابن كثير، إسماعيل بن كثير (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1416هـ/1996، 10ج، ج7، ص301-302. سيشار إليه: ابن كثير، البداية والنهاية.

(38) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/1228م)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م، 7ج، ج1، ص128-129. سيشار إليه: ياقوت، معجم الأدباء.

(39) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص62؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص338؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص280؛ السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت902هـ/1496م)، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988، ص313. سيشار إليه: السيوطي، تاريخ الخلفاء.

(40) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص349.

(41) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص62؛ المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص349. وكان الفرس يحتفظون بكتب صورت فيها ((ملوك الفرس من آل ساسان ...، قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه)). المسعودي، التنبيه والأشراف، ص92. وانظر أيضاً: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت365هـ/970م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، ص38، 40، 41، 42، 43، 44، 47 حيث يشير إلى ((كتاب صور ملوك بني ساسان)). سيشار إليه: الأصفهاني، سني ملوك الأرض.

(42) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة، 1404هـ/1984م، 30ج، ج25، ص215. سيشار إليه: النويري، نهاية الأرب.وهو ينقل عن مؤلفات الشريف أخي محسن أبو الحسين محمد بن علي العلوي. المصدر نفسه، ج25، ص189. وكان الداعية القرمطي أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي يبشّر في جنوب إيران ((إن الله غضب على العرب لأنهم قتلوا الحسين، وأنه يحب شعب الأكاسرة الذين هم وحدهم أيدوا حقوق الإمام)). عبدالعزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة (الإسماعيلية والقرامطة)،، بغداد: مطبعة السريان، 1945،ص163. سيشار إليه: عبدالعزيز الدوري، دراسات.

(43) ابن عنبة، محمد بن علي الحسني (ت828هـ/1425م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عمّان: وزارة الثقافة، ط1، 1995م، ص171. سيشار إليه: ابن عنبة، عمدة الطالب.

(44) الثعلبي، محمد بن الحارث (ت ق 3هـ/9م)، أخلاق الملوك، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1424هـ/2003م، ص51. سيشار إليه: الثعلبي، أخلاق الملوك. وينبغي هنا تأكيد الفرق الكبير والبون الشاسع بين مصطلحي ((الخاصة والعامة)) في الخطاب

الإسلامي والسياق الساساني الفارسي. فإسلامياً كان الخاصة هم أهل العلم والمعرفة، والعامة من لم ينل نصيباً منهما. وفارسياً كان الخاصة هم ((أهل البيوتات الشريفة)) الذين يتسنمون ذروة المجتمع الفارسي، أما العامة فهم الفلاحون والصناع ثم العبيد الذين يقبعون في أدنى السلم الاجتماعي. أي أن مصطلح ((الخاصة والعامة)) الإسلامي يمايز الناس علمياً،في حين يمايز المصطلح الفارسي الساساني بينهم اجتماعياً. الأمر الذي يترك المجال مفتوحاً أمام الحراك الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، في حين يُخنق هذا الحراك ضمن المفهوم الفارسي الساساني، الذي يرتب المجتمع ضمن طبقات اجتماعية متمايزة ومغلقة.

(45) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م)، ذم أخلاق الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ضمن: رسائل الجاحظ، بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ/1991م، 4ج، ج2، ص191-194. وسيشار إليه: الجاحظ، ذم أخلاق الكتاب.

(46) انظر في هذا الصدد: الثعلبي، أخلاق الملوك، ص37 وما بعدها.

(47) الوزير المغربي، الحسين بن علي (ت 418هـ/1027م)، كتاب السياسة، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ضمن: مجموع في السياسة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1402هـ/1982م، ص114. وانظر نص الكتاب: ص39 وما بعدها.

(48) انظر مثلاً: الثعالبي، عبدالملك بن محمد (ت 429هـ/1037م)، آداب الملوك، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م، ص39 وما بعدها. سيشار إليه: الثعالبي، آداب الملوك.

(49) التوحيدي، علي بن محمد (ت414هـ/1023م)، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، ص211. سيشار إليه: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة.

(50) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ/905م)، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق: وليم ملورد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1980، ص23. سيشار إليه: اليعقوبي، مشاكلة الناس؛ المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص288-289.

(51) ضرب الربيع بن يونس حاجب الخليفة المنصور رجلاً ((شمّت الخليفة عند العطسة))، فلما بادر البعض للشكوى إلى المنصور فاجأه بالقول: ((أصاب الرجل السُنّة، وأخطأ الأدب))!! التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص210.

(52) الثعالبي، آداب الملوك، ص233.

(53) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص27-28.

(54) الجهشياري، الوزراء، ص316.

(55) ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت 280هـ/893م)، كتاب بغداد، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1415هـ/1994م، ص144. سيشار إليه: ابن طيفور، بغداد؛ الآبي، نثر الدر، ج3، ص80.

(56) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص176.

(57) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص268. وانظر أيضاً: اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص32.

(58) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت: دار الثقافة، 1412هـ/1981م، 3ج، ج2، ص109. سيشار إليه: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء.

(59) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت: دار صعب، ط1، 1968، 2ج، ج1، ص553. سيشار إليه: الجاحظ، البيان والتبيين.

(60) الإمتاع والمؤانسة، ص210-211.

(61) ابن حزم، علي بن أحمد (ت456هـ/1063م)، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، تحقيق: إحسان عباس، ضمن: رسائل ابن حزم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 1981، ج2،، ص145-146. سيشار إليه: ابن حزم، الخلفاء والولاة.

(62) القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، 4ج، ج1، ص210. سيشار إليه: القاضي، عياض، ترتيب المدارك.

(63) تنتسب الأسرة البويهيّة إلى الديلم، وهم أقوام غير إيرانية الأصل، كانوا يسكنون الطرف الجنوبي الغربي لبحر قزوين، في المنطقة الجبلية التي عرفت باسم ديلمان، غير أن توسع الديلم منذ القرن 4هـ/10م دفع الجغرافيين العرب إلى إدخال كل مقاطعات جنوب بحر قزوين ضمن بلاد الديلم. انظر: حسن منيمنة، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي: مقاطعة فارس، بيروت: الدار الجامعية، 1407هـ/1987م، ص83. سيشار إليه: حسن منيمنة، الدولة البويهية. وانظر أيضاً:

V. Minorsky, Daylam, in: the Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden: Brill, 1965, Vol: II, p189 ets. Cl. Cahen, Buwayhids, in: the Encyclopaedia of Islam, New Editions, Leiden: Brill, 1965, Vol: I, p135 ets.

(64) كانت ((الدول الأعجمية)) التي قامت في أقاليم دار الإسلام تتبع الخلافة العباسيّة وتستمد شرعيتها منها، وتعترف بسيادتها الشاملة لدار الإسلام، وهو ما يعني استمرار السيادة

العربية ممثلة بالخلافة العباسية. كما كان قادة الجيش العباسي الذين استحوذوا على السلطة الفعلية ينظر إليهم كمتغلبين يمارسون سلطة غير شرعية. أما الدولة البويهيّة فقد نُظر إلى ملوكها كأصحاب سلطة شرعية معترف بها من الخلافة، وغدا المَلك البويهي ((ظهيراً مشاركاً)) للخليفة في السلطة، ليكتسب حق مشاركته في مظاهر السيادة الشاملة التي احتكرها الخليفة حتى هذه الحقبة. وساد الاعتقاد أن الخلافة العباسية كدولة قد انتهت، ليحل محلها الدولة البويهيّة. انظر هذه القضايا عند: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السياسي السني، رسالة دكتوراه غير منشورة، اربد: جامعة اليرموك، 2006، ص 146 وما بعدها. سيشار إليه: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة.

(65) الهمذاني، محمد بن عبدالملك (ت 521هـ/1127م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ضمن: ذيول تاريخ الطبري، بيروت: دار سويدان، د.ت، ص450. سيشار إليه: الهمذاني، تكملة.

(66) كان البويهيون ينتسبون إلى أسرة فقيرة من الديلم، يعيش أفرادها ((كآحاد الرعية الفقراء ببلاد الديلم)). ابن الطقطقا، الفخري، ص277. وكان والدهم بويه ((من آحاد الرعايا ببلاد الديلم يصطاد السمك)) لإعاشة أسرته. ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص778. ويساعده أولاده بذلك باحتطابهم الحطب. التنوخي، المحسن بن علي (ت384هـ/994م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت: دار صادر، 1391هـ/1971م، 8ج، ج2، ص97. سيشار إليه: التنوخي، نشوار المحاضرة؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص277. ثم انضم أفراد الأسرة إلى جيش الدولة الزيدية بطبرستان وغيرها من الدول كمرتزقة، واستغل علي بن بويه (عماد الدولة 322-338هـ/934-949م) اضطراب الأحوال السياسية لدار الإسلام آنذاك لينجح بالسيطرة على إقليم فارس سنة 322هـ/934م، الذي انطلق منه البويهيون للسيطرة على الأهواز والعراق والجبال، مؤسسين بذلك دولة كبيرة. انظر: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة، ص 135 وما بعدها. رغم أنهم لم يكونوا ((من أهل بيت المُلك))، ولا كانت لهم ((بين الديلم حشمة)). مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص320. وهو ما شكل، على ما يبدو، غصة في حلق عضد الدولة، الذي استطاع الحصول على مكتسبات سلطوية فاقت ما استحصله معاصروه، ومن قبلهم.

(67) البيروني، الآثار الباقية، ص213. وانظر أيضاً: ص132. ويظهر البيروني استغرابه الشديد من ذلك، نظراً لأصول البويهيين الديلمية. المصدر نفسه، ص213.

(68) أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراوري (ت 488هـ/1095م)، ذيل كتاب تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم امامي، ضمن ج7 من كتاب تجارب الأمم، طهران: دار شروش، 1379هـ. ش/2001م، ص33. سيشار إليه: أبو شجاع، ذيل التجارب.

(69) الصابئ، إبراهم بن هلال (ت 384هـ/994م)، المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق: محمد الزبيدي، بغداد:دار الحرية،1397هـ/1977م، ص33. سيشار إليه:الصابئ، المنتزع.وهو ما ترك آثاره في الخلاف حول نسب البويهيين الديالمة في كتب المؤرخين، الذين مال أكثرهم إلى اعتماد ((النسب الساساني)) للأسرة البويهية، مع اختلافهم في عمود النسب، انظر مثلاً: البيروني، الآثار الباقية، ص38؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص290؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص230؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج7، ص3259-3260؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681 هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،بيروت:دار الثقافة، د.ت، 8ج، ج1، ص174-175. سيشار إليه: ابن خلكان، وفيات الأعيان؛ ابن كثير،البداية والنهاية، ج7، ص566؛ ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون (ت 685هـ/1286م)، مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م، ص141. سيشار إليه: ابن العبري، مختصر الدول؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت942هـ/1535م)، دستور الوزراء، تعريب: حربي أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1980م، ص219. سيشار إليه: خواندمير، دستور الوزراء؛ خواندمير، محمد بن خاوندشاه (ت 903هـ/1498م)، روضة الصفا، تعريب: أحمد الشادلي القاهرة: الدار المصرية للكتاب، 1408هـ/1988، ص181.سيشار إليه: خواندمير، روضة الصفا. ومع أن البعض أرجع الديالمة إلى ((بني ضبة)) العرب، انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص281؛ ابن حوقل، محمد بن علي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص320. سيشار إليه: ابن حوقل، صورة الأرض؛ البيروني، الآثار الباقية، ص38؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج7، ص3260؛ خواندمير، روضة الصفا، ص181. إلا أن الصابئ، رغم مسايرته لدعوى عروبة الديلم، يؤكد أن بلادهم كانت ملجأ للفارين ((من العجم، خاصة منذ ابتدأ الإسلام فتوحه، فإن كثيراً من أبناء الملوك والمرازبة وأحرار فارس، لجؤوا إليهم واعتصموا بهم))، ومنهم، والكلام للصابئ، جد البويهيين الساساني. المنتزع، ص29 وما بعدها.

(70) العظيمي، محمد بن علي (ت 556هـ/1161م)، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق: د.ن، 1984م، ص309. سيشار إليه: العظيمي، تاريخ حلب.غير أن أقوالاً صدرت عن الصابئ، أو نسبت إليه، تؤكد عدم اقتناع النخب المثقفة آنذاك بصحة الادعاء البويهي

بالانتساب إلى الأسرة الساسانية، فقد قيل ((إن صديقاً للصابئ دخل عليه، فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض [في كتاب التاجي]، فسأله عما يعمله من ذلك، فقال [الصابئ]: أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها)). الثعالبي، عبدالملك بن محمد (ت 429هـ/1037م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/2000م، 5ج، ج2، ص291. سيشار إليه: الثعالبي، يتيمة الدهر. وانظر أيضاً: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص131؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص52؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد عيادي، القاهرة: مكتبة الصفا، ط1، 1424هـ/2003م، 15ج، ج10، ص293. سيشار إليه: الذهبي، سير أعلام النبلاء.ورغم أنه من المتعذر قبول صدور هذا القول عن الصابئ، الذي كان كتابه هذا ثمن خروجه من سجن عضد الدولة. أبو شجاع، ذيل التجارب، ص33. إلا أن القول يعكس رفض الادعاء البويهي بالانتساب إلى الأسرة الساسانية.

(71) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص33.

(72) فمثلاً: كانت التقارير الرسمية العباسية الواردة لدار الخلافة العباسية تؤكد أن علي بن بويه اختلس أموال الخراج من ولاية الكرج وهرب بها إلى إقليم فارس، انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص365، 374؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص334. في حين غدت هذه الأموال في الرواية البويهية كنز عثر عليه علي بن بويه في فارس، أو أموال ودفائن من سبقه من ولاة فارس اكتشفها علي بن بويه بمحض الصدفة!! انظر الرواية البويهيّة عند: مجهول، (ق4هـ/10م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج4، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1973، 2 قسم، ج4/1، ص285. سيشار إليه: مجهول، العيون والحدائق؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص343؛ ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله (ت655هـ/1258م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الجيل، ط1، د.ت،20ج، ج16، ص114. سيشار إليه: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة؛ خواندمير، روضة الصفا، ص183.

(73) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص276.

(74) انظر: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة، ص 151 وما بعدها.

(75) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج4، ص256.

(76) الهمذاني، تكملة، ص438.

(77) عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984م، ص110. والاقتباس من كتاب البيروني ((الصيدنة)). سيشار إليه: عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي.

(78) قامت بعض الدراسات الحديثة بمقاربة الموضوع، إلا أنها لم تعالجه كما تعالجه هذه الدراسة، انظر للمقارنة: أحمد الشلبي، الشعوبية بوجه عام ودور البويهيي في الدس الشعوبي، ضمن: وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، بغداد، هيئة كتابة التاريخ، 1410هـ/1989م، ج3، ص333 وما بعدها؛ أمل السعدي، السياسة الشعوبية خلال حقبة التسلط البويهي، ضمن: المرجع السابق، ص349 وما بعدها.

(79) الباخرزي، علي بن الحسن (ت 467هـ/1074م)، دمية القصر وعُصرة أهل العصر، تحقيق: محمد التونجي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1414هـ/1993م، 3ج، ج1، ص289. سيشار إليه: الباخرزي، دمية القصر.

(80) وشابور الذي أشار إليه وإلى سُنّته هو: الملك الساساني شابور الثاني (310-379م)، الذي تنسب له الروايات الشعوبية بنوع من التمجيد قتله الذريع للعرب، والتمثيل بقتلاهم، ونزعه ((أكتاف رؤسائهم))، حتى لقب ((شابور ذي الأكتاف)). انظر هذه الروايات والأخبار عند: ابن الأثير، الكامل، ج1، ص229.

(81) انظر الطروحات الفارسيّة المتطرفة ضد العرب خلال الحقبة مدار البحث، عند: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص57 وما بعدها.

(82) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص57. وقال: ((حضرته [=الحسين بن أحمد بن سعدان العارض، وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة] ليلة أخرى، فأول ما فاتح به المجلس أن قال: أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟ قلت [=التوحيدي]: الأمم عند العلماء أربع: الروم والعرب وفارس والهند، وثلاث من هؤلاء عجم، وصعب أن يقال: العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع مالها وتفاريق ما عندها، قال [الوزير]: إنما أُريد بهذا الفرس))!!

(83) نسب إليه ﷺ القول: ((وقد ذكرت الموالي والأعاجم عنده: لأنا بهم أوثق مني بكم [=العرب] أو ببعضكم)). الهمذاني، الحسين بن إبراهيم (ت543هـ/1148م)، الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، تحقيق: محمد حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2001م، ص330. سيشار إليه: الهمذاني، الأباطيل والمناكير.

(84) التوحيدي، علي بن محمد (ت414هـ/1023م)، أخلاق الوزيرين، تحقيق: محمد الطنجي، بيروت: دار صادر، 1412هـ/1992م، ص144. سيشار إليه: التوحيدي، أخلاق الوزيرين؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص157.

(85) عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي، ص110. والاقتباس من كتاب البيروني ((الصيدنة)). ومن الجدير بالذكر أن الدولة السامانية طرحت نفسها دولة فارسيّة، ذات أصول ملكية ساسانية، وطبقت ((مبدأ النهضة الفارسيّة)) في أقاليمها، وجعلت ((اللغة الفارسيّة هي الرسمية في عهد معظم أمرائها)). عبدالعزيز الدوري، دراسات (الإمارات الفارسيّة)، ص124-125. غير أن سقوطها على يد الغزنويين الأتراك، جعل الدولة البويهية الوحيدة صاحبة الادعاء بالأصل الفارسي، والساعية إلى إحياء الفارسية.

(86) وهو اسم كتاب حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت 365هـ/970م). انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1260. ويتبين قصر صفة الأعجمية على اللغة الفارسية، في الحقبة مدار البحث من قول التوحيدي: ((قد سمعنا لغات كثيرة وإن لم نستوعبها من جميع الأمم، كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج)). الإمتاع والمؤانسة، ص150. ووصف الباخرزي عميد الملك الكندري وزير طغرل بك السلجوقي فقال: كان ذا ((تفنن في لغات: الترك، والعجم، والعرب)). دمية القصر، ج2، ص803.

(87) اسم رسالة لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت 395هـ/1004م)، ضمن: التحفة البهية والطرفة الشهية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1401هـ/1981م، ص213 وما بعدها. سيشار إليه: العسكري، التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم.

(88) نسب للرسول ﷺ القول: ((إن الله عز وجل إذا غضب أنزل الوحي بالعربية، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسيّة))، أو بصيغة ((إذا أوحى الله أمراً فيه لين أوحاه بالفارسيّة الدريّة، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية)). ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)،الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تحقيق: نور الدين جيلار، الرياض: أضواء السلف، ط1، 1418هـ/1997م، 4ج، ج1، ص157-158. سيشار إليه: ابن الجوزي، الموضوعات. والفارسيّة الدريّة هي لغة الفرس أهل المدن، حسبما يذهب إليه: الخوارزمي، محمد بن أحمد الكاتب (ت387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص72. سيشار إليه: الخوارزمي، مفاتيح العلوم. وانظر أنواع اللغة الفارسيّة عنده: ص71-72.

(89) نُسب للصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص القول: ((إذا قرأ الرجل القرآن بالفارسيّة، أو أخطأ أو تخطرف، كتبه الملك على الصواب ثم رفعه)). الخطيب البغدادي،

أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 14ج، ج11، ص165. سيشار إليه: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

(90) حول السياسة المذهبية للدولة البويهيّة، انظر: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة، ص 161 وما بعدها.

(91) بديع الزمان الهمذاني، أحمد بن الحسين (ت 398هـ/1007م)، كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، اعتناء: إبراهيم الأحدب، بيروت: دار التراث، د.ت، ص279-283. سيشار إليه: بديع الزمان الرسائل.

(92) الداعي إدريس، عماد الدين إدريس بن الحسن (ت872هـ/1488م)، عيون الأخبار: القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م، ص656-657. سيشار إليه: الداعي إدريس، عيون الأخبار(المغرب).

(93) المقدسي، محمد بن أحمد (ت 381هـ/991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار سويدان، ط1، 2003، ص72. سيشار إليه: المقدسي، أحسن التقاسيم. وكانت المغرب تضم: الأندلس والمغرب العربي الحالي. المصدر نفسه، ص208.أي أن الأقاليم العربية تشمل الوطن العربي بحدوده الحالية، مما يؤكد اكتمال تعريب هذه الأقاليم منذ القرن 4هـ/10م على أبعد تقدير.

(94) روى الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070م) عن الرسول ﷺ القول: ((من سب العرب فأولئك هم المشركون)). تاريخ بغداد، ج10، ص293. وقوله ﷺ لسلمان الفارسي [لاحظ النسبة]: ((يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك، قال [سلمان]: قلت: وكيف أبغضك وقد هدانا الله بك، قال ﷺ: تبغض العرب فتبغضني)). المصدر نفسه، ج9، ص249.

(95) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص57 وما بعدها.

(96) المرزوقي، أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)، الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996م، ص11. سيشار إليه: المرزوقي، الأزمنة والأمكنة. والكتاب رد كبير على الفرس وتجريدهم العرب من كل مأثرة علمية.

(97) بديع الزمان الهمذاني، الرسائل، ص279.

(98) انظر مباحث كل من: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص57 وما بعدها؛ ص149 وما بعدها؛ المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص11 وما بعدها.

(99) نسب للرسول ﷺ القول: ((أبغض الكلام إلى الله تعالى الفارسيّة، وكلام الشياطين الخوزية)). الهمذاني، الأباطيل والمناكير، ص327؛ ابن الجوزي، الموضوعات، ج1، ص159. والخوزية: لغة فارسيّة كان يتحدث بها أهل خوزستان [=الأهواز/عربستان]. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص72. وروى السهمي (ت427هـ/1036م) أن ((عمر [بن الخطاب كان] في الطواف، فسمع رجلين يتكلمان بالفارسية، فقال لهما: انتقلا إلى العربية. وقال: من تعلم [=تكلم] بالفارسية خبّ، ومن خبّ ذهبت مروءته)). السهمي، حمزة بن يوسف (ت 427هـ/1036م)، تاريخ جرجان، بيروت: عالم الكتب، 1407هـ/1987م، ص426. سيشار إليه: السهمي، تاريخ جرجان.

(100) أحمد بن فارس (ت 395هـ/1004م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن، بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م، ص33. سيشار إليه: ابن فارس، الصاحبي.

(101) الباقلاني، محمد بن الطيب (ت403هـ/1012م)، الانتصار للقرآن، تحقيق: عمر حسن القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1425هـ/2004م، 2ج، ص20-21. سيشار إليه: الباقلاني، الانتصار للقرآن.

(102) الصاحبي، ص19 وما بعدها.

(103) البصائر والذخائر، ج2، ص67. وانظر أيضاً: الإمتاع والمؤانسة، ص61، حيث يقول: ((وقد سمعنا لغات كثيرة وإن لم نستوعبها من جميع الأمم، كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية)). ويضيف قائلاً: ((ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجولانها كل مجال وتميّزها باللسان فقد كابر)). المصدر نفسه، ص150.

(104) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج8، ص35. وانظر أيضاً: البلاذري، أنساب، ج4، ص195.

(105) عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي، ص110.

(106) محمد بن الحسين (ت 360هـ/970م)، الشريعة، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي،ط1، 1417هـ/1996م، ص27-28. سيشار إليه: الآجري، الشريعة.

(107) الرسائل، ص280.

(108) تكون المجتمع الفارسي الساساني من أربع طبقات اجتماعية مغلقة تربع كسرى وأسرته على رأسها، وهذه الطبقات هي: الطبقة الأولى: طبقة رجال الدين. الثانية: طبقة رجال

الحرب. الثالثة: طبقة الكُتّاب. الرابعة: طبقة الشعب الفلاحين والصناع. وحول النظام الطبقي الفارسي الساساني، انظر: أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، تعريب: يحيى الخشاب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص85. سيشار إليه: أرثر كريستنسن، إيران الساسانية. وانظر أيضاً: ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ص36 وما بعدها.

(109) العامري،الإعلام بمناقب الإسلام، ص160.

(110) المصدر السابق، ص174-175.

(111) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص63.

(112) العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص176-177.

(113) المصدر السابق، ص161.

(114) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي، ص110.

(115) الآجري، الشريعة، ص54.

(116) قال علي بن محمد [ت 303هـ/915م] يهجو ابن عمرويه الخراساني أمير بغداد للمعتضد بالله:

وأمير أعجمي كحمار بن حمارة
رحل الإسلام عنا بتوليه الإدارة

المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص274. وقال محمد بن داؤد يبكت أهل مصر الخاضعين لسلطة الطولونيين الأتراك:

ولولا جنايات الذنوب لما علت عليكم يد العلج السخيف المجهل

الكندي، محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن وأحمد فريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2003م، ص163. سيشار إليه: الكندي، الولاة والقضاة.

(117) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص409.

(118) المصدر السابق، ج2، ص447.

(119) المتنبي، أحمد بن الحسين (ت 354هـ/965م)، ديوان المتنبي، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1424هـ/2003م، ص33. سيشار إليه: المتنبي، الديوان.

(120) المصدر السابق، ص380.

(121) المصدر السابق، ص381، 384.

(122) المصدر السابق، ص78.

(123)المصدر السابق، ص333.

(124) المصدر السابق، ص320. وهي النظرة التي تتماثل مع نظرة أبي فراس الحمداني، الذي قال يمدح سيف الدولة:

وإنك للجبل المشمخر لي بل لقومك بل للعرب

الثعالبي، يتيمة الدهر، ج1، ص97.

(125) المتنبي،الديوان، ص289.

(126) المصدر السابق،ص134.

(127) المصدر السابق، ص85. الطَّغام: أراذل الناس. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت، 15ج، مادة (طغم). سيشار إليه: ابن منظور، لسان العرب.

(128) المتنبي، الديوان، ص139.

(129) المصدر السابق، ص404.

(130) المصدر السابق، ص84.

(131) انظر مثلاً: الديوان، ص19، 186، 206، 294، 337، 361.

(132) المصدر السابق، ص143.

(133)غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ (ت 480هـ/1087م)، الهفوات النادرة، تحقيق: صالح الأشتر، بيروت: دار الأوزاعي، ط2، 1407هـ/1987م، ص349-350. سيشار إليه: غرس النعمة، الهفوات النادرة.وانظر مصداق وصف البغداديين للعجم: ص222 وما بعدها، 244، 293 وما بعدها.

(134) المعري، أحمد بن عبدالله (ت 449هـ/1057م)، اللزوميات: لزوم ما لا يلزم، بيروت: دار صادر، د.ت، 2ج، ج2، ص514. سيشار إليه: المعري، اللزوميات.

(135) المصدر السابق، ج2، ص414.

(136) المصدر السابق، ج2، ص502.

(137) المصدر السابق، ج2، ص560.

(138) انظر عنه وعن حركته: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص409؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص56؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1348؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص192؛ السبكي، عبدالوهاب بن علي (ت 771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح حلو، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت، 10ج، ج5، ص248. سيشار إليه: السبكي، طبقات الشافعية.

(139) الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن موسى (ت 470هـ/1077م)، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عزالدين، 1403هـ/1983م، ص172. سيشار إليه: الشيرازي، مذكرات.

(140) ولعل هذا الشعور هو الذي دفعهم إلى ذم فساد زمانهم. انظر: المتنبي، الديوان، ص160، 229؛ بديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ/1007م)، المقامات، شرح الشيخ: محمد عبده، بيروت: الدار المتحدة، ط2، 1403هـ/1983م، ص5، 92-93، 144 (على لسان أبو الفتح الإسكندراني)، سيشار إليه: بديع الزمان الهمذاني، المقامات؛ المعري، اللزوميات، ج2، ص280، 283، 311، 365، 383؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص409.

(141) الهمذاني، التكملة، ص436.

(142) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص247.

(143) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص360.

(144) المصدر السابق، ص182.

(145) الجويني، عبدالملك بن عبدالله (ت 478هـ/1085م)، الغياثي، غياث الأمم في التيات الظُلَم، تحقيق: عبدالعظيم الديب، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ط2، 1401هـ، ص85، 222. سيشار إليه: الجويني، الغياثي.

(146) الجريري، المعافى بن زكريا (ت 390هـ/1000م)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: إحسان عباس ومحمد الخولي، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1987م، 4ج، ج2، ص384. سيشار إليه: الجريري، الجليس الصالح.

(147) انظر: ابن الموصلايا، العلاء بن الحسن (ت 497هـ/1104م)، رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا، دراسة وتحقيق: عصام عقلة، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1424هـ/2003م، ص82 وما بعدها من دراسة المحقق.

(148) غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ (ت 480هـ/1087م)، عيون التواريخ، تحقيق: سميحة أبو الفضل، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق: جامعة دمشق، 1987م، ص198.

المصادر والمراجع

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم. (ت668هـ/1269م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، بيروت: دار الثقافة، 1412هـ/1981م، 3ج.

ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله. (ت655هـ/1258م). **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الجيل، ط1، د.ت،20ج.

ابن الأثير، علي بن محمد. (ت630هـ/1232م). **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط6، 1406هـ/1986، 10ج.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (ت 597هـ/1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ/1992م، 18ج.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (ت 597هـ/1200م). **الموضوعات من الأحاديث المرفوعات**، تحقيق: نور الدين جيلار، الرياض: أضواء السلف، ط1، 1418هـ/1997م، 4ج.

ابن الطقطقا، محمد بن علي. (ت 709هـ/1309م). **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية**، بيروت: دار صادر، د.ت.

ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون. (ت 685هـ/1286م). **مختصر الدول**، تحقيق: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م.

ابن العديم، عمر بن أحمد. (660هـ/1261م). **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الفكر، 1408هـ، 10ج.

ابن الفوطي، عبدالرزاق بن أحمد الشيباني. (ت732هـ/1323م). **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج4، ، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق: وزارة الثقافة، 1962م، 4 أقسام.

ابن الموصلايا، العلاء بن الحسن. (ت 497هـ/1104م). **رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا**، دراسة وتحقيق: عصام عقلة، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1424هـ/2003م.

ابن النديم، محمد بن اسحق. (ت 380هـ/990م). **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1415هـ/1994م.

ابن جلجل، سليمان بن حسان. (ت بعد 994/384م). **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985.

ابن حزم، علي بن أحمد. (ت456هـ/1063م). **أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم**، تحقيق: إحسان عباس، ضمن: رسائل ابن حزم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 1981.

ابن حزم، علي بن أحمد. (ت456هـ/1063م). **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت، 5ج.

ابن حوقل، محمد بن علي. (ت367هـ/977م). **صورة الأرض**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (ت681 هـ/1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس،بيروت:دار الثقافة، د.ت، 8ج.

ابن طيفور، أحمد بن طاهر. (ت 280هـ/893م). **كتاب بغداد**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1415هـ/1994م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. (328هـ/939م). **العقد الفريد**، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية،ط1404،1هـ/1983م، 9ج.

ابن عنبة، محمد بن علي الحسني. (ت828هـ/1425م). **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، عمّان: وزارة الثقافة، ط1، 1995م.

ابن فارس، أحمد بن فارس. (ت 395هـ/1004م). **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: أحمد حسن، بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. (ت 276هـ/889م). **فضل العرب والتنبيه على علومها**، تحقيق: وليد خالص، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1998م.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير. (ت774هـ/1372م). **البداية والنهاية**، تحقيق: محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1416هـ/1996، 10ج.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (ت 711هـ/1311م). **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ت، 15ج.

أبو دلف، مسعر بن المهلهل الخزرجي. (ت نهاية ق4هـ/10م). **الرسالة الثانية**، تحقيق: بطرس بولناكوف وأنس خالدوف، القاهرة: عالم الكتب، د.ت.

أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراوري. (ت 488هـ/1095م). **ذيل كتاب تجارب الأمم**، تحقيق: أبو القاسم امامي، ضمن ج7 من كتاب تجارب الأمم، طهران: دار شروش، 1379هـ. ش/2001م.

الآبي، منصور بن الحسين. (ت421هـ/1030م). **نثر الدرر في المحاضرات**، تحقيق: خالد محفوظ، بيروت: دار الكتب العملية، ط1، 1424 هـ/2004م، 7ج.

الآجري، محمد بن الحسين. (ت360هـ/970م). **الشريعة**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي،ط1، 1417هـ/1996م.

الأشعري، علي بن إسماعيل. (ت324هـ/935م). **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: هلموت ريتر، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط3، د.ت.

الأصفهاني، حمزة بن الحسن. (ت365هـ/970م). **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.

الباخرزي، علي بن الحسن. (ت467هـ/1074م). **دمية القصر وعُصرة أهل العصر**، تحقيق: محمد التونجي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1414هـ/1993م، 3ج.

الباقلاني، محمد بن الطيب. (ت403هـ/1012م). **الانتصار للقرآن**، تحقيق: عمر حسن القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1425هـ/2004م، 2ج.

بديع الزمان الهمذاني، أحمد بن الحسين. (ت398هـ/1007م). **المقامات**، شرح الشيخ: محمد عبده، بيروت: الدار المتحدة، ط2، 1403هـ/1983م.

بديع الزمان الهمذاني، أحمد بن الحسين. (ت398هـ/1007م). **كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان**، اعتناء: إبراهيم الأحدب، بيروت: دار التراث، د.ت.

البغدادي، عبد القاهر بن محمد. (ت429هـ/1037م). **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد محيي الدين، صيدا: المكتبة العصرية، 1416هـ/1995م.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (ت 279هـ/892م). **أنساب الأشراف**، حققه: سهيل زكار ورياض زركلي، ونشراه تحت عنوان: كتاب جمل من أنساب الأشراف، بيروت: دار الفكر، 1417هـ/1996م، 13ج.

البيروني، محمد بن أحمد. (ت440هـ/1048م). **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، تحقيق: إدوارد سخاو، بيروت: دار صادر، د.ت.

التاجر، سليمان. (ت 237هـ/852م). **أخبار الصين والهند**، تحقيق: يوسف الشاروني، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1420هـ/2000م.

التنوخي، المحسن بن علي. (ت384هـ/994م). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت: دار صادر، 1391هـ/1971م، 8ج.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **أخلاق الوزيرين**، تحقيق: محمد الطنجي، بيروت: دار صادر، 1412هـ/1992م.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي،بيروت: دار صادر، ط1، 1408هـ/1988م،9ج.

الثعالبي، عبدالملك بن محمد. (ت 429هـ/1037م). **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.

الثعالبي، عبدالملك بن محمد. (ت 429هـ/1037م). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/2000م، 5ج.

الثعلبي، محمد بن الحارث (ت ق 3هـ/9م). **أخلاق الملوك**، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1424هـ/2003م.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (ت 255هـ/868م). **البيان والتبيين**، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت: دار صعب، ط1، 1968، 2ج.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (ت 255هـ/868م). **الحيوان**، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، د.ت، 8ج.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (ت 255هـ/868م). **ذم أخلاق الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ضمن: رسائل الجاحظ، بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ/1991م.

الجريري، المعافى بن زكريا. (ت 390هـ/1000م). **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، تحقيق: إحسان عباس ومحمد الخولي، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1987م، 4ج.

جميل، محمد. (1988م). **الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الاسلامي**، بغداد: منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي.

الجهشياري، محمد بن عبدوس. (ت 331هـ/942م). **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ط2، 1401هـ/1980م.

الجويني، عبدالملك بن عبدالله. (ت 478هـ/1085م). **الغياثي: غياث الأمم في التيات الظُلَم**، تحقيق: عبدالعظيم الديب، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ط2، 1401هـ.

الحديثي، نزار وسعيد. (1990م). **الشعوبية: نشأتها وتطورها**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (ت 463هـ/1070م). **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 14ج.

الخوارزمي، محمد بن أحمد الكاتب. (ت387هـ/997م). **مفاتيح العلوم**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين. (ت942هـ/1535م). **دستور الوزراء**، تعريب: حربي أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1980م.

خواندمير، محمد بن خاوندشاه. (ت 903هـ/1498م). **روضة الصفا**، تعريب: أحمد الشادلي القاهرة: الدار المصرية للكتاب، 1408هـ/1988.

الداعي إدريس، عماد الدين إدريس بن الحسن. (ت872هـ/1488م). **عيون الأخبار: القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م.

الدوري، عبدالعزيز. (1945). **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، بغداد: مطبعة السريان.

الدوري، عبدالعزيز. (1980م). **الجذور التاريخية للشعوبية**، بيروت: دار الطليعة، ط2.

الدوري، عبدالعزيز. (1984م). **التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،.

الدينوري، أحمد بن داود. (ت282هـ/895م). **الأخبار الطوال**، تحقيق: عمر الطباع، بيروت: دار القلم، ط1، 1415هـ/1995.

الدينوري، نصر بن يعقوب. (ت399هـ/911م). **القادري في التعبير**، تحقيق: فهمي سعد، بيروت:عالم الكتب،ط1417،1هـ/1997م، 2ج.

الذهبي، محمد بن أحمد. (ت 748هـ/1347م). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محمد عيادي، القاهرة: مكتبة الصفا، ط1، 1424هـ/2003م، 15ج.

السامرائي، عبدالله. (1980م). **الشعوبية:** حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بغداد: دار الرشيد.

السبكي، عبدالوهاب بن علي. (ت 771هـ/1369م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح حلو، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت، 10ج.

السعدي، أمل. (1410هـ/1989م). السياسة الشعوبية خلال حقبة التسلط البويهي، ضمن: وقائع **الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي**، بغداد، هيئة كتابة التاريخ.

السهمي، حمزة بن يوسف. (ت 427هـ/1036م). **تاريخ جرجان**، بيروت: عالم الكتب، 1407هـ/1987م.

السيد، رضوان. (1418هـ/1997م). **الجماعة والمجتمع والدولة**، بيروت: دار الكتاب العربي،.

السيرافي، الحسن بن يزيد. (ت 267هـ/880م). **أخبار الصين والهند**، تحقيق: يوسف الشاروني، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1420هـ/2000م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. (ت902هـ/1496م). **تاريخ الخلفاء**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988.

الشلبي، أحمد. (1410هـ/1989م). الشعوبية بوجه عام ودور البويهي في الدس الشعوبي، ضمن: وقائع **الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي**، بغداد، هيئة كتابة التاريخ.

الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن موسى. (ت 470هـ/1077م). **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عزالدين، 1403هـ/1983م.

الصابئ، إبراهم بن هلال. (ت 384هـ/994م). **المنتزع من كتاب التاجي**، تحقيق: محمد الزبيدي، بغداد:دار الحرية،1397هـ/1977م.

الصولي، محمد بن يحيى. (ت 335هـ/946م). **أخبار الراضي بالله والمتقي**، تحقيق: ج. هيورث، بيروت: دار المسيرة، 1399هـ/1979م.

الصولي، محمد بن يحيى. (ت 335هـ/946م). **أخبار الشعراء المحدثين**، تحقيق: ج. هيورث، بيروت: دار المسيرة، 1399هـ/1979م.

الطبري، محمد بن جرير. (ت310هـ/922م). **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، د. ت، 10ج.

طلفاح، مضر عدنان. (2006). **العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السياسي السني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، اربد: جامعة اليرموك.

العامري، محمد بن يوسف. (ت 381هـ/992م). **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق: أحمد غراب، الرياض: دار الأصالة، ط1، 1408هـ.

العسكري، الحسن بن عبدالله. (ت 395هـ/1004م). **التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم**، ضمن: التحفة البهية والطرفة الشهية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1401هـ/1981م.

عطوان، حسين. (د.ت). **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول** ، بيروت: دار الجيل.

العظيمي، محمد بن علي. (ت 556هـ/1161م). **تاريخ حلب**، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق: د.ن، 1984م.

عمر، فاروق. (1988م). **الفكر العربي في مجابهة الشعوبية: عصر الخلافة العربية الاسلامية**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ. (ت 480هـ/1087م). **الهفوات النادرة**، تحقيق: صالح الأشتر، بيروت: دار الأوزاعي، ط2، 1407هـ/1987م.

غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ. (ت 480هـ/1087م). **عيون التواريخ**، تحقيق: سميحة أبو الفضل، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق: جامعة دمشق، 1987م.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي. (ت544هـ/1149م). **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: أحمد بكير، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، 4ج.

قدورة، زاهية. (1972م). **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول**، بيروت: دار الكتاب اللبناني،.

كريستنسن، أرثر. (1998م). **إيران في عهد الساسانيين**، تعريب: يحيى الخشاب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الكندي، محمد بن يوسف. (ت 350هـ/961م). **الولاة والقضاة**، تحقيق: محمد حسن وأحمد فريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2003م.

المتنبي، أحمد بن الحسين. (ت 354هـ/965م). **ديوان المتنبي**، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1424هـ/2003م.

مجهول، (ق4هـ/10م). **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ج4، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1973، 2 قسم.

المرزوقي، أحمد بن محمد. (ت 421هـ/1030م). **الأزمنة والأمكنة**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996م.

المسعودي، علي بن الحسين. (ت346هـ/957م). **التنبيه والإشراف**، تحقيق: عبدالله الصاوي، القاهرة: دار الصاوي، د.ت.

المسعودي، علي بن الحسين. (ت346هـ/957م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت: دار القلم، 1408هـ/1989م، 4ج.

مسكويه، أحمد بن محمد. (ت421هـ/1030م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم امامي، طهران: دار سروش، 2001م، 6ج.

المعري، أحمد بن عبدالله. (ت 449هـ/1057م). **اللزوميات: لزوم ما لا يلزم**، بيروت: دار صادر، د.ت، 2ج.

المقدسي، المطهر بن طاهر. (ت 364هـ/975م). البدء والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج.

المقدسي، محمد بن أحمد. (ت 381هـ/991م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار سويدان،ط1، 2003.

الملاح، هاشم. (1410هـ/1989). الهوية القومية والثقافية للأمة العربية والدس الشعوبي، ضمن: وقائع **الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي**، بغداد: هيئة كتابة التاريخ.

منيمنة، حسن. (1407هـ/1987م). **تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي: مقاطعة فارس**، بيروت: الدار الجامعية،.

نظام الملك، الحسين بن علي الطوسي. (ت485هـ/1092م). **سياست نامه**، تعريب: يوسف بكار، الدوحة: دار الثقافة، ط2، 1407هـ/1987م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (ت 733هـ/1332م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة، 1404هـ/1984م، 30ج.

الهمذاني، الحسين بن إبراهيم. (ت543هـ/1148م). **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**، تحقيق: محمد حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2001م.

الهمذاني، محمد بن عبدالملك. (ت 521هـ/1127م). **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ضمن: ذيول تاريخ الطبري، بيروت: دار سويدان، د.ت.

الوزير المغربي، الحسين بن علي. (ت 418هـ/1027م). **كتاب السياسة**، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، ضمن: مجموع في السياسة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1402هـ/1982م.

وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، بغداد: هيئة كتابة التاريخ، 1410هـ/1989م، 3ج.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله. (ت626هـ/1228م). **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م، 7ج.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله. (ت626هـ/1228م). **معجم البلدان**، بيروت: دار الفكر، د.ت، 5ج.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (ت 292هـ/905م). **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار صادر، د.ت، 2ج، ج2.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (ت 292هـ/905م). **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق: وليم ملورد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1980.

Cahen, Cl. (1965). Buwayhids, in: *The Encyclopaedia Of Islam*, New Edition, Leiden: Brill, Vol: I .

Minorsky, V. (1965). Daylam, in: *The Encyclopaedia Of Islam*, New Edition, Leiden: Brill, Vol: II.

تلقي الشعر عند حازم القرطاجني

عايش الحسن*

ملخص

خَلُصت هذه الدراسة إلى أن تلقي الشعر عند حازم القرطاجني ذو أبعاد ثلاثة: البعد السيكولوجي، والبعد المعرفي، والبعد الأخلاقي.

أمّا البعد الأول فقد ظهر للباحث أن العملية الشعرية تنبع من القوة المتخيلة لدى الشاعر، ثم تتجه إلى مخيلة المتلقي، فتحدث تجاوباً بين صور الشاعر وما اختزنه المتلقي في ذاكرته من صور، ثم تتحرك قواه النزوعيه، فتدفعه إلى سلوك ما، بسطاً كان أو قبضاً وهو تحرك وهمي غير عقلي.

أمّا البعد الثاني فقد بان للباحث أن الشعر يقدم معرفة خيالية تنماز عن المعرفة التي تقدمها الفلسفة أو العلم، فهي قادرة – عبر تخييلها – على تحريك المتلقي.

أمّا البعد الثالث فقد وضح للباحث أن الشعر يسعى إلى تحقيق مخطط أخلاقي لدى المتلقي. فيدفعه إلى التحسين، أو التقبيح من خلال ما يطوف بالمتلقي من أحوال. وقد عوّل الباحث في بحثه على ما قاله حازم، وما قاله الفلاسفة المسلمون، وانتهت الدراسة بخاتمة، مثلما انتهت - أيضاً – بمسرد بهوامش المادة، ومصادرها، ومراجعها.

تمهيد:

تؤكد الدراسات النقدية المعاصرة أن الشعر نشاط تخيلي ينبع من مخيلة الشاعر ثم يتجه إلى مخيلة المتلقي حاملاً رسالة تنقل فكرة من الأفكار عبر شيفرة لغوية خاصة بها، قابلة للتجدد، والتغير، والتحول، ليصبح النص (علاقات متشابكة من عناصر الاتصال اللغوي، يتحد فيها السياق مع الشيفرة لتكوين الرسالة، ويتلاقى الباعث مع المتلقي في تحريك الحياة)[1].

من هذه الزاوية تظهر أهمية المتلقي لدى الناقد المعاصر، ففي أواخر الستينات ومطلع السبعينات من القرن العشرين برزتْ نظرية (استجابة القارىء) بصورة واضحة[2]، ليصبح القارىء – عبرها – طرفاً في بناء القصيدة، لتشكل استجابته نتاجاً وخلقا جديداً للنص، فهو ليس متلقياً سلبياً للنص الأدبي، وإنما أصبح مشاركاً، ومنتجاً، ومعيداً لتشكيل هذا النص[3].

* جامعة الحسين بن طلال، معان، الأردن.

ويفرق الناقد الحديث بين الجمهور الذي يصغي إلىالنص، والقارىء الذي يقرأه، فالجمهور يتضامن عفوياً مع القصيدة من خلال فعل الخصائص الصوتية لهذا النص، معتمداً على المشافهة، أمّا القارىء فيعيش في القصيدة، يتوحد بها، ثم يصوغ تأثره هذا صياغة جديدة، يولد النص ولادة جديدة، يستمد كينونته الجديدة من فعل النص في المتلقي.

من هذه الزاوية يسمح النص بقراءات مختلفة اختلاف القراء، والقارىء – عبرها – يتجاوز المعنى الحرفي للنص إلى تفتيق دلالات جديدة، وفق (قدرة النص وثقافة القارىء)[4].

إن تمنع النص على القارىء يغريه على اختراق حدود هذا النص، متسلحاً بحيل دلالية، تمكنه من التعامل مع إشارات النص الخفي أو المضمرة. وإذا تجاوزنا هذه الصورة لدور المتلقي في العملية الشعريّة لدى الناقد المعاصر إلى صورة المتلقي في نقدنا الأدبي القديم، برزتْ صورة المتلقي عبر حديث البلاغيين العرب القدماء عن معنى كلمة "البلاغة" فهي (كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن)[5]، مثلما برزت صورة المتلقي – أيضاً – عبر حديث البلاغيين عن مسألة مراعاة المخاطب من حيث طبقته[6]، مثلما برزت صورة المتلقي – أيضاً – في حديث علماء التفسير عن مسألة التأويل القرآني، دفعاً للتناقض أو التضاد الذي زعمه الطاعنون في القرآن الكريم[7].

وحينما نصل إلى حازم القرطاجني نجد أنه قد تجاوز كل ما قاله البلاغيون العرب القدماء، فتناول مسألة المتلقي بصورة أكثر تطوراً، ونضجاً، بل استوعب هذه المسألة بصورة قريبة مما يقوله النقاد المعاصرون، لنستمع إلى حازم وهو يقول: إن [الأقاويل الشعرية أيضاً تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها...... وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له)[8]، ولا يخفى أن حازماً يتحدث عن عناصر العملية الشعرية، فما يرجع إلى القول نفسه هو الرسالة، وما يرجع إلى القائل هو المرسل، وما يرجع إلى القول المقول فيه هو السياق، وما يرجع إلى المقول له هو المرسل إليه[9].

والحق أن هذا الفهم المتميز الذي نجده عند حازم القرطاجني يمكن تفسيره في ضوء مصادره الثقافية المتعددة، والمتشعبة، فهو – حازم – يمثل حلقة الوصل بين المعارف النقلية، والمعارف الفلسفية[10]، فلقد أشار في كتابه (منهاج البلغاء) إلى قدامة بن جعفر[11]، وإلى ابن سنان الخفاجي[12]، والجاحظ[13]، والآمدي[14]، أمّا معارفه الفلسفية فنجدها في إشاراته إلى أفلاطون[15]، وأرسطو[16]، والفارابي[17]، وابن سينا[18]، لكنه لم يشر إطلاقاً إلى اسم ابن رشد[19] وقد صهر حازم هذه المعارف، وزاوج بينها، بقدرته الفذة، وعبقريته العجيبة ليصبح كتابه "المنهاج " شبيهاً بمقدمة ابن خلدون في جدتها وأصالتها.

البعد السيكولوجي للتلقي

يرتبط تلقي الشعر عند حازم القرطاجني بتصوره لعملية التشكيل الشعرية، فهي عملية تنبع من القوة الخيالية عند الشاعر، إذ تقوم هذه القوة بتحصيل المعاني الذهنية من الأشياء الماثلة في الواقع، وتكون هذه المعاني مطابقة لصورتها في الواقع. على أن هذه المعاني تخرج من إطار القوة إلى الفعل بوساطة أداة، وهي اللفظ، الذي ينقل هذه الصورة إلى المتلقي، يقول حازم: [إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أُدْرِك حصلتْ له صورة في الذهن تطابق لما أُدْرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ].[20]

ولا يخفى أن هذا الفهم مستمد في جملته مما قاله الفلاسفة المسلمون، فلقد أشار ابن سينا - وهو ممن عوّل عليهم حازم - إلى أن القوة المتخيلة هي إحدى قوى الإدراك الباطن، ومقرها التجويف الأوسط من الدماغ، "ووظيفتها أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض، وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار"[21]، فهي قوة تملك القدرة على التصرف في الصور الحاصلة في الأذهان، ولا تقف هذه القوة عند حدود النقل المباشر، بلْ لها قدرة فكرية في خلق تركيبات جديدة لا تناقض الواقع، ومن هنا سميت هذه القوة [بالمفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية، ومتخيلة بالقياس إلى النفس الحيوانية][22].

لقد تقبل حازم هذا الفهم الذي قال به ابن سينا، ورأى أن هذه القوة تناظر القدرة الخيالية عند المتلقي، إذ تقوم هذه القوة بنقل صورها إلى مخيلة المتلقي، فتستثير الصور المخزونة في مخيلته، ثم يتم الربط – على مستوى اللاوعي – بين هذه الصور المختزنة، وبين الصور التي نقلها الشاعر [فتحدث الإثارة المقصودة، ويلج المتلقي عالم الإيهام المرجو، فيستجيب لغاية مقصودة سلفاً][23].

وما دام الشاعر يسعى إلى استثارة المتلقي، فإن المتلقي يتجاوب مع هذه الإثارة، إذ تقوم القوة النزوعية فيه باستثارة انفعالات في نفسه، فتنبسط نفسه عن أمور، ينفعل لها [انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان القول مصدقاً به، أو غير مصدق به][24].

وفي هذا الإطار يمكن القول إن تأثير هذه المخيلة في المتلقي تأثير غير عقلي، وهو تأثير وهمي يتم على مستوى اللاوعي.

وعلى هذا الأساس فإن المتلقي يتبع تخيلاته أكثر ما يتبع عقله أو علمه، وتساهم هذه التخيلات في تحديد سلوكه بسطاً أو قبضاً.

لقد فهم حازم العملية الشعرية بأنها عملية تصدر من مخيلة الشاعر وتتجه إلى مخيلة المتلقي، ولقد أفاد حازم في هذا الفهم مما قاله الفلاسفة قبله، فالقوة الوهمية عند ابن سينا هي القوة المسيطرة على كل قوى الإدراك الباطن، وسلطانها [ينبث في جميع الدماغ][25]، بل إن آلة الوهم الدماغ كله، وعلى هذا الأساس [فهي بعينها المفكرة، والمخيلة، والمذكرة] [26].

والفارق بين قوة الوهم والقوة المتخيلة أن الأولى تدرك الأمور غير المحسوسة، وتنال المعاني الجزئية، وأمّا الثانية [المتخيلة] فينحصر عملها في استعادة صور المحسوسات المختزنة في الخيال أو المصورة، إلاّ أن وظيفتها ليس مجرد الاستعادة فقط، بل لديها القدرة على إعادة تشكيل المدركات تشكيلاً جديداً فيمكنها [أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض، وتفصل بعضه عن بعض بحسب الإدارة][27]، ويعني هذا الفهم أن عمل المتخيلة لا يتجاوز نطاق المحسوسات، وأمّا الوهم فيتناول المعاني الجزئية [مثل القوة التي في الشاة إذا تشبحت صورة الذئب في حاسة الشاة تشبحت عداوته ورداءته فيها][28]. ولقد ذهب الفلاسفة إلى القول بأن القوة الوهمية هي المحرك الأول للمتلقي،وهي مصدر جميع الاعتقادات التي لا يجزم العقل بصحتها، وإنما يسلم بها، على سبيل التوهم والتخيل.

هذه التخيلات تدفع المتلقي إلى أن ينفعل بالأغراض الشعرية التي لها علقة بأغراض النفوس [كالاستغراب، والاعتبار، والرضى، والغضب، والنزاع، والنزوع، والخوف، والرجاء][29]، وهي أمور يمكن إدراجها عند حازم في موضوعات المدح، أو النسيب، أو الرثاء.

ويحذو حازم في هذا الفهم حذو الفلاسفة المسلمين قبله، فلقد أشار ابن سينا إلى أن هذه الأمور خاصة بالقوة الوهمية، فالرجاء – مثلاً – ليس سوى تخيل وهمي لشيء ما كائن أو سيكون، والأماني فعل تخيلي أيضاً يحدث لذة في النفس، وهو فعل توهمي بشيء كان أو يكون أيضاً [والخوف مقابل الرجاء، واليأس عدمه، وهذه الأحكام التي تصاحب تخيل الأمور المرجوة، والمتمناة، والمخيفة، والميؤوس منها، إنما هي أحكام غير عقلية، وغير مقطوع بصحتها، وهي أحكام للوهم][30].

وعلى هذا الأساس فإن القوة الوهمية – من خلال عمل المتخيلة – قادرة على تحريك المتلقي سلباً أو إيجاباً، فيمكن لها أن تحدث نفوراً من العسل – على حلاوته – لمشابهته المرار [فإن الوهم يحكم بأنه في حكم ذلك، وتتبع النفس في ذلك الوهم، وإن كان العقل يكذبه، والحيوانات وأشباهها من الناس إنما يتبعون في أفعالهم هذا الحكم من الوهم][31].

وبناءً على هذه النظرة الفلسفية فإن الشعر عند حازم يمكن أن يحسن الشيء عند المتلقي أو يقبحه، ويحدث التقبيح بتضخيم الجوانب الحسنة في الشيء، مثلما يحدث التقبيح بتضخيم الجوانب السلبية في الشيء، مثلما يمكن للشيء أن يبعث المتلقي إلى استحسان الأشياء القبيحة،

أو يدفعه إلى استقباح الأِشياء الحسنة، فقد يريد الشاعر – فيما يقوله حازم – [تحسين حسن، أو تقبيح قبيح، فإنه متمكن من القول الصادق، والمشهور فيها، وأكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين - إذا لم يقصدوا المبالغة في ما يحاكونه ويصفونه- صادقة. اللهم إلا أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن، أو تقبيح قبيح، فيتجاوزون حدود أوصافة الحقيقية، ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً، أو أحقر، ليزيدوا النفوس استمالة إليه، أو تنفيراً عنه](32).

ومعنى هذا النص أن الشعر يحدث إيهاما لدى المتلقي وهو إيهام غير عقلي، ولكن لا يُنْظر إليه من زاوية صدقه أو كذبه، بلْ من زاوية التأثير الذي يحدثه في سلوك المتلقي، فتذعن له نفس المتلقي سلباً أو إيجاباً، بعيداً عن مقتضيات الصدق والكذب.

لا يهدف الشاعر – إذن – إلى نقل خبر صادق أو كاذب إلى المتلقي، فالشعر يختلف عن البرهان الفلسفي، أو الجدل، أو الخطابة، ويختص بالمقدمات المموهة الكاذبة [فيكون شعراً – أيضاً – ما هذه صفته باعتبار ما فيه من المحاكاة والتخييل](33)، فالتخييل هو المعتبر في صناعة الشعر.

على أن هذا الوهم التخييلي الذي يحدثه الشعر في القوة الوهمية لدى المتلقي لا يتحقق إلاّ من خلال وسيط لغوي خاص بالشعر، فالشعر له خصائص مجازية من شأنها أن تحدث تأثيراً طيباً لدى المتلقي، فاللغة الشعرية – بطبيعتها – لغة مجازيه، لا تنقل الواقع المُدْرَك نقلاً حرفياً ولكنْ تنقله نقلاً مجازياً، من خلال علاقات واقترانات خاصة به.

ومن هذه الزاوية فإن المتلقي تندفع قواه الوهمية، والخيالية، إلى اقتناص التشبيهات الغريبة التي تحدث تخيلات غريبة، وجديدة في نفسه، فتحدث استغرابات في النفس بما [خُيّل لها مما لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم يكن أبصره قبل، ووقوع ما لم يعهده من نفسه موقعاً ليس أكثر من المعتاد المعهود](34).

وتلعب التشبيهات المخترعة – أيضاً – دورها في تحريك المتلقي، وذلك أن هذه التشبيهات تحدث مفاجأة في نفس المتلقي، فتقف على ما ليس متوقعاً، وتملأ الدهشة نفس المتلقي [فتزعجها إلى الانفعال بديها بالميل إلى الشيء، والانقياد إليه، أو النفرة عنه، والاستعصاء عليه](35). من هذا نرى أن الشعر يسعى إلى إثارة القوة الوهمية، والخيالية لدى المتلقي. وإذا كانت القوة الوهمية – عند حازم والفلاسفة الذين عوّل عليهم – هي المحرك الأكبر لسلوك المتلقي فإن هذه القوة تفارق مقاصد العقل والمنطق.

البعد المعرفي للتلقي

قدمنا القول في حديثنا السابق إن الشعر عمل تخيلي ينبع من مخيلة الشاعر ويتجه إلى مخيلة المتلقي، لكن هذه المخيلة تخضع – أيضاً – لعمل القوة الوهمية التي هي الحاكم الأكبر في الحيوان والإنسان، ولهذا فإن تأثير الشعر في المتلقي تأثير وهمي يدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف سلوكي سلباً أو إيجاباً، ولهذا لا يمكن وصف الشعر بأنه عمل عقلاني، بل هو عمل تخيلي في مصدره وغايته. وهو يفارق الفلسفة التي تعتمد البرهان العقلي، مثلما يفارق العلم باعتماده النظريات والأسس والمبادىء، وكذلك فإن الفلسفة والعلم عملان عقليان يتجهان إلى التجريد، أمّا الشعر فيتجه إلى الحسيّه. وإذا كانت الفلسفة والعلم تتجهان إلى التعميم، والرؤية الشمولية للأشياء، فإن الشعر يمكن أن ينطوي على مثل هذا التعميم. قد ينفذ الشاعر من الخاص إلى العام، فتتجاوز رؤيته حدود الأشياء، ويصبح الجزء عنده كلياً، والخاص عاماً، يصف ما يقع، ويصف ما لا يقع.

ولهذا فهو أكثر شمولية من الفلسفة والعلم. لكن المعرفة التي يقدمها الشاعر إلى المتلقي معرفة خاصة، وهي معرفة شعرية، تنطوي على إدراك ذاتي للمبدع، تفترق عن المعرفة التي تؤديها الفلسفة أو العلم. قد تتشابه الفلسفة مع الشعر في الظاهر، ولكنها تباينه، تقوم الفلسفة على مقدمة تجريدية صادقة، بمثابة معقولات صرفة، لكن مقدمات الشعر يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وليس العبرة في ذلك، لكن العبرة في تخييلها، وبالجملة فإن الأقاويل الشعرية [تؤلف من المقدمات من حيث لها هيئة، وتأليف تقبلها النفس بما فيها من المحاكاة، بل ومن الصدق، فلا مانع من ذلك][36]. ويستشهد حازم على قوله هذا بما قاله ابن سينا بأنْ لا نلتفت إلى [ما يقال من أن البرهانية واجبة، والجدلية ممكنة أكثرية، والخطية ممكنة متساوية، لا ميل فيها، ولا ندرة، والشعرية كاذبة ممتنعة، فليس الاعتبار بذلك، ولا أشار إليه صاحب المنطق][37].

صحيح أن الشعر عند الفلاسفة نوع من أنواع القياس، لكن الأقيسه في الأقوال الشعرية لا ترد إلاّ [محذوفة إحدى المقدمين، أو النتيجة في الحمليات][38].

وبناءً على هذا الفهم فإن القياس الشعري يباين القياسات الأخرى، فإذا كانت القياسات الأخرى تسعى إلى تصحيح رأي، أو إبراز حقيقة ما، فإن الشعر له طريقته الخاصة في الوصول إلى هذه الحقيقة.

فلا يسعى الشاعر إلى نقل حقيقة مجردة إلى المتلقي كما تسعى الفلسفة بل ينقل حقيقته بطرائقه الخاصة، ومن هنا نفهم حملة بعض الفلاسفة على الشعر، وجعلهم إياه أدنى أنواع الأقيسة وأهونها [لأنه يتركب من أقوال تخيل في الشيء، أنه على صورة، وليس هو عليها حقيقة][39].

ومن الطبيعي أن ينماز الشاعر عن الفيلسوف في المادة التي يتعامل بها، وفي التشكيل الذي تتجلى فيه هذه المادة، مادة الشاعر هي المعاني الجمهورية التي تستحث المتلقي، وأعرق المعاني في الصناعة الشعرية [ما اشتدت علقته بأغراض الإنسان، وكانت دواعي آرائه متوفرة عليه، وكانت نفوس الخاصة والعامة قد اشتركت في الفطرة على الميل إليها، أو النفور عنها][40]، فهذه هي المتصورات الأصيلة في الشعر، وبها يخاطب المتلقي، ومن هنا لا يخلو إدراكها من آثار انفعالية واضحة.

أمّا متصورات العلم والفلسفة فهي متصورات مجردة، تباين المتصورات الحسيّة والذاتية التي نجدها في الشعر. ويعاب على الشاعر إدخالها في إطار الشعر، لأنها عاجزة عن إثارة المتلقي، يستخدم الشاعر الحسي في نقل متصوراته إلى المتلقي، فيذعن لها، وتدفعه إلى سلوك ما. أمّا المتصورات الفلسفية، فهي متصورات تجريدية، لا تتخذ لبوساً حسياً، وبذلك فهي عاجزة عن التأثير في المتلقي.

وبناءً على هذا الفهم يعاب على الشاعر إدخال المصطلحات العلمية أو الفلسفية في الشعر، لأن هذه المصطلحات مفارقة للجوانب الذاتية عند الشاعر، وتتخذ صورة محايدة بعيدة عن إثارة انفعال لدى الشاعر أو المتلقي على السواء، وعلى هذا الأساس فإن أعرق المعاني تلك التي تتعلق بإدراك الحس، وهي التي ينبغي أن [تدور عليها مقاصد الشعر، وتكون مذكورة فيه لأنفسها، والمعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار][41].

والواجب على الشاعر عند حازم أن يقتصر [بالأشياء على ما هي خاصة به، وألاّ يخلط منها فن بفن، بل يستعمل في كل صيغة ما يخصها، ويليق بها، ولا يشاب بها ما ليس منها][42]. ليس هدف الشاعر عند حازم أن ينقل معرفة علمية أو فلسفية لدى المتلقي، ولا يسعى إلى إظهار براعته في هذا الجانب، غاية الشعر تحريك النفوس [فأولى بمن هذه صفته أن يجعل موضوع صنعته ما يتضح فيه حسن صنعته، ويكون له تأثير في النفوس وتحريك لها، وحسن موقع منها][43]، وإذا سعى الشاعر إلى إظهار اقتداره على الجمع بين المعاني العلمية والشعرية، فإنه يكد خاطره، ويستهلك صنعته، ويصرف نفسه إلى أمور هو في غنى عنها.

إنّ الأقاويل الشعرية – فيما يقوله حازم – لا تهدف إلى تعريف أو تصديق، بل تهدف إلى إيقاع التخيل لدى المتلقي بنقل صور الأشياء إلى ذهن المتلقي في صورة محسوسة ولكنها حسنة المحاكاة، ولهذا فإن أردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب، خالياً من الغرابة، فالشعر ليس بوزنه وقافيته، ولكن بقدرته على تحريك المتلقي، وإثارة انفعالاته، فقبح المحاكاة [يغطي على كثير من حسن المحاكى، أو قبحه، ويشغل عن تخيل ذلك، فتجمد النفس عن التأثر له][44].

أمّا الأقاويل العلمية فتنقل حقائقها إلى المتلقي على جهة التضمن واللزوم، ولكنها غير قادرة على إثارة انفعالاته [وليس ما يكون نصاً على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقاً له، مثل ما لا يفهم الشيء منه إلاّ بطريق ضمن أو لزوم][45].

ومن الواضح أن الأقاويل الشعرية تركز على أعراض الشيء ولواحقه، وتسعى –عبرها– إلى تقديم الأشياء تقديماً حسيّاً، ومن هنا فإن اللغة التي تستخدمها الأقاويل الشعرية ذات طابع حسيّ، وليست ذات طابع تجريدي، كما هو الحال في الأقاويل العلمية. اللغة في الأقاويل الشعرية لاتسعى إلى نقل الأشياء إلى المتلقي نقلاً حرفياً، بلْ تنقلها نقلاً مجازياً قادراً على استثارة المتلقي، ودفعه إلى حركة سلوكية معينة. ولا تصبح الكلمة في الأقاويل الشعرية مجرد رموز دالة على معانٍ مجردة كما هو الحال في الأقاويل العلمية، بل تصبح الكلمة في هذه الأقاويل معقدة الدلالات، ثرة الإشارات، تحمل في طياتها نوازع الشاعر، وانفعالاته، ثم تتجاوز ذلك إلى التأثير في مشاعر المتلقي، والكلمة في الأقاويل الشعرية لا تخاطب عقل المتلقي، لكنها تخاطب جانب النزوع فيه.

وإذا انحصر دور الشاعر – فيما يقوله حازم – بتحقيق الإفهام لدى المتلقي، فإن هذا الأمر لا يحقق صفة الشعرية في الشعر [فليس يجب أن يعتقد في ذلك الإفهام أنه تخييل شعري أصلاً][46].

إن المتلقي - في ظل هذا الفهم – لا يسعى إلى استخلاص حكم عقلي من الشعر[28]، أو استنباط تصور منطقي منه، إنما هو معنيُّ بالشعر ذاته، وبقدرته على إثارة مشاعره، واستفزازه إلى سلوك ما، إقبالاً إليه، أو نفوراً عنه.

فالشعر –إذن– تنشأ عبره علاقات جديدة متبادلة، يتولد منها إثارات من التعجيب، والاستغراب، والاستطراف.

والقول الشعري – في إطار هذا الفهم– ليس نسخاً للواقع، أو تصويراً حرفياً له، بل هو حركة جديدة للواقع، أو صورة موازية له، تجعل المتلقي يعيش عالماً جديداً، مبتكراً. وواضح أن هذا الفهم لا يختلف كثيراً عمّا قاله الفارابي، فالشاعر –عند الفارابي– قد يحاكي الأشياء الموجودة في الواقع محاكاة مباشرة، أو يحاكي الواقع بطريق غير مباشره. والمحاكاة المباشرة تضعنا في قلب الواقع المحاكى، أمّا المحاكاة غير المباشرة فتصور لنا من خلال علاقات جديدة، ولهذا يقول الفارابي [فيكون القول المحاكى ضربين: ضرب يخيل الشيء نفسه، وضرب يخيل وجود الشيء في شيء آخر][47] وما يقوله الفارابي – في هذا الصدد – يؤكد الجانب المعرفي في الشعر، فالشعر يمكن أن يقدم معرفة إلى المتلقي، لكنها معرفة غير مباشرة بل هي معرفة متخيلة. يمكن لها أن تترك تأثيرها في سلوك المتلقي، وهو فهم يخالف ما ذهب إليه أفلاطون من أن الشعر

لا يمكن له أن يقدم معرفة كاملة، لأنه يبعد عن الحقيقة برتب كثيرة، وينقل حازم هذه الفكرة عن الفارابي فيقول [تنقسم المحاكاة من جهة تخيل الشيء بواسطة أو بغير واسطة قسمين: قسم يخيل لك فيه الشيء نفسه بأوصافه التي تحاكيه، وقسم يخيل لك الشيء، في غيره](48)، ويفسر حازم المحاكاة الأولى بأنها محاكاة من غير واسطة، وأمَا المحاكاة الثانية فهي التي تكون بواسطة.

وتتحدد أهمية المحاكاة في قدرتها على تصوير الحقيقة للمتلقي، ولما كانت هذه المحاكاة مباشرة، أو غير مباشرة، فعليها أن تتوخى الحقيقة حين تصورها، صحيح أن الشاعر يستخدم التخييل في نقل هذه الحقيقة إلى المتلقي، ولكن عليه ألاّ يتباعد عن أصولها. فلا بُدّ أن يقترن الإيهام الشعري بعدم الاستحالة، لأن الاستحالة مناقضة للحقيقة، ولا تترك تأثيرها في المتلقي. ومن هذه الزاوية نفهم حملة حازم على الكذب الإفراطي، فهو [معيب في صنعة الشعر إذا خرج من حدّ الإمكان إلى حدّ الامتناع والاستحالة](49).

والكذب الإفراطي –عند حازم– هو ضرب من الاختلاق الامتناعي، وهو لم يقع للعرب، على أن شعراء اليونان –فيما يقوله حازم– قد عرفوا هذا النوع من الكذب، وبنوا تخاييلهم الشعرية عليه، عندما جعلوا [تلك الأشياء التي لم تقع في الوجود كالأمثلة لما وقع فيه، ويبنون على ذلك قصصاً مخترعاً نحو ما تحدث به العجائز الصبيان في أسمارهم من الأمور التي يمتنع وقوع مثلها](50)، ويورد رأي ابن سينا في مثل هذه الأمور المختلقة، ويرى أنها كانت تستعمل في طراغودياتهم [ولا يجب أن يحتاج في التخيل الشعري إلى هذه الخرافات البسيطة التي هي قصص مخترعة](51).

ولا يهمنا في هذا المجال صحة فهم حازم لهذه المسألة، فهو فهم خاطىء للخرافة في التراجيديا اليونانية، ولكن ما يهمنا تأثيرها في نقدنا العربي، فإذا سلمنا بما يقوله حازم في هذا المسألة وجب على الشاعر ألاّ يغادر حقيقة الأشياء. صحيح أن الشعر يقدم معرفة خيالية تنطوي على إيهام للمتلقي، ولكن هذه المعرفة ينبغي ألاّ تتباعد عن أصلها الحقيقي، وتظل العملية الشعرية –في حدود هذا الفهم– عملية لا تفارق العقل، ولا تناقض منطق الأشياء.

البعد الأخلاقي للتلقي

توقفنا فيما سبق عند تصور حازم القرطاجني للقياس الشعري، ورأينا أنه يباين القياس الفلسفي والعلمي، فالأول قائم على التخييل وأمَا الثاني فقائم على التجريد، وهو قياس يتعامل مع مقولات فلسفية أو منطقية.

ولهذا فإن المقولات الفلسفية أو العلمية غير قادرة على التأثير في سلوك المتلقي، لأنها تخاطب الجانب العقلاني فيه، وأما المقاصد الشعرية فيمكنها التأثير في المتلقي لصلتها بأغراض البشر وحياتهم.

ومن هذا المنطلق يمكن للعملية الشعرية أن تترك تأثيرها في سلوك المتلقي، وإذا كان المتلقي مشدوداً بين وترين اثنين: مصالح جسمه الفاني، ومصالح نفسه الباقية، فإن الشعر الخالد هو الذي يسعى إلى إيجاد مصالحة بين هذين الطرفين المتناقضين، حيث لا يطغى جانب على آخر، يقول حازم: [لما كان الإنسان في جميع ما يحاوله ويسعى نحوه إنما يلتمس حظوظاً يكون فيها صلاح لنفسه، أو حظوظاً منها صلاح لبدنه، وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه، وابتغاؤه لها من كل وجه لا يصل منه إلى غيره مضرة ولا ظلم. وكان استقصاؤه حظوظ بدنه وطلبه لها من وجه يؤدي إلى ضرر غيره وظلمه..... وجب لذلك أن يكون الفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدي إلى مزاحمة ذي استحقاق، وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس][52].

مؤدي هذا النص أن مدار الشعر هو الفضائل النفسية، وعلى الشاعر أن يصور هذه الفضائل من خلال تخييلها إلى المتلقي وذلك بتحسينها، والحث على فعلها، وتصوير الشرور والرذائل بأقبح الصور لدفعه إلى النأي عنها، والتخلي عن فعلها. ولا بُدّ للتخييل الشعري أن يحدث تكاملاً بين مطالب الجسد الفاني، وحظوظ النفس الباقية. ويشكل الإيثار الفضيلة الكبرى في هذا الأمر، فالفاضل مَنْ آثر غيره على نفسه، أو [آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني][53].

وبهذا الإيثار يمكن للشعر أن يخلق إنساناً فاضلاً كاملاً، ويحقق له السعادة القصوى، والسعادة عند حازم والفلاسفة الذين يعول عليهم. تتمثل فيما يعطيه الإنسان لغيره دون أجر، تشبها بالخالق تعالى الذي يعطي دون مقابل.

ولما كان الإنسان كائناً اجتماعياً لا يقوى على تحقيق غاياته بمفرده وجب أن يستعين بالآخرين على تحقيق هذه الغايات، وتستوجب هذه الاستعانة أن يعرف المرء حدود مطالبه ومطالب غيره، فلا يحدث تداخل بين مطالب البشر. ولهذا كله يمكن للنفس أن تمارس إنسانيتها، فتشارك غيرها من النفوس الفاضلة، مشاركة تقوم على الحب والإيثار.

وواضح أن هذا الفهم يعطي الشعر قدرة على تعديل مسلك المتلقي، ويخلق منه إنساناً فاضلاً، كاملاً، يؤثر مطالب نفسه على مطالب جسده، ومطالب غيره على مطالب نفسه. ويصبح الشعر –في ظل هذا الفهم– قادراً على خلق الإنسان النموذجي الذي يعطي ولا يأخذ، تشبهاً بالخالق تعالى الذي يمنح ولا يأخذ.

تتحدد غاية الشعر عند حازم القرطاجني بأنها الحث على فعل أو الكف عن فعل، ولما كانت الأفعال الإنسانية إمّا حسنة أو قبيحة فمن البديهي أن يكون الحث مرتبطاً بالأفعال الحسنة، والكف مقترناً بالأفعال القبيحة، ولهذا فإن الشعر يمكنه أن يحسن الفضيلة إلى المتلقي، ويقبح الرذيلة إليه، عبر التخييل الشعري. ومن هنا تبرز مسألة التحسين والتقبيح في الشعر عند حازم القرطاجني. يرى حازم أن المحاكاة تنقسم إلى قسمين اثنين: محاكاة تحسين، ومحاكاة تقبيح، والنفس من شأنها [أن تميل إلى ما يحمد، وتتجافى عما يذم. فكأن التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو استقباح][54]، ولا يخفى تأثر حازم بما قاله ابن سينا [وكل محاكاة فإمّا أن يقصد بها التحسين وإمّا أن يقصد بها التقبيح][55]، أو ما قاله ابن رشد [إن كل تشبيه وحكاية إنما يقصد بها التحسين أو التقبيح][56]، فالتحسين والتقبيح يساعدان على تثبيت قيم أخلاقية بعينها لدى المتلقي.

على أن التحسين والتقبيح عند حازم غير مفارقين للدين والعقل والمروءة. فوقوع التحسينات والتقبيحات في التخاييل الشعرية إنما يسلك به أبداً طريقاً من الأربعة: وهي [الدين، والعقل، والمروءة، والشهوة][57]، فإمّا أن يحسن الشيء من جهة الدين وما تؤثره النفس من الثواب على فعل شيء، أو اعتقاده، أو يحسن من جهة العقل، وما يجب أن يؤثره الإنسان من جهة ما هو عاقل، أو يحسن من جهته المروءات، والكرم، وما تؤثره النفس من الذكر الجميل، والثناء عليه، أو يقبح من ضد ذلك، أو يحسن من جهة الحظ العاجل.

وليس من شك في أن هذه الزوايا الأربع تمثل معياراً أخلاقياً له ثباته في تحديد البعد الأخلاقي للشعر. غير أنّ هذه الأنحاء التي يدور حولها الشعر ينظر إليها من زاوية الأحوال المطيفة بها، وهذه الأحوال هي [الزمان، والمكان، وما منه الفعل، وما إليه الفعل، وما به الفعل، وما من أجله الفعل، وما عنده الفعل][58].

معنى هذا أن فاعلية التحسين والتقبيح في الشعر مرتبطة بالأحوال التي يكون عليها المتلقي، فإذا كان المتلقي رجلاً كبير السن، علق بجارية جميلة، وأردنا أن نصرفه عنها بالأقاويل الشعرية [اعتمدنا ذم الفعل، وعيب التصابي في حال المشيب، وما ناسب هذا، فإذا كانت قبيحة أو ممن يجوز تخييل القبح فيها أضفنا إلى ذم التصابي في حال المشيب، وما ناسب هذا، فإن كانت قبيحة، أو مما يجوز تخييل القبح فيها، أضفنا إلى ذم تصابي الشيخ ذم قبح الفتاة، فإن كان العاشق شاباً اعتمدنا ذم ما في المرأة من قبح خلق، وخلائق، نحو ما يوصف النساء به من الغدر، والملالة، وغير ذلك][59].

إن الشعر يهدف إلى كمال الإنسان، كمال المتلقي، من خلال معرفة الظروف التي تحيط به، أو تحيط بغيره، ولهذا يجب أن يكون الحكم على القصيدة الشعرية من زاوية مسعاها في تحقيق التكامل لدى الجنس البشري.

فالشعر نشاط إنساني يسعى إلى اكتمال الحياة البشرية، لكن الشعر لا يحقق مخططه الأخلاقي بطريق مباشر، بل يوصله –من خلال وسيط نوعي– توصيلاً فنياً جميلاً وعلى هذا الأساس فإن الشعر يحقق هدفين لدى المتلقي: هدفاً أخلاقياً، وهدفاً جمالياً، ولا ينفصل أحدهما عن الآخر.

ويتم هذا التوصيل الفني بين المبدع والمتلقي من خلال وسيط نوعي هو القصيدة، هذه القصيدة تحمل رسالة أو مجموعة من القيم، يتجه بها المبدع إلى المتلقي.

على أن هذه الرسالة ينبغي أن تقدم تقديماً فنياً جميلاً من خلال جماليات تتحقق على [مستوى اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب](60)، ومن شأن هذا التقديم الجمالي أن يحدث تعاطفاً بين المتلقي والشاعر من خلال ما يحدثه من هزة الارتياح في نفس المتلقي.

من هذه الزاوية تبرز أهمية المحاكاة في قدرتها على إحداث هذه الهزة التي افتقدها حازم في أشعار معاصريه بسبب عجمة ألسنتهم واختلال طباعهم، وقصور معرفتهم بأسرار الكلام الجيد.

لقد أشرنا إلى أن المحاكاة يمكنها أن تحدث هذه الهزة عبر ما تقوم به من تحسين أو تقبيح، على أن هناك صنفاً ثالثاً من المحاكاة، وهي محاكاة المطابقة. وقد كانت هذه المحاكاة محيرة لحازم القرطاجني فهي لا تملك قدرة على التحسين أو التقبيح، ولا يقصد بها [إلاّ ضرب من رياضة الخواطر، والملح، في بعض المواضع التي يعتمد فيها وصف الشيء، ومحاكاته بما يطابقه، ويخيله على ما هو عليه](61).

إن محاكاة المطابقة عند حازم تخلو من أي محتوى أخلاقي ظاهر، إذ الغرض منها التطابق بين الشيء المحاكي والشيء المحاكى.

غير أن حازم القرطاجني يرى أن هذه المحاكاة يمكن أن يمال بها إلى تحسين أو تقبيح، فهي كالمادة المعدة التي يمكن أن يُتجه بها إلى تحسين، أو يتجه بها إلى التقبيح.

يقول حازم: [وربما كانت محاكاة المطابقة في قوة المحاكاة التحسينية أو التقبيحية، فإن أوصاف الشيء الذي يقصد في محاكاته المطابقة لا يخلو من أن تكون من قبيل ما يحمد أو يذم، وإن قل قسطها من الحمد والذم، فكأن التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو إلى استقباح](62). ولا يختلف ما يقوله حازم في هذا الصدد عمّا قاله ابن سينا: إن المطابقة [فصل ثالث يمكن أن يمال بها إلى قبح، وأن يمال بها إلى حُسن، فكأنها محاكاة معدة، مثل من

شبه شوق النفس الغضبية بوثب الأسد، فكأن هذه المطابقة يمكن أن يمال بها إلى الجانبين: فيقال توثب الأسد الظالم، أو توثب الأسد المقدام، فالأول يكون مهيئاً نحو الذم، والثاني يكون مهيئاً نحو المدح فالمطابقة تستحيل إلى تحسين وتقبيح يتضمن شيئاً زائداً](63). ولا تختلف رؤية ابن رشد لهذا القسم من المحاكاة " المطابقة " عن تصور ابن سينا، يقول ابن رشد [وقد يوجد للتشبيه فصل ثالث وهو التشبيه الذي يقصد به مطابقة المشبه بالمشبه به من غير أن يقصد في ذلك تحسين أو تقبيح، لكن نفس المطابقة فقط، وهذا النوع من التشبيه هو كالمادة المعدة لأن تستحيل إلى الطرفين، يمكن أنها تستحيل تارة إلى التحسين بزيادة عليها، وتارة إلى التقبيح بزيادة أيضاً عليها](64).

إن هذه النظرة إلى محاكاة المطابقة تجعلها قادرة على تحقيق المخطط الأخلاقي الذي سعى حازم إلى تحقيقه، فيمكن لهذه المحاكاة أن تحدث تأثيرها في سلوك المتلقي وأفعاله الإنسانية، ومن هنا يمكن للمحاكاة بأصنافها الثلاثة أن تهذب النفس الإنسانية، بأن تكفها عن الأفعال القبيحة، أو الرذائل، بتصويرها بشكل مقزز ومنفر.

وليس من شك في أن هذه النظرة إلى الشعر تمثل رداً على الذين هاجموا الشعر، يقول حازم: [وكثير من أنذال العالم –وما أكثرهم– يعتقد أن الشعر نقص وسفاهة، وكان القدماء –من تعظيم صناعة الشعر، واعتقادهم فيها- ضد ما اعتقده هؤلاء الزعانفة](65).

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول إن تلقي الشعر عند حازم ذو أبعاد ثلاثة: البعد السيكولوجي، والبعد المعرفي، والبعد الأخلاقي.

وتتساند هذه الأبعاد الثلاثة في تشكيل التلقي، أمّا البعد الأول [السيكولوجي] فقد بان خلاله أن الشعر عمل تخيلي ينبع من مخيلة الشاعر ويتجه إلى مخيلة المتلقي، لكن هذه المخيلة تخضع لقوة أخرى هي قوة الوهم عند الفلاسفة، وهي القوة الحاكمة في الإنسان، إذ تسيطر على كل أفعاله.

إن مخيلة الشاعر لا تنقل الأشياء نقلاً حرفياً، بلْ تخلق عالماً جديداً مبتكرا، لكنه عالم وهمي، ثم تنتقل صور هذا العالم إلى المتلقي، فتتجاوب صوره مع تجارب المتلقي المختزنة في ذاكرته، وتتملكه القوة الوهمية، فيتحرك حركة سلوكية، بسطاً كان ذلك أو قبضاً.

أمّا البعد الثاني وهو -البعد المعرفي– فإن القياس الشعري لا يقدم إلى المتلقي معرفة مباشرة كالمعرفة الفلسفية والعلمية، فالفلسفة تقدم للمتلقي معرفة مجردة، مثلما تقدم له معقولات صرفة، عبر لغة محددة إشارية مجردة، أمّا الشعر فإنه يقدم معرفة متخيلة مادتها الحس، قادرة

على إثارة انفعال المتلقي. وهذه المعرفة التي يقدمها الشعر تتوسل بوسيط حسيّ فني عبر أساليب شعرية، من تشبيهات مخترعة، أو مواضع فيها استغراب واعتبار. وأمّا البعد الثالث -وهو الأخير- فإن الشعر يمكن أن يساهم في خلق مخطط أخلاقي. يستمد جذوره مما قاله الفلاسفة الذين عوّل عليهم حازم، فالشعر له علاقة بأغراض البشر، ويحفل المتلقي بمثل هذه الأغراض الإنسانية، وذروة السعادة عند المتلقي حينما يتمكن الشعر من إيجاد توازن بين طرفين متناقضين في الكائن البشري: النفس والبدن، البدن هو منبع الشر، والنفس هي مصدر الخير. والسعادة في تحقيق الفضائل، والردع عن الرذائل، من خلال ما يحسنه الشعر أو يقبحه، ومن هذه الزاوية تحدث حازم عن جوانب التحسين والتقبيح في الشعر، مثلما تحدث عن محاكاة المطابقة التي يمكن أن يمال بها إلى تحسين أو تقبيح، فتحقق الغاية الأخلاقية التي سعى إليها حازم القرطاجني.

The Reception of Poetry of Hazim Al-grtajii

Ayish Al-Hassan, *Al-Hussin Bin Talal University, Ma'an, Jordan.*

Abstract

This study classifies reception of Hazim Al-gartajii into three dimensions: The psychological, the epistemic, and the moral.

The psychological emphasizes that the poetic rocess springs from the port's imagination the moves to the imagination of the receiver which causes understanding between the pictures of the poet and those of the receiver. Therefore his desires urge him to behave in a certain way which is an irrational, unreal movement.

The knowledge dimension enable the reader to realize that poetry offers an imaginative knowledge distinguished from that of philosophy or science. This one, through imagination, is able to touch the receiver.

The third dimension enables the reader to realize that poetry aims to achieve a moral plan for the receiver which forces him to beautify or distort through what is in the mind of the receiver.

This study relies heavily on theory of Hazim and those of other Muslim philosophers.

This study concludes with an epilogue, endnotes and references.

قدم البحث للنشر في 2006/8/24 وقبل في 2007/7/12

الهوامش

1- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبدالله الغذّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 (1984)، ص 9، وانظر كذلك –الأسلوبية والتلقي- موسى ربابعة، كتاب (جماليات التلقي والتأويل)، إشراف عز الدين إسماعيل من أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، (1997)، ط1، ص 59 – 60.

2- انظر: نظريات القراءة والمشاهدة، سوزان بينيت، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج4، ع4 (1995)، ص 118.

3- انظر: الشعر وضغوط المتلقي، علي جعفر العلاق، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج15، ع2 (1996)، ص 155 – 157.

4- انظر: تمنع النص متعة المتلقي، بسام قطوس، ط1، الأردن، 2002م، ص 14 – 15.

5- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1984)، ص 19.

6- البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط5 (1949)، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص 138.

7- انظر: التلقي والتأويل، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط1 (1994) ص 134 – 144، وقارن: نظرية الاستقبال، روبرت سي هولب، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، ط1 (2004م)، اللاذقية، سوريا، ص 79 – 80.

8- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966: 19.

9- انظر: (نظرة في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي عند النقاد العرب القدماء، محمود درابسه، مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد 2، عدد (10)، 1950.

10- انظر: طبيعة الشعر عند حازم القرطاجني، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج1، ع5، ص 83، وقارن: مفهوم الشعر، جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983، ص 127.

11- منهاج البلغاء: 48.

12- المصدر نفسه: 53، 138، 39.

13- المصدر نفسه: 168.

14- المصدر نفسه: 168.
15- المصدر نفسه: 119.
16- المصدر نفسه: 68، 69.
17- المصدر نفسه: 86، 123.
18- المصدر نفسه: 69، 7، 74، 78، 81، 83.
19- انظر: حازم القرطاجني، ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح، ط1، 1980، عالم الكتب المصرية، القاهرة، ص 99.
20- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966: 19.
21- عيون الحكمة: ابن سينا، تحقيق عبد الرحمن بدوي، منشورات المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1954: 190.
22- المصدر نفسه: 191.
23- مفهوم الشعر: جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة ثالثة، 1983: 161.
24- منهاج البلغاء: 86.
25- الإشارات والتنبيهات: ابن سينا، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1969، ج1: 343.
26- القسم الخاص بالنفس من كتاب الشفاء: ابن سينا، تحقيق بان باكوش، المجمع العلمي التشيكوسلوفاكي، براغ، 1956، ج1: 44.
27- فصوص الحكم، الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، ليدن، 1890 (رسالة في جواب مسائل عنها، رسالة معاني العقل، عيون المسائل، فصوص الحكم): 152.
28- المصدر نفسه: 12.
29- منهاج البلغاء: 12.
30- المصدر نفسه: 12.
31- النجاة، ابن سينا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (1938): 96.

32- منهاج البلغاء: 73.

33- المصدر نفسه: 71.

34- المصدر نفسه: 72.

35- المصدر نفسه: 96.

36- المصدر نفسه: 83.

37- المصدر نفسه: 85.

38- المصدر نفسه: 65.

39- كتاب السعادة، من كتاب تهذي الأخلاق. وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، مطبعة الترقي، مصر، 1317هـ، 63.

40- منهاج البلغاء: 20.

41- المصدر نفسه: 29.

42- المصدر نفسه: 129.

43- المصدر نفسه: 31.

44- المصدر نفسه: 73.

45- المصدر نفسه: 120

46- المصدر نفسه: 135.

47- جوامع الشعر تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر الفارابي، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (1971)، 174.

48- منهاج البلغاء: 95.

49- المصدر نفسه: 79.

50- المصدر نفسه: 79.

51- المصدر نفسه: 78.

52- المصدر نفسه: 163.

53- المصدر نفسه: 162.

54- المصدر نفسه: 92.

55- فن الشعر من كتاب الشفاء، ابن سينا، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهر (1953)، ج1، 169.

56- تلخيص الخطابة: ابن رشد، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967، 65.

57- منهاج البلغاء: 107.

58- المصدر نفسه: 104.

59- المصدر نفسه: 108.

60- مفهوم الشعر: جابر عصفور: 188.

61- منهاج البلغاء: 92.

62- المصدر نفسه: 92.

63- فن الشعر من كتاب الشفاء، ابن سينا: 170.

64- تلخيص الخطابة، ابن رشد: 66.

65- منهاج البلغاء: 124.

المصادر والمراجع

إبراهيم، نبيلة. (1985). طبيعة الشعر عند حازم القرطاجني، **مجلة فصول**، المجلد الأول، العدد الخامس.

ابن رشد. (1967). **تلخيص الخطابة**، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون اسلامية، القاهرة.

ابن سينا. (1938). **النجاة**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

ابن سينا. (1953). **فن الشعر من كتاب الشفاء**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، النهضة العربية، القاهرة.

ابن سينا. (1954). عيون الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، **منشورات المعهد الفرنسي**، القاهرة.

ابن سينا. (1956). **القسم الخاص بالنفس من كتاب الشفاء**، تحقيق (بان باكوش)، المجمع العلمي التشيكوسلوفاكي، براغ.

ابن مسكويه، (1317هـ). **كتاب السعادة من كتاب تهذيب الأخلاق، وتطهير الأعراق**، مطبعة الترقي، مصر.

بينيت، سوزان. (1996). **نظريات القراءة والمشاهدة**، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد (15)، عدد (2).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1949). **البيان والتبين**، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط5، دار الفكر للطباعة ولنشر.

درابسة، محمود. (1995). نظرة في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي، عند النقاد العرب القدماء، **مؤتة للبحوث والدراسات**، مجلد (2)، عدد (10).

درابسة، محمود. (1996). المحاكاة والتخييل عند الفلاسفة المسلمين في دراسات أهم المستشرقين الألمان المعاصرين، **مؤتة للبحوث والدراسات**، مجلد (11)، عدد (6).

ربابعة، موسى. (1997). **الأسلوبية والتلقي من كتاب (جماليات التلقي والتأويل)**، إشراف عز الدين إسماعيل من أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، ط1.

العسكري، أبو هلال. (1984). **كتاب الصناعتين**، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2.

عصفور، جابر. (1983). **مفهوم الشعر**، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 3، بيروت، لبنان.

العلاق، علي جعفر. (1996). الشعر وضغوط المتلقي، **مجلة فصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج15، ع2 .

الغذّامي، عبدالله. (1998). **الخطئية والتكفير من البنيوية إلى التشريحية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1.

الفارابي، أبو نصر. (1890). **فصوص الحكم / الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية**، ليدن، رسالة في جواب مسائل سئل عنها، رسالة في معاني العقل، عيون المسائل، فصوص الحكم.

الفارابي، أبو نصر. (1971). **جوامع الشعر**، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر الفارابي، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

القرطاجني، حازم. (1966). **منهاج البلغاء، وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس.

قطوس، بسام. (2002). **تمنع النص متعة المتلقي**، ط1، الأردن.

مصلوح، سعد. (1980). **حازم القرطاجني، ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر**، ط1، عالم الكتب المصرية، القاهرة.

مفتاح، محمد. (1994). **التلقي والتأويل**، المركز الثقافي العربي، ط1.

هولب، روبرت سي. (2004). **نظرية الاستقبال**، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، ط1 اللاذقية، سوريا.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 1، 2008، ص ص 101- 148

خطاب الامثال القديم عند العرب "دراسة ادبية"

سالم الهدروسي*

ملخص

يعالج هذا البحث مكانة المثل عند الأدباء والبلاغيين العرب، وتحديد أهم خصائصه الأدبية؛ كالايجاز وكثافة المعنى، والسيرورة، والمضرب، والمورد، والعلاقة المجازية بينهما، والغرابة، والنقل على الحكاية. ويتعرض كذلك للأشكال التعبيرية المثلية، وعبارات التناهي والمبالغة، والعبارات التقليدية الجاهزة، والحكمة، والأقوال النادرة، والعبارات التصويرية، والأقوال الماثورة، والصياغات الاسمية المثلية، وأمثال الحديث النبوي الشريف، والأمثال القرآنية، وخصائص كل منها.

تمهيد:

تشكل الأمثال بنمطها اللغوي الشفاهي، العفوي الشعبي ـ أبسط الأشكال الأدبية الفنية وأوجزها عند معظم الشعوب، وتعكس مشاعر الناس، وأفكارهم وتصوراتهم لحياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ومعظم مظاهر نشاطات حياتهم الأخرى، وتعبر عنها بصورة حية، تصدر عن مختلف مستويات الجماعات الإنسانية بكافة المعايير التصنيفية لمستويات البشر على اختلاف حضاراتهم(1).

يضاف إلى ذلك ما تمتاز به الأمثال من سرعة سيرورتها على الألسن من جيل إلى جيل، وأحياناً من جماعة إلى جماعة أخرى مختلفة، وعبورها من لغة إلى أخرى، عبر الأزمان والأمكنة، وما لها من أثر السحر في التأثير على الناس وإقناعهم، رغم بساطة معانيها، وسذاجة صياغتها في معظم الأحيان(2).

ولما كان للأمثال هذه الأهمية، فإن الأمثال العربية تكاد تقابلنا في معظم مصادر التراث العربي، ككتب التفسير، والمعاجم اللغوية، وأمهات الأدب والمسامرات والأخلاق، وكتب اللغة والنحو، وكتب الحكمة والفلسفة والطباع، والتاريخ والسير، وكتب البلاغة والموسوعات الثقافية، إضافة إلى مصنفات الأمثال البحتة، وقد عُني علماء الأدب واللغة والتفسير عند العرب منذ وقت مبكر بجمعها وتصنيفها وتبويبها وشرحها، وجعلوا منها مادة تأديبية وتعليمية وتربوية، وزينوا بها آدابهم ودعموا أقوالهم، وعللوا أفعالهم، بحيث بقيت تلك الأمثال والحكم حية في تراثهم الكتابي

* قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

والشفاهي إلى يومنا هذا[3]، فلم تقتصر عنايتهم بالأمثال القديمة وحسب، بل قاموا في الفترات اللاحقة بتدوين الأمثال المحدثة (المولدة) وإضافتها في مواضعها من كتب الأمثال والأدب كما فعل الميداني (ت 518هـ)، مما يعكس مدى وعيهم بأهمية هذا الجنس الأدبي، الذي يمثل صفوة اللغة المحكية العفوية، وما يحويه من خبرة الحواس والشعور والعقل، فيجمع في ثناياه ما بين الحقيقة الفطرية، والمعرفة المكتسبة، مما يسعف في إضاءة بعض جوانب حضارة العرب وتطور فكرهم، ويكشف عن بعض جوانب فلسفة حياتهم الأولى البدائية، وثقافتهم الشفاهية وتطورها في المراحل اللاحقة[4].

تأصيل لفظ المَثَل:

ورد لفظ المَثَل في معظم اللغات السامية، واشتق من جذر متقارب فيما بينها على النحو التالي: في العربية، مَثَل، في العبرية *māšāl*، في الآرامية *Maṭlā*، في السريانية *meṭāl*، وفي الحبشية *mesl*، وفي الأمهرية Masala و Messale، وفي الأكادية *mešlum*، وفي الآشورية masala.

وتتضمن هذه الكلمة في جميع اللغات السامية معنى المماثلة والتشبيه، و الموازنة والمقارنة، كما يؤكد أيسفيلد والفاخوري وعابدين، باستثناء اللغة العبرية التي دل فيها على السيادة والحكم إضافة إلى المماثلة[5].

غير أن اللغة العربية قد توسعت في مفهوم هذه الكلمة لغة واصطلاحاً، وأعطتها زخماً دلالياً حافلاً.

المَثَل في اللغة:

ذكر اللغويون للفظ المَثَل عدة معان يعنينا منها:-

1- الشَبَه، ويرى الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) أن المَثَل بهذا المعنى يشمل المشابهة في عدة أمور هي: الجوهر، والكيفية، والكمية، والقدر، والمساحة[6].

2- المَثَل، والنظير، والتسوية، والمشاكلة، والمماثلة، فرق ابن العربي (ت 638هـ) بين كلمتي مِثْل ومَثَل، ورأى أنهما متقاربتان في المعنى، فالمثِل "عبارة عن شبه المحسوس، والمَثَل عبارة عن شبه المعاني المعقولة" وأيده ابن أبي الإصبع (ت 654هـ)، والزركشي (ت 794هـ) في ذلك، وذهب ابن منظور (ت 711هـ) إلى أن مِثل ومَثَل كلمتي تسوية بمعنى واحد [7].

3- الصفة، وذهب إلى ذلك أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وأيده يونس بن حبيب (ت 182هـ)، والثعالبي (ت 429هـ) وبها فسر الأخير قوله تعالى: { مَثَل الجنة التي وُعِد المتقون }*، وذهب إلى ذلك الزركشي (ت 794هـ) أيضاً [8].

4- العِبرة، والحجة، والآية، والحديث، وهذه المعاني من غايات ضرب المَثَل ولوازمه، وليست من معانيه كما ذهب ابن منظور (ت 711هـ)، والفيروزي أبادي (ت 817هـ)، وأبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ)[9].

5- المثال، والحذو، والشاهد، والانتصاب، فكل ما كان شاخصاً لأمر ما، كان مثلاً له، وعلماً يعرف به، فكأنه ماثل بين اليدين، ومنتصب أمام العين [10]. ويؤيد هذه المعاني الأصمعي (ت 216هـ)، وابن السكيت (ت 243هـ)، والمبرد (ت 258هـ)، وابن رشيق (ت 456هـ) وغيرهم[11]، وهذا المعنى يرجح اشتقاق لفظة المثل المادي الحسي، فيمكننا إرجاع معنى المادة حسياً إلى البروز والشخوص، إذ قالوا مَثَل ومَثُل أي قام منتصباً، ويرى ذلك فلايشر (Fleischer)، وأمين الخولي[12]، ومصدر هذا الرأي ما نقله الميداني (ت 518هـ) عن أحد العلماء قوله: "سُمّيت الحِكم القائم صدقُها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب"[13]. ويميل عابدين والصغير: إلى اشتقاق المثل من التمثال اعتماداً على قول الجوهري (ت 398هـ) "مثلت له كذا تمثيلاً، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها"[14]. وذلك من قبيل اشتقاق أسماء المعاني من أسماء الأعيان، لأنه يعيد إلى الأذهان معنى الشخوص والانتصاب، وبذلك يجمع المثل إلى معانيه المثال والمثول، والتصوير معاً[15].

المثل في الاصطلاح:

هناك اتجاهان رئيسيان في تحديد المراد من دلالة كلمة المَثَل في الاصطلاح عند الأدباء والنقاد والمفسرين القدماء؛ اتجاه أدبي تفسيري، يُعنَى بإبراز جوانب من خصائص المعنى المصطلح عليه، ويؤكد هذا الاتجاه على اعتبار المورد والمضرب، والغرابة (الندرة)، والسيرورة فيه، واتجاه بلاغي يتجاوز ذلك إلى الجوانب البلاغية والتصويرية في المثَل.

الاتجاه الأدبي:

وقد ركز أصحاب هذا الاتجاه على السمات الأساسية التي تجعل من المثَل جنساً أدبياً يتميز عن غيره من أجناس الأدب، كما اهتموا بمواضع استعماله.

وممن يمثل هذا الاتجاه؛ ابن السكيت (ت 243هـ)، والمبرد (ت 285هـ)، والزمخشري (ت 538هـ)، والرازي (ت 606هـ) وغيرهم.

وأما ابن السكيت (ت 243هـ) فقد عرَّف المَثَل بقوله: "المَثَل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ"[16] فقد التفت في تعريفه إلى مضرب المثل، ومخالفة لفظه له، واتحادهما في المعنى.

وأما المبرد (ت 285هـ) فقد التفت في تعريفه المثل إلى وجه المشابهة بين الحالين، مع ملاحظة السيرورة، فقال: "هو قول سائر يُشبَّه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه، ... فحقيقة المثَل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول ... فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد"[17].

واشترط علماء الاتجاه الأدبي في المثَل: الثبات وعدم التغيير في الصيغة، أو التركيب، أو البناء، وأن يستعمل المثَل على الحكاية، تماماً مثلما أرسل في مورده.

وأكد ذلك الفارابي (ت 350هـ) في ديوان الأدب بقوله "المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكُرَب المكربة، وهو أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[18]، ففي هذا التعريف إبراز لمسألة ثبات الأمثال وتداولها، وإمكانية التعبير بها عن أشياء، لا يعبر عنها بطريق مباشر، ويوضح أن المَثَل يعبر عن حاجة شخصية في ثوب إنساني عام، ثم يشير إلى ضرورة الاستحسان العام الذي تلقاه الأمثال بين الناس.

. ويؤكد أبو هلال العسكري (ت بعد 395هـ) خاصية الثبات في تداول المثل وروايته على ماضرب له على الحكاية، دونما تغيير أو زيادة أونقصان في نص المثَل بقوله: إن الأمثال "تضرب على ما جاءت عليه عن العرب، ولا تغيَّر صيغتها"[19].

ويؤكد المرزوقي (ت 421هـ)، على جملة من خصائص المثل الأدبية بقوله في كتابه شرح الفصيح: "المثل جملة من القول، مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوحيه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وأن جُهلت أسبابها التي خرجت عنها"[20] ففي هذا التعريف توضيح لحقيقة المثَل، فهو قول موجز يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي وإن جهل أصله، ولا يُغيَّر لفظه في أية حالة من حالات استعماله.

ويبدو أن السيرورة تعني ضمناً أن المثَل في سيرورته بين الناس عبر أجيالهم وأزمانهم ومواطنهم أصبح تراثاً شعبياً، من نتاج جماعي عفوي، يصعب على الفرد أن يبدعه قصداً عن سابق نية وتصميم، فهو قول نطق به الكثير من الناس، وصاغه أحدهم بصورة ذكية مؤثرة(21).

غير أن الثعالبي (ت 429هـ) يطالعنا بأمر غير مألوف في مجال الأمثال، فقد نقله من الشعبية العفوية، والنتاج الجماعي ليصبح المثل عنده إبداعاً فردياً ممكناً، يستطيع الفرد أن ينتجه عن سابق تصور وقصد، كما حاول هو نفسه أن يفعل في كتابه (التمثيل والمحاضرة)، حيث يذكر في مقدمته قوله: " قد جمعنا من إنشائنا في كتابنا هذا ألفاظاً وجيزة، أجريناها مجرى الأمثال، وفصولاً قصيرة دللناها على مواقع الأعمال، وقصدنا فيما ألفناه من ذلك وجه الاختصار، وكنه الاقتصار، ليقل لفظه، ويسهل حفظه"(22).

وقد أجمل ابن رشيق (ت 456هـ) معظم السمات الأدبية للمثل في حديثه عن المثَل السائر بقوله: "المثَل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً، وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدقه، وقولهم: "مثل شرود وشارد" أي سائر لا يُردُّ، كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد، وزعم قوم أن الشرود ما لم يكن له نظير، كالشاذ والنادر، ... وتأتي الأمثال الطوال محكمة إذا تولاّها الفصحاء من الناس" ويزيد في هذه السمات إمكان الإتيان بالأمثال الطوال المحكمة، ورَبَطَها بفصاحة قائلها وقدرته على إحكامها(23). وكذلك يجعل ابن رشيق صنعة الأمثال ـ على النحو الذي ذهب إليه الثعالبي ـ مقصورة على الأمثال الشعرية، وجاء بأمثلة لذلك من صنعه هو نفسه(24).

ويبرر الطوسي (ت 460هـ) ثبات الأمثال بقوله: "ومن حُكْم المثَل أن لا يتغير لأنه صار كالعلم"(25).

واشترط الزمخشري (ت 538هـ) التمثيل بالمورد، وربط غرابة المثل وندرته بتداوله وقبوله وسيرورته، فقال: "ثم قيل للقول السائر الممُثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه"(26).

ويوافق الرازي (ت 606هـ) المبرد فيما ذهب إليه بقوله: "المثَل تشبيه سائر، وتفسير "السائر" أن يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الأول"(27). ومن ناحية أخرى فهو يجمع بين رأيي المبرد (ت 285هـ) والزمخشري (ت 538هـ) معاً، فيما يتعلق بندرة المثَل وغرابته فقال: "قيل للقول السائر الممثَّل مضربه بمورده مثل، وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه"(28).وهو يرى كذلك أن "الأمثال لا تغير؛ لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعنية، إنها بمنزلة من قيل له هذا القول، فالأمثال كلها حكايات لا تتغير"(29).

وذهب إلى هذا الرأي في ثبات الأمثال على الحكاية واتسامه بالغرابة من المفسرين البيضاوي (ت 685هـ)، حيث يقول في تحديد معنى المثَل "قيل للقول السائر المُمَثل مضربه بمورده، ولا يضرب إلاّ ما فيه غرابة، ولذلك حُوفِظ عليه من التغيير"[30].

وقد فسر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) السيرورة بمعنى كثرة الاستعمال "ومعنى السائر أنه كثر استعماله، واستعماله على أن الثاني بمعنى الأول"[31] ويبالغ ابن القيم الجوزية في إفراد خاصية العقل للأمثال فيقول: "الأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبّه وثمرته"[32].

ويطالعنا القلقشتندي (ت 821هـ) برأي فيه طرافة وإضافة جديدة أو يعتبر الأمثال رموزاً و إشارات يُلوَّح بها على المعاني تلويحاً، ولها مقدمات وأسباب، وتختص ألفاظها بالاختصار والإيجاز[33]. ويشترط ابن حجة الحموي (ت 837هـ) في المثَل سمة الوعظ، وأن يحتوي على ما يحسن التمثيل به[34].

ويرى السيوطي (ت 911هـ) أن الأمثال لا تتغير بل تجري كما ضربت، ولا يستعمل فيها الإعراب[35]. وأيده في ذلك أبو السعود (ت 982هـ)[36].

ويشير أبو البقاء الكفوي (ت 1095هـ) إلى سيرورة المثل وانتشاره بين الناس من العامة والخاصة واستحسانهم له بقوله: "والمَثَل بفتحتين ـ لُغَة ـ اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة، لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ ويستعمل في السراء والضراء، وهو أبلغ من الحكمة"[37]. وهو يعتمد في رأيه هذا على ما ذكره الفارابي (ت 350هـ) في هذا الشأن، دون الإشارة إليه، كما يلحظ تجنبه الإشارة إلى البعد المجازي في استخدام الأمثال والربط بينها وبين التشبيه التمثيلي أو الاستعارة.

وقال الحسن اليوسي (ت 1102هـ) في كتابه زهر الأكم: " اعلم أنه يقال مثلُ سائر، سواء كان شعراً أو غيره، وهو من السير في الأرض، استعمل في ذهاب المثل وشيوعه في سماع الناس، ويقال أيضاً مثل شارد وشرود... لأن المثل إذا شاع لا يستطاع ردّه ولا يمكن إخماده كما لا يستطيع ردُ الشرود من الإبل"[38].

وأخيراً يرى التهانوي (ت ق 12هـ) أن معنى المثل في الأصل هو النظير، ثم نقل إلى القول السائر المتمثل مضربه بمورده ويقول: "المثل في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر ـ أي الفاشي ـ الممثل مضربه بمورده، والمراد بالمورد هوالحالة الأصلية التي ورد فيها،

وبالمضرب الحالة المشابهة بها التي ورد فيها الكلام، وهو من المجاز المركب، بل لِفُشُوَ استعمال المجاز المركب بكونه على سبيل الاستعارة سمي بالمثَل"[39].

فقد حدد هؤلاء العلماء أهم ركائز المثَل في الاصطلاح الأدبي بإيجاز اللفظ، وكثافة الدلالة، والمضرب، والمورد، والثبات على الحكاية في استعماله وعدم تغييره، ثم السيرورة والانتشار بين الناس من جيل إلى جيل، ومن مكان إلى آخر، وأخيراً عزة المثَل وغرابته وندرته.

فالمثل عندهم عبارة موجزة شائعة، مركزة الدلالة، تشي بمهارة الصنعة الأدبية، المتسمة بالخبرة والندرة أو الغرابة، ذات معنى حاد، يلتصق بظروف الناس، وحياتهم المتكررة[40].

وقد لاحظ الباحثون أهمية الصورة المجازية في مدلولات المثَل؛ فربطوا بينها وبين بعض معاني اللفظ في اللغة، ورجحوا أن أصل المثَل يرجع إلى معنى المجاز والتشبيه، كما أن التشبيه يعد عنصراً أساسياً في تعريفات اللغويين العرب للمثل[41].

إذن فقد بني المثل الاصطلاحي عند هؤلاء على الركائز التالية: المورد، والمضرب والنقل على الحكاية وعدم التغيير في الرواية، والسيرورة، والغرابة، إضافة إلى الإيجاز، والتكثيف.

الاتجاه البلاغي:

ينظر أعلام هذا الاتجاه إلى المثَل باعتباره حالة خاصة من حالات التمثيل، أي التشبيه أو الاستعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء متعددة ومختلفة، أي باعتباره جملة استعارية[42].

وذهب الفراء (ت 204هـ) وأبو عبيدة (ت 209هـ) إلى أن المثَل يراد به المثَل بمعناه العام، أو يراد به التشبيه وما يتصل به من تمثيل[43]، ولعل أول من أشار إلى السمة البلاغية في المثَل هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) فقد وصف الأمثال في مقدمة كتابه بقوله" "هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"[44]. فيشير إلى أن المثَل حكمة ناتجة عن التجربة، ويرى أن التعبير بالمثل كناية بطريقة غير مباشرة، مشيراً إلى دلالته (الإيحائية)، ويقرب بذلك بين مصطلحي المثَل والمماثلة. والتعبير غير المباشر في المثل يصاغ غالباً في أسلوب التمثيل، وعَدَّ من سمات المثَل؛ إيجاز اللفظ، وكثافة المعنى وإصابته، ثم يشير إلى حسن التشبيه في المثَل، وإلى الجانب التصويري الذي تظهر فيه أبرز عناصر المثَل الجمالية. ومع أن أبا عبيد عد حسن التشبيه من سمات الأمثال التصويرية على ما يظهر من قصده، فقد ضم كتابه كثيراً من الأمثال غير التصويرية.

ووافقه على هذه السمات البلاغية في المثَل معاصره إبراهيم النظام (ت 231هـ)، والذي عد المثَل نهاية البلاغة، فقال: "يجتمع في المثَل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[45].

ومن جهة أخرى فقد ألمح كل من أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، والنظّام (ت 231هـ) في تعريفهما للمثل أن المثَل نوع من الكناية غير الصريحة، كان العرب يعارضون بها كلامهم[46].

كما استعمل الجاحظ (ت 255هـ) "المثَل" بمعنى الاستعارة، فقال في معرض حديثه عن قول الشاعر: "هُم ساعِدُ الدهر الذي يُتّقى به". "قوله هم ساعد الدهر" "إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع" و"ساعد الدهر" في البيت استعارة أو تشبيه بليغ[47].

وقد اعتنى هؤلاء العلماء بالمثَل بوصفه تعبيراً للإيضاح والمشابهة ـ ولو من بعض الوجوه ـ بين الخفي والجلي، والمعنوي والمحسوس.

ويقرِّب قدامة بن جعفر(ت 337هـ) بين مفهوم المثَل والمماثلة، وهي ضرب من الاستعارة، أطلق عليه مصطلح المماثلة، وعرفها بقوله: "وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع ألفاظاً تدل عليه، وذلك المعنى بألفاظه، مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه"[48]. وهي ضرب من المجاز يقع بين الكناية والاستعارة التمثيلية أو التشبيه التمثيلي، ولا صلة بين المفهومين من ناحية الدلالة الاصطلاحية أو البلاغية.

ويؤكد ابن فارس (ت 395هـ) ما في المثَل من السمات المجازية القائمة على التشبيه والمماثلة والتورية، فيقول: "المَثَل، المثْل ...، والمَثَل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورًى به عن مِثْله في المعنى"[49].

وأما ابن رشيق (ت 456هـ) فيكتفي بجعل المثَل كالتمثيل والاستعارة، شكلاً من أشكال التشبيه، تفترق عن التشبيه بالأداة والأسلوب، فيقول: "والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلاّ أنهما بغير أداته، وعلى غير أسلوبه والمثل المضروب ... راجع إلى ما ذكرته ... وتسمية المثَل دالة على ما قلته، لأن المثل والمثْل الشبيه والنظير"[50].

وقد نقل ابن رشيق (ت 456هـ) في كتابه العمدة رأي إبراهيم النظام (ت 231هـ) في معرض حديثه عن تأصيل معنى لفظ المثل، حيث يلتفت إلى جوانب جماليات المثَل الأدبية والبلاغية، فيحصرها في ثلاث سمات، بعد أن يبرز الجانب التربوي الوعظي في وظيفته، فيقول:

"إنما سمي مثلاً لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ، ويأمر، ويزجر... وقال: بعضهم: في المثَل ثلاث خلال، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"[51].

وقد مزج البلاغيون بين المثل والتمثيل، فقد مال عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) إلى توحيد مفهوم كلمتي المثَل والتمثيل؛ لأنهما يدلان على معنى واحد، فيقول: "إن كل ما لا يصلح أن يسمى تمثيلاً فلفظ المثَل لا يستعمل فيه"[52]. فهو يعتبر المثَل والتمثيل شيئاً واحداً منتزعاً من مجموعة تشبيهات عالقة بمواضع متعددة، وبضم بعضها إلى بعض يحدث تشبيه مركب، من خلال امتزاج عدة صور في إحداث صورة واحدة، فيكون سبيل الشيئين يمزجان، فيكوّنان حقيقة تمثيلية موحدة، لا تدرك بانفصالهما، لأنها تحصل من توافر عدة جمل وعبارات، فيقول "إن المثَل الحقيقي و التشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً، لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام، أو جملتين، أو أكثر"[53]. وكأن الجرجاني يجعل المثل يختلط بالتمثيل بصورة يصعب التفريق بينهما. وممن ذهبوا إلى هذا الرأي في تطابق مصطلحي التمثيل والمثل أبو البقاء الكفوي (1095هـ)، حيث يقول: "ويسمى الكلام الدائر في الناس للتمثيل مَثَلاً؛ لقصدهم إقامة ذلك مقام غيره"[54].

ويفرق الجرجاني (ت 471هـ) بين التشبيه والتمثيل الذي هو المثل، من حيث إن التمثيل تشبيه في الأصل، غير أن تشبيه شيء بشيء آخر يكون عنده على ضربين "أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأوُّل، والآخر أن يكون المثل متصلاً، بضرب من التأوُّل"[55] فما حصل بلا تأول أو تخيل فهو التشبيه عنده، ومعنى ذلك أن الشبه موجود في المشبه به في وضوح وإبانة، دون ضم شيء آخر إليه، وكان الشبه نتيجة لامتزاج صورة بصورة واحدة أو بصورة متعددة، ولتداخل معنى بمعنى، أو بمعان متعددة، يكون في ضمهما وجمعهما حصول الشبه المراد مركباً في المشبه والمشبه به، ولا يحصل ذلك إلاّ بضرب من التأول والتخيل، فالكلام تمثيل، وهو لديه المثَل، وهنا يتجلى معنى قوله: "فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً"[56].

ويبرز الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) سمة المشابهة بين مورد المثَل ومضربه، فيقول: "المثَل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: "الصيفَ ضيَّعتِ اللبن" فإن هذا القول يشبه قولك: "أهملت وقت الإمكان أمرك"[57].

ويوضح الراغب الأصفهاني أهمية الأمثال ومكانتها في الاقناع والتأثير لدى المتلقي فيقول: "لضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء النظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن،

والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسَورة الجامح الأبي، فإنه يُؤَثِّر في القلوب ما يؤثر وصف الشيء في نفسه"[58] وبسبب ذلك يعلل كثرة ورود الأمثال في القرآن وفي كلام الأنبياء والحكماء.

وألمح الميداني (ت 516هـ) إلى ما يتسم به المثَل من التمثيل والتشبيه، بكلام مقتضب مزج فيه بين الملامح اللغوية، والملامح البلاغية للمثل، فقال: "فالمثل ما يُمَثَّل به الشيء، أي يُشَبَّه ... فصار المَثَل اسماً مصرحاً لهذا الذي يضرب، ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة"[59].

ووصف الزمخشري (ت 538هـ) الأمثال بالفصاحة، والبلاغة، والمنطق، والإيجاز المعبر، والتلويح المصرح، والكناية المفصحة، ونعتها بجوامع الكلم، ونوادر الحكم، مشيراً إلى أنها يتكلم بها كما هي، فقال يذكر الأمثال "هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حِكَمها، وبيضة منطقها، وزبدة حِوارها، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة، ... حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنَّت فأغنت عن الإفصاح، بله الاستظهار بمكانها، والتمتع بجانبها عن الانتظام في سلك التذاكر" ثم يقول في ثبات نقل الأمثال على الحكاية وتفسير معنى التمثيل والمضرب "والأمثال يتكلم بها كما هي، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث ... ولا أن تبدل اسم المخاطب ... والتمثُّل تطلُّب المماثلة، والضرب البيان".

ثم يشير إلى علاقة المماثلة والمشابهة بين المورد والمضرب، فيقول: "سميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وُصُلها أو المرسلة بذاتها، المتسمة بالقول، المشتهرة بالتداول، مثلاً؛ لأن المحاضر بها يجعل موردها مِثْلاً ونظيراً لمضربها" وهو بذلك يجمل أهم سمات المثل الأدبية والبيانية بإيجاز اللفظ، وكثافة المعنى، وندرة القول، وعزته وغرابته، وسيرورة المثل وشيوعه، وتداوله على الحكاية، ولوحظ علاقة المشابهة والمماثلة بين مورده ومضربه[60].

وظل المثَل عند البلاغيين مرتبطاً بالتشبيه، وما يتصل به من استعارة أو تمثيل، فقال الرازي (ت 606هـ): "المثَل تشبيه سائر"، وقال في موضع آخر: "المثَل قول يُشَبَّه به حال الثاني بالأول"[61]. وقال الطوسي (ت 460هـ) في حمل المثَل على الاستعارة أو التشبيه البليغ، أو التمثيل، بقوله: "والتشبيه في الأمثال لما يحتاج إليه من البيان، هو على وجهين: أحدهما ما تظهر فيه أداة التشبيه، والآخر مالا تظهر فيه"[62].

ويؤكد الرازي (ت 606هـ) أثر الأمثال التصويري والإيضاحي في القلوب والعقول والحواس، فيقول: "إن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه،

وذلك لأن الغرض من المثَل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح"(63).

ويركز البيضاوي (ت 685هـ) على الإيضاح الحسي للمثل عن المعنى الممثل له، بحيث يسهل تخيله أو تصديقه، فيقول: "فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهَد المحسوس، ليساعد فيه الوهم العقل، ويصالحه عليه، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعةٍ من الوهم، لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة"(64)

وأيد القزويني (ت 739هـ) والتفتازاني (ت 793هـ) وغيرهما من شراح التلخيص الجرجاني (471هـ) فيما رآه، فالمثل عندهم هو التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً، قال القزويني (ت 739هـ) "ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلاً، ولذلك لا تغير الأمثال"(65).

وقد جارى العلوي (ت 749هـ) الجرجاني (ت 471هـ) في مزج مفهوم المثَل بالتمثيل، والتفريق بين التمثيل والتشبيه، فقال: "وإنما تقع التفرقة من جهة أن الوجه الجامع إن كان متفرعاً من عدة أمور فهو التمثيل، وإن كان مأخوذاً من أمر واحد فهو الاستعارة"(66) غير أن التشبيه عند الجرجاني (ت 471هـ) يقابل الاستعارة عند العلوي (ت 749هـ).

وأكد ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) أن الأمثال تقوم على تشبيه الشيء بالشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، وأن وظيفة المثَل البلاغية تقوم على إزالة اللبس وإشاعة الوضوح والإفهام(67).

وقد ذهب أبو حيان الأندلسي (ت 754هـ) إلى أبعد من ذلك في جعله المثَل نوعاً من التشبيهات المعقدة بعيدة المغزى، تهدف إلى إيضاح المجهول بالمعلوم، والخفي بالجلي، فيكشف بذلك عن غرابة المعاني وغموضها، فيزيدها جلاءً ووضوحاً. فيرى أن المثَل "ذكر وصف محسوس، وغير محسوس، يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء، ليصير في الذهن مساوياً للأول في الظهور من وجه دون وجه"(68).

ويعتبره أبو البقاء الكفوي (ت 1095هـ) في كلياته نوعاً من أنواع المجاز المرسل لتعريف الحقائق بألفاظ لم توضع لها في الأصل، فاستعملت للتعبير عنها في موارد الحاجة، فيقول "والمَثَل ... اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة، لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ، يُستعْمَل في السرَّاء والضرّاء"(69).

وأما الحسن اليوسي (ت 1102هـ) فيرى أن "المثل هو قول يرد أولاً لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه، فيستعمل فيها شائعاً على وجه تشبيهها بالمورد الأول، غير أن الاستعمال على وجهين: أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح ... كقولهم كمجير أم عامر ... والثاني أن لا يكون على وجه التشبيه الصريح كقولهم: الصيفَ ضيعتِ اللبن... ونحو ذلك، وهو أكثر من الأول"[(70)].

ويذهب إلى هذا الرأي من المحدثين رودلف زلهايم، الذي يعتمد على التفتازاني (ت 793هـ) في تحديد معنى المثل عند البلاغيين، فيقول: "أما البلاغيون ... فإن المثل عندهم حالة خاصة من حالات التمثيل، وهو تشبيه أو استعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة، أي أنه بعبارة أخرى جملة استعارية، فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة، سمي مثلاً"[(71)].

ويرى منير القاضي، أن المثل استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب، أي تشبيه الصورة المنتزعة من حالة المشبه بالصورة المنتزعة من الحالة التي كان عليها المشبه به. فيقول: "المثل في مصطلح الأدب: هو القول السائر المُمثَّل بمضربه، أي المُشَبَّه حالة مضربه، بحالة مورده. أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول، فهو استعارة تمثيلية، مبنية على التشبيه المركب"[(72)].

ويجتمع أصحاب الاتجاهين على السمات التالية في مفهوم المثَل:

1- إيجاز العبارة، وتكثيف المعنى، إضافة إلى الندرة والغرابة.

2- المورد ويمثل إصابة الدلالة في تصوير جانب من خبرات الحياة الواقعية أو المتخيلة المتكررة الحدوث،وهي الحالة التي نفترض أن المثل قد انبثق عنها للمرة الأولى،وتتمثل فيما يرافق التراث المثلي من حكايات وأخبار وأحاديث وغيرها، تحاول تفسير انبثاق المثل للمرة الأولى، وعلى الأرجح فإن هذا الأدب المرافق لنصوص الأمثال قد أورد معها على سبيل المشاكلة والاتفاق،وذلك لغايات تهذيبية اوتعليمية أو تفسيرية أو اجتماعية أو غير ذلك.

3- المضرب، ويتجلى من خلال وجود علاقة المشابهة القائمة على الاستعارة أو الكناية أو التشبيه بين حالة المورد وحالة المضرب، من خلال إسقاط تجربة سابقة على تجربة لاحقة.

4- السيرورة والتداول بين الناس باعتبار المثَل فناً شفاهياً من ضروب التراث الشعبي الجماعي، تتناقله الألسن عبر الأجيال في الأزمان والأمكنة.

5- الثبات في صياغته، وعدم تغيير لفظه أو تركيبه الموضوع له، ونقله على الحكاية كما أرسل عند المورد.

6- علاقة المشابهة أو التمثيل بين المورد والمضرب.

ولا أظن أن أحداً من الباحثين المحدثين والمعاصرين العرب قد أتى بشيء جديد على ما أسلفناه في مفهوم المثل[73].

أدبية الأمثال والعناية بها في النثر العربي القديم:

أشار كثير من علماء الأمثال القدماء، والباحثين المحدثين إلى أن الأمثال نوع أدبي قائم بذاته، سواء ما جاء منها منثوراً أو منظوماً، له عناصره المميزة، وسماته المحدَّدة التي أسلفناها في تعريفاته.

والمثَل في الأصل نمط شفاهي من أنماط الأدب، وهو تراث شعبي لا يُعْرَف قائله على وجه التحديد، رغم أن كتب الأمثال العربية قد عزت أعداداً منها إلى أشخاص ذوي مكانة دينية أو اجتماعية أو سياسية أو فكرية، فإذا ما استثنينا أمثال القرآن، وأمثال الحديث النبوي الشريف، والأمثال الشعرية، وبعض الحكم، وربما بعض أمثال الكتاب المقدس، فما عدا ذلك من الأمثال فقد نشأت عن لا وعي شعبي وبطريق الصدفة غالباً، ثم طارت بها الألسن عبر الأجيال، حتى دونت في كتب الأمثال والأدب، ولا شك أنها بقيت تتداول مشافهة خارج إطار التوثيق الكتابي، عرضة للتحوير والتبديل في شكلها، وإن ظلت إلى حد ما محافظة على ما عبرت عنه من هموم الإنسان وتجاربه بصوت جمعي شعبي. ولا أظن أننا نحتاج إلى معرفة قائلها الأول لنتداولها ونستشهد بها، ويبدو أن بعض من نسبت لهم هذه الأمثال كانوا ممن يحفظونها، أو يحسنون الاستشهاد بها في كلامهم، وليسوا هم الذين أرسلوها أصلاً. فالمثل بطبيعته لا يتطلب علماً، ولا خيالاً واسعاً، ولا تفكيراً عميقاً، وإنما مصادفة التقاء تعبير موجز بليغ، بتجربة حية، في شأن من شؤون الحياة المتكررة، أو إحدى خبراتها[74].

ويشير ابن المقفع (ت 143هـ) إلى قيمة المثل الأدبية وجمالياته التعبيرية والبلاغية عامة، فيقول: "إذا جُعِل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[75].

وقد أيده أبو الحسين بن وهب الكاتب (ت ق 4هـ) في ذلك، مؤكداً ما للمثل من سمات بيانية، جعلت منه مادة محببة لدى الناس عامة، ولدى الحكماء والعلماء خاصة، فتوسل الناس باستخدامهم الأمثال في تعبيرهم ليبينوا لبعضهم تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه فقال: "فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال، ويبيِّنون للناس تصرف الأحوال، بالنظائر والأشباه والأشكال؛ ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً، وأقرب مذهباً ... فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ونطقت ببعضه على ألسن الوحش الطير"[76].

ويشير ابن عبد ربه (ت 327هـ) إلى تمايز الأمثال عن الأنواع الأدبية الأخرى، فيصفها بأنها "وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحِليْ المعاني، تخيرتها العرب، وقدّمتها العجم، ونُطِق بها في كل زمان، وعلى كل لسَان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل"[77].

وقد وسع ابن عبد ربه (ت 327هـ) في مدلول كلمة المثَل حتى شملت عنده معظم أنواع جوامع الكلم، والنوادر، والأقوال السائرة.

وأما حمزة الأصفهاني (ت 351هـ) فيلمح إلى تداخل هذا الفن الأدبي مع الأجناس الأدبية الأخرى، وتغلغله فيها، بحيث أصبح مما يمدح به مبدعو هذه الفنون تضمينهم له فيها، فيرى أن الأمثال فن قولي يتسم بالفصاحة والبلاغة، يجري "على ألسنة الفصحاء، ويختلط بخطاب البلغاء، ويدخل في نوادر الأدباء، وبدائع الشعراء"[78].

وربما كان أبو هلال العسكري (ت 395هـ) خير من بيّن أهمية الأمثال، ومواطن الحاجة إليها، وقيمتها الفنية والموضوعية، وإبراز أهم سماتها، وتقييم أثرها في نفوس الناس، فيقول: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد، والمثل، والشذرة، والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أوان المجادلة في ميادين المجادلة، والمصاولة في حلبات المقاولة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم في البُرد، فينبغي أن يستكثر من أنواعه، لأن الإقلال منها كاسمه إقلال، والتقصير في التماسه قصور، وما كان منه مثلاً سائراً فمعرفته ألزم"[79].

وأما ابن رشيق (ت 456هـ) فيجعل الأمثال صنفاً من أصناف الشعر فيقول: "جميع أصناف الشعر أربعة: المدح، والهجاء والحكمة، واللهو، ثم يتفرع عن كل صنف من ذلك فنون ... يكون من الحكمة الأمثال، والتزهيد، والواعظ...."[80].

وأما الزمخشري (ت 538هـ) فبعد أن وصف الأمثال بالفصاحة، والبلاغة، والمنطق والإيجاز المعبر، والتلويح المصرح، والكناية المفصحة، يقوم بتصنيفها في جوامع الكلم، ونوادر الحكم.[81].

وقد تحامل طه حسين على النثر العربي قبل الإسلام ولم يلتفت للفارق بين المستوى الشفاهي للمثل، ومستواه الكتابي، فقال: "والأمثال بطبيعتها أدب شعبي مضطرب متطور، يصح أن يؤخذ مقياساً لدرس اللغة، ومقياساً لدرس الجملة القصيرة، كيف تتكون، ومقياساً بنوع خاص للعبث بالألفاظ والمعاني"[82]. فقد انطلق طه حسين في حكمه هذا من خلال ربطه نشوء النثر

الفني بانتشار الكتابة والتدوين من ناحية، ومن ناحية أخرى حكم على النثر الفني بمقدار اقترابه من الصناعة القائمة على الزخرفة المعتمدة لذاتها، فدمج بين مفهوم الفنية الأدبية والتصنع المتكلف، وكأنه يحصر الإبداع الفني في الفرد المبدع، ويستبعد إمكان الإبداع الجماعي العفوي الذي تقوم عليه الأمثال في الغالب.

ولأهمية هذه الأمثال، فقد عُنِي العلماء المسلمون بجمعها، وتدوينها، وتفسيرها، ونسبتها إلى قائل ما، وإيراد القصص والأخبار التي تعين على فهمها، منذ زمن مبكر، حيث شكلت هذه العناية بالأمثال بداية حركة جمع اللغة وتدوينها، فرويت الأمثال ضمن أيام العرب، وأشعارها، وأخبار فرسانها، وأجوادها، وعُقِدت لها مجالس العلم والدرس، وتُنُوِلَت بالشرح، والتفسير، لبعد العهد ما بين مضربها وموردها، وشكلت مادة تأديبية خصبة، كما تبوأت مكاناً مرموقاً في أدب المسامرة منذ بداية العصر الأموي، فجمعت بين الوعظ، والتهذيب، والمتعة، كما جمعت بين الخيال الشعبي، والأخبار الحقيقية، مما شكلت مادة أدبية محببة للنفوس[83].

ويُروَى أن أول من عني بجمع الأمثال والقصص المتعلقة بها هو صُحَار بن عيّاش (أو عباس) العبدي (ت حوالي 50هـ)، عاش زمن معاوية[84]، وعلاقة بن كريم (أو كُرْسُم) الكلابي (ت حوالي 65هـ) كتب ليزيد بن معاوية (ت 64هـ)[85]، وعاصرهما مؤلف آخرهو عُبيد بن شَرْيَة الجرهمي (ت حوالي 67هـ)، وقد وضع فيها كتاباً لمعاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ)، وقد ذُكِر عبيد في قصص الأمثال كثيراً عند المتأخرين من جماع الأمثال[86]، ويبدو أن هؤلاء الثلاثة كانوا مصدر معظم القصص والأساطير التي أُلحِقت بالأمثال فيما بعد[87]. وتظهر صورة شاملة لكتب هؤلاء المؤلفين في كتاب الأمثال للمفضل الضبي (ت 170هـ)، حيث تظهر فيه روح الراوية الأديب الذي يهتم بالقصص والأحاديث والنوادر والخرافات، والأساطير المسلية، التي تنتهي بعبارة مأثورة، أو قول سائر، على لسان أحد أبطالها، فتصبح هذه العبارة بعد ذلك مثلاً، وتصدر بعبارات كاشفة، مثل: "فأرسلها مثلاً"، أو "فذهبت مثلاً" أو "فذهب قوله مثلاً"، أو "فصار مثلاً"، وما شابه ذلك[88].

وجاءت بعد هؤلاء طبقة ممن اتسع لهم باع التأليف في الأمثال، وهم أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، والمفضل بن محمد الضبي (ت 170هـ). وأبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت 193هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ)، وأبو زيد الأنصاري (ت 210هـ) والأصمعي عبد الملك بن قريب (ت 213هـ)،.

وقد انتقلت معظم قصص الأمثال التي جمعها المفضل الضبي (ت 170هـ) إلى مؤلفات من تلاه من الكوفيين والبصريين، وأضيفت إليها قصص أخرى من رواية أو صُنع رواة آخرين سبقوه

أو عاصروه من مثل عوانة بن الحكم (ت 147هـ)، والوليد بن الحسين الكلبي، المعروف بالشرقي ابن القطامي (ت 158هـ) مؤدب المهدي (ت 169هـ)، وكذلك من رواية هشام بن السائب الكلبي (ت 204هـ)، وظلت قصصهم تروى في كتب الأمثال حتى عصر الميداني(ت518هـ)[89] . ولم يأت أحدٌ بجديد يذكر في قصص الأمثال بعد ذلك، سوى المفضل بن سلمة (ت 295هـ) في القرن الثالث، في كتابه الفاخر، وقد اعتمد على من سبقه في الأمثال وقصصها، ككتاب المفضل الضبي (ت 170هـ)، و روايات ابن الكلبي (ت 204هـ)، وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، والذي يعد كتابه توسيعاً لطبيعة المثل، وتجديداً في تقسيم الأمثال بحسب الموضوعات.

وغالباً ما تكمن قيمة الحكايات الملحقة بالأمثال في تفسير بعض الأمثال، الغامضة، وإضافة بعض الإيضاحات اللغوية فحسب، ولا تفيد القارئ أو السامع كثيراً في أصل الأسماء أو طبيعة الأحداث التي توردها أو تعالجها هذه الأمثال في كثير من الأحيان.

وعدَّ معظم دارسي الأمثال العربية هذه الأخبار موضوعة، ومما يدل على ذلك، تعدد الحكايات التي توضح المثل الواحد، واختلافها مثل الحكايات الملحقة بالمثل (وافق شن طبقة)[90]، أو انبثاق عدد وفير من الأمثال والأقوال السائرة من حكاية واحدة، تنوف على العشرين مثلاً في حكاية المثل (خطب يسير في خطب كبير)[91].

وهذا يحملنا على القول إن هؤلاء الرواة عنوا بسرد الأخبار؛ لتوفير أكبر قدر من عناصر التشويق، والمتعة، والتأثير في سامعيهم، أكثر من عنايتهم بتدقيق الأعلام، والتثبت من صحة الأخبار، على أن معظم كتب الأمثال التي تلت ذلك رتبت مادتها من الأمثال على حروف المعجم، مقسمة على ثمانية وعشرين باباً. وفي العادة فإن المثل يسبق قصته زمنياً وفنياً، ولكن في كثير من الحالات تسبق القصة من الناحية الفنية المثل، لأن الأمثال في هذه الحالة تحتوي على مغزى القصة، وتشرح موقفاً معيناً فيها، ولا يفهم إلاّ في سياق القصة. كما نلحظ في أمثال المفضل الضبي (ت 170هـ)[92]. وجرت العادة أن يرتب المؤلفون أمثالهم حسب الموضوعات، كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، وحمزة الأصفهاني (351هـ)، و الثعالبي (429هـ)، أو يرتبوها حسب حروف المعجم على ثمانية وعشرين باباً، كما فعل أبو هلال العسكري (ت 395هـ)، والزمخشري (ت 538هـ)، والميداني (ت 518هـ) ويعتبر مجمع الأمثال للميداني أكبر مصدر في الأمثال وحكاياتها، حيث تضمن أكثر الأمثال العربية وقصصها في المصادر التي سبقته، كما قام الميداني (ت 518هـ) بجمع قدر وفير من الأمثال المولدة، وألحقها بأبواب هذا السفر القيم، حيث اشتمل على خمسة آلاف وثمانين مثلاً قديماً، إضافة إلى ألف مثل من أمثال المولدين.

تجليات بعض الجماليات الأسلوبية والبلاغية في نماذج من الأنماط الصياغية المثلية القديمة عند العرب

التمهيد

جمع علماء الأمثال كلَ ما وصلهم من جوامع الكلم، والأقواالِ السائرة في كتب الأمثال، حتى أخبار أيام العرب، وخرافات الخرز، صنيع حمزة الأصفهاني والميداني، فامتزجت الأمثال الصريحة مع الأقوال المأثورة، والحِكَم، والتراكيب الجاهزة، والعبارات التقليدية، والكنايات الإيحائية، والاستعارات التمثيلية البليغة، والأمثال التشبيهية، وأمثال التناهي والمبالغة، حيث توسعوا في مدلول المثَل، كما يوضح الزمخشري (ت 538هـ) في تحديده لمصطلح المثَل حيث يوسعه ليشمل كل قول سائر، فيقول "سميت هذه الجملة من القول، المقتضبة من وُصُلها، أو المراسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول مثلاً"[93]، وأصبح المَثَل في اصطلاحهم كالعلاقة التي يعرف بها الشيء، وتعبر عن المعنى المراد التعبير عنه، بكلام وجيز مختصر، يفي بالغرض من أقصر السبل، فيكون قولُ العربي "حياك الله وبياك" تعبيراً للدعاء والتحية، وتكون هذه العبارة مثلاً بالمعنى الواسع، أي علامة على هذا الدعاء مثلما تعتبر "مواعيد عرقوب" علماً لكل ما لا يصح من المواعيد، على حد تعبير الميداني في مقدمة مجمع الأمثال[94].

وبناء عليه فقد حوت مجاميع الأمثال عدداً من الأنماط المثلية، والأقوال السائرة، تختلف من الزاوية الفنية الدقيقة الخالصة عن مفهوم المثَل الصريح، لأن علماء الأمثال قد وسّعوا مدلول كلمة المثَل بالاعتماد على الأصل اللغوي، ليشمل هذه "الأشباه" وهذه العلامات لمعانٍ بعينها، تطول العبارة عنها، فتختصر باستعمال هذا الشاهد أو ذاك، من كلام البلغاء وغيرهم، مما صار يُتَمثل به، لأنه محفوظ عند جمهور واسع، بسبب إصابة قائله في المعنى واللفظ، فصار اللاحقون يضمنونه كلامهم، سواء بنيَّة الاحتجاج والاستدلال، كما في الشواهد اللغوية، أو بقصد الاختصار والبلاغة والتزيين كما هو في الاستعمال الأدبي البليغ[95]. ومن أشكال التعابير المثلية السائرة وما يجرى مجراها من جوامع الكلم في كتب الأمثال العربية القديمة ما يلي:

1- المَثَل الصريح:

وأول من أشار إلى هذا المصطلح الحسن اليوسي (ت 1102هـ)[96]، وحدّد زلهايم مفهومه، باعتباره قولاً موجزاً مكثفاً، يعبر عن إحدى خبرات الحياة المتكررة، عبر الأجيال المختلفة، مُمَثِّلة

لكل الحالات الأخرى المماثلة، ومصاغة بطريقة حسية مباشرة واضحة، تتلاءم وبساطة التفكير عند الشعوب البدائية، ذات الثقافة الشفاهيِّة، وأسلوبها في التعبير والاحتجاج والتأثير[97].

ويحقق المَثَل الصريح بهذا المفهوم قدراً وافراً من التأثير في النفوس، لا تستطيع التعبيرات التجريدية تحقيقه، ويمتاز المثَلُ إضافة إلى ذلك، بشيوعه وسيرورته من خلال جريانه على الألسنة مع سياقه وحديثه الأصلي أو بدونه، وبعض الأمثال التي تُرْوَى منفصلة عن سياقها، تكون واضحةً لا تحتاج إلى تفسير أو إيضاح، لما تحويه من الأسماء، أو تتضمنه من الأحداث، وبعض الأمثال لا يمكن فهمها منبتاً عن الأخبار أو الأحاديث التي تفسرها وتوضحها، مثل قولهم: مواعيد عرقوب[98]، يضرب في خلف الوعد، وبعضها يبقى غامضاً رغم جهود العلماء في محاولة تفسيرها بالأخبار، والإيضاحات اللغوية، بغض النظر عن صحة هذه الأخبار، والإيضاحات اللغوية المصاحبة للأمثال في كتب الأمثال، إما لقلة دورانها، أو لغرابة لفظها، أو لجهل أصلها وموردها، ومن الأمثال التي خفي معناها وأشكل تفسيرها على العلماء بسبب ضياع أصولها، ما نوّه به الميداني (ت 518هـ) في تعليقه على المثَل "تيْسيُّ جَعَارِ" فقال "قال الليث: إذا استكذبت العرب الرجل تقول: تيْسيُّ جَعَار" أي كذبتَ، ولم يُعرف أصلُ هذه الكلمة"[99]، ومنها قولهم "إلاَّ دَهٍ فَلاَ دَهٍ" فقد أشكل تفسيره على علماء الأمثال واختلفوا فيه وعلق الأصمعي (ت 216هـ) عليه بقوله "ولا يُدرى ما أصله"[100].

وقد يأتي غموض المثَل من غريب ألفاظه واحتمال تأويلها على أكثر من وجه وأمثلته في كتب الأمثال كثيرة منها قولهم "جاء بالطِّم والرِّم" فقد أورد العلماء في تفسيره ستة أقوال منها؛ قيل الطِّم: البحر، والرِّم: الثرى، وقيل الطِّم: الرَّطْب، والرِّم: اليابس، وقيل الطِّم: ما حمله الماء، والرِّم: ما حملته الريح، ومعناه جاء بالكثير والقليل[101].

وغالباً ما ترتبط الأمثال بخبرٍ أو حديث قصصي يفسر منشأها، وفي العادة فإن كتب الأمثال تورد المثَل، ثم تردفه بقصته، غير أن كثيراً من الأمثال الأخرى ترد في ثنايا الخبر، أو في نهايته على لسان أحد شخصيات الحكاية[102].

ويمكن القول أن المثَل قولٌ موجزٌ مكثف سائرٌ مشهورٌ، قيل في ظروف معينة، يستشهد به في حالة مماثلة، مصاغاً صياغة مادية، يجمع في مفهومه عناصر: المورد، والمضرب، والإيجاز، والسيرورة، والثبات، والغرابة. ومن الأمثلة على المثَل الصريح:

1- "رَجَعَ بخُفي حُنَيْنْ"، يضرب عند اليأس من الحاجة والعودة بالخيبة.

2- "الصيفَ ضيعتِ اللبن"، يضرب لمن يطلب الحاجة بعد فواتها.

3- "وافق شَنٌ طبقة"، يضرب للمتوافقين.

4- "تسمع بالمُعَيْدي خيرٌ من أن تراه"، يضرب لمن خيره خير من مرآه.

5- "عند جُهَيْنة الخبرُ اليقين"، يضرب في معرفة الشيء حقيقة.

6- "ما وراءك يا عصام"، يضرب في الاستفهام عن الأمر العظيم.

7- "لأمر ما جدع قصيرُ أنفه"، يضرب في الارتياب في أمر ما مهم.

8- "ما يوم حليمة بسر"، يضرب للأمر المشهور.

9- "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك"، يضرب في عدم الوفاء بالوعد.

10- "انج سعد فقد هلك سُعيد"، يضرب في الحث على إيثار السلامة والنجاة(103).

2- الحكمة:

الحكمة لغة معرفة الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسنُ دقائق الصناعات ويتقنُها "حكيم"(104)، ويرى الشريف الجرجاني (ت 816هـ) أن "الحكمة علمٌ يُبْحثُ فيه عن حقائق الأشياء، على ما هي عليه في الوجود، بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي"(105)، وفي الحديث الشريف "إن من الشعر لحكمة"، أي أن فيه كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما، قيل أراد بها المواعظ والأمثال التي تنفع الناس. وحَكَم الشيء، وأحكمه، منعه من الفساد، وأصلحه(106).

وما يهمنا من مفهوم الحكمة معناها من خلال كتب الأمثال القديمة، فهي أقوال وعظية إرشادية موجزة، تدعو إلى الصلاح ومكارم الأخلاق، وترشد إلى السبل القويمة في الحياة، تعبر عن خبرات الإنسان، مصاغة بطريقة ذهنية تجريدية بليغية، ذات وقع خاص على الأسماع(107).

فالعبارات الحكمية تجمع خلاصة تجربة إنسانية متكررة، تنحو في صياغتها ومضمونها منحى أخلاقياً وعظياً، يرمي إلى الإرشاد والإصلاح والتقويم السلوكي للإنسان، فهذه الأقوال الموجزة، المتحصلة من تجارب الإنسان، لا تحتاج لنفهمها إلى تنزيلها في سياقها، الذي وردت فيه أول مرة، إن وجد، ولا تحتاج إلى تحديد قائلها الأول إن عُرِف، إذ لا تُغيِّر نسبتها إلى قائل ما، من مدى تقبُل الناس لها، واعتمادها في حياتهم، وإن حَرِصَ علماءُ الأمثالِ العربُ على تحديد قائلٍ أولَ لهذه الحكم، فنسبوها إلى حكمائهم من مشاهير الجاهلية أو الإسلام، ممن اشتهروا بالقدرة على التعبير التجريدي، أمثال لقمان الحكيم وأكثم ابن صيفي، وقس بن ساعدة الإيادي، وقيس بن عاصم، وعامر بن الظرب، والأحنف بن قيس وغيرهم. ويرى بعض الباحثين أن الحِكَم كالأمثال

الصريحة التي يصعب معرفة قائلها الأول، وأن ما فعله علماء الأمثال بنسبتها: لـ أشخاص معروفين، قد كان في إطار حرص العرب على الرد على الشعوبيين، وإثبات الحكمة للعرب كما هي عند الشعوب الأخرى. ويدل على ذلك الباب الذي أفرده ابن عبد ربه (ت 328هـ) في كتاب العقد، حيث دمج فيه حكم أكثم بن صيفي وبزر جمهر الفارسي[108].

ومن السمات الأخرى التي تفرق المثَل عن الحكمة غاية كل منهما، فالأمثال الصريحة غالباً ما تكون لها غاية احتجاجية استشهادية، وربما تكون ذات نزعة تبريرية في بعض الأحيان، وكثيراً ما تكون هذه الغاية متوسلة بصياغة لا أخلاقية بذيئة كان يقبلها الذوق في زمانها، وبعضها ينبو عنه الذوق المهذب هذه الأيام، وأما غاية الحكمة فغالباً ما تكون وعظية إصلاحية مقيدة بثوابت ومبادئ أخلاقية محددة. وقد جاء في بعض الأمثال مدحُ للفضائل ومكارم الأخلاق، كالكرم والوفاء والشجاعة، وذم البخل والطمع والكذب، مثل قولهم "رجع بِخُفَي حُنين" و "سمِّن كلبك يأكلْك"، ويقترب هذا النوع من الأمثال في غايته من الحكم، وربما التبس بها، بَيْدَ أن السمات الأخرى تميزه عنها[109].

وغالباً ما تعبِّر الحِكم عن مبادئ أخلاقية عامة شاملة على قدر من الثبات، ولكنها لا تحظى بالضرورة بإجماع كافة الناس عليها، فقد جاء في كتب الأمثال حكم مُتقاربة، يناقض بعضها البعض الآخر، ومع ذلك نتقبلها في معظم الأحيان دون تردد، لجمال صياغتها، وحسن وقعها في النفس، ومن ذلك قولهم في الحث على الإسراع لاغتنام الفرص "التقدم قبل التندم" وقولهم "رب ريثٍ يعقب فَوْتاً"، ومضمون هاتين الحكمتين يتناقض مع قولهم في الحث على التأني والتريث "رب عجلة تَهب ريثاً" وقولهم "في التأني السلامة وفي العجلة الندامة"، ويبدو أن مرد هذا التضارب يعود إلى النزعة التبريرية الجدلية التي تعتمد موقفاً محدداً في لحظة ما، إذ من المستحيل توقع إيراد الحكمتين المتضاربتين معاً في الموقف الواحد نفسه، إضافة إلى ميل الحكم إلى معالجة الأخلاق الجزئية التي يكون اتفاق الناس عليها نسبياً أقل من إجماعهم على الأخلاق الكلية[110].

ويرى بعض الباحثين أن الحكمة في علاقتها مع المثل تحمل سمة المفارقة، فهي وإن كانت ضيقة الاستعمال، وذات أفق فكري محدود، ومحصورة المنشأ، فإنها أشمل بدلالتها من المثل الصريح، لأنها عامة في الأقوال والأفعال، أما المثَل الصريح فخاص بالأقوال فحسب[111]. ويرى باحث آخر عكس ذلك، فيلاحظ "أن في المثَل عمقاً خاصاً، لا تدركه الحكمة، مع أن كليهما من جوامع الكلم، إلاَ أن الحكمة تفيد معنى واحداً، بينما يفيد المثَل معنيين، ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فهو ما يحمله من إشارة تاريخية إلى حادث معين، كان سبب ظهوره، وأما الباطن فهو ما يفيد معناه من حكمة، وإرشاد، وتشبيه أو تصوير"[112].

ويزعم زلهايم من ناحية أخرى، أن الحكماء لم يفعلوا أكثر من أن أضفوا على الأمثال معنى مجرداً، وحوّروا مضامينها، باستعمال علامات فلسفية عامة، وأعادوا صياغتها بعبارات عذبة، ذات إيقاع جميل[113].

وذهب عفيف عبد الرحمن إلى أبعد من ذلك في العلاقة التحويلية بين المثَل والحكمة، ورأى أن المسافة التي تفصل بين الحكمة والمثَل ليست بذات بال، فالمثَل يصبح لوناً من ألوان الحكمة حين يضفي عليه الحكيم تجريداً، والحكمة تُضحي مثلاً إذا تحقق لها شرط الذيوع والانتشار[114]. وحقيقة الأمر أن المثَل الصريح لا يمكن أن يكون حكمة، أو تصبح الحكمة مثلاً صريحاً، كما زعم زلهايم، وعفيف عبد الرحمن، لأن المثَل فيما أوضحنا سابقاً إذا جُرد من سياقه القصصي وصياغته الحسية لا يعود مثَلاً، كما أنه من غير المتخيل أن تنزل الحكمة التجريدية، ذات الطابع الفردي الذاتي، إلى لحظة الصدفة الفطرية في الإحساس الشعبي الجمعي، فتكتسب ثوباً حسياً، على ألسنة أحد الناس بصورة المثَل بغير قصد أو تعمّد، فهما مفترقان تماماً في مضربهما، وموردهما، وصياغتهما، وغاية كلٍ منهما.

ومن الأمثلة على الحكم التي تضمنتها كتب الأمثال:

1- "إن الكذوب قد يصدق"
2- "جنة المرء داره"
3- "أول الحزم المشورة"
4- "لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً"
5- "الإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السوء"
6- "صدرك أوسع لسرك"
7- "ويلٌ لعالم أمر من جاهلة"
8- "إذا عزّ أخوك فهُن"
9- "زر غِباً تزدد حباً"
10- "من مأمنه يؤتى الحِذر"[115]

3- العبارات المثلية:

ويتميز هذا النوع من الأقوال السائرة عن المثَل الصريح، في أنه لا يقدم أخباراً محددة، عن طريق حالة معينة، أو يرتبطُ بها، غير أنه يصورُ بعض أحوالِ الحياةِ، أو جانباً من جوانب العلاقات الإنسانية المتكررة، وتُصاغ مثلُ هذه الأقوال على هيئة جزء من جملة، وأحياناً على شكل عبارات كاملة قائمة بذاتها، ومثل هذه التعابير يثري الأدب، ويزيد من بلاغته، بما يحويه من البيان والبلاغة، وغالباً ما تكون تمثيلاً، أو كناية إيحائية جرت على الألسن والأسماع، وأصبح استعمال الناس لها في بعض مواقف الحياة أوفى بالمقصود، وأنفذ إلى الأذهان[116]، ومن أمثلتها:

1- "أسمع جعجعة ولا أرى طحناً"، يضرب لمن يعد ولا يفي.

2- "جاؤوا قضهم بقضيضهم"، أي جاوؤا جميعهم.

3- "فلان لا يعوي ولا ينبح"، يضرب للضعيف الذي لا يُعْتَد به في خير أو شر.

4- "لا يُضَر الحُوار ما وطئته أمه"، يضرب في شفقة الأم.

5- "إن البُغاث بأرضنا يستنسرُ"، يضرب للضعيف يصير قوياً.

6- "مات حتف أنفه"، يضرب لمن يموت على فراشه ولم يقتل.

7- "لا تدخل بين العصا ولحائها"، يضرب فيمن دخل بين المتخاصمين المتصافيين.

8- "هو يحطب في حبله"، يضرب لمن يسعى في منفعة نفسه.

9- "ألقِ حبله على غاربه"، يضرب لمن تكره معاشرته.

10- "لبس له جلد النمر"، يضرب لمن يظهر العداوة للآخرين[117].

ويمكن اعتبار العبارات الإشتراطية من هذا النوع من التعابير المثلية مثل قولهم:

1- "إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"، يضرب في ميل الناس إلى حيث المال.

2- "من استرعى الذئب ظلم"، يضرب فيمن يتسبب في ظُلم غيره.

3- "لو ترك القطا ليلاً لنام"[118]، يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

4- عبارات التناهي والمبالغة:

وأول من أطلق عليها هذا المصطلح أبو هلال العسكري (ت بعد 395هـ)، فقال: "وميزت ما أورده حمزة الأصفهاني من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة، وهي الأمثال على "أفعل من كذا"[119]، وهي أقوال سائرة، جاءت على صيغة التفضيل "أفعل من" أو على صيغة المفعول المطلق المبين لنوع فعله "فَعَلَ فِعْلَ كذا" وقد جمع حمزة الأصفهاني (ت 351هـ) في الدرة الفاخرة، ما يزيد على 1200 مثَل من هذا النوع على نمط صيغة التفضيل، وفي العادة يتم في هذه العبارات إكساب المشبه المضروب له المثَل صفةً ما، أو أكثر، من صفات المشبه به، الذي يلي صيغة التفضيل[120]، أو يصاغ في هيئة المصدر المبين لنوع فعله، فيكتسب المشبه هذا الوصف بالمبالغة، ويكون هذا الوصف في المشبه به شيئاً محسوساً، أو مدركاً متناهياً، ولا يُسمح بالتصاعد في الصفة التي يَختَصُّ بها المشبه به مطلقاً، وذلك بقصد المبالغة والغرابة في التعبير، وغالباً ما يكون المشبه به بعض الحيوانات أو النباتات أو الأشخاص الذين اشتهروا بصفة معينة، يراد إيضاحها أو إبرازها في التعبير[121]، ومن أمثلة هذا النوع من الأقوال السائرة:

1- "أظلم من حية" 2- "أبصر من غراب"

3- "أعدى من الشنفرى" 4- "أجود من حاتم"

5- "أنقى من مرآة الغريبة" 6- "أغدر من ذئب"

ومنها أيضاً

7- "عاث فيهم عيث الذئاب" 8- "ضربه ضرب غرائب الإبل"

9- "أطرق إطراق الشجاع" 10- "زقة زق الحمامة فرخها"

11- "يروغ روغان الثعلب" 12- "يدب إلى الشر دبيب العقرب"[122]

ويلاحظ ورود بعض أمثلة هذا النوع من الأقوال مما يعرض أخباراً بعينها عن طريق حالة محددة، مما يجعل في سماتها تداخلاً مع مفهوم المثَل الصريح، مثل قولهم "أبطش من دوسر" و "أغلى فداءً من حاجب بن زرارة" و "أشأم من البسوس" و "أحلم من الأحنف" "وجزاه جزاء سنمار"[123]. إلاَ أن صياغة الشكل اللغوي تميز هذه العبارات عن الأمثال الصريحة.

5- العبارات التقليدية الجاهزة:

هي أقوال سائرة موجزة، يكرر الناس استخدامها في مواقف حياتهم المختلفة اليومية كعبارات التحية، والأدعية، المجاملات العامة، والتعجب، والتمني، والترجي، والسؤال والإغراء، والسخرية، والتهديد، وهلم جراً، يستخدمها الناس بصورة آلية مع تكرار دواعيها في المواقف المختلفة، حتى أصبحت إشارة اصطلاحية متكررة على ألسنتهم في تلك المواقف، لا غنى لهم عنها، رغم آلية استخدامها العفوي[125]، فهذه الأقوال كالعلامات التي تُعْرَف بها الأشياء، تعبر عن المعنى المراد بكلام وجيز واضح مختصر، يفي بالغرض من أقصر السبل، فشاع إيرادها في كتب الأمثال؛ لتضمنها بعض سمات المثَل، كالإيجاز، والسيرورة، والتكرار الممثل لموقف ورودها الأول، فأدخلها العلماء في مفهوم المعنى الواسع للمثَل؛ لأنها كالعلم لما تدل عليه، وهي تستخدم بصورة آلية عفوية متكررة، وربما كانت أقل جمالاً من الناحية الفنية من العبارات التصويرية، ومن أمثلتها:

1- "أطعمْتك يدٌ شبعت ثم جاعت، ولا أطعمتك يدٌ جاعت ثم شبعت".

2- "أجنّ الله جِبَاله" أي جِبِلّته، دعوى عليه بالموت.

3-"لليدين وللفم" أي أسقطه الله عليهما. 4-"عسى غداً لغيرك".

5- "أفعله دهر الدهارير". 6- "لأكوينه كيَّة المتلوم" يضرب للتهديد.

7- "لك العتبى ولا أعود" في الاعتذار. 8- "لا أم لك"، و"لا أبا لك".

9- "بالرفاء والبنين". 10- "لله دره".

11- "على بدء الخير واليمن". 12- "بَلَغ الله بك أكلأ العمر".

13- "لا جعل الله فيه أَمَرَة" أي بركة.

14- "لو بغير الماء غصصتُ"[126] لمن يؤخذ من مأمنه.

6- الأقوال النادرة (النوادر):

الأقوال النادرة ضرب من جوامع الكلم تتفق في بعض سماتها مع الأمثال الصريحة والحكم، فهي موجزة صائبة المعنى، تعبر عن تجربة، ونظر ثاقب في تدبير الأمور، واستكناه أسرار الحياة، وهي أشيع في كتب الأدب الموسوعي منها في كتب الأمثال، لأنها لم تنل حظاً وافراً كغيرها من الأقوال المثلية في السيرورة والشيوع، ومع ذلك فقد حشد العلماء قدراً منها في كتب الأمثال، ويظهر أن علماء الأمثال قد قاموا باستنباط معظمها من سياقات أدبية عامة لبعض البلغاء والفصحاء، حتى تُتَّخذ مثالاً يحتذى به في التأدب، ويُنْشَأ على منواله في الأعمال اللغوية العالية كالخطابة والترسل، وأشهر من عُني بها؛ ابن قتيبة (ت 276هـ) في عيون الأخبار، وابن عبد ربه (ت 327هـ) في العقد، وابن المرزبان الكرخي (ت 345هـ) في المنتهى في الكمال، و الثعالبي (ت 429هـ) في كتابه التمثيل والمحاضرة، إضافة إلى تناثرها في مجمع الأمثال وغيره، من أمهات كتب الأمثال القديمة.

وربما يكون الفارابي (ت 350هـ) أول من أطلق مصطلح النوادر على هذا النوع من الحكم، والأقوال المثلية غير السائرة على ألسنة العامة، فتبقى مقصورة على الخاصة، فهي حكمة الخواص، فقال: "النادرة: حكمة صحيحة تؤدي عما يؤدي عنه المثل، إلاّ أنها لم تَشِع في الجمهور، ولم يختزنها إلاّ الخواص، وليس بينها وبين المثل إلاّ الذيوعُ وضدُّه"[126].

ويشير أبو هلال العسكري (ت بعد 395هـ) إلى أن هذه الأقوال النادرة في مباينها ومضامينها، هي ضرب من الحكم غير الشائعة أو السائرة، فإذا سارت على الألسن والأسماع، أصبحت أمثالاً، فيقول "أصل المثَل من التماثل بين الشيئين في الكلام ... ثم جُعِل كلُّ حكمةٍ سائرة مثلاً، وقد يأتي القائل بما يَحْسُن أن يُتَمَثل به، إلاّ أنه لا يتفق أن يسير، فلا يكون مثلاً"[127].

ومن أمثلتها:

قال خالد بن صفوان: "دَع من أعمال السرِّ ما لا يصلح لك في العلانية".

قال حكيم: "إياك وما يُعْتَذر منه، فإنك لن تعتذر من خير أبداً".

من وصايا لقمان: "من يَرْحم يُرحم، ومن يصمت يسلم".

وقال أكثم بن صيفي: "احذر الأمين ولا تأمن الخائن".

وقال أعرابي: "لا أعرف أعظم رزية ممن ضيَّع اليقين وأخطأه الأمل"[128].

7- العبارات التصويرية:

وهي أقوال سائرة جميلة، صيغت على هيئة تشبيه بليغ أو تمثيلي أو استعارة تمثيلية جميلة، ويُمَثِّل المشبه به في هذه العبارات دور المضروب به المثل، يتم من خلال هذه العبارة إيضاح صفة ما في المشبه أو توكيدها من خلال التصوير المجازي الممتع فيها، وهي في الغالب أجزاء من سياق عام، تَتَخِذ من مشاهدات الإنسان وتجاربه اليومية في بيئته الخاصة مجالاً لها، وهي غالباً ما تُصاغ بطريقة حسية جميلة، غير أنها غير مرتبطة بقائل ما، أو بسياق إخباري محددٍ في نشأتها وورودها[129]، ومن أمثلتها:

1- "سواسية كأسنان الحمار"   2- "كمستبضع التمر إلى هجر"
3- "تغافل كأنك واسطي"   4- "كالحادي وليس له بعير"
5- "كمجير أم عامر"   6- "كلام كالعسل وفعل كالأسَل"

ومن العبارات الكنائية الموحية قولهم:

7- "بلغ السيل الزبى"   8-"ماله سَبَد ولا لبد"
9- "لقيته بين سمع الأرض وبصرها"   10- "لا ينتطح فيه عنزان"[130]

8- الصياغات الاسمية المثلية:

ويقصد بها بعض الأسماء أو التراكيب الاسمية المضافة السائرة بين الناس، بعضها يضرب به المثَل فتكون العلاقة بين مورده ومضربه علاقة الكناية على الأغلب، وأحياناً علاقة المماثلة والمشابهة، كالمضافات التي تدخل في سياق الكلام كجزء منه، فتثريه وتزيده حيوية وجمالاً من خلال الدلالة الإيحائية، وهي كالمثَل، ترتبط بمورد قصصي محدد وتشير إليه بإيجاز شديد، وقد أصبحت كاسم العلم في دلالتها على موردها، فأوردتها كتب الأمثال على هيئة أسماء مضافة مفردة، في غير عبارات تامة، ومن أمثلتها: "غراب نوح" يضرب للرسول الذي لا يعود، أو لمن يبطئ عن ذي حاجة ولا ينجزها له. قال الجاحظ: "يقال في المثَل فلان لا يرجع حتى يرجع غراب نوح" و"ذئب يوسف" يضرب لمن يُرمى بذنب جناه غيره وهو بريء منه، و"مواعيد عرقوب" يضرب للكاذب الذي يخلف وعده، و"جزاء سنمار" يضرب لمن يجزى بالإحسان الإساءة، و"صحيفة المتلمس" يضرب لمن يسعى بنفسه إلى تلفها وحَيْنها، و"عبيد العصا" يضرب للذليل الذي نفعه في ضره، وعزُّه في إهانته[131].

ويندرج في هذا الصنف من الأقوال الموجزة السائرة ما يعرف من الأسماء بالمُكنَّى والمُبنَّى والمثنَّى، ويقصد بالمُكنَّى تلك الأسماء السائرة التي يُستَشهد بها عند تكرار دواعيها في دلالتها على مضربها، وتتميز بنيتها الإضافية القائمة على إضافة كلمة (أب) أو (أم) إلى اسم آخر ذي

دلالة مثلية كنائية موحية، لتدل على صفة معينة في البشر، أو الحيوانات، أو الأشياء، أو بعض المعنويات، كقولهم: "أبو الحارث" للأسد القوي الذي يشق الأرض بمخالبه، و"أبو جعدة" للذئب، و"أبو زيد" للمتكبر، و"أم حُباحِب" للنار التي لا ينتفع بها، و"أم فروة" للنعجة، و"أم الهَنْبر" أي الجحش ـ للأتان، و "أم الندامة" للعجلة[132].

وأما المُبنَّى فهي الأسماء المبدوءة بلفظة ابن أو بنت، لتدل على صفات في الأشخاص، أو الحيوانات، أو الأشياء، أو المعاني، كقولهم "ابن جلا" لأول النهار، ثم ضرب للشخص المتعالم المشهور، و"ابن الأيام" للشخص الجَلِد المجرب، و"ابن خُلاة" للشخص البريء من الشيء الذي يرمى به، و"ابن خلجان" للبحر، و"بنت الدهر" للمصيبة المباغتة[133].

وأما المثنى فيقصد بها الأسماء القائمة على صيغة المثنى التي تدل على شيئين مختلفين، كقولهم "الجديدان" لليل والنهار، و"الأسودان" للتمر والماء، و"القمران" للشمس والقمر، و"المشرقان" للمشرق والمغرب[134].

وقد عُني عدد من علماء الأمثال بجمع طائفة كبيرة من هذه الأسماء المثلية وعالجوها في مؤلفاتهم منذ زمن مبكر، مثل ابن السكيت (ت 224هـ) وغيره، وابن سيده (ت 458هـ) وغيرهم[135].وأكثر من عُني بها حمزة الأصفهاني (ت 351هـ)، حيث جمع منها عدداً كبيراً في كتابه "الدرة الفاخرة"، وميزها عن باقي الأمثال على وزن أفعل، التي كرس كتابه لها، بأن جمعها في باب واحد، حيث قال "الباب الثلاثون في نوادر من الكلام، جارية مجرى الأمثال، جعلتها تماماً لأبواب الكتاب، وقسمتها على ثلاثة فصول، الفصل الأول في المُكَنَّى، والفصل الثاني في المُبنَّى، والفصل الثالث في المُثَنَّى، وعددها في هذا الباب خمسمائة كلمة وكسر"[136].وحشد أبو هلال العسكري (ت 395هـ)، طائفة كبيرة منها في الباب الأول من جمهرته، تحت عنوان "ابن الأيام وما يجري في بابه"[137] وذكر السيوطي (ت 911هـ) طائفة منهما في "المزهر" وأفرد لها باباً بعنوان "معرفة الأباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأخوة والأخوات، والأذواء والذوات" وقد عني عدد آخر من العلماء بهذه الأسماء وعالجوها في مؤلفاتهم.

وربما لاحظ العرب في هذه الأسماء المثلية صفة ملازمة فيها، فنسبوا الأشخاص، أو الأشياء، أو الحيوانات، أو المعاني إليها على سبيل التعظيم، أو التلميح، أو السخرية، أو التحقير، أو التشاؤم، أو التفاؤل، وغيرها من البواعث النفسية، أو الاجتماعية، أو الأخلاقية، وربما الدينية، فيلحظ باعث التعظيم والتهويل في قولهم "أم عبيد" للفلاة المهلكة المليئة بالأفاعي، فيضرب مثلاً للوقوع بالمصيبة الداهية، فقالوا على سبيل المماثلة والمشابهة "وقعوا في أم عبيد تصارع حيّاتها"، ومنها "وقعوا في أم جندب" يضرب للقوم يقع الشر والظلم بينهم، وقولهم "بنت الجبل"

للحية التي لا تجيب راقيها، ولا يشفى اللديغ من سمها. ومما ضربوه للسخرية والتحقير، وصفهم الشخص الذي يحتقرونه (بأبي جخادب) على سبيل النبز بالألقاب، ومما استخدموه لتحسين الصفات أو المعاني القبيحة أو المشؤومة طلباً للتفاؤل، قولهم "أبو عَمْرة" يضرب للفقر وسوء الحال، و" أم عامر" للضبع، و "أبو حكيم" للذباب، وفي غير المُكَنَّى والمُبَنَّى قولهم "السليم" للملدوغ و"البصير" للأعمى[138].

وربما كانت هذه الأسماء المثلية من أساليب العرب التعبيرية التي أضيفت إلى الأساليب والأصناف المثلية، باعتبارها كلاماً مأثوراً سائراً يعبر عن طرائق تعبيرية كنائية مختلفة للتعبير العربي القديم، في حالات النداء والاستغاثة والدعاء والتعجب والإخبار والسؤال وغيرها، وقد بدا على كثير منها طابع الغرابة والندرة، فهي تعبيرات تجري مجرى الأمثال لاستحسانها وإيجازها وسيرورتها وكثرة دورانها على الألسنة، وتشبه في ذلك العبارات المثلية التي يستخدمها الناس في أحاديثهم اليومية، وأدعيتهم، وتحياتهم، بعضها يشتمل على تشبيه، وبعضها على كناية، وبعضها كلامُ عادي لا يشتمل على هذا ولا ذاك[139]. وقد وضح محمد بن علي الصبان (ت 1206هـ) الفرق بين الأمثال الصريحة والأنماط المثلية الأخرى التي تجري مجراها بقوله: "الفرق بينه وبين المثل، كما أفاده الدَنوشري، أن المثل مستعمل في غير ما وضع له، للمشابهة بين ما وضع له وغيره، على سبيل الاستعارة التمثيلية، وما أُجري مجراه مستعمل فيما وضع له، ولكن أشبه المثل في كثرة الاستعمال، وحسن الاختصار، فأعْطِي حُكْمَه، في عدم التغيير"[140]، وربما هذا ما دفع علماء الأمثال إلى إلحاقها في مصنفات الأمثال التي جمعوها.

9- الأمثال الشعرية:

احتوت الأشعار العربية القديمة أنواعاً مختلفة من الأقوال المثلية، بما فيها الأمثال الصريحة، مثل شعر زهير بن أبي سلمى، وشعر الصَلتان العبدي، وعدي بن زيد العبادي، والأشعار المنسوبة للإمام علي، والإمام الشافعي، إضافة إلى شعر أبي العتاهية، والمتنبي، والمعري، ولا ندري هل قام بعض هؤلاء الشعراء بابتكار هذه المضامين المثلية من تجاربهم الذاتية، وتأملاتهم في الحياة، أم إنهم قاموا باستيحائها من الأقوال المثلية السائرة، وضمّنوها لغايات بلاغية في أشعارهم، كما فعل الشعراء المتأخرون. وقد كثرت الأمثال في أشعار الوعظ والزهد، حتى أصبحت غرضاً من أغراض الشعر عندهم[141].

وقد كره النقاد استكثار بعض الشعراء من الأمثال والحكم في أشعارهم، فقد ذم الجاحظ (ت 255هـ) كلاً من صالح بن عبد القدوس وسابقاً البربري لكثرة الحكم والأمثال في أشعارهما. فقال "لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان متفرقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق، ولكن القصيدة إذا

كانت أمثالاً لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء، لم يكن لذلك عنده موقع"[142]. وقد أيَّد ابن المعتز (ت 296هـ) الجاحظ بقوله في ذم كثرة الأمثال في الشعر، فقال في حديثه عن صالح بن عبد القدوس "لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب على مدً ميدانه"[143]. وعلل ابن رشيق (ت 456هـ) ذلك بقوله في ذم كثرة الأمثال "إنما هي نُبَذ تُستَحْسن، ونكت تُستَطرف، مع القلة والندرة، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة، فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة، كشعر صالح بن عبد القدوس، فقعد به عن أصحابه، وهو يقدمهم في الصناعة ـ إكثاره في ذلك"[144].

وغالباً ما كانت ترد الأقوال المثلية على صورة التشبيه الضمني، أو الاستعارة التمثيلية، أو العبارة التصويرية في أشعارهم. وقد عُني بعض العلماء بإفراد مصنفات خاصة، لمثل هذه الأبيات الشعرية المثلية السائرة، كما فعل الصاحب بن عباد حيث قام بجمع أمثال المتنبي الشعرية، وسماها (أمثال المتنبي)، وعرفت الأبيات المثلية بالأبيات السائرة، وقد جمع بعضها عيينة بن المنهال في كتاب سماه (الأمثال السائرة)[145]، أما جامعو الأمثال فغالباً ما كانوا يجتزئون الشطر المثلى من البيت، ويهملون إيراد الشطر الآخر، مع إهمال قائلها في بعض الأحيان، لأن ذلك ليس من مقصدهم في جمع الأمثال في كتبهم، وأحياناً يجتزئون الحكمة أو المثَل بإيقاعه ووزنه من البيت، وربما جاءت بعض الأمثال النثرية موزونة، فلا ندري فيما إذا وردت هكذا بداهة على لسان قائلها، أم إنها أجزاء من أبيات شعرية أصلاً، ومن هذه الأشعار المثلية السائرة:

1- لعلني مُضلَّلٌ كعامرٍ. 2- من يشتري سيفي وهذا أثرُه.

3- ليومها تجري مَهاة بالعَتَق. 4- كالثور يُضْرَبُ لما عافتْ البقرُ.

5- أَكذبِ النفسَ إذا حدَّثتَها. 6- كلُّ شيء أَخطأ الأنفَ جلل.

7- كفضلِ ابن المخاضِ على الفصيل.

8- كل النداءِ إذا ناديتُ يَخذُلني إلا ندائي إذا ناديتُ يا مالي[146]

10- الأقوال المأثورة:

حشد جامعو الأمثال أعداداً وفيرة من الأقوال السائرة، التي نسبت للصحابة والتابعين والخلفاء الأوائل، والزهاد، والصالحين، والأئمة، والقادة، وزعماء الفرق والمذاهب الفلسفية والدينية، وغيرهم من الدهاة، والبلغاء، والحلماء، ممن كان لهم مكانة دينية أو سياسية مرموقة في تراثنا القديم، وتجمع هذه الأقوال بعض سمات الأقوال المثلية؛ كالإيجاز، والسيرورة، والبلاغة، وأغلبها ذو طابع حكمي، أو بلاغي تصويري، وليست من مفهوم المثَل الصريح، وكثيراً

ما سميت هذه الأقوال السائرة "الأثر"، وهي أقوال موجزة بليغة صائبة ذات مسحة تأملية حكمية أحياناً، أو ذات طابع تصويري جميل أحياناً أخرى[147]، ويعد الاهتمام بها في التراث امتداداً للعناية بأقوال الرسول (صلّى الله عليه وسلم)، ولذا ليس غريباً، أن تُجمَع معها في كتب الأمثال والأدب طائفة أخرى من أقوال الأنبياء، وعبارات مثلية من الكتب المقدسة الأخرى، وأقوال الفلاسفة، وأكثر من نسبت إليه مثل هذه الأقوال؛ لقمان الحكيم، و الإمام علي رضي الله عنه، وسيدنا سليمان، والسيد المسيح عليهما السلام، كما رويت طائفة وفيرة من هذه الأقوال للخلفاء الأوائل؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن عبد العزيز، ولبعض الزهاد والصالحين؛ مثل عامر بن عبد القيس، وأبي ذر، والحسن البصري، والشافعي، والإمام جعفر الصادق وغيرهم[148]. من أمثلة هذا النوع التي ألحقها علماء الأمثال في مصنفاتهم:

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ "لا طامة إلاّ وفوقها طامة" وقال: "ليست مع العزاء مصيبة"، وقال: "احرص على الموت توهب لك الحياة".

ومن كلام عمر ـ رضي الله عنه ـ "من كتم سره كان الخيار في يده"، وقال: "لا تؤخر عمل يومك لغدك"، وقال: "رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي".

ومن كلام عثمان ـ رضي الله عنه ـ "ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن"، وقال: "يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك".

ومن كلام علي ـ رضي الله عنه ـ "رأي الشيخ خير من مشهد الغلام"، وقال: "الناس من خوف الذل في ذل"، وقال: "من صارع الحق صرعه".

ومن كلام ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ "الحرمان خيرٌ من الامتنان"، وقال: "اسمح يُسمَح لك". ونسب إلى معاوية "أفلت وانحص الذنب". ونسب إلى عمرو بن العاص "إذا حككتُ قرحة أدميتُها".

ونسب للحسن البصري "ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت، وغفلتهم عنه"[149].

ونلحظ كثيراً من هذه الأقوال المثلية قد حشدت بغزارة شديدة في أدب الوصايا منذ العصر الجاهلي، ومعظم ما وصلنا من هذه الوصايا عبارة عن أكداس من الأقوال المثلية المختلفة، قام علماء الأمثال بتوزيعها على أبواب كتبهم، كما فعلوا في وصايا أكثم بن صيفي وغيره، بينما قام مصنفو كتب الأدب الموسوعية بضم بعضها إلى بعض على غير ترابط، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن السمة الأساسية لوصايا العصر الجاهلي وخطبه، هي حشد الأقوال المثلية الموجزة على غير ترابط فيها. كما نلحظ في سجع الكهان، والوصايا المختلفة.

11- أمثال الحديث الشريف:

يمكننا القول إن معظم ما وصلنا من أحاديث النبي (صلّى الله عليه وسلم) الصحيحة، يندرج في جوامع الكلم، ذات الألفاظ الموجزة، والمعاني الغزيرة، وقد سارت هذه الأحاديث على ألسنة المسلمين لمكانتها في التشريع والتراث عندهم، فهم يحتاجونها في كل شؤون حياتهم، وأحكام دينهم، إضافة إلى هذه الميزة فقد جرت على ألسنة الناس كثير من أقوال الرسول (صلّى الله عليه وسلم) الموجزة البليغة، أو أجزاء من تعبيراته، بسبب طبيعة صياغتها التصويرية العذبة، أو بسبب طبيعتها التجريدية التأملية الحكمية المتقنة، وشقّت طريقها إلى الأقوال المثلية السائرة، فأدرجها بعض علماء الأمثال في كتبهم، لإعجابهم ببلاغتها وسيرورتها، أو للتبرك بها، وإجلال قدرها، وجل هذه الأقوال المثلية النبوية من أنواع المثل غير الصريح، لعدم ارتباطها بمورد محدد، أو سياق إخباري قصصي يفسرها، وهي غالباً من الأقوال السائرة الواضحة كالحكم، والعبارات التقليدية، والعبارات الجاهزة، والنوادر، والعبارات التصويرية، وقد عني بأمثال النبي (صلّى الله عليه وسلم) نفر من العلماء جمعوها في مصنفات خاصة بها[150]، إضافة إلى ورودها في كتب الأمثال المختلفة.

وقد قسم العلماء أمثال النبي (صلّى الله عليه وسلم) إلى قسمين، المثل القياسي المفصل، والمثل السائر الموجز[151].

أما النوع الأول منه فقد عني بدراسته الباحثون الذين بحثوا في بلاغة الرسول (صلّى الله عليه وسلم)، ويشمل هذا النوع تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي ضمّنها (صلّى الله عليه وسلم) صوراً بلاغية تمثيلية جميلة، تضمنت في الغالب ألفاظ المماثلة لتدل على التشبيهات المركبة، أو الاستعارات التمثيلية المفصلة، ومن أمثلتها قوله (صلّى الله عليه وسلم) "مَثَل المؤمن كالخامة من الزرع، تُفيِئها الريح مَرّة ها هنا، ومَرّة ها هنا، ومثل الكافر كالأرزة، لا تزال حتى يكون إنجعافها مَرّة واحدةً"، ومنها قوله أيضاً "مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثَل الأُترجّة، طعمها طيب، وريحها طيب، ومثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثَل التّمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثَل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثَل الرّيحانة، ريحها طيب، وطعمها مُرُّ، ومثَل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثَل الحَنظلة، خبيث طعمها، خبيث ريحها"[152]. وهذه الأمثال جاءت على نسق الأمثال القرآنية القياسية.

وأما النوع الثاني منه فهو المثَل السائر الموجز، فيشمل تلك العبارات البليغة الموجزة الجامعة التي سارت عنه (صلّى الله عليه وسلم)، وتناقلتها الألسن، فأصبحت أقوالاً سائرة مثلية، يستشهد بها الناس، وهي كثيرة، فقد روي أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "حفظتُ عن النبي (صلّى الله عليه وسلم) ألف مثَل"، ومن هذه الأقوال السائرة ما كان معروفاً قبل النبي (صلّى الله عليه وسلم) إلاّ أنه (صلّى الله عليه وسلم) استشهد به فتناقله الناس عن لسانه،

وبالطريقة التي استشهد به فيها، ومن ذلك قوله (صلّى الله عليه وسلم) "كل الصيد في جوف الفَرا"، أو بتطوير معناها بما يتناسب والفضائل الإسلامية مثْل قوله "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وهي قليلة فيما أُثر عنه[153].

وأكثر ما سار عنه من الأمثال مما أتى به (صلّى الله عليه وسلم) من معين بلاغته وفصاحته، ولم تُسْمَع من العرب قبله، كقوله (صلّى الله عليه وسلم) "مات حتف أنفه"، وقوله "هُدْنة على دَخَن" و"إن من البيان لسحرا" و"إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى" و"إياكم وخضراء الدِّمن" و"الناس كإبل مئة، لا تجد فيها راحلة" و"لا يُلدَغ المؤمن من جحرٍ مرتين"، و"رفقاً بالقوارير"، و"المستشار مؤتمن" و"الحياء من الإيمان"، و"لا ينفع حذر من قدر"، و"اعقل وتوكل"، و"الحرب خدعة"، و"قد حمي الوطيس"[154].

وغالباً ما تُوظَّف هذه الأمثال في أدب الوعظ الإصلاحي للاحتجاج والتأثير. وربما أُدرجت في خلال القصص أو الخطب كعناصر استشهاد ومدعمة للتعبير من الناحيتين المنطقية والجمالية.

12- أمثال القرآن الكريم:

حوى النص القرآني الكريم الكثير من العبارات التصويرية، والحكم التجريدية، والكنايات الموحية، والتشبيهات المركبة، والاستعارات التمثيلية، وغيرها من الأشكال التعبيرية التي أطلق عليها اسم الأمثال القرآنية، وقد كان لهذه الأنماط المثلية في القرآن شأن عظيم في بلاغة القرآن، وإعجازه، وجمالياته، حيث ساعدت في إبراز المعقول في صورة المحسوس، وكشف الحقائق، وتقريب المعاني البعيدة من الفهم، وتثبيت المعاني في الذهن، وصياغتها في عبارات سهلة موجزة، وسهلت سبيل الألفاظ والتأسي، فكانت بعض سبل القرآن لعظة الناس وهدايتهم[155].

وقد زخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والمطولة، وتتميز أمثال القرآن عن الأمثال الأدبية العادية بأنها مرسلة من الله على غير مورد، أو حدث ترتبط به، وقد تعرض علماء الدراسات القرآنية لها بالدرس والعناية، وصنفوا فيها العديد من المؤلفات المستقلة، أو تعرضوا لها ضمن مؤلفاتهم الأدبية أو الدينية في أبواب خاصة بها. وقد صنف علماء الدراسات القرآنية أمثال القرآن الكريم [156]، في الأنواع التالية:

1- الأمثال الموجزة السائرة، وتدعى أيضاً الأمثال المرسلة، وهي آيات أو أجزاء منها، تضمنت قيماً دينية معينة، أو مبادئ خلقية سامية، لم تكن أمثالاً في وقت نزولها، وإنما اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وانتشار آياته بين الناس، وهذه الآيات أو العبارات القرآنية لا تشمل نصوصها لفظ التشبيه أو التمثيل، ولسيرورتها بين المسلمين والعرب، صح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه أصلاً من معنى أو تصوير، فتناقلتها الألسن والكتابات[157]، ومن

أمثلتها قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)، و(الآن حصحص الحق)، و(أليس الصبح بقريب)، و(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، و(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم)، و(قَضِي الأمر الذي فيه تستفتيان)، و(لا يستوي الخبيث والطيب)، و(تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى)، و(كل نفس بما كسبت رهينة)[158].

2- الأمثال القياسية المصرِّحة، وتدعى المفصلة أيضاً، ويقصد بها تلك الآيات التي تضمنت سرداً وصفياً أو قصصياً مطولاً، وتضمنت لفظة (المثل) أو ما ينوب عنها من أدوات التشبيه، لتوضيح معنىً ما عن طريق التشبيه المركب، أو الاستعارة التمثيلية، وقد يسميها علماء البلاغة (التمثيل)[159]. ومن أمثلتها التي تتضمن سرداً وصفياً قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض، مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دُرِّي، يُوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم)[160].

ومن أمثلة السرد القصصي قوله تعالى: (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية. إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين، فكذبوهما، فعزَّزنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا: ما أنتم إلاّ بشر مثلنا، وما أنزل الرحمن من شيء، إن أنتم إلاّ تكذبون * قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلاّ البلاغ المبين *...)[161].

وهذا النوع من الأمثال القرآنية يتضمن صوراً تشبيهية مركبة، تبرز مقاصدها الخفية، ومعانيها المضمرة بوسائل تعبيرية بليغة، في غاية الجمال والوضوح، تبعث في النفس الإنسانية البهجة وتثير فيها رهبة العظمة، وتهذبها بإرشادها إلى الخير، وتكشف لها عن أسرار الخلق وعظمة الخالق عزَ وجَل.

3- الأمثال الكامنة، ويقصد بها تلك الآيات أو العبارات القرآنية التي يصرح القرآن بأنها أمثال، ولم تسر في الناس سيرورة الأمثال الموجزة المرسلة، وإنما هي أمثال في نظر العلماء لاشتمالها على معانٍ قريبة الشبه أو الصلة بأمثال عربية سائرة، فهي عندهم أمثال بمعانيها لا بألفاظها، ومن هنا سميت أمثالاً كامنة[162]. ومن ذلك أنهم يرون أن المثَل "خير الأمور أوساطها"[163] يكمن معناه في القرآن في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: (لا فارضٌ ولا بِكرٌ عَوانٌ بين ذلك)، وقوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا، ولم يَقتروا، وكان بين ذلك قَواما)، وقوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا)، وقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كلَّ البسط)[164].

وقد أورد السيوطي ثلاثة عشر مثلاً من هذا النوع نقلاً عن الماوردي[165]، وقد احتج بعض الباحثين بأن اشتمال بعض هذه الآيات على معانٍ قريبة الشبه من معاني بعض الأمثال السائرة لا تكفي لاعتبارها أمثالاً، لأنها لم تستوف خصائص الأمثال السائرة المعروفة[166].

ويجدر التنبيه إلى أننا من النادر جداً أن نجد مثلاً قرآنياً في كتب الأمثال المعروفة وإنما أفردت بمصنفات خاصة بها كما أسلفنا، أو في أبواب مخصصة لها في كتب الأدب الموسوعية.

وفذلكة القول أن الأمثال قد نالت عناية فائقة من الباحثين القدماء والمحدثين، فقد تناولوا مصطلح المثَل فأصَّلوه من الناحية اللغوية، وتتبعوا تطور دلالته من النواحي الأدبية، والبلاغية، والتفسيرية القرآنية، فحددوا أهم سمات الجنس الأدبي الذي يدل عليه هذا المصطلح، وحصروها في الإيجاز، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، والكناية، وانبثاقها عن مورد معين، ويقصدون به الحادثة التي أرسل فيها المثَل، وأن يتكرر استخدامها في مضرب يشبه حالة مورده، واشترطوا سيرورته بين الناس، وتناقله على الحكاية دون تغيير، واتسامه بالغرابة والندرة.

ويلحظ قيام علماء الأمثال في التراث العربي القديم بحشد كل ما له علاقة بجوامع الكلم والتعبير الموجز السائر في مصنفات الأمثال، ووسموه بما يجري مجرى المثل، فجاءت مصنفاتهم المثلية جامعة لأصناف عديدة من العبارات الموجزة البليغة السائرة النادرة، مما يوحي بتوسعهم في فهم دلالة مصطلح المثَل الأدبي السائر، بحيث شمل عندهم كافة أصناف جوامع الكلم الموجز السائر من المنثور والمنظوم.

Ancient Arab proverbial Discourse : "A Literary Study"

Salem Al-Hadrusi, *Department of Arabic, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study deals with the significance of proverb as viewed by Arab men of letters and rhetoricians, and then pinpoints its most important literary characteristics, such as its succinctness, intensity of meaning, diffusiveness, occasion, usage, peculiarity, and citation. The paper also deals with common saying that take the same course as proverbs, such as proverb-like expressions, statements of preference and doubling, clichés, maxims, rare expression, metaphoric expressions, proverb nominal statements, proverbs of prophetic tradition, Quranic proverbs, as well as the basic features of all the above.

قدم البحث للنشر في **2006/12/13** وقبل في **2007/7/12**

الهوامش:

1) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 7-13، وشوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر 16، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة 12-13، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 7.

2) See hulme. Proverb lore P.6 , Sellheim: Mathal in EI 2, Vo1. VI , pp. 815- 821.

3) انظر عفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة 13 و Sellheim: mathal: in EI 2, Vo1. VI,pp. 821-824

4) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 42، وعبد المجيد عبادين: الأمثال في النثر العربي القديم 174- 192، وجاكلين بياتي: المثل جنساً أدبياً 280 - 298.

5) انظر عبد المجيد عبادين: الأمثال في النثر العربي القديم 4- 6، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 21، ومحمد الصغير: الصورة الفنية 41، و Sellheim:Mathal, in EI 2 ,Vol.VI,p.815ff,O.Eissfeldt: Der Maschal.S.33,40ff

6) انظر الراغب الأصفهاني: المفردات 462، و ابن منظور: اللسان (مثل) 610/11.

7) انظر ابن منظور: اللسان (مثل) 610/11-615، والزركشي: البرهان 490/1، وابن أبي الإصبع: بديع القرآن 58.

8) انظر ابن منظور: اللسان (مثل) 611/11-612، والأزهري، التهذيب(مثل) 15/ 96، *محمد 15.

9) انظر ابن منظور: اللسان (مثل) 612/11، والفيروز آبادي: القاموس (مثل)49/4، والأزهري: التهذيب (مثل) 95/15، و أبو البقاء الكفوي: الكليات 269/4.

10) انظر ابن منظور: اللسان (مثل) 613/11،611، والجوهري: الصحاح (مثل) 1816/5.

11) انظر الأصمعي: الأضداد 31، والمبرد: المقتضب 225/3، و الميداني: مجمع الأمثال 6/1، وابن رشيق: العمدة280/1.

12) Fleische:Kleine Schriften,Vol.I,s.59 وانظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 22، وأمين الخولي: الأمثال في القرآن (مخطوط)، محمد الصغير: الصورة الفنية 50، وسالم الهدروسي: المثل ومفهومة عند اللغويين (بحث مقبول للنشر في مجلة اللسان العربي).

13) الميداني: مجمع الأمثال 6/1، والنويري: نهاية الأرب 2/3.

14) الجوهري: الصحاح (مثل) 1816/5 ، وانظر عبد المجيد عبادين: الأمثال في النثر العربي القديم 1-7، ومحمد الصغير: الصورة الفنية 50-51.

15) انظر سالم الهدروسي: المثل ومفهومه عند اللغويين (مقبول للنشر في مجلة اللسان العربي)، ومحمد الصغير: الصورة الفنية 50-51، ومحمد الفياض: الأمثال في القرآن 48-51.

16) الميداني: مجمع 5/1.

17) الميداني: مجمع الأمثال 5/1-6، و المثل في الميداني: مجمع الأمثال 311/2، والبكري: فصل المقال 113، والزمخشري: المستقصى 107/1- 108.

18) الفارابي: ديوان الأدب 74/1.

19) أبو هلال العسكري: الجمهرة 7/1.

20) السيوطي: المزهر486/1.

21) Hulme: poverb lore p.6

22) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 3-4.

23) ابن رشيق: العمدة 280/1-281، وانظر احمد مطلوب: معجم النقد 249/2.

24) ابن رشيق: العمدة 284,285/1.

25) السيوطي:التبيان 341/7.

26) الزمخشري: الكشاف 195/1.

27) الرازي: نهاية الإيجار81، وانظر احمد مطلوب: معجم النقد 48/2.

28) الرازي: مفتاح الغيب م1/ج362/2.

29) الرازي نهاية الإيجار 81.

30) انظر البيضاوي: أنوار التنزيل 3/1.

31) ابن قيم الجوزية: الفوائد 66.

32) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين 291/1.

33) القلفشندي: صبح الاعشى295/1-296.

34) ابن حجة الحموي:خزانة الأدب 102.

35) السيوطي: المزهر 486/1.

36) انظر ابو السعود: إرشاد العقل السليم 50/1.

37) أبو البقاء الكفوي: الكليات 343/4، وانظر الفارابي: ديوان الأدب 74/1.

38) الحسن اليوسي: زهر الأكم 56/1.

39) التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون 1340/4.

40) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 8.

41) انظر السيوطي: المزهر 486/1، وعبد المجيد عابدين: المثل في النثر العربي القديم 16.

42) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 26.

43) انظر الفراء: معاني القرآن 69/3 وأبو عبيدة: مجاز القرآن 359/1.

44) أبو عبيدة بن سلام: كتاب الأمثال 34.

45) الميداني: مجمع الأمثال 6/1.

46) انظر الميداني: مجمع الأمثال 6/1، وزلهايم الأمثال العربية القديمة 23.

47) الجاحظ: البيان والتبيين 55/4.

48) الباقلاني: إعجاز القرآن119.

49) ابن فارس: مقاييس اللغة 296/5.

50) ابن رشيق: العمدة 280/1.

51) ابن رشيق: العمدة 280/1.

52) عبد القاهر الجرجاني: أسرارالبلاغة 87.

53) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة 96.

54) أبو البقاء الكفوي: الكليات 269/4.

55) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة 80-81.

56) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة 84.

57) الراغب الأصفهاني: المفردات 462، والمثل في الميداني: مجمع الأمثال 68/2.

58) السيوطي: الاتقان 39/4.

59) الميداني: مجمع الأمثال 6/1.

60) الزمخشري: المستقصى 1/ب –ج ، هـ

61) الرازي: نهاية الإيجاز 81، وللمؤلف نفسه: مفاتيح الغيب م6 /ج237/17.

62) السيوطي: التبيان 293/6.

63) الرازي مفاتيح الغيب م1/ج312/1.

64) البيضاوي: أنوار التنزيل 39/1.

65) القزويني: الإيضاح 307، وللمؤلف نفسه: التلخيص 324، وشروح التلخيص 147/4، والتفتازاني: المطول على التلخيص 380، وانظر أحمد مطلوب: معجم النقد 248/2.

66) العلوي: الطراز 344/3-345.

67) انظر ابن قيم الجوزية: أمثال القرآن 173.

68) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط 74/1.

69) أبو البقاء الكفوي: الكليات 268/4.

70) الحسن اليوسي: زهر الأكم 21/1.

71) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 26، وانظر التفتازاني: المطول على التلخيص 380.

72) منير القاضي: الأمثال في القرآن 3.

73) أنظر على سبيل المثال زلهايم: الأمثال العربية القديمة 27، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة 41، وممدوح حقي: المثل المقارن 19، ومحمد أبو صوفة: الأمثال العربية 17، وحنا فاخوري: الحكم والأمثال 8-9، و Sellheim, Mathal,in EI 2, Vol.VI.P.851

74) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 21- 35.

75) ابن المقفع: الأدب الصغير 326.

76) ابن وهب الكاتب: البرهان 145- 146.

77) ابن عبد ربه: العقد 63/3.

78) حمزه الأصفهاني: الدره الفاخرة 55.

79) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 4,8/1. *التفصيل: أن يُجْعَلَ بين كل جوهرتين في العقد خرزة.

80) ابن رشيق: العمدة 101/1.

81) الزمخشري: المستقصى 1/ب-ج.

82) طه حسين: في الأدب الجاهلي 331.

83) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 71-114، وعبد المجيد قطامش: الأمثال العربية القديمة 39-122.

84) انظر ابن النديم: الفهرست 102، أبو عبيد البكري: فصل المقال 308.

85) انظر ابن النديم: الفهرست 102، وياقوت: معجم الأدباء 190/12.

86) انظر ابن النديم: الفهرست 102، وياقوت: معجم الأدباء 78/12. وأبو عبيد البكري: فصل المقال 64,75,93,177.

87) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 52، وأبو عبيد البكري: فصل المقال 7.

88) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 54,55,72,73، وقطامش: الأمثال العربية 48-52.

89) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 53-54، قطامش: الأمثال العربية 72-77، وابن النديم: الفهرست 75,102,103,108، والسيوطي: بغية الوعاة 296/2.

90) الميداني: مجمع الأمثال 359/2.

91) الميداني: مجمع الأمثال 233/1.

92) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 70,71,77.

93) انظر الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 5، والزمخشري: المستقصى 1/ب-ج.

94) الميداني: مجمع الأمثال 333/1-237.

95) انظر ابن الأثير: المثل السائر 61/1، وأحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 114-115.

96) انظر الحسن اليوسي: زهر الأكم 58/1.

97) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 27، وعز الدين إسماعيل: المكونات الأولى للثقافة العربية 70، 80-83.

98) الميداني: مجمع الأمثال 311/2.

99) الميداني: مجمع الأمثال 140/1.

100) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 49/1، واللسان (دهده).

101) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 315/1، والميداني مجمع الأمثال 161/1.

102) See Heinrichs: The hand of the north wind, p.7, Sellheim: Mathal, in EI2, Vol. VI,s. 816.

103) الميداني: مجمع الأمثال 296/1، 68/2، 359/2، 129/1، 3/2، 262/2، 196/2، 272/2، 145/2، 339/2.

104) ابن منظور: اللسان (حكم).

105) الشريف الجرجاني: التعريفات 54.

106) ابن منظور: اللسان (حكم).

107) أحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 129، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 32، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 48.

108) ابن عبد ربه: العقد 76/3، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 32.

109) الميداني: مجمع الأمثال 296/1، 333/1، وانظر أحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 133.

110) الميداني: مجمع الأمثال 136/1، 302/1، 294/1، وأحمد الحذيري: التمييز بين المثل والحكمة 130.

111) انظر الحسن اليوسي: زهر الأكم 29/1.

112) ممدوح حقي: المثل المقارن 21.

113) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 32.

114) عفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة 30.

115) الميداني: مجمع الأمثال 294/1، 211/1، 52/1، 242/2، 79/2، 396/1، 370/2، 22/1، 322/1، 310/2.

116) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 30، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 46.

117) الميداني: مجمع الأمثال 160/1، 161/1، 286/2، 320/2، 10/1، 266/2، 231/2، 398/2، 210/2، 180/2.

118) الميداني: مجمع الأمثال 66/1، 446/1، 174/2.

119) انظر أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 6/1.

120) انظر حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 56/1، يجعل عددها 1800 مثل مع المولدة، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل ص ص43-51.

121) انظر حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 59/1-61، وعفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل ص ص50-84.

122) الميداني: مجمع الأمثال 445/1، 115/1، 46/2، 182/1، 353/2، 67/2، 353/2، 39/2، 419/1، 431/1، 324/1.

123) الميداني: مجمع الأمثال 118/1، 66/2، 374/1، 219/1، 159/1.

124) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 35، ومحمد أبو علي: الأمثال العربية 47.

125) الميداني: مجمع الأمثال 431/1، 169/1، 27/2، 38/2، 229/2، 189/2، 203/2، 242/2، 100/1، 191/2، 32/2، 110/1، 243/2، 186/2.

126) الفارابي:ديوان الأدب 74/1.

127) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 7/1.

128) ابن عبد ربه: العقد 153/3، 152.

129) قطامش: الأمثال العربية 253-279، زلهايم: الأمثال العربية القديمة 27-31.

130) الميداني: مجمع الأمثال 329/1، 153/2، 145/1، 142/2، 133/2، 144/2، 91/1، 270/2، 183/2، 225/2.

131) الثعالبي: ثمار القلوب 40، 46، 131، والميداني: مجمع الأمثال 159/1، 399/1، 311/2، 19/1.

132) حمزة الاصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، والسيوطي: المزهر 506/1-524، وانظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 105-107. وقطامش: الأمثال العربية 23.

133) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، وابن سيده: المخصص 169/13-223، والميداني: مجمع الأمثال 22/1، 31/1، والسيوطي: المزهر 506/1-524، وقطامش: الأمثال العربية 24.

134) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، وابن سيده: المخصص 169/13-223، والسيوطي: المزهر 506/1-524، وقطامش: الأمثال العربية 24.

135) ابن السكيت: إصلاح المنطق 294، وابن سيده: المخصص 169/13-223، وانظر قطامش: الأمثال العربية 24-25، وعبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 105-106.

136) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 2-471-552.

137) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 25/1- 48.

138) حمزة الأصفهاني: الدرة الفاخرة 471/2-552، والسيوطي: المزهر 506/1-524، والميداني: مجمع الأمثال 2-370-371. وانظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 106-107.

139) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 106-107، وقطامش: الأمثال العربية 22-23.

140) الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني 62/2.

141) انظر محمد عبد السلام: موقف النقاد القدامى من شعر الحكمة والزهد 90-93.

142) الجاحظ: البيان والتبيين 1-206.

143) ابن المعتز: البديع 1-2.

144) ابن رشيق: العمدة 99/1، و 108.

145) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 39-40.

146) الميداني: مجمع الأمثال 197/2، 206/2، 307/2، 142/2، 139/2، 136/2، 141/2.

147) 137ب) زلهايم: الأمثال العربية القديمة 40، وقطامش: الأمثال العربية 169-174.

148) ابن عبد ربه: العقد 140/3-157، والميداني: مجمع الأمثال 448/2-461.

149) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 28، 30، وأبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال 413/2، 159/1، 144/1، والميداني: مجمع الأمثال 450/2-457، 338/1.

150) انظر زلهايم: الأمثال العربية القديمة 37-38، وقطامش: الأمثال العربية 164-168، ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن 24-27.

151) انظر الثعالبي: التمثيل والمحاضرة 22-28، وقطامش: الأمثال العربية 157-164

152) الميداني: مجمع الأمثال 277/2، وقطامش: الأمثال العربية 162.

153) الميداني: مجمع الأمثال 136/2، 334/2، وابن عبد ربه: العقد 64/3.

154) ابن عبد ربه: العقد 63/3-66، والميداني 448/2-450، 136/1، 211/1، 7/1، 197/1، 26/2، 300/2، والرافعي: تاريخ آداب العرب 332/2-350. وعز الدين السيد: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية 177-186. والنويري: نهاية الالأرب 3/2.

155) انظر بكر الشيح أمين: التعبير الفني في القرآن 230، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 36.

156) انظر ابن قيم الجوزية: أمثال القرآن 23-27، وقطامش: الأمثال العربية 149-156، وزلهايم: الأمثال العربية القديمة 36-37.

157) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 136.

158) الآيات على التوالي: آل عمران 92، ويوسف 51، وهود 81، وفاطر 43، والبقرة 216، ويوسف 41، والمائدة 100، والحشر 14، والمدثر 38.

(159) انظر قطامش: الأمثال العربية 135-147.

(160) النور 35.

(161) يس 13-28.

(162) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 134، وقطا مش: الأمثال العربية 134.

(163) الميداني: مجمع الأمثال 243/1، والزمخشري: المستقصى 77/2.

(164) الآيات على التوالي: البقرة 68، والفرقان 67، والإسراء 110، 29.

(165) انظر السيوطي: الإتقان 41/4-43.

(166) انظر عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم 136. وبكر الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن 231.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن أبي الأصبع، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت 654هـ). بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1957م.

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير (ت 637هـ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت 244هـ). إصلاح المنطق، تح أحمد محمد شاكر ورفيقه، دار المعارف، القاهرة، 1956م.

ابن المعتز، عبد الله بن المعتز (ت 296هـ). كتاب البديع، تح أغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، 1982م.

ابن المقفع، عبد الله (ت 143هـ). الأدب الصغير (ضمن آثار ابن المقفع)، منشورات دار الحياة، بيروت، 1978م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 385هـ). الفهرست، تح رضا تجدد المازنداني، د.ن، طهران 1971م.

ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي (ت 837هـ). خزانة الأدب، المطبعة الخيرية، مصر، 1886م.

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456هـ). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1972م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ). المخصص، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1316هـ.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت 328هـ). العقد الفريد، تح أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ). معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1366هـ/1949م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي أيوب (751هـ). الأمثال في القرآن الكريم، تح سعيد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1983م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي أيوب (ت 751هـ). أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، 1969م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي أيوب (ت 751هـ). كتاب الفوائد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1327هـ / 1909م.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1970م.

ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم. البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب و خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1967م.

أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت 1095هـ). الكليات، تح عدنان درويش ورفيقه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982م.

أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي (ت 982هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت 754هـ). البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1328هـ.

أبو صوفة، محمد. الأمثال العربية، ومصادرها في التراث، مكتبة الأقصى، عمان، د.ت.

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ). كتاب الأمثال، تح عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، بيروت، 1980م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت 210هـ). مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سزكَين، مطبعة السعادة، القاهرة، 1955م.

أبو علي، محمد توفيق. الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، 1988م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت 370هـ). تهذيب اللغة، تح عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964-1967م.

إسماعيل، عز الدين. المكونات الأولى للثقافة العربية، مطبعة الأديب، بغداد، 1972م.

الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت 351هـ). الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح عبد المجيد قطامش، دار المعارف، مصر، 1971م.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت 216هـ). الأضداد، نشر أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ). إعجاز القرآن، تح أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1977م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ). فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح إحسان عباس وعبد المجيد قطامش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

بياتي، جاكلين. "المثل جنساً أدبياً" بحث منشور ضمن أعمال ندوة "مشكلة الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم"، منشورات كلية الأدب، منوبة/تونس، سلسلة الندوات، مجلد 10، سنة 1994، ص ص275-299.

البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت 685هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.

التفتازاني، مسعود بن عمر الهروي (ت 793هـ). المطول في شرح تلخيص القزويني، مطبعة أحمد كامل، استانبول، 1330هـ.

التهانوي، محمد علي بن علي الفاروقي (ت بعد 1157هـ). كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، 1862م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). التمثيل والمحاضرة، تح عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1965م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ). البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968م.

الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت 816هـ). التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت د.ت.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ). أسرار البلاغة، تح هلموت ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1954م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 398هـ). تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.

الحذيري، أحمد. "التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة عند العرب"، بحث منشور في: حوليات الجامعة التونسية، العدد 31، سنة 1990م، ص ص109-134.

حسين، طه. في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1927م.

حقي، ممدوح. المثل المقارن بين العربية والإنجليزية، دار النجاح، بيروت، 1973م.

الخولي، أمين الخولي. الأمثال في القرآن الكريم، محاضرات ألقاها على طلبة الدراسات العليا في جامعة القاهرة، (مخطوط).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ). مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1995م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، 1317هـ.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت 502هـ). المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1961م.

الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م.

زلهايم، رودلف. الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التوّاب، مؤسسة الرسا لة، 1982م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، 1977م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ). المستقصى في الأمثال، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، 1962م.

السيد، عز الدين. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1972م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1958م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنجاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م.

الشيخ أمين، بكر. التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، 1979م.

الصبان، محمد بن علي (ت 1206). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المطبعة الشرقية.

الصغير، محمد حسين. الصورة الفنية في المثَل القرآني، دار الهادي، بيروت، 1992م.

ضيف، شوقي. الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، 1965م.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ). التبيان في تفسير القرآن، تح أحمد القصير، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، 1957م.

عابدين، عبد المجيد. الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، مكتبة مصر، القاهرة، 1956م.

عبد الرحمن، عفيف. "الأمثال العربية القديمة"، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد العاشر، المجلد الثالث، ربيع 1983، ص ص11-61.

عبد الرحمن، عفيف. "الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل"، بحث منشور في: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، المجلد السادس، العدد 21، شتاء 1986م، ص ص41-86.

عبد السلام، محمد. "موقف النقاد القدامى من شعر الحكمة والزهد"، بحث منشور في: حوليات الجامعة التونسية، العدد 15، سنة 1977م، ص ص83-94.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ). جمهرة الأمثال، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ورفيقه، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1964م.

العلوي، يحيى بن حمزة (ت 749هـ). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1914م.

فاخوري، حنا. الحكم والأمثال، دار المعارف، القاهرة، 1980م.

الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت 350هـ). ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974-1976م.

الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 204هـ). معاني القرآن، تح أحمد نجاتي ورفيقه، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م.

الفياض، محمد جابر. الأمثال في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ). القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1952م.

القاضي، منير. المثل في القرآن الكريم، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، ج7، سنة 1960م، ص ص3-35.

القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن سعد الدين (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح جماعة من علماء الأزهر، القاهرة، د.ت.

القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن سعد الدين (ت 739هـ). التلخيص في علوم البلاغة، تح عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932م.

قطامش، عبد المجيد. الأمثال العربية، دار الفكر، دمشق، 1988م.

القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ). المقتضب، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ / 1966م.

مطلوب، أحمد. معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت 518هـ). مجمع الأمثال، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1959م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954م.

الهدروسي، سالم. المثل ومفهومه عند اللغويين في التراث العربي، (بحث مقبول للنشر في مجلة اللسان العربي).

ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ). معجم الأدباء، مطبعة دار المأمون، القاهرة، د.ت.

اليوسي، الحسن (ت 1102هـ). زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح حجي والأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981م.

Eissfeldt, Otto. Der Maschal in Alten Testament, Beihefte zur Z.A.T.W., xxiv., Giessen, 1913.

Fleischer. Kleine Schriften, Leipzig, 1885.

Heinrichs, W. The hand of the north wind, Wiesbaden, 1977.

Hulme, Edward. Proveb Lore, London, 1902.

Sellheim, Rudolf. Mathal, in EI2., New Edition, Leiden, 1960, Vol. VI, pp. 815-828.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 1، 2008، ص ص 149- 181

إيران في الحسابات الاستراتيجية الأمريكية: من الاحتواء المزدوج إلى الشرق الأوسط الجديد

أيمن يوسف*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الأضواء وتعميق النظرة العلمية إلى مكانه إيران في التفكير الاستراتيجي الأمريكي في الفترة الواقعة ما بين 1993- 2006. في تقديمه لهذا البحث، قام الباحث باستعراض أهمية البحث وأهدافه ومنهجيته، ثم انتقل بعد ذلك لاستعراض أساس الوجود التاريخي الأمريكي في منطقة الخليج وتطور العلاقات الأمريكية- الإيرانية. هناك ثلاث محطات استراتيجية تم التركيز عليها في هذا البحث من اجل معرفة التفكير الأمريكي تجاه إيران، هذه المحطات هي الاحتواء المزدوج الذي انطلق في عام 1993/1992 وتزامن مع انطلاق العملية السلمية في الشرق الأوسط، ثم الشرق الأوسط الكبير الذي أعلن عنه في صيف عام 2004، واخيرا الشرق الأوسط الجديد الذي أوجدته أمريكا خلال حرب إسرائيل على لبنان مؤخرا في صيف عام 2006.

مقدمة

شهد العالم في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات من القرن الماضي أحداثاً دولية وإقليمية متسارعة ومتلاحقة ساهمت في نهاية المطاف بتحول النظام الدولي من الثنائية القطبية التي سادت خلال فترة الحرب الباردة مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية إلى أحادية قطبية وتفرد إمبراطوري أمريكي. فانهيار الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى في عام 1991، أنهى ما يقارب خمسة عقود من التوازنات الدولية الثنائية، تميزت بتقدم هائل في تكنولوجيا السلاح وظهور الأسلحة النووية وتوسع دائرة الاستقطاب في العلاقات الدولية بعد ظهور دولة العالم الثالث، وزيادة أهمية الأحلاف الدولية والإقليمية. تميز النظام الدولي ثنائي القطبية، بقيام توازن قوى بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية حيث جندا قدرتهما العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية لخدمة أغراض وأهداف كل منهما للسيطرة على العالم، وتوسيع مناطق نفوذهما، والسعي الحثيث من جانبهما لتوسيع دائرة الأصدقاء والحلفاء والتابعين.

---

* الجامعة العربية الأمريكية، جنين-فلسطين.

أدى تضاؤل قوة الاتحاد السوفيتي كقوة قطبية وتراجع موقعه على سلم القوى الدولية، رغم امتلاكه ترسانة نووية هائلة إلى إفساح المجال واسعا أمام أمريكا لِتَسَيُّد كرسي التفرد والأحادية، واحتلالها الدرجة الأولى على سلم القوة العالمية، رغم أن سيناريوهات النظام الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة توزعت من الأحادية إلى التعددية القطبية. هكذا بدا واضحاً أن القدرات الاقتصادية باتت تشكل الدعامة الحقيقية للقدرات القومية في النظام العالمي الجديد، لذلك تمكنت أمريكا من تحقيق انتصار كبير على الساحة الدولية، بحيث أصبحت القوة العظمى الوحيدة في العالم، وأصبحت مع الوقت أكبر قوة عالمية إنتاجية على ظهر البسيطة. فهي تمتلك أكبر ناتج قومي وأكثر الموارد الأولية، كما تسيطر على المواد الخام والمعادن الاستراتيجية، وتتحكم بإنتاج البترول في كثير من مناطق العالم وتقوم على حماية طرقه وممراته المائية. يضاف إلى ذلك تحكمها بالاقتصاد العالمي عن طريق مؤسساتها المالية والمصرفية، والاحتكارات والشركات العملاقة متعددة الجنسيات التي تستوطن أراضيها، كما أنها أكبر قوة منتجة للقدرات والمؤهلات العلمية والتكنولوجية في العالم.

على صعيد آخر، أحدثت حرب الخليج الثانية في عام 1991/1990 فرصة ذهبية للولايات المتحدة لإحداث خلخلة في موازين القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط. وقد جاءت الحرب في ظل غياب معارضه دولية فاعلة، حتى أن الاتحاد السوفيتي وافق على ضرورة إخراج القوات العراقية من الكويت بالقوة إذا لم تخرج طواعية، بينما امتنعت الصين عن تبني قرارات وسياسات فاعلة على مستوى مجلس الأمن، مما ساهم في النهاية في إفساح المجال واسعاً أمام أمريكا لتحريك قواتها وتجريب أسلحتها الفتاكة، واثبات نفسها كقوة وحيدة فاعلة تمتلك قدرا هائلاً من القوة والتأثير والإقناع في العالم. بعد النجاح في إخراج القوات العراقية من الكويت، سيطرت الولايات المتحدة الأمريكية على مصادر الطاقة في منطقة الخليج، والتي تعتبر الأولى في العالم في إنتاجه، كما تمتعت أمريكا بمزيد من السيطرة والهيمنة على مفاصل النظام الدولي وموارده الاقتصادية، خاصة في علاقاتها ومساومتها مع الدول الصناعية الأوروبية واليابان. ساهمت حرب الخليج الثانية في تعزيز النفوذ والتواجد الأمريكي في المنطقة، فالحرب أعطت الفرصة الثمينة لأمريكا كدولة إمبريالية توسعية في إظهار قوتها الدبلوماسية والعسكرية والتقنية والاقتصادية. وبما أن أمريكا مسيطرة على المفصل الأساسي في الأمم المتحدة وهو مجلس الأمن، فقد نجحت في استصدار العديد من القرارات الدولية بشأن العراق، ونجحت في تشكيل تحالف دولي من ثلاثين دولة، بما فيها دول عربية لخوض الحرب ضد العراق.ارتبطت مسألة حصول الدول الغربية وأمريكا على النفط العربي تاريخيا بالقضية الفلسطينية، وبأحداث الصراع العربي–الإسرائيلي. وفي العديد من المناسبات اعترف المسؤولون الأمريكيون وصناع القرار في واشنطن أن تداعيات القضية الفلسطينية يمكن أن تنعكس بسهولة، وبطريقة سلبية على المصالح الأمريكية في المنطقة

وبخاصة البترول وطرق وصوله إلى الغرب. بعد حرب أكتوبر 1973، واستخدام العرب البترول كسلاح لدعم القضايا العربية والقومية لأول مرة في التاريخ المعاصر، انكبت أمريكا على وضع استراتيجية جديدة لحل الصراع في منطقة الشرق الأوسط، بسبب استمرار تأثير هذا الصراع المستديم على مصالح أمريكا الحيوية في الخليج، وفي منطقة الشرق الأوسط عموماً.

على مستوى النظام الإقليمي العربي، أحدثت حرب الخليج الثانية هزة عنيفة في العلاقات العربية البينية، وأدت إلى حدوث انقسامات وظهور محاور متصارعة ومتطاحنة مما انعكس سلباً على وحدة الموقف العربي، وعجز العرب عن تطوير استراتيجية عربية، ومخرج عربي لحل صراعاتهم ونزاعاتهم الداخلية. فقد انهار التضامن العربي حتى في صورته الشكلية، وتبددت المكانة الاستراتيجية للنفط الخليجي كورقة ضاغطة يمكن استخدامها في المواجهة. كما انهارت القوة العسكرية العربية المتنامية المتمثلة بالعراق التي كانت تشكل قوة إقليمية رئيسية، عسكرية واقتصادية وبشرية، قادرة لموازنة إسرائيل في معادلة الصراع العربي-الإسرائيلي. على الصعيد الفلسطيني، تسببت مواقف منظمة التحرير الفلسطينية المؤيدة للعراق حيناً، والمتخبطة في أحيان أخرى، إلى عزل دورها السياسي على المستويين العربي والدولي. فقد قامت دول الخليج بتجميد علاقاتها مع م.ت.ف. وعلقت اتصالاتها مع قيادة المنظمة عقاباً لهم على مواقفهم المؤيدة لصدام، مما افقد في النهاية المنظمة مصادر دعمها المالي، وخسرت مراكزها الإعلامية والسياسية والتنظيمية في هذه الدول.

في ظل هذه الأجواء، تحركت أمريكا سريعاً مستغلةً الظروف الدولية والإقليمية لصناعة السلام في الشرق الأوسط، بما يضمن المحافظة على أمن إسرائيل ووجودها، ومن أجل المحافظة على مصداقية ومكانة أمريكا لدى الأطراف العربية خاصة تلك التي وقفت بجانبها أثناء الحرب. هدفت أمريكا لتدشين عهدها الجديد في الشرق الأوسط بمشروع سلام أمريكي يعطي هذا الانتصار صفة الديمومة والاستمرار.

قبل عام 1990، كان أحد الأهداف الأمريكية في المنطقة العربية هو احتواء الخطر الشيوعي الأحمر ومحاصرة القوى القومية الراديكالية، وبخاصة تلك التي كانت مرتبطة بالمد الناصري، إلا أن هذا الهدف الأمريكي المعلن قد استبدل في بداية التسعينات بهدف استراتيجي آخر هو محاربة "القوى الأصولية والإسلام السياسي" الذي بدا يأخذ مكان القوى اليسارية والقومية في التأثير على مجريات الأحداث في الدول العربية.لقد عززت أحداث سبتمبر من عام 2001 من القناعات الأمريكية بأن الإسلام السلفي الجهادي والقوى الإسلامية الراديكالية هي الخطر الأول الذي بدا يتهدد المصالح الجيوسياسية والجيواقتصادية الأمريكية في المنطقة، وهذا ما شرعن الوجود الأمريكي المباشر على الأرض العربية، طبعا حسب الادعاءات الأمريكية.في نفس هذا السياق، يمكن القول بأن إيران الخمينية المسلحة بعقيدة احمدي نجاد وتصريحاته النارية الحارقة اصبح

ينظر لها على أنها خطر داهم على المصالح الأمريكية والإسرائيلية، فضلاً عن أن إيران تلعب اليوم دور الملهم لشيعة العالم وبخاصة الاقليات الشيعية في دول الخليج البترولية التي تربطها بأمريكا علاقات تحالفية تضامنية.

ليس فقط الهدف من كتابة هذا البحث في هذا الوقت بالتحديد، هو استعراض الأهداف والمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، والوقوف على الاستراتيجيات الأمريكية المختلفة لحماية هذه المصالح، وانما أيضا يسعى الباحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- تتبع التطور التاريخي للوجود الأمريكي في المنطقة، ومعرفة طبيعة الاهتمام الأمريكي بها وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وما تبعها من ظهور الاستقطابات الدولية وسياسة المحاور.

2- الوقوف بالعرض والتحليل على مكانة كل من إيران والعراق في الحسابات الاستراتيجية الأمريكية وبخاصة أن هاتين الدولتين تشكلان العمود الفقري لمنطقة الخليج العربي بسبب مساحتهما وقوتهما الاقتصادية والعسكرية وثقلهما السكاني.

3- قراءة العقل الاستراتيجي الأمريكي قراءة واعية وناقده لمعرفة كيف تبنى السياسات والاستراتيجيات، وكيف تتخذ القرارات الأمريكية المتصلة بالمنطقة العربية وبإيران وبالعلاقات الأمريكية الإيرانية.

4- معرفة الجديد في المبادئ الاستراتيجية المختلفة التي ارتبطت مسمياتها بأسماء الرؤساء وصناع القرار في أمريكا، وتفحص مضمونها ومحتواها وخاصة أن كثيراً من الاطروحات الاستراتيجية قد تم إطلاق صفة الجديد عليها مثل النظام العالمي الجديد والشرق الأوسط الجديد ومضامين ذلك بالنسبة لإيران.

5- من اجل التعمق اكثر في فهم سياسة أمريكا في نشر الديموقراطية في العالم، وإدراك مدى مصداقية وجدية الإدارة الأمريكية الحالية في دمقرطة ولبرلة الشرق الأوسط وخاصة إذا تعارضت الديموقراطية مع أهداف أمريكا الأخرى في المنطقة وبخاصة في حال وصول أحزاب إسلامية أصولية إلى الحكم وباجندات خاصة بها.

6- إن الاستعراض التاريخي للإستراتيجية الأمريكية في المنطقة ولا سيما في الفترة الواقعة بين 1991 حتى 2004 يعتبر في غاية الأهمية لفهم وتحليل مضمون الشرق الأوسط الجديد كما تصورته وزيرة الخارجية الأمريكية، كوندوليزا رايس وتداعيات ذلك بالنسبة لإيران.

اتبع الباحث المنهجية الوصفية التحليلية النقدية التي تلج إلى الأدبيات المختلفة، الأولية منها والثانوية، بما فيها المقولات ووجهات النظر والآراء حول هذا الموضوع الحساس، وبخاصة تلك

المرتبطة بصناع القرار في أمريكا حتى يتم معرفة حقيقة مواقفهم من القضايا الإشكالية في العلاقات الإيرانية مع الغرب وأمريكا والعالم ودور إيران في منطقة الشرق الأوسط ومستقبل برنامجها النووي في ظل الاستقطابات الدولية المتداخلة.حصل الباحث على كم هائل من المعلومات والمعطيات بواسطة وسائل مختلفة من مصادر أمريكية متعددة، بعضها من صناع القرار وبعضها الآخر من الباحثين والخبراء ومراكز البحث العلمي المقربة من الإدارات الأمريكية بما فيها إدارة بوش.

أرضية تاريخية

مهد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى على المسرح الدولي بعد الحرب العالمية الثانية إلى زيادة درجة الاهتمام الأمريكي بمنطقة الخليج العربي خصوصا وبمنطقة الشرق الأوسط على وجه العموم. احتلت هذه المنطقة أهمية في التفكير الأمريكي لان الكثير من صناع القرار والخبراء والمحللين في أمريكا اعتبروها الباب الخلفي الواقع إلى الجنوب من الاتحاد السوفيتي، الذي بدأ بدوره يبحث عن مناطق جديدة للنفوذ والتأثير في العالم الثالث خاصة مع اشتداد المنافسة والصراع السياسي والأيديولوجي بين قطبي الحرب الباردة. ومما زاد من درجة الحذر والتوجس في أمريكا كان تلكؤ الاتحاد السوفيتي في سحب قواته من منطقة أذربيجان في إيران عام 1945 بعد أن قامت دول الحلفاء باحتلال أجزاء من إيران خلال الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى دور الاتحاد السوفيتي في تأسيس جمهورية أذربيجان التي أصبحت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمسة عشر. [(1)] يضاف إلى ذلك عامل آخر عجل في زيادة وتيرة التدخل الأمريكي في منطقة الخليج وهو انسحاب القوات البريطانية من مستعمراتها في المنطقة من عدن ومشيخات الخليج التي اعلنت استقلالها من خلال ظهور دول قطر والبحرين والامارت العربية المتحدة.

ورغم أن الهدف الأمريكي المعلن في المنطقة كان احتواء الشيوعية السوفيتية ومنع تغلغلها في هذا الجزء الحساس من العالم من الناحيتين الجيوسياسية والجيواقتصادية[(2)]، إلا أن اكتشاف البترول بكميات هائلة وتجارية قد ساهم في إغراق المنطقة كاملة بلعاب الشركات الأمريكية البترولية الباحثة عن استثمارات في قطاع البترول والطاقة. لقد قامت الشركات الأمريكية والغربية عموما باستغلال البترول في هذه المنطقة في عدة اوجه ومجالات ومنها التنقيب عن البترول وشحنه وتسويقه وتأمين طرقه وممرات عبوره إلى العالم الصناعي الأول في أوروبا وأمريكا واليابان وشرق آسيا.[(3)] كانت المشاركة الأمريكية في صناعة الطاقة في الخليج كبيرة ومكثفة، ففي بداية السبعينات من القرن الماضي وصل عدد الشركات الأمريكية المستثمرة أموالها في بترول الخليج ما يقارب العشرين والتي بدورها سيطرت على اكثر من 50% من إنتاج البترول في

المنطقة. فحسب الدراسات والمصادر الأمريكية، سيطرت الشركات الأمريكية على إنتاج البترول في كل الحقول السعودية، وعلى اكثر من 40% في الحقول الإيرانية، إضافة إلى تواجد أمريكي هام في استكشاف وانتاج البترول في الكويت وقطر والبحرين وعمان والإمارات. وصل حجم الاستثمار الأمريكي في المجالات البترولية في الدول المذكورة سابقا إلى اكثر من ملياري دولار التي كانت بدورها تدر ما يقارب 1.5 مليار من الأرباح. [4] ويليام بروور، مدير دائرة شؤون الجزيرة العربية في وزارة الخارجية الأمريكية، علق على أهمية الاستثمار الأمريكية في منطقة الخليج بالقول: "إن التواجد الاقتصادي الأمريكي يعتبر اكبر تركيز للقطاع الخاص الأمريكي في العالم، فاستثمارات الشركة العربية الأمريكية للطاقه (أرامكو) تعد الأكبر لشركة خاصة أمريكية خارج القارة الأمريكية برمتها. [5]

لعب البترول العربي دورا هاما ومحوريا في تحديد الأولويات الأمريكية في الخليج العربي، كما ساهم في صياغة العلاقات الأمريكية الخليجية بما فيها العلاقات الامريكيه الايرانيه بطريقة تضمن تدفق البترول إلى السوق العالمي بكميات وفيرة وأسعار معقولة. إن المستخرج من البترول يعتبر هاماً لضمان استقرار الأسواق العالمية إلا أن الاحتياط الهائل من البترول في منطقة الخليج العربي هو الأهم حيث تصل نسبته إلى ما يقارب 60% حسب بعض المصادر وذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي. في نفس هذه الفترة الزمنية، كان اعتماد أوروبا الغربية واليابان وأمريكا على البترول الخليجي يصل إلى نسبة 80% مما اكسب هذه المنطقة أهميه استرايجيه واقتصادية من الدرجة الأولي.[6]تضاعفت أهمية البترول في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لان خطة مارشال الأمريكية لاعادة اعمار وبناء أوروبا المدمرة قد اعتمد بشكل مباشر على المال والدعم الاقتصادي السياسي الأمريكي من جهة، وعلى البترول العربي القادم من الخليج من جهة أخرى. يضاف إلى ذلك أن القوة القتالية لحلف الناتو ارتبطت بمصادر الطاقة لان إرسال القوات والتدخل في النزاعات الدولية وتدوير عجلة الآلات الحربية لا يمكن أن يتم بدون مصادر طاقة رخيصة وآمنه.[7]

قبل النهاية الفعلية للحرب العالمية الثانية اصطدمت بريطانيا وروسيا وأمريكا في إيران من أجل الحصول على الامتيازات للتنقيب عن البترول الإيراني، رغم أن الإيرانيين فضلوا التعامل المباشر مع الولايات المتحدة بما يخص هذه القضية بالتحديد، إلا انهم فضلوا التريث والصبر حتى نهاية الحرب لان قضايا حساسة مثل قضية البترول لا يمكن حسمها في أجواء الحرب والتمزق الذي أصاب البلاد في تلك الفترة. كان التقارب الإيراني الأمريكي يبدو منطقيا في تلك الفترة لعدة أسباب وعوامل من أهمها أن الحكومة الايرانيه كانت تواجه حزبا شيوعيا إيرانيا منظما ومسلحا ومدعوما من الروس، كم أن الروس تدخلوا في شؤون إيران الداخلية ودعموا حركات التمرد في شمال البلاد وأذربيجان.[8] لمواجهة هذا التحدي السوفيتي، اصدر الرئيس الأمريكي

هاري ترومان مبدأ إستراتيجي حمل اسمه في آذار من عام 1947 والذي تضمن استعداد أمريكا لتقديم مساعدات عسكرية واقتصادية وسياسية لكل من إيران وتركيا واليونان من اجل مواجهة الخطر الشيوعي وسياسة الاختراق الداخلي التي اتبعها السوفييت في تلك الفترة.[9]

في عام 1957، اصدر الرئيس الأمريكي ايزنهاور مبدأ إستراتيجي آخر يدعم العقيدة العسكرية الامريكيه الجديدة في المنطقة ويقوم على أساس احتواء النفوذ المتزايد للاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط وخاصة أن مصر الناصرية أظهرت توجهات تضامنية في سياساتها الخارجية مع المشاريع السوفيتية وقامت بدعم حركات التحرر الوطني في كثير من بلدان العالم الثالث التي كانت تحارب قوى إمبريالية غربية متحالفة مع أمريكا.[10] تجسد دور إيران في هذه الفترة من خلال استدراجها للدخول في الأحلاف العسكرية التي رعتها أمريكا مثل حلف بغداد الذي تم تأسيسه في عام 1955 وضم كلاً من بريطانيا وتركيا وإيران والباكستان والعراق، كما أن إيران أصبحت جزءا هاما من منظومة "الحزام الشمالي" الذي أطلقته الولايات المتحدة في عام 1959 وضم كلاً من إيران وباكستان وتركيا من اجل تامين الجبهة الشمالية لمنطقة الخليج العربي وتطويق الجبهة الجنوبية للاتحاد السوفيتي. ثم اصبح هذا التحالف يطلق عليه في الأدبيات الاستراتيجية الامريكيه اسم التحالف المركزي.[11]

تضاعفت أهمية إيران الاستراتيجية بما تتصل بالسياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط في بداية السبعينيات في خضم التورط الأمريكي في فيتنام في أعقاب الانسحاب الأمريكي من هذا البلد في منتصف السبعينيات. ساهمت عقدة فيتنام في تصحيح كثير من الأخطاء الاستراتيجية الامريكيه فبدلا من سياسة التدخل الأمريكي المباشر في شؤون العالم الثالث انعكست أحداث فيتنام على تداعيات الاستراتيجية الامريكيه في الخليج العربي فصل خبراء السياسة الخارجية الأمريكية، وعلى رأسهم كيسنجر، استراتيجية العمودين التوأمين والتي هي الاسم الآخر لمبدأ نيكسون والذي ارتأى من خلاله خبراء السياسة الامريكيه تقليل التدخل الأمريكي في العالم الثالث، وبدلا من ذلك الاعتماد على أصدقاء وحلفاء الولايات المتحدة في مختلف مناطق العالم لحماية مصالحها ومناطق نفوذها. انعكست هذه الاستراتيجية على منطقة الخليج من خلال تشجيع أمريكا ودعمها لفكرة عدم تدخل الدول العظمى في هذا الجزء من العالم، ودعم الدول الصديقة نحو مزيد من التعاون والتنسيق الإقليمي بعيدا عن التحالفات الدولية المعادية.[12]

المقصود من هذه الاستراتيجية هي السعودية الواقعة إلى جنوب الخليج وتمثل العمود السني بمكانتها الاقتصادية والبترولية في العالم، أما إيران فتمثل العمود الثاني الشيعي، بسبب إمكانياتها ومصادر الطاقة فيها إضافة إلى طموحاتها الإقليمية في السعي للهيمنة على الخليج.[13]بروز إيران كقوه إقليمية ارتبطت مع سياسات الشاه محمد رضا بهلوي الذي كان يحاول أن يجعل من إيران شرطي الخليج، وقد امتد نفوذه خارج نطاق الخليج ليصل إلى بحر العرب والمحيط الهندي.[14]

اظهر الشاه نهما شديدا للحصول على السلاح من كل المصادر الممكنة وبخاصة الأمريكية والغربية نتيجة لمجموعة من الأسباب:

1. نجاح الثورة القومية البعثية في العراق عام 1958.
2. النزاع العراقي الإيراني حول شط العرب.
3. انسحاب بريطانيا من عدن وقيام جمهورية ماركسية في اليمن الجنوبي.
4. دعم العراق واليمن الجنوبي للثوره الماركسية في إقليم ظفار في عمان.
5. تعرض السعودية لتمرد في قواتها الجوية عام 1969.(15)

في عام 1972، وصل الرئيس نيكسون ومستشاره للأمن القومي هنري كيسنجر إلى طهران بهدف تعزيز العلاقات الايرانيه الامريكيه من خلال التوقيع على مذكرة تفاهم. بموجب هذه المذكرة، وافقت الولايات المتحدة على تزويد إيران بالاسلحه المتطورة بما فيها الدبابات والطائرات والغواصات، وقد انفق الشاه على التسليح الأمريكي لوحده خلال عقد السبعينات اكثر من مليار دولار.(16)

شهر العسل الإيراني الأمريكي انتهى في عام 1979 مع اندحار الشاه، وانتصار الثورة الإسلامية بقيادة آية الله الخميني. رفعت الثورة الايرانيه شعارات دينيه وايديولوجيه عريضة كأسلمة المجتمع والسياسة وضرورة تصدير الثورة للدول المجاورة خاصة تلك التي يوجد اقليات شيعيه بين سكانها. ومنذ انطلاقتها، استشعرت أمريكيا خطورة الثورة الايرانيه على مصالحها في المنطقة، فقد احتجز اكثر من 66 رهينة أمريكية داخل السفارة الأمريكية في طهران لاكثر من 444 يوماً احتجاجا من الإيرانيين على الدور السلبي الأمريكي الداعم للشاه على حساب الشعب الإيراني. ردود الفعل الأمريكية تجاه دعاة الثورة تراوحت بين قطع العلاقات الدبلوماسية وإيقاف كل أشكال الدعم وبخاصة العسكري للنظام الجديد.(17) كما تبنت أمريكا خطوات أخرى لمعاقبة إيران على شاكلة تجميد كل الأصول المالية الايرانيه في البنوك الأمريكية ومنع تحويل عائدات الإيرانيين المقيمين في أمريكا من الوصول إلى إيران ووقف كل علاقات الاستيراد والتصدير بين البلدين، وتحريم كل أشكال الزيارات المتبادلة بين وفود البلدين.(18) استراتيجيا دعمت الولايات المتحدة العراق في زمن صدام حسين في حربه الطويلة ضد إيران التي دامت ثماني سنوات(1980-1988)، كما ساهمت في تقديم المساعدات العسكرية المباشرة وغير المباشرة لدول مجلس التعاون الخليجي. واستمر هذا الدعم الأمريكي للعراق ولدول مجلس التعاون الخليجي حتى نهاية عقد الثمانينات حيث قام صدام حسين باحتلال العراق مبعثرا بذلك كل الأوراق والحسابات الاستراتيجية لدول المنطقة وللدول الكبرى ولا سيما أمريكا.

احتواء أعداء إسرائيل

في نفس الوقت الذي كانت تسعى فيه الإدارة الأمريكية لصنع سلام شرق أوسطي برغبات وأهداف إسرائيلية، كان المفكرون والمحللون الاستراتيجيون في أمريكا يضعون الدراسات النظرية والاستراتيجية ذات الأبعاد الجيوسياسية والجيواقتصادية لمحاصرة القوى الإقليمية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط. فرغم جهود السلام المضنية التي أظهرتها إدارة الرئيس كلينتون بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو، وما لحقها من معاهدة سلام أردنية-إسرائيلية، إلا أنها في نفس الوقت انكبت على تحديد المخاطر الإقليمية الرئيسية التي تهدد مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط، بما فيها المخاطر المباشرة على البترول وأمن إسرائيل.

رجعت إدارة كلينتون إلى مبدأ الاحتواء (Doctrine of containment) الذي ابتكره جورج كينان في عام 1947 لمحاصرة واحتواء نفوذ الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية تشكل خطراً مباشراً على أمريكا ومصالحها في العالم[34]. بدلاً من احتواء خطر عالمي كالاتحاد السوفيتي، تم العمل على إعادة صياغة هذا المبدأ الاستراتيجي وتجييره لاحتواء قوى إقليمية في العالم الثالث، وفي دول الجنوب، تشكل طموحاتها الإقليمية خطراً على أصدقاء وحلفاء أمريكا في العالم، كما وتشكل تهديداً مباشراً لسطوتها الإمبريالية على مفاصل النظام الدولي. أنطوني ليك، مستشار الرئيس كلينتون لشؤون الأمن القومي، قام بمحاولة جدية للسير على خطوات كينان حيث تصور توسيع دائرة الدول والأمم في العالم الملتزمة بالمؤسسات الديمقراطية وفلسفة اقتصاد السوق الحر وحل النزاعات بالطرق السلمية[19]. حذر ليك في تقديمه لاطروحتة حول المخاطر الإقليمية التي تواجه أمريكا في نهايات القرن العشرين مما سماه "الدول المارقة" التي اختارت أن تبقى خارج دائرة الأمم المتمدنة والمتطورة، والذي يهدد سلوكها القواعد والأسس الأخلاقية والمعنوية للعالم المتمدن. بلغة أكثر تحديداً، بين ليك أن الأمم المارقة هي كوبا وكوريا الشمالية وإيران والعراق وليبيا والسودان، هذه الدول يسيطر قادتها على السلطة بالعنف ولها سجل سيئ لحقوق الإنسان، وهي دائما ترعى أيديولوجيات شوفينية راديكالية متطرفة، وغير قادرة على ممارسة سلوك إيجابي مع العالم المتمدن لما تملكه من قدرات نووية أو أسلحة دمار شامل[20].

لقد تم تفصيل الاستراتيجية الأمريكية، بناء على أفكار وفرضيات ليك، بطريقة يحدد بموجبها كيفية تحييد هذه الدول وعزلها عن المجتمع الدولي، ومن ثم احتوائها وتحويلها على المدى البعيد إلى دول قابلة للتعايش مع عالم مسيطر عليه أمريكياً، في التصورات الأمريكية كل دولة من هذه الدول، تمثل حالة خاصة لما تمتاز به من ثقافة خاصة بها، وظروف جيوسياسية واستراتيجية مختلفة عن جيرانها، ولها تاريخ وبناء حضاري مغاير، وبناء على ذلك يجب أن تتحرك الإدارة الأمريكية بطريقة تضمن أخذ هذه الخصوصيات بعين الاعتبار حتى تضمن النجاح في خطواتها

الاستراتيجية لاحتواء هذه الدول. في نهاية مقالته في مجلة الشؤون الدولية، يذكر ليك مجموعة من الأدوات والوسائل والميكنزمات التي يمكن استخدامها أمريكياً حتى يتم تضييق الخناق على هذه الدول، ومن هذه الأدوات العزل عن المجتمع الدولي والضغوطات الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية، وتشجيع الجماعات السياسية المعارضة في هذه الدول بالثورة والانتفاضة عليها داخليا من خلال مدها بالمال والسلاح والدعم المعنوي والسياسي. كما أن الإدارة الأمريكية يجب أن لا تألو جهداً إلا وبذلته لإقناع المجتمع الدولي للانضمام إلى المساعي الأمريكية لعزل هذه الدول، وإقناعهم أن هذه الدول بما تملكه من موارد ومصادر هي في الحقيقة "استثمار سيئ"[21].

بالنزول إلى منطقة الشرق الأوسط، اعتبرت إدارة كلينتون "إيران الخمينية" و "العراق البعثية" خطرين شديدين يتهددان المنطقة، لديهما من موارد وطاقات وأصدقاء ودول حليفة مع أمريكا، فضلاً عن أنهما دولتان معاديتان لإسرائيل في خطواتهما السياسية والاقتصادية والعقائدية والأيديولوجية. لذلك تصبح مسألة احتوائهما في غاية الأهمية. وهذا ما حدث فعلاً من خلال "استراتيجية الاحتواء المزدوج" التي تعني ببساطة تضييق الخناق على كل من إيران والعراق في منطقة الشرق الأوسط، وفي منطقة الخليج العربي على وجهة التحديد، بواسطة عزلهما عن البنية الإقليمية التي يعيشان فيها، وقطع تواصلهما السياسي والاقتصادي مع العالم الخارجي[22]. وبذل جهد حثيث ومساعي مضنية لإقناع القوى الفاعلة على مستوى العالم بما فيها أوروبا واليابان والصين وروسيا الاتحادية والهند بعدم المتاجرة مع إيران في البترول والسلاح والسلع والخدمات الأخرى، وخاصة أن اليابان والدول الأوروبية تعتمد بدرجة كبيرة على البترول الشرق أوسطي بما فيه الإيراني[23].

ارتبطت استراتيجية الاحتواء المزدوج مع مارتن انديك، مساعد الرئيس كلينتون لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي، والسفير الأمريكي في إسرائيل حتى وقت قريب. فقد عرض انديك الخطوط العريضة لهذه الاستراتيجية الجديدة في خطاب له ألقاه أمام معهد واشنطن لسياسيات الشرق الأدنى، المقرب من صناع القرار في أمريكا، في أيار من عام 1993. أهم ما جاء في خطابه هو تخطئته للعبة توازن القوى التي اعتمدت عليها واشنطن في تعاملها مع كل من إيران والعراق وخاصة في فترة الستينات والسبعينات والثمانينات من القرن العشرين تحت تأثير تفكير هنري كيسنجر الذي كان يدعم اللجوء إلى مساعدة إيران ضد العراق وبالعكس.

بالمقابل، كان وجهة نظر انديك منصبة على احتواء إيران والعراق في نفس الوقت بدون إبداء أي مساومات أو مواربات أو تحيزات لأي منهما لأن ذلك سيشكل عائقاً أمام نجاح

استراتيجية ضربهما مستقبلاً. كان انديك يعتقد أن أمريكا بقوتها وتواجدها في المنطقة، وبمساعدة أصدقائها في مصر والأردن وتركيا ودول الخليج العربي، وبالطبع إسرائيل، هي فعلاً قادرة على مواجهة التحديات التي تشكلها كل من إيران والعراق. من وجهة نظر انديك يجب أن يكون الهدف النهائي لأمريكا هو تغيير النظام في العراق لما يسببه من إزعاج لأصدقاء أمريكا في المنطقة، بما فيهم إسرائيل، وهذه مهمة سهلة بعد حرب الخليج الثانية الذي أصبح فيها العراق ضعيفاً ومحاصراً، وفي ظل وجود إجماع دولي من روسيا والصين واليابان وأوروبا على أن التخلص من صدام يجب أن يكون الهدف النهائي حتى يتحقق السلام والأمن في المنطقة[24].

اعتبر انديك أن احتواء إيران هو الأصعب في هذه المعادلة الإقليمية لأن العراق تاريخيا كان البلد العربي الوحيد القادر على موازنة إيران والحد من طموحاتها الإقليمية، سواءً في زمن الشاه او في زمن آية الله الخميني، لكن العراق أصبح ضعيفاً جداً بعد حرب الخليج الثانية بحيث استفادت إيران من ذلك. يضاف إلى هذا مساحة إيران الشاسعة وأعداد سكانها الكبير وبيئتها الاستراتيجية المعقدة، لذلك لن يتم احتواء إيران إلا إذا استطاعت الولايات المتحدة إقناع الدول الفاعلة على مستوى العالم خاصة أوروبا واليابان والصين وروسيا، لوقف كل أشكال التعاون مع طهران خاصة في الشؤون الاقتصادية والعسكرية، وبذل جهد أمريكي اكبر لتعويض هذه الدول عن أي خسائر يمكن أن تتكبدها في حال موافقتها لتخفيف علاقاتها مع إيران[25].

في عرضه وتحليله لأفكاره حول احتواء إيران، استذكر إنديك الأهمية الاستراتيجية القصوى لإيران وخاصة عندما كانت مكوناً هاماً ولاعباً ضرورياً في الاستراتيجيات الأمريكية في الشرق الأوسط حتى عام 1979. فتاريخياً دخلت إيران حلف بغداد والحلف المركزي في الخمسينات، وتدخلت فيها المخابرات الأمريكية والبريطانية لعزل الحكومة الوطنية هناك بزعامة محمد مصدق عام 1953، لما كانت تمثله من أهمية خاصة لأمريكا وللغرب عموماً.

باختصار يمكن القول أن الاستراتيجية الأمريكية المعروفة باسم الاحتواء المزدوج ارتكزت على العناصر التالية:-

1- منع أي قوة إقليمية أو عالمية من منافسة أمريكا كقوة مسيطرة في الخليج العربي.

2- حماية دول مجلس التعاون الخليجي من التهديدات الداخلية والخارجية.

3- رفض أي نوع من العلاقات السياسية مع كل من إيران والعراق وعدم الافتراض أن التوازن العسكري بينهما هو عنصر استقرار في الخليج.

4- لجوء الولايات المتحدة إلى الأدوار الأحادية والانفرادية في إدارة شؤون الخليج بالتنسيق مع الحكومات الصديقة هناك[26].

من جهة اعتمدت أمريكا في استراتيجيتها لاحتواء العراق الجريح من خلال تدمير البنية التحتية فيه، فالقوة الجوية الأمريكية نجحت في تدمير ما يزيد عن 90% من قدرة العراق لتوليد الطاقة و80% من مصافي البترول إضافة إلى تدمير خطوط الاتصالات والطرق السريعة والجسور والسدود ومصانع البتروكيماويات والنسيج والإسمنت ومحطات الإذاعة والتلفزيون. وقد قدر صندوق النقد الدولي خسائر العراق بفعل هذا التدمير إلى ما يزيد عن 195 مليار دولار[27]. الوسيلة الأخرى في احتواء العراق كانت فرض العقوبات الأممية بفعل القرارات والإعلانات الدولية التي زادت عن ثلاثين قراراً تبنتها الأمم المتحدة لفرض حصار اقتصادي وحظر جوي وبحري على العراق. كان الهدف الأمريكي استخدام مظلة الأمم المتحدة من أجل فرض أمر واقع على العراق[28].

تم إضعاف الدولة العراقية أكثر وأكثر عندما تبنت أمريكا وحلفاؤها الغربيون مناطق الحظر الجوي في شمال العراق الذي تسكنه أغلبية كردية، وفي جنوبه ذات الأغلبية الشيعية. ساعدت مناطق الحظر الجوي على العراق في ظهور النزعات والتوجهات الطائفية والمذهبية لدى قسم من سكان العراق خاصة الأكراد والشيعة، ونمت التوجهات الانفصالية بينهم. لذلك لم يكن غريباً أن يجنح الأكراد والشيعة إلى الاستعانة بأمريكا وحلفائها لإزالة صدام حسين ونظامه البعثي الذي أساء معاملة هاتين الأقليتين[29]. من أجل زيادة التدخل الأمريكي في شؤون العراق الداخلية، عينت فيه الولايات المتحدة لجنة خاصة تحت قيادة الدبلوماسي السويدي رولف ايكوس للإشراف على نزع ما أسمته أسلحة الدمار الشامل لدى العراق[30]. بناء على تقارير هذه اللجنة، قامت الأمم المتحدة ولجانها الخاصة المكلفة بالموضوع العراقي بمنع تصدير أكثر من ثلاثمائة سلعة للعراق بما فيها الأدوات الكهربائية والساعات وقطع الغيار وآلات الخياطة والكمبيوترات والمسامير وآلات نسج الصوف والثلاجات. هذا انعكس سلبا على الوضع المعيشي العام داخل العراق حيث عانى طلبة المدارس من نقص في كتب التدريس والقرطاسية والأوراق كما أن المرضى في المستشفيات عانوا الكثير لدرجة أن بعض المرضى وافق على عمل جراحة بدون تخدير. هذه الإجراءات القاسية ساهمت في النهاية بموت أكثر من مليون ونصف طفل عراقي بما فيها إجهاض أكثر من 250 ألف امرأة عراقية[31].

بالنسبة لاحتواء إيران أوردت أمريكا الادعاءات التالية والتي بناءً عليها بررت خطواتها التصعيدية لإيران من هذه الادعاءات:

1- سعي إيران الحثيث لامتلاك سلاح نووي وأسلحة الدمار الشامل، حيث زادت الرغبة الإيرانية في ذلك وخاصة بعد عام 1993 بسبب ارتفاع عائدات البترول التي وصلت إلى أكثر من عشرين مليار دولار، استغل جزء منها لتمويل الحصول على أسلحة متطورة[32]. قامت إيران

بشراء مفاعلات نووية من الصين وروسيا من اجل استخدامها للأغراض السلمية، إلا أن هذه الخطوة دفعت الأمين العام لوكالة الطاقة الذرية لزيارة إيران وتفتيش العديد من المواقع النووية فيها.

2- الادعاء الأمريكي الثاني ضد إيران هو دعمها المستمر لما تدعيه أمريكا النشاطات الإرهابية في العالم خاصة منظمات حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي[33].

3- انتقاد أمريكا لإيران على سجلها لحقوق الإنسان وكأن أمريكا وضعت نفسها حكما دولياً على مراقبة حقوق الإنسان في دول العالم. كانت الاتهامات الأمريكية مركزة على دور إيران في إعدام واغتيال الكثير من الناشطين السياسيين المعارضين للنظام الإيراني داخل إيران وخارجها[34].

4- أما الادعاء الأخير فهو رفض إيران الاعتراف بإسرائيل ومعارضتها القوية لعملية السلام بين العرب والإسرائيليين في الشرق الأوسط، فمنذ عام 1979 رفضت إيران الاعتراف بحق إسرائيل بالوجود، وقدمت كل أشكال الدعم المادي والمعنوي للقوى المناهضة لإسرائيل في فلسطين ولبنان. كانت إيران دائماً تنظر إلى إسرائيل على أنها كيان صهيوني غير شرعي ومرض غريب انغمس في جسم فلسطين المسلمة[35].

في مواجهة هذه الاتهامات والادعاءات ولمعاقبة إيران، تحركت إدارة كلينتون بوضع إيران تحت عقوبات قاسية اشتملت على تجميد العلاقات التجارية والاقتصادية والتكنولوجية، إلا أن هذه الإجراءات الأمريكية لم تفلح بإقناع دول العالم لمقاطعة إيران لما تملكه من أوراق رابحة كثيرة مثل البترول والسكان والسوق الناشئ الكبير[36]. حتى أن دولاً صديقة لأمريكا مثل اليابان ذهبت لحد القول أن العلاقات الاقتصادية الوديّة يمكن لها أن تسهل عملية تشجيع العناصر المعتدلة داخل إيران بزعامة الرئيس السابق محمد خاتمي[37]. في نيسان عام 1995، قدمت الإدارة الأمريكية تقريراً شاملاً لروسيا عن إيران ونشاطاتها النووية التي تهدف حسب الادعاءات الأمريكية إلى بناء مفاعلات نووية بغرض امتلاك سلاح نووي، إلا أن الروس لم يتجاوبوا مع هذه التقارير الأمريكية ومضوا قدماً في صفقتهم لتعزيز العلاقات مع إيران[38]. وعلى العكس من ذلك تماماً، تحركت روسيا باستراتيجية معاكسة ومضادة للتوجهات الأمريكية وقامت بالتوقيع على مذكرة تفاهم مع إيران في عام 1996. هذه الصفقة قدرت بحوالي 800 مليون دولار، يتم بموجبها إكمال روسيا بناء محطة إيران النووية الرئيسية في بوشهر[39]. بعد فشل إدارة كلينتون بإقناع روسيا والصين أن إيران "رصيد سيئ"، وبعد توالي الضغوطات الداخلية الأمريكية، قام الكونغرس بفرض عقوبات جديدة على إيران تحت اسم "قانون داما توا" في عام 1996، والذي يعاقب كل

الشركات الأجنبية التي تستثمر أكثر من 40 مليون دولار في مصادر الغاز والبترول في كل من إيران وليبيا[40]

هدفت هذه الإجراءات والعقوبات الأمريكية إلى إرسال رسالة قوية لأصدقاء أمريكا العرب في منطقة الشرق الأوسط مفادها أن أمريكا لن تتسامح أبداً مع سعي إيران الجاد لتصدير ثورتها إلى البلدان المجاورة، ورسالة أخرى إلى أصدقائها وحلفائها الغربيين واليابان تظهر الجدية الأمريكية بحماية آبار البترول وطرق مواصلاته، والمضي قدماً بعملية السلام، أما رسالة أمريكا لإسرائيل فهدفت إلى طمأنة الإسرائيليين من أن أمريكا ستعارض أي توجه إيراني للسيطرة على المنطقة وستعارض بقوة امتلاك إيران لأي قدرات نووية.

إيران ومشروع الشرق الأوسط الكبير

في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، شهد العالم خاصة منطقة الشرق الأوسط تحولات سياسية واستراتيجية كبيرة، انعكست بمجملها على سير الأحداث في المنطقة. خطة السلام الأمريكية التي هدفت إلى إحداث نقلة نوعية على المسار الفلسطيني-الإسرائيلي، فشلت في أعقاب رفض الفلسطينيين لمقترحات كلينتون في صيف 2000، مما سبب حالة من الانسداد السياسي على مسار التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وقد حُمّل الفلسطينيون سبب هذا الفشل، سواءٍ من قبل الإسرائيليين أو الأمريكيين. لقد وصل الفلسطينيون إلى نتيجة مفادها أن أمريكا ترعى عملية تفاوض شكلية من أجل التفاوض فقط، حيث تحرص واشنطن على رعاية مصالح إسرائيل، وتحرص دائماً على ممارسة كل أشكال الضغوطات على الفلسطينيين فقط[41]. فشل الرعاية الأمريكية لعملية التفاوض السلمي تزامن مع اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول من عام 2000 بعد أن ضاق الفلسطينيون ذرعاً بممارسات الإسرائيليين، سواء على صعيد الاعتقالات والمضايقات والحواجز أو الاستمرار في بناء المستوطنات ومصادرة الأراضي. امتازت انتفاضة الأقصى بدرجة عالية من العسكرة والمواجهات الدامية والتي سعى من خلالها الفلسطينيون إلى أن يوازنوا أعداءهم في معادلة الدم والرعب والقوة[42]. بعد عام تقريبا من اندلاع انتفاضة الأقصى في الأراضي الفلسطينية، حدث زلزال الحادي عشر من أيلول عام 2001 في الولايات المتحدة، والذي ترك آثاراً وتداعيات ليس فقط على السياسات الخارجية الأمريكية، وإنما على ظاهرة اليمين المحافظ بقيادة جورج بوش بحيث تنفذ في مفاصل النظام السياسي الأمريكي[43]. خطورة أحداث سبتمبر كان في النتائج التي ترتبت عليها حيث تم استغلال هذه الأحداث في إطلاق العنان لترسانة القوة الأمريكية في حروب استباقية تدخلية في العراق وأفغانستان، كما ساهمت هذه الأحداث في تغيير النظرة الأمريكية للعالم وللنظام العالمي ولمعادلات الصراع في المنطقة العربية، ولرؤية أمريكا للعرب كمكون تاريخي/جغرافي/قومي[44].

استغلت دوائر اليمين المحافظ وشلة المحافظين الجدد[45] أحداث سبتمبر على نطاق واسع في احتلال أفغانستان في عام 2001، والإطاحة بنظام صدام حسين في عام 2003، وبدا أن أمريكا، كما يقول مارتن إنديك، بدأت البحث عن أصدقاء جدد لمساندتها في حربها على ما تسميه "بالإرهاب". ساهمت أحداث سبتمبر في خلط كثير من الأوراق الإقليمية في الشرق الأوسط، وكان لها وقع الصدمة على صناع القرار في واشنطن لدرجة أن الأمور اختلطت عليهم فلم يكونوا قادرين للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم[46]. كان هناك اتهام أمريكي مباشر للدول العربية المحافظة مثل السعودية ومصر، وتحميلها مسؤولية أحداث سبتمبر 2001 لأن المنفذين كانوا من الخليجيين والمصريين. فالرجال المنفذين لهذه العمليات، كانوا حسب التصورات الأمريكية من إنتاج نظم سلطوية تسلطية لا تمنح الفرد أدنى درجات التعبير عن الذات، وبالتالي لجأ هؤلاء إلى المدارس الدينية والمساجد لأدلجة عقولهم وإشباع رغباتهم في كراهية أمريكا[47]. استراتيجياً، تحركت الإدارة الأمريكية في تدشين مشروع الشرق الأوسط الكبير بعد سماعها وإصغائها لبعض الخبراء والمختصين بالشؤون العربية والشرق أوسطية ممن دافعوا عن آراء مفادها أن الطابع السلطوي والتوتاليتاري للأنظمة العربية، فضلاً عن مفاهيم التعليم التلقيني وخطب المساجد، والسياسيات الإعلامية والثقافية والاقتصادية، والفساد المالي والإداري، إضافة إلى غياب نمط التفكير العصري، كلها مسؤولة عن شيوع ظاهرة "التعصب والإرهاب وتفريخ الإرهابيين"[48].

أطلق جورج بوش مشروع الشرق الأوسط الكبير رسمياً في قمة الدول الثمانية الصناعية في ولاية جورجيا في أمريكا في حزيران من عام 2004، بعد أن قام بإجراء مناقشات وجولات حوار مع بعض الوزراء الأوروبيين وبعض المهتمين بالشأن الشرق أوسطي. الهدف الأمريكي المعلن هو إحداث مقاربات بين الموقفين الأوروبي والأمريكي بخصوص إصلاح المنطقة العربية، وخاصة أن الأوروبيين وعلى رأسهم الألمان والفرنسيون كانوا مقتنعين بأن إصلاح أي بلد في العالم ودمقرطته يجب أن يكون بجهد داخلي أصيل، بعيداً عن الضغوطات والابتزازات الخارجية المباشرة[49].

لم يحدد بوش في خطابه جغرافية وحدود الشرق الأوسط الكبير، إلا أن المراقبين يعتقدون أن هذه المنطقة تشمل البلدان العربية جميعها، إضافة إلى باكستان وأفغانستان عبوراً حتى حدود القوقاز الجنوبية وآسيا الوسطى، وبالتالي يضم هذا المشروع تحت مظلة أهم منطقتين في العالم في إنتاج النفط والبترول، الخليج العربي ومنطقة القوقاز. وهذا ما يخفي الأهداف الأمريكية الحقيقية التي تهدف إلى السيطرة على منابع البترول الرئيسية في العالم، وخاصة في ظل ارتفاع كبير في أسعار البترول، أكثر من حقيقة اهتمامها بدمقرطة العالم العربي وإصلاحه[50]. الملاحظ أن المشروع الأمريكي الجديد استثنى إسرائيل من حدود هذا المشروع التفكيكي والتغييري بسبب

اعتقاد ساسة أمريكا أن إسرائيل واحة للديمقراطية واقتصاد السوق في ظل دكتاتوريات عربية. أما تركيا فقد تم التركيز عليها بشكل كبير لأنها تمثل نموذجاً إسلاميا علمانياً تحررياً تتعايش فيه القيم العلمانية والمعتقدات الدينية الوسطية[(51)].

وصف بوش المجتمع الديمقراطي الناجح والفاعل بأنه المجتمع القائم على التعددية السياسية والدمقرطة الحقيقية، والدور البناء الذي يقوم به المجتمع المدني في اتخاذ القرارات وتبني السياسات التنموية والانعتاقية الصحيحة[(52)]. مجتمع تكون فيه سلطة الجيش والأجهزة الأمنية تابعة لأشخاص منتخبين مباشرة من الشعب، ويمثلون إرادة الناس ومصالح المجتمع. هذا المجتمع في العقل السياسي الأمريكي هو الذي يشجع المأسسة وبناء المؤسسات المدنية السلمية، كما يحفز على تشكيل الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والاتحادات النسوية والهيئات الشبابية مع وجود إعلام حر وصحف مستقلة[(53)].

في الوقت الذي كان فيه بوش الابن يروج لفكرة الشرق الأوسط الكبير، كانت الولايات المتحدة تبذل جهوداً مضنية وحثيثة لمحاصرة إيران استراتيجيا واقتصاديا من خلال الضغط عليها للتخلي عن برنامجها النووي.ولتحقيق هذا الهدف تتحرك الولايات المتحدة ضمن ثلاث استراتيجيات: الاستراتيجية الأولى تقوم على تكثيف دبلوماسية المنع حيث تقوم أمريكا بتنسيق جهودها مع دول الاتحاد الأوروبي خاصة بريطانيا وفرنسا وألمانيا لكي تلعب دوراً في إقناع إيران بالتخلي عن برنامجها النووي سلميا ودبلوماسياً مقابل حفنة من الحوافز السياسية والاقتصادية[(54)]. في هذا السياق ركزت المساعي الأمريكية منذ بداية أزمة الملف النووي لخلق قواعد وارضيات مشتركة مع الأوروبيين والروس والصينيين من اجل احتواء طموحات إيران النووية، وتنسيق الجهود داخل أروقة مجلس الأمن ووكالة الطاقة الذرية الدولية لحل هذه الأزمة سلميا بعيداً عن التصعيد العسكري لما يحمله هذا التصعيد من نتائج فوضوية وكارثية على المنطقة كاملة[(55)]. ورغم العديد من جولات الحوار التي عقدت بين الأوروبيين ممثلين بخافير سولانا ، المنسق الأعلى للسياسة الخارجية الأوروبية، وعلي لاريجاني مسؤول الملف النووي الإيراني، إلا أن حالة الانسداد السياسي والمأزق التفاوضي ما زالت سيدة الموقف بين الطرفين خاصة أن إيران بقيادة احمدي نجاد بقيت ثابتة على مواقفها المنادية بضرورة امتلاك قدرات نووية للأغراض السلمية.تتفق أوروبا الغربية تقريبا مع المواقف الأمريكية على أن إيران يجب أن توقف تخصيب اليورانيوم بكل الوسائل الممكنة باستثناء اللجوء إلى القوة العسكرية لما لذلك من تداعيات إقليمية خطيرة.[(56)]

أما الاستراتيجية الثانية فهي تشتمل على تشجيع الحركات الانفصالية داخل إيران ، فإيران تعتبر موزاييك وكوكتيل فسيفسائي من القوميات والعرقيات الاذرية والكردية والعربية والبلوشية،

طبعا إضافة إلى الفارسية، وبذل جهد لتغيير النظام من الداخل حيث أن هناك مسعى أمريكياً لعزل إيران عن المجتمع الدولي وشيطنتها باعتبارها جزءاً من محور الشر، بناء على سجلها في حقوق الإنسان ومصادرة الحريات العامة. هذه الاستراتيجية عادة تقوم على دعم الإصلاحيين الإيرانيين وتقويتهم حتى يكون بمقدورهم الصمود في مواجهة المتشددين ورجال الدين الذين يسيطرون على مفاصل النظام السياسي والعسكري في إيران، إضافة إلى دعم الجماعات الإصلاحية والمثقفين ودعاة حقوق الإنسان حتى يشكلوا سدا قويا قادرا على انتقاد النظام علنا، ويمتلك قدرات تعزيز وجوده في الشارع الإيراني. في هذه الاستراتيجية الامريكيه، يجب دفع الإصلاحيين والتنويريين الإيرانيين لتوضيح مخاطر وتكلفة امتلاك إيران السلاح النووي لعامة الشعب الإيراني.[57]

أما في حال فشل إستراتيجية التعاطي السلمي والإيجابي مع إيران وعدم نجاح إستراتيجية تغيير النظام من الداخل، فان الولايات المتحدة ستلجأ إلى العمل العسكري المباشر حيث ستقوم باستخدام أسلوب "الصدمة الصاعقة" والتي تعني مشاركة مئات الطائرات والقطع البحرية المنتشرة في الخليج العربي والمحيط الهندي بشن هجمات ساحقه ومدمره على المواقع النووية الايرانيه، فضلا عن استهداف المواقع الاستراتيجية والتجمعات الصناعية. ستكون هذه بمثابة فرصة ثمينة لأمريكا لاختبار أنواع جديدة من الأسلحة والتقنيات العسكرية الفتاكة بما فيها قنابل نووية محدودة التأثير والتدمير لاعادة إيران إلى زمن ما قبل الثورة الصناعية[58]. وقد دلل على ذلك سيمور هرش في مقالة له في جريدة نيويوركر حيث ذكر معلومات ومعطيات خطيرة تفيد أن أمريكا كثفت من حملات الاستطلاع التي تقوم بها طائرات الاواكس في الخليج لجمع معلومات حول المواقع النووية والاستراتيجية داخل إيران. وقد زعم هرش أن وحدات أمريكية خاصة تعمل داخل الأراضي الايرانيه منذ صيف 2004 في مهمة استطلاعيه واستكشافيه، ويبدو أن إدارة بوش المحافظة باتت ترجح الضربه العسكرية الاستباقية خاصة أن بعض الخبراء العسكريين والإستراتيجيين الأمريكيين يفضلون هذا الخيار ويروجون له لإخراج أمريكا من المأزق الشديد والورطه الكبيرة في العراق ولفتح مساحات جديدة ورحبة أمام الدبلوماسية الامريكيه مستقبلا[59].

تتبع أمريكا استراتيجية الحرب الباردة وأسلوب الحرب النفسية ضد إيران، فمثلما قامت أمريكا بشن حرب إعلامية ونفسية احتوائية ضد السوفييت سابقا، تقوم اليوم بشن حملة شديدة هدفها تشويه الأهداف الإيرانية من وراء امتلاك القدرات النووية. وقد ظهرت العشرات من المقالات والتحليلات الصحفية ذات العناوين البارزة واللامعة والتي تحاول أن توصل رسالة مفادها أن إيران على وشك امتلاك سلاح نووي، وما لذلك من أصداء وانعكاسات سلبية خطيرة على التركيبة الإقليمية للمنطقة في ظل حكومة اوتقراطية إيرانية يقودها احمدي نجاد الذي هدد في اكثر من مناسبة بتدمير إسرائيل إن هي أقدمت وبادرت بضرب المصالح الإيرانية داخل إيران وخارجها[60].

على صعيد آخر تواجه إستراتيجية الحرب الأمريكية العديد من المشاكل والصعوبات وخاصة أن أصدقاء أمريكا الأوروبيين ما زالوا يعارضون فكرة الحرب الاستباقية ضد إيران لما لذلك من نتائج وانعكاسات خطيرة على المنطقة وعلى النظام العالمي. كما أن الروس والصينيين يعارضون بشدة استراتيجية العمل العسكري المباشر ضد إيران لان ذلك سيشكل خطرا على التوازنات الإقليمية، وتهديدا مباشرا لمصالحهم في المنطقة وخاصة البترول بالنسبة للصينيين، واسواق السلاح الكبيرة في المنطقة بالنسبة للروس. في هذا السياق يجب التذكير أن الإدارة الأمريكية وفريق المحافظين الجدد المقربين منها تلقوا صفعة قوية عام 2005 عندما قامت روسيا بتوقيع اتفاقية مع إيران لبناء مفاعل نووي جديد في بوشهر، ونص الاتفاق على استعداد روسيا لتزويد إيران باليورانيوم المخصب حيث وصلت قيمة الصفقة إلى اكثر من مليار دولار[61].

من الأوراق الهامة التي تستطيع إيران أن تتلاعب فيها لمساومة ومغازلة الأمريكيين في ما يتعلق ببرنامجها النووي هو الوجود الأمريكي في العراق، فبعض المراقبين يعتقدون أن إيران تستطيع استغلال الورقة الشيعية لتقويض الوجود الأمريكي في العراق من خلال إقناع بعض الجماعات الشيعية خاصة مقتدى الصدر بضرورة ضرب التواجد الأمريكي في كل مناطق العراق بما فيها مناطق الجنوب ذات الأغلبية الشيعية والغنية بالبترول[62]. إن صناع القرار والخبراء الاستراتيجيين في أمريكا يدركون تماماً أن أي تهور أمريكي باتجاه تسخين الجبهة مع إيران يعني بالمجمل وضع اكثر من 150.000 جندي أمريكي في العراق، وما يقارب من 20.000 جندي آخر في أفغانستان في مرمى النيران الايرانيه ومرمى النيران الصديقة لإيران في العراق[63].

إن أي خطوة عسكرية أمريكية ضد إيران سيكون لها آثار وانعكاسات على سوق الطاقة العالمي والاقتصاد الدولي، وستلاقي مثل هذه الخطوة معارضة شديدة من أصدقاء وخصوم أمريكا على حد سواء، فمن المتوقع أن تستثمر الصين على سبيل المثال مليارات الدولارات في عملية إنتاج البترول الإيراني وتسويقه في الأسواق العالمية، خاصة أن إيران تنتج اليوم اكثر من 2.7 مليون برميل يوميا وبها ثالث احتياطي بترولي في العالم. ففي حالة تجديد العقوبات الاقتصادية الدولية عليها أو تسديد ضربه عسكرية ضدها، فان إيران ستلجأ إلى الورقة البترولية من خلال ليس فقط إيقاف تصدير البترول للخارج، ولكن أيضا توجيه ضربات عسكرية مباشرة ضد آبار البترول في الدول الخليجية المجاورة في السعودية والكويت والعراق. وبهذا قد تصل أسعار البترول إلى أرقام قياسية حيث سيتجاوز سعر برميل البترول حد المائة دولار تاركا آثار سلبية على اقتصاديات الدول الغنية. ستكون أزمة البترول معقدة ومتشابكة الخيوط والأبعاد، فارتفاع استهلاك البترول في الهند والصين وجنوب شرق آسيا، في وقت يتضاءل فيه إنتاج البترول العراقي مما يعطي إيران أفضليه في العلاقات الدولية الاقتصادية ويمكن أن يقلل ذلك من فرص توجيه ضربه عسكرية لها من قبل أمريكا على الأقل في المنظور القريب[64].

إيران في رؤية رايس للشرق الأوسط الجديد

إذا كان الشرق الأوسط الكبير قد اعتمد على عناوين وشعارات عريضة مثل الدمقرطه واللبرلة والإصلاح والانفتاح، فان الشرق الأوسط الجديد حسب رؤية وزيرة الخارجية الامريكيه، كوندوليزا رايس هو تراجع وهروب أمريكي عن دعوات الإصلاح السياسي والديمقراطية التي طرحت في أعقاب احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق، وفي ظل استمرار الهجمة الإسرائيلية الاستيطانية ذات الطابع العدواني والاقتلاعي في الأراضي الفلسطينية[65]. هذا التراجع الأمريكي يعود بالدرجة الأولى إلى نتائج الانتخابات الأخيرة

التي جرت في فلسطين والعراق ولبنان ومصر والسودان حيث خرج الإسلام السياسي منتصرا عبر صناديق الاقتراع، في وقت لم تظهر فيه حركات الإسلام السياسي عدم استعدادها، على الأقل في الوقت الحالي، للتطبيع مع النظام الشرق أوسطي الجديد. تزامن ذلك مع ارتفاع وتيرة الدور الإيراني في المنطقة عبر عقد تحالفات مع قوى سياسية داخلية وحزبية في العراق ولبنان وفلسطين، فضلا عن العلاقات الوثيقة مع سورية، مما يعني تهديداً مباشراً للمشروع الأمريكي الجديد للشرق الأوسط الذي تلعب فيه إسرائيل دوراً محورياً في توجيه العملية السياسية والاقتصادية والثقافية في المنطقة[66].

جاء الشرق الأوسط الجديد على أنقاض مشروع شرق أوسطي آخر انطلق مباشرة بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام 1993، والذي أنهته أمريكا وإسرائيل رغم ظهور قيادات عربية جديدة آمنت بالسلام والتعايش ابتداء من النخب الفلسطينية الاوسلوية، مرورا بالقيادات العربية التي وافقت على إطلاق مبادرة عربيه للسلام تضمنت اعترافاً عربياً بإسرائيل وتطبيع شامل للعلاقات معها مقابل انسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة منذ عام 1967.[67] والملاحظ أن هناك تزامناً بين إطلاق أمريكا لتصورها حول الشرق الأوسط الجديد والشكوك العربية والتوجسات الاقليميه التي أظهرتها مصر والسعودية والأردن حول مستقبل الدور الإيراني في المنطقة، فالملك الأردني انتقد في اكثر من مناسبة خطورة ما اسماه بالهلال الشيعي الذي يلف المنطقة، بينما شكك الرئيس المصري حسني مبارك بولاء الشيعة العرب لدولهم وأوطانهم، فضلا عن انتقاد وزير خارجية السعودية سعود الفيصل الإدارة الامريكيه الحالية بسبب إهدائها العراق كشعب وكوطن لصالح المطامع الايرانيه.[68] لذلك يبدو أن أمريكا استغلت هذا التوجس والتململ في صفوف المعتدلين العرب من تزايد النفوذ الإيراني ومتانة العلاقة بين إيران وحزب الله لإطلاق هذا المشروع.[69]

تصريحات رايس حول هذا المشروع الجديد جاءت في وقت تصاعدت فيه الأزمة بين إيران وأمريكا حول برنامج إيران النووي، وفي وقت تبذل فيه الإدارة الامريكيه المحافظة كل جهد ممكن

لعزل إيران دوليا وإقليميا. حتى أن بعض الخبراء والمختصين بالشان العسكري والإستراتيجي ذهبوا إلى حد الاعتقاد أن الحرب الإسرائيلية على لبنان بدت أمريكية اكثر منها إسرائيلية لان الهدف الأمريكي كان منح إسرائيل فرصة لتدمير حزب الله وتصفية حكومة حماس، ومن ثم تشكيل تحالف دولي وإقليمي قابل لاغراء سورية مستقبلاً بالانضمام إليه مع ضمان عزل إيران وتقليص مناطق نفوذها في المنطقة.(70) ومن اجل كسر الشراكة الاستراتيجية بين إيران وسورية، طالب المحلل الإسرائيلي ألون بن مائير بأهمية تغيير السياسات والاجندات الأمريكية اتجاه سوريه من خلال: 1- تخلي أمريكا عن هدفها في تغيير النظام السوري، 2- إعادة مرتفعات الجولان كاملة للسيادة السورية، 3- اعتراف أمريكا وإسرائيل بالعلاقة الخاصة بين لبنان وسوريه، 4- تطبيع كامل للعلاقات الأمريكية- السورية لما لذلك من انعكاسات إيجابية على الاقتصاد السوري.(71) إن الاطلاع على السيناريوهات المختلفة القابعة في أدراج مؤسسات القرار السياسي الأمريكي يؤكد أن المغامرة الإسرائيلية في لبنان أدت إلى ظهور تفكير استراتيجي جديد يقوم على أساس التدرجية مع محور إيران/سوريه/حزب الله باعتبار أن الحرب بدأت بحزب الله وستنتهي بإيران.(72)

دخل حزب الله في دائرة الاستهداف الأمريكي والإسرائيلي إلى جانب المقاومة الفلسطينية والعراقية، يضاف إليهما سورية وإيران على اعتبار انهم جميعا يقفون في وجه المشاريع الأمريكية الساعية لتفتيت المنطقة إلى شعوب وطوائف وفرق عرقيه متناحرة، وتحويلها إلى دويلات صغيرة لا حول لها ولا قوة.(73) خطورة المشروع الأمريكي تكمن في الهالة الدينية والأيديولوجية التي تحاول إدارة بوش أن تضفيها عليه لأنها تعتبر حرب إسرائيل على لبنان بمثابة مكون أساسي من الحرب العالمية بين الإرهاب والشر من جهة والحرية والخير من جهة أخرى. وبالتالي يرسم بوش صورة تبسيطية وتسطيحية عن هذه الحرب عندما يضع أمريكا في خانة الخير المدافعة عن إسرائيل ضد الشر والإرهاب الذي يمثلهما كل من حزب الله وإيران.(74) في هذا السياق يمكن القول إن أخلاقيات السياسة الخارجية الامريكيه تراجعت في زمن المحافظين والمحافظين الجدد الذين يسيطرون على عملية صنع واتخاذ القرار السياسي في المؤسسات السياسية الامريكيه.(75) حتى أن بريجنسكي، مستشار الرئيس كارتر لشوؤن الأمن القومي، أثار اكثر من إشارة استفهام حول مخاضات الشرق الأوسط الجديد، وبدل ذلك التصريح الشعاراتي دعا إلى تكريس أمريكا جهد اكبر لحلحلة الصراع العربي الإسرائيلي وتخفيف وطأة النتائج الكارثية لحرب أمريكا على العراق.(76)

أحدثت حرب لبنان الأخيرة تغيرات هيكلية وعميقة الأثر، تمثلت في بروز نفوذ إيراني إقليمي متغلغل في المنطقة. يعود هذا النفوذ إلى مجموعة من الأسباب والعوامل يأتي في مقدمتها الإخفاقات السياسية المتتالية لإدارة المحافظين الجدد. فالفشل الأمريكي في العراق وأفغانستان سمح ببروز دور فاعل لإيران، وساهم في تعزيز حضور إيران الإقليمي حيث تمتد"السجادة

الإيرانية الإقليمية اليوم من أقصى حدودها الشرقية مرورا بالعراق وسوريه ولبنان حتى أصبحت الحدود الإيرانية الإسرائيلية أمراً واقعا في لبنان.[77] من هنا يرى بعض المحللين انه ولأول مره وجدت إسرائيل مصالحها جزءاً من أجندة كونية وإمبراطورية، فالتصورات الأمريكية الإستراتيجية ترى أن إضعاف إسرائيل وتدميرها لقوة حزب الله في لبنان، وتهديداتها المتكررة لسورية هي في حقيقة الأمر مس مباشر بقدرات إيران الإستراتيجية في المنطقة.[78] هذا الدور الإسرائيلي الجديد في المنطقة يلتقي في النهاية مع بعض أصوات المحافظين المتنفذين داخل الإدارة الأمريكية والذين يرفضون إعطاء إيران الفرصة تلو الفرصة للنجاة ببرنامجها النووي لان ذلك يقوض دعائم النظام الإقليمي الذي تحاول أمريكا أن توجده في الشرق الأوسط.[79] أن سماح أمريكا لإسرائيل بشن هذه الهجمة التدميريه الشرسة ضد لبنان قد خلق إرباكات وتناقضات واضحة للسياسة الأمريكية في المنطقة عموما وفي العالم العربي على وجه الخصوص، فلا يعقل إن تساهم أمريكا في تدمير وشل التجربة الديمقراطية في لبنان في نفس الوقت الذي تستمر فيه بإشاعة وترويج أحد أهم أهدافها في العالم العربي وهو دمقرطته.[80]

تتعامل أمريكا مع إيران اليوم بأسلوب الردع والحرب النفسية الإعلامية مع استبعاد احتمالية قيام أمريكا بأي عمل عسكري ضد إيران على الأقل في الوقت الحالي، ريثما تقوم بترتيب أوضاع قواتها في العراق وأفغانستان، حيث التواجد الشيعي الكبير المؤيد لإيران. كما أن هناك خشيه أمريكية وغربية من قيام إيران في حال تمت مهاجمتها بإغلاق مضيق هرمز على بوابة الخليج والذي تمر منه حاملات البترول إلى السوق العالمي في الوقت الذي تتصاعد فيه أسعار البترول إلى أرقام قياسية.[81] ففي الوقت الذي تقوم فيه بالتعاطي الإيجابي مع المبادرات الدولية المختلفة لحل مشكلة الملف النووي الإيراني، تستمر أمريكا بتهدئة الأوضاع في لبنان وفلسطين والعراق لأن الأوضاع في هذه البلدان توفر بيئة خصبة للإيرانيين للتدخل وتعميق مناطق نفوذهم، فضلا عن السعي الأمريكي المتواصل لإقناع الإسرائيليين لإظهار ضبط النفس، بالاضافه إلي تحويل الأموال اللازمة من أجل تطوير القدرات العسكرية الأمريكية واستكمال التحضيرات الأمريكية من اجل توجيه ضربه عسكرية في المستقبل البعيد.[82]

لقد هيأت حرب لبنان فرصه ثمينة لمخططي البنتاجون لإعادة بناء تصوراتهم وخططهم الإستراتيجية لرسم الحدود الجيوسياسية والجيواقتصادية في المنطقة في ضوء التفكير الجدي الأمريكي لتوجيه ضربة عسكرية لإيران. فإذا ما قررت أمريكا مهاجمة إيران فان المواجهة ستخرج من دائرة الحرب التقليدية لان الأداء القتالي والمعنويات العالية والاستعداد الكامل معنويا وعسكريا لقوات الباسيج المنضوية تحت لواء الحرس الثوري الإيراني سينعكس على أجواء المعركة. فالباسيج اليوم تضم أكثر من 90.000 مقاتل متفرغ إضافة إلى 300.000 من الاحتياط فضلا عن قدرات الباسيج في تجنيد أكثر من مليون أيراني قادر على حمل السلاح.[83]

إن الورطة الأمريكية في العراق، وعدم تجاوب إيران مع المساعي والضغوطات الدولية والإقليمية في ما يتعلق ويتصل ببرنامجها النووي قد ساهم بشكل مباشر بتفعيل أدوار مراكز الأبحاث والدراسات في الولايات المتحدة والتي يقودها محافظون جدد. فمايكل ليدن، أحد أهم الخبراء في شؤون الأمن الأمريكي، والذي صاغ وثيقة الآمن القومي من خلال عمله في معهد أمريكان انتربرايز، قد دافع وبقوة عن مفهوم الفوضى الخلاقة أو البناءة. يقوم هذا المفهوم على فرضية أن تخلص أمريكا من ورطتها العويصة في العراق يقتضي زعزعة وخلخلة الأمن في المنطقة العربية، وما يترتب على ذلك من دور أمريكي لاحق لإعادة ترتيب أوراق المنطقة استراتيجيا بطريقة تكفل بقاء الهيمنة الأمريكية عليها.(84) أما رالف بيترز فيبين أن اكبر تحدي استراتيجي يواجه أمريكا في منطقة الخليج هو إمكانية إنشاء دولة كردية بين العراق وسوريه وإيران وتركيا. وحسب التقديرات الإحصائية يوجد ما يقارب ثلاثين مليون كردي يعيشون في المناطق الكردية داخل الدول المذكورة آنفا، ويستحقون دولة مستقلة تكون دائما على استعداد أن تلعب دور موطئ قدم لأمريكا في المنطقة من خلال استغلال التواجد الأمريكي العسكري والسياسي فيها لإضعاف دول الجوار ولا سيما سوريا وإيران في حال فشلت أمريكا في إنجاح مشروعها في العراق، وفي حال رفضت إيران الانصياع للمطالب الدولية المنادية بإنهاء برنامجها النووي وفي حال استمرت سوريا في رفض السلام مع إسرائيل ودعمها المتواصل للمنظمات الفلسطينية واللبنانية.(85) ومن اجل تحقيق هذا الهدف أنشأت الإدارة الأمريكية مراكز لجمع المعلومات الاستخبارية والاستطلاعية في كل من دبي واستنبول وفرانكفورت وأذربيجان حول إمكانية دعم نشاطات انفصالية داخل إيران، سواء كانت عرقيه أو سياسية، حيث تم رصد مبلغ 85 مليون دولار لتمويل هذه النشاطات بالتنسيق مع المعارضين الإيرانيين في الخارج والداخل وتحت إشراف اليزابيث تشيني، ابنة نائب الرئيس الأمريكي الحالي.(86)

إن الاستراتيجية الأمريكية في تعاطيها مع الملف النووي الإيراني هي في الحقيقة مركبه ومعقده، فهي في جانبها الأول ترهيبية متشددة، أما في جانبها الثاني فهي ترغيبية ناعمة تقوم على أساس تشجيع الأصوات الإصلاحية والمعتدلة داخل إيران. ففي رسالة وجهها بوش للشعب الإيراني اعتبر أن من حق الإيرانيين أن يحموا ويدافعوا عن حقوقهم السيادية في منطقة الخليج. فالإيرانيون، حسب كلمات بوش، شعب جاد ومجتهد وعملي يمتلك تاريخاً عريقاً وثقافة غنيه وقدرات إدارية وتجاريه رائعة تؤهلهم لاحتلال مكانه محترمة بين شعوب الأرض.(87) نيكولاس بيرنز، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط، يشرح سياسة فتح قنوات مع بعض الإيرانيين وخاصة المعارضين والمعتدلين منهم من اجل توضيح وجهة النظر الأمريكية التي ترى أن سياسة إيران تحت إدارة احمدي نجاد أخذت تأخذ أبعاداً خطيرة مثل "دعم الإرهاب العالمي"، وتعمد امتلاك قدرات نووية لاستخدامها مستقبلا في امتلاك أسلحة دمار شامل. من

هنا جاءت زيارة محمد خاتمي لأمريكا من أجل تقوية الأصوات الاصلاحيه داخل إيران ولاقناعها بضرورة وأهمية رفع أصواتها عاليا ضد حكومة نجاد.[88] وربما لنفس هذا الغرض تحاول أمريكا منح فرص متكررة للأوروبيين ولدبلوماسية سولانا-لاريجاني من أجل حلحلة هذا الملف سلميا بعيدا عن الصدام العسكري المباشر.[89]

جاءت زيارة كوندوليزا رايس لمنطقة الشرق الأوسط في اوكتوبار2006 في سياق الفشل العسكري الإسرائيلي في لبنان، وفي خضم المحاولات الأمريكية الحثيثة المبذولة لاستثمار حالة الانقسام الشديد التي تسود المنطقة العربية بين القوى المعتدلة(صيغة 6+2)، ودول الممانعة بزعامة إيران وسوريا. تعكس هذه الزيارة حالة تقسيم الأدوار بين الأمريكيين والإسرائيليين، فبينما تولت إسرائيل مهمة تدمير لبنان وإضعاف حزب الله، عملت أمريكا على قيادة وتوجيه المجهودات السياسية والدبلوماسية حيث تولت رايس بنفسها مهمة التوظيف الدبلوماسي لخياطة الحلة الجديدة للشرق الأوسط.[90] إن تتبع تصريحات رايس في الصحافة الأمريكية تظهر بوضوح أن منطقة الشرق الأوسط من المنظور الأمريكي أصبحت ألان منقسمة انقساماً حاداً بين معتدلين ومتطرفين، وان احتواء قوى التطرف والممانعة في المنطقة يتطلب تقوية القوى المعتدلة وخاصة أن إيران تقود" قطاراً إقليمياً يصل طهران برام الله مروراً بغداد ودمشق والضاحية الجنوبية لبيروت".[91] لذلك يعتقد حسن نافعه أن استراتيجية المواجهة الأمريكية تتشعب في ثلاثة اتجاهات:

1. بذل جهد أمريكي مكثف لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي لأن السلام المنشود هو حجر الأساس لاستقرار المنطقة" واحتواء خطر الإرهاب"
2. العمل على توحيد جهود قوى الاعتدال العربي وإسرائيل، وصقل ذلك في إستراتيجية أمريكية متوازنة تضمن التنسيق بين أصدقاء أمريكا في المنطقة بما يتلاءم مع مصالحها.
3. عزل قوى التطرف والممانعة في المنطقة، وعلى رأسها إيران بحيث يتطلب ذلك جهداً أمريكياً جدياً لتسهيل عملية التسوية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ومحاولة جر السوريين أيضا إلى شكل من أشكال التسوية السلمية مع الإسرائيليين في مرحلة لاحقة.[92]

خاتمة وتوصيات

استغلت الولايات المتحدة انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك منظومته السياسية والأيديولوجية في شرق أوروبا، كذلك هزيمة العراق في معركة الكويت في عام 1991م لفرض رؤيتها وتصورها الاستراتيجي على العالم ككل، وعلى الشرق الأوسط على وجه الخصوص. من خلال تحليل وجهات النظر الأمريكية التي جسدتها آراء وكتابات خبراء أمريكيين مختصين بشؤون الشرق الأوسط،

ومن خلال تحليل الكلمات والتصريحات الصادرة عن صناع القرار في أمريكيا بما فيهم الرؤساء أنفسهم، يتبين للباحث مدى توافق الخطوات الاستراتيجية الأمريكية مع المصالح والأهداف الإسرائيلية في المنطقة، خاصة تلك المتصلة بتبني المقاربات الإسرائيلية للعملية السلمية، وضرورة تطويق وإضعاف أعداء وخصوم إسرائيل في المنطقة العربية. فبالرغم من الشعارات البراقة التي تزامنت مع إطلاق أمريكا لمفهوم النظام العالمي الجديد في عام 1991م كتلك المرتبطة بحل النزاعات بالطرق السلمية وحق تقرير المصير لكل شعوب العالم، واستغلال الفرص التي تمنحها عولمة السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا، إلا أن التصور الأمريكي الحقيقي للنظام العالمي الجديد كان دائما ينصب على تعزيز التوجهات الأحادية والانفرادية لقيادة العالم وتعميق النزعات التدخلية في المنطقة العربية.

في الوقت الذي كانت فيه الإدارة الأمريكية منشغلة في صناعة سلام شرق أوسطي على المقاسات الإسرائيلية، كان هناك جهد أمريكي استراتيجي يبذل على جبهة أخرى لتطويق أعداء إسرائيل في المنطقة، خاصة تلك القوى الإقليمية الهامة التي من الممكن أن تشكل تهديدا حقيقيا لإسرائيل. تبنت الادراة الأمريكية في تسعينات القرن الماضي استراتيجية الاحتواء المزدوج من اجل تضييق الخناق على كل من إيران والعراق من خلال رزمة من العقوبات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية، إضافة إلى ابتكار الإدارة الأمريكية لمفهوم محور الشر في محاولة منها لشيطنة أعداء إسرائيل في المنطقة. إلا أن هذه الإجراءات العقابية فشلت في إضعاف إيران التي ما زالت تتمتع بعلاقات دبلوماسية وسياسية مع اغلب دول العالم مستغلة بذلك موقعها الجيوسياسي والجيواقتصادي وسيطرتها على مخزون هائل من مصادر الطاقة يؤهلها دائما للاحتفاظ بعلاقات جيدة مع اغلب دول العالم بما فيها أصدقاء أمريكا نفسها في أوروبا الغربية واليابان.

كما أن الاحتواء المزدوج فشل في مرحلته الأولى في إضعاف صدام حسين ولم يدفعه للاستقالة أو الرحيل عن السلطة، وتطلب الأمر في النهاية عملا عسكريا أمريكيا تجسد أخيرا في احتلال العراق وممهدا الطريق إلى ورطة أمريكية في فيتنام الشرق الأوسط. ساهمت أحداث سبتمبر من عام 2001م في إحداث تغييرات جذرية في الفكر الاستراتيجي الأمريكي خاصة عند تعاطيه مع مشكلات الشرق الأوسط. فبدلا من أن تبذل إدارة بوش جهودا حثيثة وصادقة لحل الصراع العربي الإسرائيلي لأنه جذر كل المشاكل في المنطقة، لجأ بوش بتصوراته الصقورية لإطلاق ما يسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير. هذا المشروع يفترض خطأ أن دمقرطة المنطقة العربية وإصلاح المنظومة السياسية والفكرية والعقائدية سيساهم في النهاية في تعزيز الأمن القومي الأمريكي. بقيت الافتراضات الأمريكية المغلوطة منصبة على أن الأنظمة السلطوية العربية وقمعها للحريات السياسية والحريات العامة في أواسط شعوبها هي أساس تفريخ الإرهاب في

العالم، متناسية في نفس الوقت أن فلسطين وقضيتها كانت دائما تحتل مكانة روحانية ووجدانية هائلة في نفوس العرب والمسلمين.

ألقى مشروع الشرق الأوسط الكبير بآثاره وصداه على إيران أيضا، ليس من حيث الدعوة إلى توسيع دائرة الدمقرطة في النظام السياسي الإيراني لان محمد خاتمي وصل إلى الرئاسة الإيرانية عبر صناديق الاقتراع، وانما من خلال تكثيف الحملات الدعائية والإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص ضد البرنامج النووي الإيراني. إن التدقيق في التصريحات الرسمية الأمريكية، وتفحص المقالات الصحفية والدراسات الأكاديمية المحسوبة على الإدارة الأمريكية تظهر بلا شك أن أمريكا لم تتهاون ولم تتساهل أو تتقبل فكرة إيران النووية الجاثمة على طريق البترول العالمي بين القوقاز وأسيا الوسطى شمالا والخليج العربي جنوبا، وخاصة في ظل تصاعد أسعار البترول العالمي، وما التحكم الإيراني بهذه المصادر الهائلة للبترول سينعكس سلبا على اقتصاديات الدول الصناعية وعلى الاقتصاد العالمي عموما. فإذا كان نشر الديمقراطية و تعميق الإصلاح أدوات ضغط وابتزاز مارستها أمريكا على الدول العربية، فأن الترويج والبهرجة الأمريكية من خطورة امتلاك إيران لأسلحة الدمار الشامل كانت سياسية التعامل الأمريكي مع إيران في محاولة لعزلها عن مصادر المال والسلاح و الدعم السياسي في العالم.

ساهمت العقوبات الاقتصادية الدولية والحظر العسكري الذي فرضته الولايات المتحدة على العراق لمدة زادت عن اثني عشر سنة إلى إضعاف الدولة العراقية وسقوط النظام فيها في ربيع 2003. إن احتلال أمريكا للعراق، رغم فشلها الذريع في حسم المعركة العسكرية مع فصائل المقاومة العراقية، واشتعال الحرب الطائفية والمذهبية والعرقية، وتفكك الدولة العراقية واستبدالها بكنتونات طائفية ومذهبية يعني في إحدى صوره وتفسيراته أن أمريكا تخلصت عسكريا من إحدى زوايا المثلث الخليجي وهو العراق، وأنها ستتحرك سريعا للسيطرة أو لإضعاف الزاوية الثانية للمثلث وهي إيران.

تتشابه السيناريوهات التي سبقت احتلال أمريكا للعراق بالسيناريوهات التي تروج لها وسائل الإعلام الغربية والتحليلات الموجهة أمريكيا لتهيئة الظروف و الإعداد لتوجيه ضربة عسكرية أمريكية شاملة وسريعة للمراكز الصناعية والنووية والعسكرية الإيرانية. فإيران متهمة من قبل أمريكا بأنها دولة تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل وتدعم الإرهاب العالمي وتمتلك سجلا سيئا لحقوق الإنسان، فضلاً أنها دولة معارضة لعملية السلام بين العرب وإسرائيل. لقد تم شيطنة إيران في استراتيجية أمريكية مدروسة للتحرك دوليا ضدها بعد أن فشلت في خطواتها الأحادية لإضعاف الجمهورية الإسلامية. وعلى الساسة في إيران أن يدركوا جيدا أن الورطة الأمريكية في العراق لا تعني أبدا استسلام أمريكا لخياراتها المحدودة ضد إيران. فالورطة الأمريكية والانزلاق في الوحل العراقي يمكن أن تقود إلى ردة فعل وخطوة جنونية أمريكية على شاكلة توجيه ضربة

عسكرية لإيران من اجل بعثرة أوراق اللعب ولملمتها مرة ثانية من رحم الانتصار الأمريكي المزعوم. نعم يمكن أن تلجا أمريكا لضربة عسكرية محتملة تخلصها من ورطتها في العراق وتساعدها في تدمير القدرات الذاتية الإيرانية بشكل كامل وإرجاع إيران خمسين سنة للوراء. هذا بالطبع إذا حصل سيكون ضربة قاسية ليس فقط ضد إيران وانما أيضا ضد النظام الإقليمي، وسيمس حتما القدرات والمقدرات الوطنية والاقتصادية والبترولية التي تمتلكها دول المنطقة وتعتمد عليها، وسيساهم في خلخلة التوازنات الإقليمية في المنطقة.

ورغم أن الكثير من المحللين الإستراتيجيين والصحفيين وصفوا رؤية رايس لمشروع الشرق الأوسط الجديد بالحمل الكاذب و الفوضى العبثية، إلا أن المواجهة الأخيرة بين إسرائيل و حزب الله في لبنان قد أسس لمرحلة جديده من التعاطي الأمريكي مع المنطقة ومشاكلها. لقد أسست المواجهة في صيف 2006 إلى بروز ثلاثة متغيرات هامة ، أولها أن هذه أول مره تقوم فيها إسرائيل بخوض مواجهة لصالح أمريكا ونيابة عنها، حيث كانت المواجهات السابقة إما إسرائيلية عربية تقوم بها إسرائيل أو خطوات عسكرية أمريكية في المنطقة استفادت منها إسرائيل كاحتلال العراق في عام 2003 حيث تخلصت إسرائيل من النظام العراقي في زمن صدام المدجج بالسلاح والذي مثل تهديدا إستراتيجيا لإسرائيل في أكثر من مناسبة.

أما المتغير الثاني فهوا ارتفاع الصوت العربي المعتدل (مصر، السعودية والاردن) لمناهضة ومعارضة التهور "والخطوات اللامحسوبة التي قام بها حزب الله و أدت إلى قتل المئات من اللبنانيين و تدمير بنيته التحتية". استغلت رايس هذه الأصوات العربية المرتفعة في سماء المنطقة لتعلن تقسيم الشرق الأوسط إلى معتدلين محبين للسلام، و متطرفين عبثيين يلعبون بالنار، ويحاولون دائما تحقيق أهدافهم "بالطرق الإرهابية الملتوية". ما يود الباحث التركيز علية في هذا السياق أن المواجهة في لبنان كانت بمثابة فرصه كبيرة و ثمينة استغلتها الدول العربية لاقناع أمريكا بضرورة التخلي عن مشروع دمقرطة المنطقة العربية، و التركيز بدل ذلك على المشاكل الحقيقية وخاصة زيادة نفوذ القوى الراديكالية، و تجذر الإرهاب في المجتمعات العربية إضافه إلى المشروع النووي الإيراني، وفي سبيل تحقيق كل ذلك لا بديل أمام واشنطن عن التعاون مع الأنظمة العربية الرسمية.

أما المتغير الثالث فينصب على التصورات الأمريكية الجديدة التي تدور حول تحديد مصادر الخطورة التي تهدد المصالح الإستراتيجية والاقتصادية الأمريكية في المنطقة. فبعد أحداث سبتمبر 2001، بقيت أمريكا منشغلة بطريقة رئيسية بالإرهاب ومحاربته والضغط على الأنظمة العربية لإقناعها بمزيد من الحريات العامة والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إلا أن تصاعد التهديد الإيراني في المنطقة بعد وصول احمدي نجاد إلى الحكم، لفت نظر الإدارة

الأمريكية إلى مصدر أخر للتهديد وهو السلاح النووي وخاصة أن إيران على علاقة وثيقة مع حزب الله في لبنان، ومقتدى الصدر في العراق وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين. إن حرب لبنان الأخيرة ينظر لها في الحسابات الاستراتيجية الأمريكية على أنها بروفة مصغرة لحرب اشمل واعم ضد إيران تقوم أمريكا بالاستعداد لها، ولم يبق إلا تحديد التوقيت النهائي لمثل هذا العمل العسكري. وما يزيد من احتمالية مثل هذه الضربة العسكرية هو سيطرة شلة المحافظين والجمهوريين على القرارات السياسية الخارجية الأمريكية في ظل تنفذ مجموعة من الصقور السياسيين الذين يؤمنون بالتدخل واستخدام القوة العسكرية في التعامل مع القضايا السياسية الخارجية.

إن فبركة الاتهامات تحولت في الإستراتيجية الإعلامية الأمريكية إلى صناعة واستثمار، وكل ما يتأمله الباحث والمتتبع للشأن الإيراني أن لا تساعد التصريحات الإيرانية النارية في إعطاء مبررات شرعية وكافية لأمريكا في جهودها لضرب إيران، وما على الساسة في إيران إلا أن يستفيدوا من التجربة العراقية وان يتأملوا المثل الصيني العظيم "تتبع حجارة النهر عند عبوره".

Iran in the American Strategic Calculations: From Dual Containment to the New Middle East.

Ayman Yousef, *The Arab-American University, Jenin, Palestine.*

Abstract

This research aims to shed lights and deepen the scientific outlook towards the place of Iran in the U.S strategic thoughts in the period spanning between 1993-2006. In introducing this research, the researcher did highlight the research importance, objectives and methodology. After that he quickly commented on the history of the American presence in the region and the development of U.S- Iranian relations. The researcher focused on three strategic platforms during the course of conducting this study. These platforms are the starting of dual containment in 1992/93 that coincides with the launching of the peace process in the Middle East. The second platform is the rise of the broader Middle East in 2004 and finally the U.S adoption of the New Middle East during the Israel’s war on Lebanon in summer 2006.

قدم البحث للنشر في 2007/1/28 وقبل في 2007/7/12

المصادر والهوامش

1- Mohammed Mughisuddin, Conflict and Cooperation in the Persian Gulf, New York: Praeger Publishers, 1977, p.166

2- Haim Shaked and Itamar Robinovich(ed.), the Middle East and the United States: Perceptions and Policies, London: Transaction Books, 1980, p.55

3- House of Representatives in the U.S Congress, New Perspective on the Persian Gulf, Subcommittee on the Near East and South Asia of the Committee of Foreign Affairs, Washington D.C: Government Printing Office, 1973, p.2

4- House of Representatives in the U.S Congress, U.S Interests in Policy Towards the Gulf, Subcommittee on the Near East and South Asia of the Committee of Foreign Affairs, Washington D.C: Government Printing Office, 1972.

5- William Brewer, United States Interests in the Persian Gulf, Princeton: Princeton University Press, 1968, p. 177-78.

6- Elie Kedorie and Sylvia Haim, Toward Modern Iran, London: Frank Cass, 1980, P.245.

7- Ibid, P. 245.

8- Thomas Peterson, Soviet-American Confrontation, Post-War Reconstruction and Origins of Cold War, Baltimore, and London: John Hopkins University Press, 1973, P. 177.

9- John Spanier, American Foreign Policy Since World war Second, New York: Holt, Rinchart and Winston, 1982, p.15.

10- Elmer Plischke Contemporary U.S Foreign Policy, Documents and Commentary, New York: Greenwood Press, 1991, P.187

11- Alexander George and Richard Smoke, Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice, New York: Columbia University Press, 1974, p. 309-362.

12- James Noyes, Clouded Lens, Persian Gulf Security and U.S Policy, Stanford: Stanford University press, 1979, p.53.

13- Ibid, p.99.

14- Seyed Sadrodin Moosavi, U.S Policy in the Persian Gulf and the Emerging World Order, International Studies, Vol.31, NO.3, July-Sep. 1994, P.328.

15- Bruce Kuniholm, The Persian Gulf and the United States Policy, A Guide to Issues and References, California: Regina Books, P.23

16- R.K Ramazani, Iran’s Foreign Policy 1941-1973 A study of Foreign Policy in Modernizing Nations, Charlottesville: University of Virginia, 1975, p. 405-418.

17- Robert Carswell, Economic sanctions and the Iranian Experience in Foreign Affairs, Vol. 60, NO. 2, Winter 1981-82, p.253.

18- U.S Department of State, New Conference by the President Carter on April 17, 1980, Washington D.C: Bureau of Public affairs, 1980, p.1-3.

19- Anthony Lake, *Confronting backlash States*, Foreign Affairs, Vol. 73, No. 2, 1994, P.45.

20- Anthony Lake, Ibid, P.45.

21- Anthony Lake, Ibid,

22- F.G. Grause, The Illogic of Dual Containment, Foreign Affairs, Vol. 74, No. 1, March-April 1994

23- Seyed Sadrodin Moosavi, US Policy in the Persian Gulf and Emerging World Order, International Studies, Vol. 31, No. 3, July-Sep.94, P. 334

24- Holly Sklar, Brave New World Order in Cynthia Peter (ed) Collateral Damage: The New World Order at Home and Abroad (Boston: South end Press, 1992), P.22-34.

25- F.G. Grause, The Illogic of Dual Containment, Ibid, 59-60.

26- Eric Rouleau, America,Unyielding Policy Towards Iraq, Foreign Affairs, Vol.74, No.1, Jan-Feb 1995.

27- Statement by President Clinton, Public Papers of President W.J. Clinton 1993, Washington: US Government Printing Office, 1994, P. 350.

28- Statement by President Clinton, Ibid, P.1166

29- Ibid, P.1437

30- Ayman Yousef, The US Gulf Policy: Reassessment of Dual Containment, Journal of West Asian Studies, Aligarh, No. 12, 1998, P.78.

31- Iran's Foreign Policy between Enmity and Conciliation, Current History, Jan. 1993,, Vol. 92, No. 570, P.15.

32- Geoffrey Kemp, Forever Enemies? American Policy and the Islamic Republic of Iran, Washington: Carnegie Endowment Book, 1994.

33- Gulshan Dieth, Through Two Wars and Beyond: A Study of Gulf Cooperation Council, New Delhi: Lancer Books, 1991, p. 259

34- Ayman Yousef, US Gulf Policy: Reassessment of Dual Containment, Ibid, P. 83.

35- Bernard Reich, the United State in the Middle East, Current History, Vol. 90, No. 552, Jan 1991, P.15

36- Ibid

37- Ayman Yousef, US Gulf Policy: Reassessment of Dual Containment, Ibid, P.84.

38- Ibid,

39- Ibid,

40- علي الجرباوي، العملية التفاوضية القادمة لكي لا نعود إلى المربع 1، ورقة عمل في مؤتمر آثار الحرب الأمريكية على العراق دولياً وإقليمياً ومحلياً جامعة بير زيت، 5/30 – 2003/6/1، ص. 75-84.

41- علي الجرباوي، العملية التفاوضية القادمة لكي لا نعود إلى المربع 1، ورقة عمل في مؤتمر آثار الحرب الأمريكية على العراق دولياً وإقليمياً ومحلياً جامعة بير زيت، 5/30 – 2003/6/1، ص. 75-84، جامعة بيرزيت 2001، ص.15-19.

42- علي الجرباوي، لكي نتخطى الأزمة نحو استراتيجية جديدة للعمل الفلسطيني، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية

43- رشيد الخالدي، القضية الفلسطينية في السياق الدولي، ورقة عمل في مؤتمر آثار الحرب الأمريكية على العراق دولياً وإقليمياً ومحلياً، جامعة بير زيت، 5/30–2003/6/1، ص. 39-43

44- حسن نافعة، العلاقات العربية-العربية في ظل الهيمنة الأمريكية، رؤية استراتيجية، من منشورات معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت 2004، ص.29-46.

45- للمحافظين الجدد فلسفتهم ورؤيتهم للصراع بين الخير والشر في العالم، وقف على رأسهم جورج بوش الابن، كوندوليزا رايس، ديك تشيني وإبنته اليزابث تشيني، دونالد رامسفيلد، ريتشارد بيرل، مستشار رامسفيلد، بول ولفوفيتز، نائب وزير الدفاع الأمريكي سابقاً ومدير البنك الدولي حالياً، دوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع الأمريكي، وغيرهم الكثير، وهم مقربون من مراكز أبحاث تمدهم بالدراسات والأبحاث مثل أمريكان انتربرايز ومؤسسة هيريتاج، انظر حسن نافعة، نفس المصدر السابق، ص.38-42.

46- Martin Indyke, Finding Allies in a World of Shadows, New York Times, 28-9-2001.

47- Martin Indyke, These Silent Partners must Speak, Washington Post, Nov.206,2001, P. A25.

48- Martin Indyke, Back to Bazaar, Foreign Affairs, Feb 2002, available From:
http://www.foreignsaffairs.org/articles/indyk0102.html

49- منى يعقوبيان، الترويج للديمقراطية في الشرق الأوسط، المبادرات الأوروبية، واشنطن: معهد السلام الأمريكي، تشرين أول 2004.

50- Benjamin Gruenbaum, What is the Broader Middle East, Middle East Journal, Vol.8, No,4, 1-1-2004, P.708.

51- George Bush, Weekly Compilations of President Documents, Vol.41, No.24, June 2005, P.985

52- Paula Dobriansky, Advancing Democracy, National Interest, Jan.2004, P.71.

53- Statement by Senate appropriate Subcommittee, Journal of International Security Assistance Management, Vol.27, No.4, P.25.

54-Rachel Friedman, Confronting Iran, National Review, Vol.57, No.3, February 2005, P.36

55- Christopher Dickey, Maziar Bahari and D. Dabak, Iran Rouge Ragi; Nukes: Iranians Want Nuclear Know-How and Seem to be Daring the West to Stop them, Newsweek, 23-1-2006

56-Anonymous, Power play, Current Events, No.7, Vol.7, Oct.2005, P.1

57-Rachel Friedman, Confronting Iran, P.36

58-Rachel Friedman,Ibid,p.36

59-Rachel Friedman, Ibid, P.36

60-David Sanger &David Sciolino, Iran Strategy: Cold War Echo, New York Times, 4-3-2006.

61- Anonymous, Iran-Russia Nuke Deal, the Australian, 1-3-2005

62-Anonymous, Iran Strategy , Washington Times, 18-8-2005

63-Dereck Cohellet, End Game, Washington Monthly Vol.37,No.1+2, P.52

64- Christopher Dickey, The Oil Shield, Foreign Policy, No.154, May 2006, p.37

65- هاني المصري، شرق أوسط جديد أم إعادة إنتاج القديم، جريدة الأيام، 25-7-2006وص.22

66- المصدر السابق

67- مروان بشارة، المشروع الإسرائيلي: هل هي النهاية؟؟ جريدة القدس 20-8-2006، ص. 19

68- عمرو حمزاوي، بعيداً عن الأيديولوجيا: بعض الأبعاد الاستراتيجية لمواجهة حزب الله- إسرائيل، القدس، 26-7-2006، ص.17

69-Robert Worth, For the U.S, A Newfangled Compass, New York Times, 23-7-2006, p. 4.1

70- حسن نافعة، الشرق الأوسط الجديد ما الجديد؟؟ الأيام 27-7-2006، ص.19

71- ألون بن مائير، سوريا مقابل إيران، القدس، 25-9-2006، ص.17

72- راغدة درغام، الحرب ستطول والحلول صعبة في غياب حسم عسكري، القدس، 22-7-2006، ص.22

73- هاشم حمدان، من يصنع الشرق الأوسط الجديد؟؟ آفاق برلمانية، مواطن، رام الله، 7-8-2006، ص.9

74- عمرو حمزاوي، حديث رايس: تكريس قديم لادارة بوش لمفهوم جديد، القدس، 6-8-2006، ص.22

75- Anonymous, U.S and Iran: A Tangled History, National Catholic Reporter, Vol. 42, No.41, P.24

76- Anonymous, In Middle East Birth Pangs Get More Painful, Washington Times, 28-7-2006, Available From: Http://elibrary.bigchalk.com/libweb/elib/do/document?set=search&groupid=1&request=lib_standard&4/10/1427

77- مصطفى اللباد، الكومنترن الإيراني يعزز حضوره الإقليمي في لبنان، القدس، 22-8-2006، ص.22

78- عزمي بشارة، أول حرب إسرائيلية لخدمة المصالح الأمريكية، القدس، 25-8-2006، ص.19

79- Neil King, Politics and Economies: U.S. Partners Seek Tough Stance on North Korea and Iran, Wall Street Journal, 7-10-2006.p.A4

80- رشيد الخالدي، حزب الله يزداد قوة في لبنان في المكان الذي ازدهرت فيه الديموقراطية، القدس، 25-8-2006، ص.18

81- مروان قبلان، هل ينجح الردع المتبادل في منع نشوب الحرب الأمريكية-الإيرانية؟ الأيام، 10-10-2006، ص.15

82- Anonymous, Multifaceted Response for Iran, The Washington Post, 3-9-2006 Available from: Http://elibrary.bigchalk.com/libweb/elib/do/document?set=search&groupid=1&request=lib_standard&4/10/1427

83- أميل أمين، هل قلب حزب الله الموازين العسكرية؟ القدس، 18-8-2006، ص.18

84- رالف بيترز، هل هو الشرق الأوسط الجديد الذي تتحدث عنه الإدارة الأمريكية؟ القدس 7-8-2006، ص.32

85- Robert Dreyfuss, Next we take Tehran, Mother Jones, vol.31, July 2006,p.59

86-David Ignatius, Bush's Message to Iran, Washington Post, 15-9-2006, p.A19

87- Robin Wright, Khatami Arrives as the U.S Weighs Sanctions on Iran, The Washington Post, 5-9-2006, p.A16 See Also Neil King, U.S Steps up Pressures for Sanctions on Tehran, Wall Street Journal, 1-9-2006, P.A5

88- حسن نافعة، الدبلوماسية الأمريكية تستكمل ما عجزت آلة الحرب الإسرائيلية عن تحقيقه، الأيام 5-10-2006، ص. 14

89- غسان العزي، إنها حرب الشرق الأوسط الكبير الجديد، القدس، 28-7-2006، ص.17

90- حسن نافعة، مصدر سابق

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 5 العدد 1، 2008، ص ص 183- 197

هواجس واعترافات: دراسة تحليلية لرواية شرق المتوسط

بسام ربابعة و محمد الزغول*

ملخص

كان لعبد الرحمن منيف الروائي العربي المتميز دور ريادي بارز في الرواية العربية التي تناقش قضايا الإنسان العربي المعاصر، وتحلل الظروف السياسية و الاجتماعية و النفسية التي يعيشها،وتحاول أن تشير إلى مكامن الجروح في محاولة لعلاجها والنهوض بالإنسان العربي، وقد احتلت روايات عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، وشرق المتوسط مرة أخرى، والأشجار واغتيال مرزوق، وأرض السواد، وسباق المسافات الطويلة، والنهايات، ومدن الملح... منزلة رفيعة فترجم بعضها إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والروسية والفارسية.

تهدف هذه المقالة إلى تحليل رواية شرق المتوسط التي تعد واحدة من أهم الروايات السياسية في العالم العربي؛ إذ إن الموضوع الرئيس الذي يلقي بظلاله على الرواية هو الإنسان في مواجهة السلطة، وما يتعرض له السجناء السياسيون من التعذيب والاضطهاد في منطقة جغرافية وصفها الكاتب ب (شرق المتوسط)، وقد سعينا في هذه المقالة إلى تحليل رواية شرق المتوسط من خلال العناصر الأساسية لفن الرواية في محاولة للكشف عن المستوى الفني لها، فقدمنا ملخصا للرواية وتحليلا لعناصرها المهمة، آملين أن نكون قد وفقنا في إعطاء رواية شرق المتوسط ما تستحقه من الدراسة و البحث و التحليل.

المقدمة

لاشك أنّ فنّ الرواية قد احتل موقعاً متميزاً في الأدب العربي المعاصر؛ فقد تمكن هذا الفن الحديث نسبياً خلال فترة زمنية قصيرة من توسيع قاعدة مخاطبيه إلى حدّ بات معه ينافسُ فن الشعر الذي كان طوال تاريخنا الأدبي هرماً عالياً لايكاد يطاوله فنّ ولا يرقى إلى مرتبته أي نوع أدبي آخر، ويكفينا للبرهنة على هذا الادعاء تلك الشهرة الواسعة التي يحظى بها الروائيون العرب بين متذوقي الأدب من القرّاء في العالم العربي، والأعداد الهائلة من النسخ التي تطبع من كل رواية لهؤلاء في هذا الزمن الذي كسدت فيه بضاعة الأدب، بل إننا إذا أخذنا بعين الاعتبار قدرة الروائيين العرب على الانطلاق من المستوى القطري والعربي إلى المستوى العالمي نجد أنهم تفوقوا في هذا المجال بوضوح على نظرائهم من الشعراء، ومن المعروف أنّ أول أديب عربي

* قسم اللغات السامية والشرقية، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

(نجيب محفوظ) تمكن من الحصول على جائزة (نوبل) للآداب في العالم كان روائياً ولم يكن شاعراً. وبالإضافة إلى ذلك فإن أعداداً كبيرة من الروايات العربية قد ترجمت إلى مختلف لغات العالم الحية؛ وهو أمر قد يعود إلى الخصائص النوعية لفنّ الرواية التي تسهل عملية نقله وترجمته إلى اللغات الأخرى، خلافاً للشعر الذي تصعب ترجمته إلاّ بشق الأنفس وبعد أن يفقد كماً عظيماً من روحه وجماليته.

كان لعبد الرحمن منيف الروائي العربي المتميز دور ريادي بارز في الرواية العربية، خاصة في مجال الرواية الملتزمة التي تناقش قضايا الإنسان العربي المعاصر، وتحلل الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية التي يعيشها، وتحاول أن تشير إلى مكامن الجروح في محاولةٍ لعلاجها، والنهوض بالإنسان العربي إلى مستوى التعامل الإيجابي معها، إذ إن روايات عبدالرحمن منيف: «شرق المتوسط» و«شرق المتوسط مرة أخرى» و«الأشجار واغتيال مرزوق» و« سباق المسافات الطويلة» و« أرض السواد» و« قصة حب مجوسية» و« حين تركنا الجسر» و«النهايات» نالت منزلة رفيعة فترجم بعضها إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والروسية والفارسية ... كما اسهمت ثقافته المتميزة واطلاعه على علوم العصر في إغناء هذه التجربة، فهو من بين الرواد العرب في مجال العلوم النفطية؛ فقد حصل على شهادة الدكتوراه في هذا التخصص في الستينيات من القرن الماضي من جامعة بلغراد، وخاض غمار النشاط السياسي مبكراً خلال مرحلة مهمة من التاريخ العربي؛ فعمل في مجال النفط حقبة من الوقت و تولى تحرير مجلة « النفط و التنمية» عام 1975 إلى أن تفرغ للكتابة كلياً سنة 1981م.[1]

اشتغل الدكتور عبدالرحمن منيف بالسياسة منذ فترة طويلة ... و لعل هذا التجربة أثرت في شخصيته و جعلته يسعى إلى اكتشاف موقع الإنسان من الظلم و الاضطهاد و الضياع و محاولة معالجة هذه القضايا بالسبل المتوفرة، و من هنا يحدد منيف أهم وظائف الرواية على المستوى الفني و الموضوعي فيقول: «إن المقصود ليس قضاء وقت و انحدار دمعتين كي تريح ضميرك، و إنما يجب عندما تنتهي الرواية أن تبدأ أنت ... إن الروايات المهمة يبدأ أثرها عندما تنتهي ...» [2] و ينادي منيف بفكرة المساواة في الحرية السياسية و الفكرية و يعكسها من خلال النموذج المثقف كبطل رواية «شرق المتوسط» الذي يكشف من خلاله عن الظروف والأحوال والمسببات التي أوصلت البطل إلى نهاية مؤلمة في سبيل تشخيص المرض و من ثم البدء بالعلاج.

كما احتلت رواياته منزلة رفيعة من الناحية الفنية، إذ تعد روايته "شرق المتوسط" التي هي موضوع هذه المقالة واحدة من الروايات التأسيسية في المدرسة الواقعية الاشتراكية العربية، فعبد الرحمن منيف يرى أن المناخ العام المليء بالقهر و الاستبداد و اللامنطق و غياب

الديمقراطية و تغييب الشعب هو الذي أفرز الموضوعات الروائية الجادة كموضوع هذه الرواية، ويرى أن الكلمة تحتل مكاناً بارزاً فهي تساوي التضحية ولا تقل ضرورة عن حمل السلاح [3] وعلى الرغم من كل هذا فان رواية «شرق المتوسط» لم تحظ بما تستحقه من النقد والدراسة والتحليل؛ فما كتب حولها جاء في أغلب الأحيان عرضاً سريعاً لمحتوى الرواية وغرضها الأساسي وذلك ضمن كتاب أو مقالة تناولت أعمال عبدالرحمن منيف بشكل كلي، أو تناولت الرواية العربية أو السياسية عموماً، عدا عن ذلك قدم الدكتور أحمد الزعبي مقالة حول هذه الرواية يعالج فيها الرؤية العامة لعبد الرحمن منيف في الرواية من خلال فكرة حقوق الانسان بين الواقع والخيال[4] وليت استاذنا الفاضل تعدى ذلك إلى تحليل عناصر الرواية ونقدها والكشف عن ملامحها الفنية.

تهدف هذه المقالة إلى تحليل رواية "شرق المتوسط" من خلال العناصر الرئيسية لفنّ الرواية في محاولة للكشف عن حقيقة المستوى الفني لها، بعيداً عن أنماط المجاملات الأدبية أو الغرق في أهمية موضوعها ووقعه في نفس الإنسان العربي، وحتى تتحقق الفائدة لمن لم يقرأ الرواية فقد ارتأينا أن نقدم ملخصاً للرواية قبل الشروع بتحليلها على أن ذلك لا يغني عن قراءة الرواية بالطبع.

ملخص الرواية

في الفصل الأول من رواية "شرق المتوسط" نتعرف على «رجب» بطل الرواية وهو يبحر على ظهر «اشيلوس» المركبة اليونانية التي سافر على متنها إلى فرنسا، ويخبرنا أنه خرج من السجن بعد أن أصيب بمرض الروماتيزم، و أن توقيعه على صك تخليه عن العمل السياسي كان ثمنا لخروجه من السجن.. ويروي لنا رجب هذا الفصل وهو مسافر على ظهر السفينة عبر ذاكرته ووعيه، فها هو يجلس على هذه المركبة يروي ما حدث له في السجن من صنوف التعذيب وتوقيعه على ذلك الصك.. وتظل ذكريات السجن تؤرقه وتؤلمه.. ويحاول إلقاء اللوم على جسده الذي لم يعد قادرا على الاحتمال والصمود، بعد أن بقي خمس سنوات شامخا لا يلين.

في الفصل الثاني تروي «أنيسة» الأحداث والألم يعتصرها لما حصل لأخيها، فرجب أصبح لا يحتمل رؤية أحد.. ونادرا ما يكلمها، فهو كثير الصمت والسبب في هذا أن ضميره يؤنبه على توقيعه ذلك الصك، وتتذكر «أنيسة» ماضي أخيها مقارنة إياه بحاضره الراهن كيف أعتقل وزج به في السجن، و كيف كانت أمها تتصرف؛ فقد كانت تخرج من الفجر باحثة عن رجب ولا تعود إلا عند الغروب؛ و بعد أربعة أشهر عرفت أنه ما يزال حياً، وتدخل أنيسة في حوار مع أخيها فتخبره كيف ماتت أمهما معتبرة أن الشرطة كانت وراء موتها، وتتذكر كيف أخبرت «رجب» عن شجرة «الحور» التي زرعتها أمه و كيف تألم و حزن و بكى، ثم قرر أن يقطع هذه الشجرة؛ لأن شجرة الحور تمثل العزة و الأنفة فهي تطاول السماء شموخاً و كبرياء، أما و قد سقط رجب و وقع

الصك فلم يعد هنالك كبرياء فقطع الشجرة ... و تروي أنيسة بعض التفاصيل عن أخيها – الذي زار قبر أمه قبل سفره بساعات – و ذكرياته و أوراقه؛ وينتهي هذا الفصل وقد قرر «رجب» أن يترك أوراقه عند أخته ويسافر مودعاً أخته و أبناءها.

في الفصل الثالث يظهر صوت «رجب» من جديد على متن «اشيلوس» وهي تبحر عبر المتوسط باتجاه اليونان، وهنا يتجه إلى «اشيلوس» يخاطبها ويبثها أحزانه وآلامه وهواجسه، وذكرياته وعذابه في السجن.. ويبوح لها بأسراره بكل حرية، ويستعيد «رجب» بعضا من حياته السياسية قبل دخول السجن، وصورا من التعذيب و تثير المشاهد التي يطالعها على «اشيلوس» صنوف العذاب التي تحملها في السجن.

في الفصل الرابع نعلم من كلام «أنيسة» أنها تلقت عدة رسائل من «رجب».. ثم تتوالى الأحداث ويستدعى «حامد» زوج «أنيسة» إلى التحقيق و يهدد بالسجن، وفي إحدى الرسائل نعرف أن «رجب» يعزم على كتابة رواية يكون موضوعها الرئيس التعذيب، ويتطلع إلى أن يكتبها كل أفراد الأسرة، وأن تكون جديدة في كل شيء، ويطلع «رجب» أخته على فكرة السفر إلى جنيف، وتقديم مذكرة عن العذاب غير الإنساني الذي يتعرض له السجناء السياسيون..

في الفصل الخامس يطلعنا «رجب» وهو الآن في (مرسيليا / فرنسا) على الصك الذي وقّع عليه ونصه كما يلي: « أرجو أن تسمحوا لي بالموافقة على السفر للعلاج في الخارج بناء على توصية الطبيب، لأن مسؤولية موتي في السجن تقع عليكم، وأتعهد أن أتوقف عن أي نشاط سياسي»، لقد حاول رجب أن يكتب و عانى من ذلك الكثير، إلا أنه فشل في كتابة شيء، و تنقل من مقهى للآخر و قابل الأطباء كثيراً و أوصوه ألا يغضب و ألا ينفعل و يحزن، و يقارن رجب بين الحياة في أوروبا والحياة في الشرق، و يتلقى رجب رسالة يطلب منه كاتبها العودة إلى الوطن؛ لأن صهره «حامد» موقوف في السجن و لن يخرج إلا عند عودته.

وفي الفصل السادس يعود صوت «أنيسة» من جديد ويخبرنا أنها ستنشر أوراق رجب كما هي؛ وفاء لذكرى شقيقها الذي عاد إلى الوطن ليسجن مرة أخرى، ثم يخرج فاقد البصر، ولا يطول الأمر حتى يفارق الحياة، وأما «حامد» فيدخل السجن، وتنتهي أحداث رواية "شرق المتوسط ".

تحليل الرواية

مقدمة الرواية والرؤية العامة

قدم عبدالرحمن منيف روايته بنص وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يؤكد حق كل إنسان أينما وجد في الحرية، وعدم التمييز العنصري والفكري بسبب العقيدة أو الرأي،

وتحريم التعذيب والاضطهاد وانتهاك الحياة الخاصة للإنسان في بيته وأسرته ومراسلاته، إضافة إلى التأكيد على حقوق الإنسان الفكرية والاجتماعية والعلمية.

بعد هذه المقدمة الهادفة ينقلنا عبدالرحمن منيف إلى عالم تمتهن فيه حقوق الإنسان بأبشع الصور، فيصور لنا أناساً بلا حقوق بلا ملامح بلا احترام، ويطرح الكاتب من خلال هذا الواقع المرير سخريته السوداء لهذا التناقض ما بين حقوق الإنسان المعلنة على الصعيد النظري - الخيإلي - وواقع هذه الحقوق الخفية على الصعيد العملي - الفعلي - ليصل إلى فكرته الرئيسة؛ وهي أن وثيقة حقوق الإنسان مجرد وثيقة حبر على ورق لا علاقة بينها وبين الواقع الحقيقي»[5].

إن الموضوع الرئيس الذي يلقي بظلالة على الرواية في جميع فصولها هو موضوع الإنسان في مواجهة السلطة في محيط جغرافي عبر عنه الكاتب باسم «شرق المتوسط »، إذ هو الهم الأساسي للرواية و ليس أحد الهموم الرئيسة؛ فهي «تحاول أن تكون صرخة في صحراء الصمت لعل شيئاَ يحدث قبل أن يدمر الإنسان هذه المنطقة تدميراً كاملاً»[6] فهنالك صراع بين السلطة والفرد و أول مستوياته المستوى المادي أو الجسدي، ويتمثل هذا في رجب بطل الرواية التي هي شاهد عيان على عالم السجن والزنزانة والتعذيب والقتل، ويروي لنا رجب بمرارة ما رآه وتجرعه من أنواع الاضطهاد والتعذيب: «مددوني على طاولة، كنت عارياً تماماً، وجهي باتجاه الأرض، ورأسي يترنَح من الضربات، لا أعرف أيّ عددٍ من السجائر أطفأوا في ظهري، على رقبتي وداخل أذني كانوا يضحكون أول الأمر وأنا أحاول الدفاع عن نفسي بساقيّ الطليقتين، رفست مرتين أوثلاث مرات، ولما حاولت في المرة الرابعة حزموا رجليّ بقوة ... بدأوا يصرخون اعترف ...»[7].

يشتد وقع آهات وأنات رجب في نفس القارئ وترقى المفارقة في الرواية إلى أعلى مستوياتها عندما يوحي لنا الكاتب بما تم تسجيله من انجازات حضارية وعلمية تفوق الخيال في هذا العصر، لكن هذه الانجازات وهذا التقدم الحضاري لا يقوى على حفظ أبسط الحقوق المشروعة للإنسان الذي يتعرض لمسخ آدميته وسحقه جسدياً وروحياً وعقلياً، لقد جاءت هذه الرواية صرخة احتجاج في صحراء الصمت المطبق على أرجاء الكون في عصر لا تسمع فيه الآذان إلا هدير الآلات والمحركات، وليس هنالك من يعير أية أهمية لأنات سجين سياسي يواجه أشد أنواع التنكيل في «شرق المتوسط»، إنها صرخة حادة مليئة بالألم والياس، ودعوة صادقة تنادي الكون كي يتسع صدره ليس للرأي الآخر فقط بل لآراء عديدة لتمضي عجلة الحياة والتطور بشكل أسلم إلى الأمام، «إن رأيين أفضل من رأي واحد وثلاثة أفضل من اثنين وأربعة أضمن وخمسة أشمل وهكذا فالعقل يحكم بالخلاف ولكن ليس بالسيف أو الرصاص »[8]، ورغم ما يبدو في الرواية من إمعان في الواقعية وفضح الواقع السياسي وتعريته ورصد ظواهر الخيبة فيه، فإنها «وعدت بمستقبل مشرق من خلال موت «رجب»، ذلك أن في موته حياة للآخرين، فهو لم يمت إلاّ بعد أن

خلف من بعده بذور النضال والمطالبة بالحياة الحرة الكريمة في شخصية «حامد» زوج أخته، و«عادل» ابن أخته، وحتى في شخصية أخته نفسها »[9].

فكرة «الموت في الوطن »

هنالك أسباب وعوامل كثيرة دفعت عبدالرحمن منيف إلى اختيار هذه النهاية لبطل روايته «رجب»، فالعودة إلى أرض الوطن والموت فيه أو فكرة الموت في أرض الوطن حياة واستمرارية وبشرى بمستقبل مشرق جاءت نتيجة للصراعات التي أفرزها القرن العشرون في مختلف المجالات، فالصراع السياسي وموجات الاحتلال والاستعمار ومقاومته وكفاح الضعفاء في مواجهة الأقوياء انتجت ردة فعل تمثلت بالمقاومة والتمسك بالأرض والالتحام بالوطن، وبالتالي إدانة فكرة الهروب وعدم المواجهة أو الانسحاب منها وتلافيها مهما كانت الظروف والمبررات، فالموت في أرض الوطن حياة، والحياة في الأرض الغريبة موت وهروب وجبن[10]، على أن «رجب» هنا لا يصارع عدواً أجنبياً محتلاً بل يصارع الظلم والسلطة التي تستلب أحلام بني جلدته، فموته في أرض الوطن أدعى وأولى، حتى أن محاولة استعانته بمنظمة العفو الدولية لفضح السلطة والتأثير عليها تبدو وكأنها عمل لا يجدي نفعاً في الرواية، فالسلطة تقوم باعتقال زوج أخت «رجب» مما يضطره إلى العودة والمقاومة رغم معرفته بالمصير الذي ينتظره.

الشخصيات

إن معظم شخصيات عبدالرحمن منيف في رواياته: شرق المتوسط، وشرق المتوسط مرة أخرى، والأشجار واغتيال مرزوق.. شخصيات مثقفة كشخصية رجب، وأهم سمة تميزها هي الرفض للأوضاع التي تحيط بها وهذه الشخصيات هي انعكاس لشخصية الروائي المثقف والسياسي الفعال عبدالرحمن منيف الذي عمل في السياسة لفترة طويلة تعرض على أثرها إلى شتي أنواع الملاحقة والإيذاء، حتى أنه اضطر لقضاء معظم حياته خارج وطنه نتيجة للملاحقة المستمرة له، ولذلك فان روايته «شرق المتوسط» تهدف إلى إبراز وضع الإنسان في هذه المنطقة - شرق المتوسط - من خلال شخصية «رجب» وما عايشته من أحداث.

إن شخصية «رجب» شخصية نامية متطورة، تنمو مع صفحات الرواية صفحة صفحة، وتتضح معالمها شيئا فشيئا، بدايةً تصطدم مع السلطة، وتسجن، ثم ترى مباهج الحياة، ويرافق ذلك المرض وموت الأم، وعوامل أخرى سنعرفها بعد قليل، فيسقط رجب وينهار أمام جبروت السلطة وتتطاول المحن عليه، ثم يعود إلى النضال من جديد بعد أن يقرر العودة إلى بلده ومواصلة العمل السياسي.

ونلمح ثقافة «رجب» منذ طفولته، فقد كانت غير عادية وعندما كبر ـ كما تقول أنيسة ـ «بدأ يقرأ دون توقف، وكلمات أمي وهي تلح عليه أن يقوم ليأكل أو يتوقف عن القراءة بعد أن صاح الديك ولم يبق أحد ساهرا، كانت كلماتها تذهب هباء، ولم يكن يستجيب إلا إذا خانه السهر أو انتهي الكتاب ».[11]

وهكذا نرى أن المؤلف يمهد الطريق لبطل روايته، فيحصل على شهادة علمية تؤهله لحمل مسؤولية كبيرة، فتنمو شخصيته وتتطور ويدخل السجن، ويدخل «رجب» في عدة اختبارات ينجح فيها، فيتحمل صنوفا من العذاب، وبعد خمس سنوات يضعف وتسهم عدة عوامل وظروف أخرى في انهيار شخصيته ومنها «هدى» ـ يقول رجب: «كانت هدى أقوى الآمال التي تشدني إلى عالم الحرية، كنت أتصورها مثل بطلة الاساطير لا تمل أبدا من الانتظار »[12] ومن هذه الظروف موت أمه، يقول رجب «لماذا مت يا أمي؟ لماذا تركت أنيسة الضعيفة لتكون نافذتي على هذا العالم»[13] ومنها مرض رجب، فقد كان مريضا بالقلب، وكانت أنيسة عاملا آخر من العوامل التي أدت إلى انهياره.

وتستمر شخصية رجب في النمو والتطور، فيسافر إلى فرنسا، ويبدأ مرحلة جديدة فيقرر السفر إلي جنيف لعرض قضية الإنسان وكرامته على لجنة حقوق الإنسان، ولكنه يقرر العودة بعد أن يخبر بأن السلطات قبضت على زوج أخته «حامد» وسجنته بسببه، فيعود إلى وطنه ليجد السجن بانتظاره، ثم يخرج منه بعد أن فقد بصره، وبعد أيام قليلة يموت. «ويبدو أن الروائي يصر على منح رجب صفة البطل الملحمي، فهو بطل في كل شيء حتى في كيفية موته تروى أنيسة، فتقول: «كان يهز رأسه بحزن، ولا يتكلم وفجأة رأيت وجهه يعتكر، كأن ألماً حاداً يتلوى في داخله.. أتذكر تلك اللحظة المجنونة، وكأنها لا تزال تحت بصري تقع الآن، تقلص وجهه، ثقلت أنفاسه، أصابه شحوب جديد، ثم فجأة هز رأسه بقرف متألم وانتهي »[14].وهكذا نرى «رجب» يسير في الرواية عبر خمس مراحل هي:

المرحلة الاولي: مرحلة النضال والانتماء للحزب، ثم السجن والتعذيب وهي مرحلة طويلة.

المرحلة الثانية: مرحلة السقوط والضعف والاستكانة لأوامر السلطة.

المرحلة الثالثة: مرحلة معاودة النضال والعودة للوطن.

المرحلة الرابعة: مرحلة الانهاك والعمى في سجنه الثاني.

المرحلة الخامسة: وهي الموت، (الموت من أجل الحياة).

السرد

إذا ما التفتنا إلى أسلوب السرد فإننا نرى أن عبدالرحمن منيف تجاوز أسلوب السرد التقريرى، فحاول استخدام الأساليب الحديثة، فهو يستخدم أسلوب التناوب السردي، إذ يقسم مهمة السرد بين شخصيتين تتناوبان الحديث، فيتحدث رجب عبر فصل كامل، ثم تتبعه أنيسة في فصل لاحق، ثم يعود الحديث إلى رجب في فصل جديد وهكذا حتى نهاية الرواية.

ويستخدم منيف أسلوب الاسترجاع، فيورد نهاية الرواية منذ بدايتها ثم يعود إلى تفاصيل أحداث الرواية، فالفصل الأول من الرواية يقع تحت تيار الوعي فرجب في بيته وهو خارج لتوه من السجن؛ لكنه يعود بنا عبر رحلة تذكرية إلى ماضيه وسجنه وعذابه ورفاقه وسقوطه وعالمه الماضي[15]، وتستمر الرواية في الاستغراق في تيار الوعي من خلال الرجع التذكري في مواطن كثيرة من الرواية فرجب يسافر إلا أن ذكريات السجن ما تزال تلاحقه، والصور السوداء القاتمة تلح عليه من حين لآخر، فليجأ إلى السفينة التي يسافر على متنها يخاطبها ويناجيها من خلال مناجاة نفسه أيضاً: قل لهم شيئاً يا رجب، اكذب عليهم، لا لن أقول كلمة واحدة، أصرخ و قد اختفى وجهي وأحس عيني تخرجان ... واصمت لو عرفت السجن يا اشيلوس يوماً واحداً لعرفت الصمت [16].

كما لجأ عبدالرحمن منيف إلى المونولوج أيضاَ، فهذا حامد يحدث نفسه وقد بدأ بالتبرم والضيق من ممارسات السلطة مع رجب «هل يمكن للإنسان أن يعيش بهدوء لا أحد ينجو الذي يعمل في السياسة والذي لا يعمل، الذي يحب النظام و الذي لا يحبه»[17] ويبدو الاسترجاع عند أنيسة و هي تتذكر حديث أمها عن رجب قبل أن تموت [18].

ونلاحظ أن صوت الروائي يختلط بصوت الشخصية للتعبير عن فكرة في ذهن الروائي، فيجد في شخصيته متنفسا له يعبر عن فكرته هذه، ولعل الفكرة المبثوثة في شخصية رجب صدى لمجموعة أفكار في ذهن منيف أراد أن يوصلها للقارئ من خلال هذه الشخصية[19] ونلاحظ هذا أيضا في الرسالة التي كتبها «رجب» إلى أخته أنيسة والتي عبر من خلالها عن رغبته في كتابة رواية عن التعذيب، فنلمح فيها نهج عبدالرحمن منيف ورؤيته في العمل الروائي، يقول المؤلف على لسان رجب: «كيف يجب أن تكون الرواية، أريدها أن تكون جديدة بكل شيء، أن يكتبها أكثر من واحد، وفيها أكثر من مستوى، وأن تتحدث عن أمور مهمة.. وأخيرا أن لا يكون لها زمن»[20].. ويضيف: «وحتى لا نقع في دوامة قد لا نخرج منها، فمن الضروري أن نحدد موضوعا ونكتب فيه، التعذيب مثلا، كيف تتصورين الموضوع؟ كيف يتصوره إنسان من الخارج؟.. وطبيعي أيضا أن ننظر إليه من زوايا مختلفة. هذه الزوايا المختلفة ضرورية لكي نرى

الشيء من جميع جوانبه، فإذا ارتبط الموضوع أيضا بالأزمان العديدة والأعمار العديدة أصبح شيئا جديدا»[21].

وهكذا تبرز رواية شرق المتوسط واضحة من خلال حديث رجب عن روايته التي يحلم بكتابتها، فروايته التي يحلم بها ليس لها زمن وكذلك رواية شرق المتوسط، وهو يريد «أن يكتبها أكثر من واحد، وفيها أكثر من مستوى» وكذلك رواية شرق المتوسط، وأن يكون موضوعها التعذيب، وما رواية شرق المتوسط إلا كذلك، فعبد الرحمن منيف يضع تصوره للرواية على لسان رجب في تصوره لروايته التي يحلم بكتابتها، فلقد جاءت بصمات المؤلف بمثابة شرح لطبيعة طريقته «إذ تضمنت رسالة رجب إلى أنيسة مشروع الرواية ذاتها وهو مشروع يصعب القول بأنه يختلف في جوهره عن البناء العام لهذا الرواية فيتحدث منيف بواسطة بديله «رجب» في شرق المتوسط عن هواجسه وآلامه وطموحاته، وعلى الرغم من أنه ليس واثقاً تماماً من جدوى الكتابة، فقد وجد نفسه مضطراً إليها، إذ يتساءل «ما فائدة الكلمة؟ من سيقرؤها؟ حتى لو قرئت فما تأثيرها» وإذا كان منيف يرى في لحظات معينة أن «الكلمات تبدو مثل أوراق الشجر في بداية الشتاء، مصفرة، ضعيفة حتى إذا صفقتها الريح تطايرت ثم ديست بالأقدام» فإنه يعترف بأن الكتابة الروائية ليس احترافاً بل قد تأتي كضغوط نفسية آيلة للانفجار وهي ضغوط نجد نوافذها في فترة معينة من حياة الكاتب»[22].

"لقد سهل علينا عبدالرحمن منيف، ومن خلال تخطيط رجب للرواية فهم التقنية التي بنيت في إطارها هذه الرواية المتفردة، فهي جديدة وكتبها أكثر من واحد.. لقد تشابكت فيها الأصوات وتشابكت فيها الخيوط والرؤى، وهي تنصب جميعها على شيء واحد.... هي أكثر من مستوى مستويات متراكبة متداخلة، مستوى المباشرة، ومستوى الحلم، ومستوى الاستدعاء ومستوى التداعي، مستوى الأنا والأنت يتبادلان المواقع، لماذا أرادها عبدالرحمن أو لنقل رجب بلا زمن.. إن الزمان يساويها من الخارج، لكنه ينكسر معها من الداخل إنها.. إنها اعترافات»[23].

لقد حلم البطل في استعمال الكلمة لكشف واقع العذاب والضياع و أزمة الحرية المفقودة في الوطن: شرق البحر المتوسط بكتابة رواية تحتج و تكشف وتدين التعذيب والاضطهاد والقهر وتحرير بيانات للجان حقوق الإنسان والصليب الأحمر الدولية بجنيف عن محنة السجناء السياسيين في الوطن العربي محاولاً انقاذهم، وخلال ذلك يتأرجح البطل بين اليأس والرجاء، ومحاولة شحذ الإرادة واستعادة الثقة والقدرة على عمل شيء مفيد لقضية الحرية»[24].

شرق المتوسط وميرامار

اتبع عبدالرحمن منيف تقنية جديدة في السرد الروائي كان قد استخدمها نجيب محفوظ في رواية «ميرامار»[25] فرجب وأنيسة يرويان الحدث نفسه من جوانب مختلفة في وقتين مختلفين،

وهنا تبرز أهمية هذا النوع من السرد في أن الحدث الواحد يقدم لنا من خلال زاويتين لا من زاوية واحدة، و« رجب و أنسية هما الخطان الممتدان داخل وحول الأحداث بهما تبدأ و بهما تنتهي، و هما اللذان يرويان في وقتين مختلفين حدثاً واحداً ... لكن من جوانب مختلفة كذلك ... أحدهما يروي المقدمات والأخر لا يروي إلا النتايج ... فرجب يتحدث عن الفعل من المركز ذاهباً إلى الاطراف، و أنيسة تلتقط الحدث وترحل إلى المركز فتكمل الدائرة بالحدث وامداداته الإنسانية»[26] هذا في شرق المتوسط، أما في «ميرامار» فنلاحظ أن المحتوى قدم مرات عديدة من وجهة نظر الشخصيات الأساسية في الرواية، إذ تبدأ الرواية بعامر وجدي الذي يقدم لنا ما يدور في «بنسيون ميرامار» من خلال رؤيته هو، وكذلك يقدم لنا كل من حسني علام ومنصور باهي وسرحان البحيرى المحتوى من رؤيتهم الخاصة، ولذلك نجد أربعة أصوات في «ميرامار» تقدم المحتوى منذ دخولها «بنسيون ميرامار» وحتى وقوع الجريمة، وكلهم يتحدثون عن «زهرة» الخادمة التي تعمل في هذا البنسيون.

وبهذا نلاحظ أن الحدث واحد ويرويه اثنان عند عبدالرحمن منيف، وهو واحد كذلك عند نجيب محفوظ، في حين يرويه أربعة، وإذا ما نظرنا إلى البطل في «شرق المتوسط» فإننا نجد أنه رجب، أما البطل الحقيقي في «ميرامار» فهي «زهرة» التي تنصب عليها أحداث الرواية، فقد كانت بؤرة الأحداث التي تناولتها جميع الشخصيات.

اللغة

أما لغة عبدالرحمن منيف فقد حاولت خدمة موضوعه الروائي، فروايته تتمحور حول القهر والاضطهاد، ولذلك نجد أن روايته تميل إلى الحدة والتوتر فتنقل أشكال القهر والاضطهاد التي تعانيه الشخصية الروائية، والانعكاسات النفسية من مثل: القلق والتوتر والثورة، وينعكس كل هذا عبر لغة مشحونة بالحدة والتوتر، فنلاحظ أن اللغة تعكس الجو المأزوم والمشحون بين رجب وأمه: «قالت بعصبية جامحة وكأن الجرح الذي أصابها لم يترك لها فرصة كي تفكر بهدوء:

«مئة جهنم، وأكون مجنونة إذا سألت عنك».

«مئة جهنم، ولا أريد أحد أن يسأل عني »[27].

ولغة منيف لغة فصيحة لا تكاد تحيد عن الفصاحة، بيد أنه يستخدم اللغة الدارجة أحيانا، ويستعمل بعض الألفاظ والشتائم، ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على الرواية حتى ندرك كثيرا من هذه الالفاظ التي اضطر المؤلف أحيانا إلى حذفها لأنها تمس الذوق العام.

الزمان والمكان

وأما الزمان والمكان-وان كان هذا العنصر غير مهم من الناحية الأدبية- فنلاحظ أن المؤلف ترك تخمين الزمن للقارئ في روايته هذه التي يكتبها تاريخا مفتوحا لعلاقة الفرد بالسلطة، ومن هنا يأخذ الرمز الزمني أهميته للموضوع الروائي فلا نستطيع أن نعرف في أي زمن حصلت أحداثها، وفي أي تاريخ بدأت، ومتى انتهت، يكتب بطلها في هذا الصدد إلى شقيقته قائلا: «أريدها أن تكون جديدة بكل شيء.. وأخيرا أن لا يكون لها زمن».

وأما المكان فيستطيع القارئ ابتداء من عنوان الرواية أن يتأكد من أن وطن «رجب» هو شرق المتوسط في المنطقة التي يصفها «رجب» بقوله «هل يتصور أن على الشاطئ الشرقي للمتوسط إنسان واحد يمكن أن يموت من الفرح»[28] أو عندما يخاطب الباريسيين: «آه يا أهل باريس لو جئتم بكتبكم إلى شاطئ المتوسط الشرقي لقضيتم حياتكم كلها في السجون »[29] ولا نستطيع أن نعرف في الرواية ما هو المقصود تحديدا بـ «شرق المتوسط» هل هو الشرق كمفهوم جغرافي مقابل الغرب، أو غير ذلك؟ وعلى الرغم من ذلك فإننا نستطيع أن نزعم أن المقصود بـ «شرق المتوسط» المنطقة الجغرافية الممتدة من ضفاف الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وحتى أعماق الصحراء وهذا واضح في الرواية في مواطن كثيرة، ومنها قول المؤلف: «آه لو تنظرين لحظة واحدة في مقر سرداب من آلاف السراديب المنشورة على شاطئ المتوسط الشرقي وحتى الصحراء البعيدة »[30] وقوله: «تلك الأرض الممتدة على الشاطئ الشرقي للمتوسط وحتى الصحراء البعيدة»[31] وقوله «تلك الأرض الممتدة على الشاطئ الشرقي للمتوسط حتى أعماق الصحراء»[32] وقوله «وأنت يا بلاد الشاطئ الشرقي، بدءا من ضفاف البحر وحتى أعماق الصحراء » فهذا المؤلف نفسه يؤكد أن مكان الرواية المكان الممتد من الشاطئ الشرقي للبحر وحتى أعماق الصحراء، وهو يؤكد أن المكان الشاطئ الشرقي وبالتالي نستبعد الأماكن الأخرى.

كلمة أخيرة

في الختام يبقى السؤال الذي كان يلح علينا منذ القراءة الأولى للرواية: هل كانت "شرق المتوسط" كما أراد لها عبدالرحمن منيف وصرّح بذلك على لسان بطله «رجب» روايةً «جديدة في كل شيء»؟!.

من المؤكد أن الموضوع الأساس للرواية ـ وهو الإنسان في مواجهة السلطة في العالم العربيـ ليس موضوعاً جديداً، بل يمكن القول إن بعض الروائيين العرب قد تطرقوا إليه بشكل أو بآخر في رواياتهم، فقد عالجه نجيب محفوظ بقوة في «اللص والكلاب».

أما فكرة أن الموت في أرض الوطن تعني الحياة والبقاء، في حين أن الموت خارجه يعني العدم والاغتراب والنسيان، فقد تكررت في رواياتٍ عديدةٍ معاصرة ومتقاربة زمنياً بشكل يصعب معه الحكم بجدتها عند عبدالرحمن منيف، لأن زمن تأليف الرواية هنا هو المهم، وليس تاريخ انتشارها، لكن المؤكد هو أن الطيب صالح في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» قد سبق منيف إليها، ونلاحظ هذه الفكرة كذلك في رواية حنا مينة «الثلج يأتي من النافذة»، وفي رواية غسان كنفاني «رجال في الشمس» إضافة إلى مسرحيات وقصائد وقصص قصيرة متعددة.

بالنسبة للتقنيات الفنية كأسلوب الاسترجاع والتناوب السردي وتعدد الرواة وتعدد مستويات الرواية، كمستوى المباشرة، والحلم، والاستدعاء، والتداعي، والأنا والأنت اللذين يتبادلان المواقع، ففي هذه العناصر لم تكن الرواية جديدة بمعنى الكلمة وقد أشرنا إلى ذلك في الموازنة بين «شرق المتوسط» و«ميرامار»، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بأن عبدالرحمن منيف كان واحداً من الروّاد في الرواية العربية في استخدام هذه التقنيات والاستفادة منها لخدمة النص بشكل متميز.

النتيجة

يتجلى الإبداع في رواية الأديب العربي عبد الرحمن منيف«شرق المتوسط» في ثلاثة عناصر رئيسة: العنصر الأول هو الزمن وانكساره داخل الرواية مع مساواته لها وتناميه وانسجامه معها من الخارج، والعنصر الثاني هو المكان وذلك الامتداد المرموز لجغرافيا الرواية من ساحل المتوسط إلي قلب الصحراء البعيدة، وفي هذين العنصرين يتجنب منيف التحديد لخدمة هدفٍ بعيد في الرواية لتنسجم مع إنسانية موضوعها ومقدمتها الهادفة، أما العنصر الثالث الجديد في الرواية فهو الجرأة في عرض موضوع الرواية ورؤيتها العامة للأوضاع السياسية والاجتماعية في "شرق المتوسط"، ومعالجتها لموضوع تعذيب السجناء السياسيين بجرأة قلّما نراها في الرواية العربية مع ملاحظة حساسية الموضوع وخطورته، ولا تفوتنا الإشارة إلى مقدمة الرواية الرائعة والمرموزة، التي لا يمكن فصلها عن مضمون الرواية لكونها مقدمة، فهي تضرب في عمق الهدف والغرض الأساسي للرواية، وهكذا نرى أن "شرق المتوسط" لم تكن جديدة على المستوى الفني و المضمون و الأسلوب إذا أخذت تلك المستويات منفردة كلاً على حدة، ولكنها جديدة حقاً إذا نظرنا إلى جميع هذه المستويات باعتبارها وحدة متكاملة ونتاج متميز لأحد أكثر الروائيين العرب التزاماً والتصاقاً بقضايا وطنه وأمته.

Anxious Ideas and Confessions: An Analytical Study of Sharq AL-Mutawwasit Novel

Bassam Rabab'ah & Mohammad Al-Zgool, *Dept . of Semitic and Oriental Languages,Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

Abd- Al- Rahman Munif novelist great. In writing Arabic novels which deal with the status of contemporary Arab man and analyze political social, and psychological issues that surrounded an Arab man As hearty to pinpoint where the problem lie so that they could be address appled an Arab man could be lited up.

His novels "middle- east" and many other gain popularity, they where translated into English, French, Russian, and Persian .

This article intended to analyze "midlle- east" which is one of his famous political in Arab world. Then the main subjecduel in this novel is man and what he is facing and suffering from political imprisonment, tutor. In the particular geoyerhical erree the writer described as "middle- east" we tried in this article to analyze " Middle- east" through its artistic set, so that we can discover its arrlislic level.

We presented the summary of novel its basical points in analysis Hope, we have achieved and conducted the right presentation to the "Middle- east" novel asit deserve.

قدم البحث للنشر في 2006/12/13 وقبل في 2007/7/12

الهوامش:

1- الزعبي، زياد وآخرون. مصطفى وهبي التل (عرار) قراءة جديدة، ص615.

2- السامرائي، ماجد وفضل، جهاد " مقابلة مع عبد الرحمن منيف" مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 6-7، ص127.

3- عابدين، نزار " مقابلة مع عبد الرحمن منيف" مجلة عالم المعرفة، عدد 204، ص79.

4- الزعبي، أحمد، مقالات في الأدب والنقد، الطبعة الأولى، مكتبة الكتاني، اربد، 1993، ص 23-24.

5- المرجع السابق، ص23.

6- حبيب، نجاح " تعيين الشخصية ذاتها في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف" مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 25، ص126.

7- منيف، عبد الرحمن، شرق المتوسط، منشورات وزارة الإعلام – العراق، 1977، ص109.
8- الزعبي، أحمد، مرجع سابق، ص24.
9- قويدر، عيسى، عبد الرحمن منيف روائياً، رسالة ماجستير مخطوطة – مكتبة جامعة اليرموك – الأردن، ص16.
10- الزعبي، أحمد، مرجع سابق، ص24.
11- منيف، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص150.
12- المرجع السابق، ص35.
13- المرجع السابق.
14- المرجع السابق، ص211.
15- قويدر عيسى، مرجع سابق، ص140.
16- منيف، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص145.
17- المرجع السابق، ص141.
18- المرجع السابق، ص149.
19- قويدر، عيسى، مرجع سابق، ص78.
20- منيف، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص162.
21- المرجع السابق، ص163.
22- الموسوي، محسن، الرواية العربية: النشأة والتحول، دار الأدب، بيروت، د، ت. ص212.
23- محادين، عبد الحميد، رؤية في الظل، الطبعة الأولى، د.م. 1983، ص68.
24- عطية، أحمد محمد، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص46.
25- محفوظ، نجيب، ميرامار، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، 1974.
26- محادين، عبد الحميد، مرجع سابق، ص66.
27- منيف، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص79.
28- المرجع السابق، ص187.
29- المرجع السابق، 188.
30- المرجع السابق، ص177.

31- المرجع السابق، ص177.

32- المرجع السابق، ص169

المصادر والمراجع:

حبيب، نجاح « تعيين الشخصية ذاتها في رواية شرق المتوسط لعبدالرحمن منيف»، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 25، 1983.

الزعبي، أحمد، مقالات في الأدب والنقد، الطبعة الأولى مكتبة الكتاني، اربد،1993.

الزعبي، زياد وآخرون، مصطفى وهبي التل (عرار) قراءة جديدة، الطبعة الأولى، مؤسسة عبدالحميد شومان و وزارة الثقافة ـ الأردن و المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002.

السامرائي، ماجد وفضل جهاد: مقابلة مع عبدالرحمن منيف، مجلة الفكر العربي المعاصر، 6، 7، 1980.

عابدين نزار،« مقابلة مع عبدالرحمن منيف»، مجله المعرفة، عدد 204، 1979.

عباس، عبدالجبار، في النقد القصصي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م.

عطية، احمد محمد، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون تاريخ.

قويدر، عيسى، عبدالرحمن منيف روائياً، رسالة ماجستير مخطوطة، مكتبة جامعة اليرموك ـ الأردن، 1984م.

محادين، عبدالحميد، رؤية في الظل، الطبعة الأولى، دون دار نشر،دون مكان ، 1983م.

محفوظ، نجيب، ميرامار، الطبعة الثانية، دارالقلم، بيروت، 1974.

منيف، عبدالرحمن، شرق المتوسط، منشورات وزارة الإعلام ـ العراق، 1977م.

الموسوي، محسن، الرواية العربية: النشأة والتحول، دار الأدب، بيروت، دون تاريخ.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 1، 2008، ص ص 199- 237

مشكلات ترجمة النصوص في مجال الحاسب الآلي من وجهة نظر طلاب كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود

سعد الحشاش*

ملخص

تتناول هذه الدراسة المشكلات التي تواجه الطلاب عند ترجمة النصوص التقنية وخاصة في مجال الحاسب الآلي، وهي مشكلات تتعلق بجوانب متعددة منها ماهو مرتبط بالمعاجم والقواميس، ومنها ماهو مرتبط بالتركيب اللغوي سواء في اللغة المصدر أو اللغة الهدف، ومنها ماهو مرتبط بالاستراتيجيات التي يستخدمها الطلاب أثناء عملية الترجمة. وقد عمدت هذه الدراسة إلى إجراء استبيان تحليلي على 125 طالبا من طلاب كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود ينتمون إلى تخصصات متعددة شملت تخصص اللغة الإنجليزية، اللغة التركية، اللغة الألمانية، اللغة الأسبانية، اللغة الفرنسية، واللغة الفارسية. وتقدم الدراسة العديد من النتائج والتوصيات المهمة.

مقدمة

إشكالات ترجمة النصوص في مجالات الحاسب الآلي إلى اللغة العربية بشكل خاص

تعد اللغة العربية من أكثر اللغات صعوبة عند ترجمة النصوص التقنية، وذلك لأسباب عدة من أهمها ضعف برامج تعريب التقنية، بالإضافة إلى النقص الحاد في المترجمين العرب. (يحي ياسين 2002م). أما الجانب الآخر فهو عدم وجود الكم الكافي من الأبحاث اللغوية في اللغة العربية لإنشاء مصادر حاسوبية ضرورية في بيئة الحاسب الحديثة (Linder 1999). ولا يوجد أيضا برامج تدقيق نحوي أو برامج بحث تتقيد بشكل جيد باللغويات الحاسوبية الحديثة. وفي اغلب الأحوال فإن عملية الترجمة إلى اللغة العربية لا تتبع اسلوب منهجي مؤطر نظريا أو تطبيقيا خصوصا من قبل الشركات والمؤسسات العربية التي تعنى بتعريب التقنية في العالم العربي، وقد يفأجا متصفح مواقع هذه الشركات على شبكة الانترنت بأن موادها الإعلانية وتقارير خدماتها مكتوبة باللغة الإنجليزية مما يوحي –مع الأسف- بأن هذه الشركات غير قادرة على التعبير عن خدماتها باللغة العربية(Fox 1998). وقد أشار رنر (Renner 1988) في مقال بعنوان "خلف الحدود – استراتيجيات عولمة الشبكة" إلى أن اللغة العربية لم تواكب التطورات اللغوية الضرورية

* كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، السعودية.

(أي برامج حوسبة اللغات، وبناء ذخائرها اللغوية إلكترونيا)، مما جعلها (اي اللغة العربية) في موقف غير متوازن مع النصوص التقنية الحديثة المنقولة من لغات متطورة تقنيا.ونتيجة لذلك فإن عملية ترجمة النصوص التقنية والحاسوبية من لغة متطورة أو مخدومة تقنيا – كالإنجليزية- إلى لغة ليست مخدومة تقنيا –كاللغة العربية- عملية لا تتطلب تشابه ثقافي للمحتوى فحسب، بل تتطلب أيضا تخطي الحدود اللغوية بين لغة متطورة تقنيا وأخرى لم تصل إلى حد التطور بعد (Nord 1991).

وكمثال على ذلك يوجد هناك كم كبير من المصطلحات الحديثة في مجال التقنية والحاسب الآلي، بل وحتى في المجالات الأخرى مثل قطاع الأعمال لا يوجد لها مقابل حقيقي في اللغة العربية.والمثال التقليدي على ذلك مصطلحي "administration" و"management" فكلاهما في العربية بمعنى إدارة وهذا بحد ذاته يمكن أن يسبب غموضا غير مقبول في الترجمة المتعلقة بقطاع الأعمال. أما في المجال التقني فهناك أمثلة كثيرة لعل من أهمها: Calculate = حساب؛ calculator = آلة حساب؛ Compute = حساب؛ computer = حاسوب، كما أن الأنترنت (Internet) سميت بـ "الشبكة العالمية"، بينما المقابل العربي للسابقة (-Inter) تعني "بين"، وبذلك فإن الأصح أن تكون الشبكة البينية. وهناك أمثلة عديدة أخرى لن يتسع المجال لذكرها جميعا. وبالرغم من أنه ليس من السهل التعبير عن مفردات الحوسبة في اللغة العربية –في ظل هذه الإشكالات- إلا ان هذا لا يعني إخفاق اللغة العربية كليا في إيجاد مصطلحات عادية بديلة يمكنها نقل المعنى بدقة والتعبير عنه بطريقة أفضل (Bauer 1983).

وسنستعرض فيما يلي مجموعة من الإشكالات التي تعترض ترجمة نصوص الحاسب الآلي إلى اللغة العربية، وهو ما يمثل رصدا لأدبيات هذه الإشكالات والجهود المبذولة للتغلب عليها. ثم نقدم الدراسة التحليلة التي تحاول أن ترصد مدى ظهور هذه الإشكالات لدى طلاب كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية، حيث سنتطرق أولا لأهمية الدراسة ومشكلة البحث، ثم تصميم الدراسة، ثم التحليل، وأخيرا النتائج والتوصيات.

1. إشكالية البعد الثقافي في لغة المصدر

تؤثر الخلفيات الثقافية للشعوب في تشكيل المفاهيم الثقافية وبلورة فكرة ما في اللغة نفسها، قبل أن تنتقل إلى الآخرين (Warschauer 1997). وعلى سبيل المثال لم يتوقع أصحاب اللغات الأخرى أن حيواني السنجاب الأمريكي والفار (mouse) و(gopher) سوف يشكلان أهمية في تقنية الحاسوب على مستوى العالم؛ حيث تحول المفهوم الخاص بهما من حيوانـان صغيران إلى مستوى عالي من الدلالة في مجال الحاسب الآلي. فمصطلح (gopher) مثـلاً يشـير إلى النظام القديم الذي كان يستخدم لاسترداد الملفات على الشبكة العالمية وعرضها على الجهاز، كما أن مصطلح

(mouse) هو مفهوم حاسوبي يعني الفارة التي تتحكم بتحريك المؤشر على شاشة الحاسوب وهي كلمة ليس لها صلة بهذا المفهوم في اللغات الأخرى. ومن الأمثلة الأخرى على ذلك عندما يترجم الطالب العربي هذا النص (the united states secretary of states) الذي يعني (رئيس الوزراء) في اللغة الانجليزية الأمريكية المنقول منها، فإنه سوف يجتهد في ترجمته بما يخالف المعنى المقصود في اللغة المصدر والسبب هو عدم الاطلاع في هذا المجال (Teleoaca 2002). وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم كلمة (computer) نفسها يمثل أيضا فجوة ثقافية بين مصدرها ومتلقيها بسبب الصدفة التي أتت بهذه الكلمة من المدرسة إلى عالم الحاسوب - وبشكل عام يمكن القول بأن الحاسوب وبرامجه صمما ليكونا سهلي الاستخدام للمبتدئين- ومصطلح (user-friendly) يشير إلى الواجهات الرسومية السهلة للمستخدمين للحاسوب والذي أصبح أيضا مبدأً عام يتبعه الأمريكيون من خلال ممارسة حياتهم أي مبدأ (السهولة والبساطة) (Cannon 1989-1993). ومن هنا تبرز أهمية وجود بعد ثقافي لدى المترجم الذي ينقل من لغة لها أبعادها الثقافية إلى لغة أخرى، بحيث يتوجب عليه إيجاد المعنى المناسب في اللغة الهدف بدلالاته الثقافية المناسبة، وليس الكلمة المقابلة التي قد تعطي معنى غير المعنى المقصود. ولاشك أن بعض المصطلحات المستخدمة في الحاسوب هي مصطلحات جديدة ليس لها مقابل اصطلاحي مناسب في اللغة الهدف مثل، (browsers, spider, site, mouse) غير أنه مع مرور الوقت سوف تجد اللغات الأخرى مصطلحات مناسبة تتلاءم مع المفهوم الحاسوبي لهذه المصطلحات. ويمكن القول أيضا انه عندما يحاول الناس فهم واستيعاب أي مصطلح تقني جديد فإنهم يصفونه بمفردات من ثقافتهم يستطيعون فهمها والإحاطة بجميع أبعادها الثقافية (Sager 1980). وهناك بعض المصطلحات مثل (web) و(internet) يصعب إيجاد مقابل دقيق لهما في اللغة الهدف، لأنها ببساطة غير موجودة في قاموس اللغة الهدف، وبالتالي فإن بعض اللغات مثل الألمانية والفرنسية والبرتغالية تبقيها كما هي ولا تترجم.

وهناك إشكالية تواجه مستخدمي الحاسب الآلي حيال مصطلح الشبكة العالمية (network) – ومحاولة استخدام أي من هذين المصطلحين (internet وweb) بنفس المعنى تقريبا، غير أن هاذين المصطلحين لا يحملان نفس المعنى فمصطلح (internet) يشير إلى كل الاتصالات التي تجري خلال الشبكة، أما مصطلح (web) فإنه يشير إلى ملايين الصفحات التي تخص نظام واحد. وبذلك فإن أفضل وصف مناسب وجد حتى الآن في اللغات الأخرى لمصطلح الشبكة العالمية (network) هو الشبكة العنكبوتية (spider, network) (Porto 1998).

2. الإشكالات الدلالية والنحوية والبنيوية

ومن المشكلات التي تواجه المترجمين العرب عندم التعامل مع النصوص الحاسوبية إشكالات الدلالية والنحوية والبنيوية في لغة المصدر، وما يقود إليه من مآزق الترجمة الحرفية، ومن ثم الفشل في إيجاد ترجمة مناسبة لتلك التراكيب اللغوية في اللغة الهدف (Adams 1973). وإذا فشل المترجم في فهم التركيب البنيوي للجملة في اللغة المصدر فسوف ينقل بالتأكيد ترجمة خاطئة– ومن الأمثلة على ذلك الجمل التي تبدأ بـ Never before أو Ever since على سبيل المثال.وتعتبر المشاكل الدلالية من أهم المشاكل التي تواجه طلاب الترجمة العرب، ذلك أن عدم فهم المترجم للتركيب البنيوي للنص، يجعل المترجم ينقله بشكل خاطئ تماما. ويمكن تعريف الإرتباطات الدلالية بشكل عام بأنها مفردات مركبة تتكون من كلمتين أو أكثر تشير إلى شي ما- مثل (Hypertext) الذي يشير إلى النص التفاعلي -أي كلمتين مركبة تشير إلى شئ واحد- سواء أكان هذا الشئ في الأمور العامة أو المتخصصة كمجال الحاسوب أو اللغة أو إي مجال تخصصي اخر.

ومما لاشك فيه إن التراكيب الجديدة في الحاسوب عادةً ما تخلق الكثير من المشاكل عند ترجمتها إلى لغة أخرى إذا لم تكن من التراكيب والمصطلحات المعروفة في لغة الحاسوب، حيث إن تلك اللغة-أي الحاسوبية – توجد لهذه التراكيب معاني خاصة بإتباعها ترتيب بنيوي خاص مثل صفة + اسم (hot link)، اسم + اسم (web page)، فعل + اسم (run a program)، اسم+حال (user-friendly). ونستطيع القول أن ترجمة هذه التراكيب تعتبر مهمة صعبة جداً بسبب اختلاف المعنى التقليدي عن المعنى التخصصي الحاسوبي -فمثلاً يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار وضع الصفات المناسبة مع الأسماء والأحوال مع الأفعال وأيضا الأفعال مع الأسماء (Singhal 1997)، وإعطاء معنى حاسوبي يختلف عن المعنى التقليدي لهذا التركيب، فمثلاً تركيب (hot link) - المعروف الآن في لغة الحاسوب بـ (الرابط المباشر أو الفوري بين برنامجين أو موقعين يمكن من خلاله التحديث أو التواصل) - تشير الصفة (hot) إلى درجة الحرارة أو الغذاء، وهناك حالات عدة يمكن أن تصفها كلمة (hot) وهي الحالات العاطفية، والتعبير عن النجاح الذي يأتي بعد عناء وجهد، و الآنية (الزمن الحاضر) التي استخدمت في التركيب (hot link) للإشارة إلى الرابط المباشر أو الفوري في البرنامج والذي يمكننا عند الضغط عليه يمكن الانتقال إلى برنامج أخر أو تحميل ملف للتحديث أو الترقية - وليس الإشارة إلى درجة الحرارة أو الغذاء - ومن هنا أتت صعوبة ترجمة التراكيب بسبب وجوب إيجاد ترجمة متخصصة إلى اللغة الحاسوبية وعدم إتباع طريقة الترجمة الحرفية (كلمة بكلمة).

ومن الأمثلة الأخرى لصعوبة ترجمة التراكيب الحاسوبية، ترجمة التركيب الحاسوبي (blind copy) - والذي يعنى حاسوبياً نسخة مخفية - أي أن المستخدم بإمكانه إرسال رسالة بريدية

الكترونية (سرية) إلى عدة عناوين الكتر ونية دون معرفة عناوين المستلمين الآخرين لهذه الرسالة - وذلك من خلال اختيار (blind copy). وتبرز هنا إشكالية ترجمة هذا التركيب قبل تداول المفهوم الذي اشرنا إليه، حيث أن الصفة عمياء (blind) تشير إلى عدة معاني أخرى عند تركيبها مع مفردات أخرى مثل الإيمان الأعمى (blind faith) وكذلك الولاء الأعمى (blind loyalty)- وحاسوبياً كما ذكرنا فإن الترجمة المناسبة لكلمة (blind) هي (سرية).

ومن التراكيب الحاسوبية تركيب موقع على الشبكة (web address) والتي حلت مكان التركيب (site address) نظراً لعدم وجود المعنى المناسب له في لغة الهدف بسبب كلمة (site) والتي تدل على موقع (مكان جغرافي) – وباستبدالها بكلمة (web) أي الصفحة الالكترونية على الشبكة أصبحت مفهومه ومقبولة، وهناك بعض الكلمات أيضا التي تخلق مشكلة عند إيجاد المعنى المناسب لها بين لغة الحاسوب ولغة الهدف سواء كانت منفردة أو مع كلمة أخرى (Shuttlework 1999) لتشكيل مصطلح حاسوبي مثل (driver, server, laptop) الخ.

3. الإشكالات المرتبطة بالكم المعرفي

ومن الإشكالات التي تواجه المترجم عند التعامل مع نصوص الحاسب الآلي عدم توفر الكم المعرفي (Knowledge) المطلوب لفهم النص المراد ترجمته؛ وبالتالي يلجأ المترجم إلى الترجمة الحرفية (ترجمة كل كلمة في النص المصدر بالكلمة التي تقابلها) في لغة الهدف. فعلى سبيل المثال، هناك تركيب مهم جداً لمستخدمي شبكة المعلومات العالمية هو (home page) والذي يتفق الجميع من مستخدمي شبكة المعلومات العالمية على دلالته بأنه (الصفحة الرئيسية او صفحة البداية) - وإيجاد المقابل لمثل هذا المصطلح يحتاج إلى الإلمام بثقافة شبكة المعلومات، إذ أن غير المطلع على ثقافة الشبكة يمكن أن يترجم (home) كما هو معروف إلى "المنزل الذي تسكنه العائلة"، ويمكن تركيبه مع كلمات أخرى يعطي معنى مخالف فمثلاً(home run) يشير إلى الركض في رياضة لعبة البيسبول وكذلك (home key) مفتاح المنزل (Renner 1998). وبالعودة إلى شبكة المعلومات العالمية فإن الصفحة الرئيسية (home page) تحتوي على العديد من الروابط التي يمكن الدخول عن طريقها إلى صفحات أخرى في الشبكة، ويحتوي على فهرس بمحتويات الموقع مصممة على شكل روابط يستطيع المستخدم الدخول عن طريقها إلى الصفحات و(العودة إلى الصفحة الرئيسية) (Return to home page). وهذا بدوره يوقع المترجم في أخطاء غير مقصودة بسبب اختلاف ثقافتي النص المصدر والهدف والدلالة المختلفة للكلمة في الثقافتين.وللتغلب على هذه المشكلة يجب أن يكون لدى المترجم الكم المعرفي المطلوب عن النص المراد ترجمته كي يتمكن من الترجمة بشكل صحيح - بحيث يتخيل القارئ انه نص مكتوب بلغته الأصلية وليس مترجماً من لغة أخرى (Collin 1997).

4. إشكالية التعميم

ومن المشاكل التي تواجه المترجمين عند التعامل مع المصطلحات العلمية الحاسوبية استخدام مصطلحات ليس لها علاقة بالعلم الذي تخصه أو استخدام مصطلحات قريبة في المعنى ولكن ليس دقيقة بما يكفي لنقل جميع خصائص المصطلح المقصود. ولذلك نجد بعض المترجمين يلجأون إلى ما يعرف بالتعميم أي وضع مصطلحات ثابتة تدل على أشيـاء معينة في مجالات محـددة (Newmark1998)، فعلى سبيل المثال قام احـد المترجمين بترجمة(صندوق النقد الدولي) إلى اللغة الانجليزية كالتالي (the international boxing criticism) وهذا بالطبع غير صحيح – والترجمة الصحيحة (international monitory fund) المعروف اقتصادياً بـ (IMF).

5. إشكالية السياق

ومن الإشكالات التي تواجه المترجمين عند التعامل مع النصوص التقنية الحاسوبية هو عدم الإلمام بالظروف التي ورد فيها النص، حيث يهمل المترجم النمط الخطابي المرتبط بالاحاسيس والشعور للنص الأصلي. وكما نعلم أن النصوص الحاسوبية تحتوي على أنماط مختلفة مثل النمط التدريبي، النمط إرشادي، النمط تحليلي، الخ (Skinner & Austin 1999). ونجد أن االسياق المستخدم في أدلة التشغيل على سبيل المثال غير السياق المستخدم عادة في شروحات البرمجة، وتصميم المواقع، وغير ذلك. ومن هنا فإنه يتوجب على المترجم نقل الشعور العام المصاحب للنص الأصلي للقراء بنفس الشعور والإحساس وقوة المعنى الموجودة في النص المصدر.

6. إشكالية الرمزية ومفهوم التفاعلية

لابد في البداية من التطرق لمفهوم الوظيفة التواصلية للغة (communicative function of language)، وعلاقة تلك الوظيفة بالخصائص الثقافية للغة المصدر - ونأخذ هنا مثالاً على ذلك وهو مفهوم التفاعلية (interactivity) وعلاقته بمجال الحاسوب، حيث أنها تعني التواصل الشفوي وغير الشفوي بين المستخدمين، وهي خليط بين ما تحتويه اللغة من جمال يقدم من خلال الأيقونات (icons) والتعابير المرئية (emoticons) والابتسامات (smileys) – و ما تحتويه أيضا من تواصل مع المستخدمين الآخرين (Warschauer 1996). ومن وجهة نظر لغوية يمكن القياس على ذلك في مصطلحات أخرى مثل مصطلح التعابير المرئية (emoticons) وما تدل عليه في القاموس من معاني مختلفة وهي الضحك والابتسامة والحزن، ومصطلح (smileys)، الذي أستخدم أولا للإشارة للوضع العاطفي للمستخدم، وللتعبير عن الشعور الايجابي - وفي الوقت الحاضر وضعت هذه الرموز في أيقونات تشير إلى عدة مفاهيم في مجالات مختلفة في التكنولوجيا ووسائل الترفية وغيرها. وأصبح بإمكان مستخدمي الشبكة المعلوماتية العالمية استخدام هذه الرموز

للإشارة إلى مايريدون، مما سهل عملية التعارف بين الشعوب وتبادل الآراء بكل حرية من خلال الشبكة العنكبوتية.

مدى اسهام برامج الترجمة الآلية في التعامل مع النصوص الحاسوبية

يدرك صانعوا برامج الترجمة الآلية بشكل واضح حدود الترجمة الآلية. بيد أن هذه البرامج حققت تقدما متميزا في مجال الترجمة الآلية، حيث وصلت نسبة الدقة في بعض البرامج إلى 98% - أي بنسبة خطأين في كل مئة كلمة. وتعمد بعض شركات الترجمة الآلية مثل (Global Link) و(SYSTRAN) إلى إتباع طرق عملية في تسويق منتجاتها وذلك من خلال وصف الترجمة التي تنتجها برامجها بالمسودة أو النسخة الأولية السريعة والرخيصة الثمن والتي تمكن المستخدم من التواصل اليومي العملي بمختلف اللغات. وفي ظل وجود برامج ترجمة آلية عالية الجودة، فإن هذا ستتيح توليد ترجمات أولية –أي مسودات- ويمكن تسمية هذا المستوى من الجودة بالترجمة للحصول على خلاصة النص أو محتواه. وقد أظهرت الترجمة الآلية أهميتها وقيمتها على الانترنت، إذ بإمكان المتصفح استخدام تقنية الترجمة الآلية على الانترنت للقيام ببحث على موقع انترنت باللغة اليابانية مثلا، والتنقيب عن المعلومات التي كان يستغرق البحث عنها عدة أشهر أو سنوات عبر قنوات التواصل التقليدية. ويمكن للمستخدم الآن الحصول على خلاصة موقع أو صفحة ما على الانترنت. كما أنه يمكن الاستفادة من الترجمة الآلية في برنامج البريد الالكتروني، حيث يمكن كتابة رسالة ومن ثم ترجمتها قبل إرسالها (D. Arnolad 1998) .

وفي مجال ترجمة نصوص الحاسب الآلي، استخدمت العديد من شركات الحاسب الآلي الترجمة الآلية بشكل ناجح لإعداد النشرات التقنية للأسواق العالمية. ومن الأمثلة المشهورة استخدام شركة (Xerox) لبرنامج (Systran) للترجمة الآلية منذ عام 1978. ولكي تكون الترجمة الآلية مناسبة للنشر التقني يجب أن يتم تطوير القواميس المتخصصة التي يستخدمها برنامج الترجمة الآلية وتحديثها بشكل مستمر من قبل اللغويين (Rodrequez 1997)، كما يجب استخدام أسلوب الكتابة أو اللغة المراقبة لكل وثائق اللغة المصدر؛ ويجب القيام بعمليات تحرير وتنقيح مكثفة من قبل مترجمين بشر لضمان الجودة.

وتعتبر الترجمة الآلية شريك تقني رائع للأشخاص المتواصلين في الأمور التقنية، إذ أنها توفر الوقت والمال تحت الظروف المناسبة. ويمكن تحديد أفضل تلك النظم بالأخذ في عين الاعتبار- إضافة إلى أمور أخرى- الغرض من الترجمة والجمهور الموجهة إليه وحجم المستند أو الوثيقة والجودة المطلوبة. وبالرغم من التطور في النظم الموجودة حاليا في السوق، إلا أن المترجم البشري لا يزال مطلوبا للقيام بتنقيح ومراجعة الترجمة.

وقد نمت صناعة الترجمة بمعدل يتراوح ما بين 15% إلى 20 % سنويا، ومرد ذلك إلى عاملين رئيسيين هما: السوق العالمي وما يتطلبه من توثيق قانوني وتسويقي، وكذلك الانترنت وتزايد أعداد المستخدمين لها بشكل هائل وتنوعهم ثقافيا ولغويا.ويمكن أن تلبي الترجمة الآلية العديد من الاحتياجات الرئيسية في المجالات التقنية، وتوفير الوقت والمال في ترجمة وثائق أو مستندات تقنية ضخمة واضحة الكتابة ومباشرة وتحتوي على العديد من التكرار.

مدى اسهام الترجمة من خلال الإنترنت والترجمة بمساعدة الحاسوب في تسهيل ترجمة نصوص الحاسب الآلي إلى اللغات الأخرى

يقصد بـ "الترجمة بمساعدة الحاسوب" استخدام برامج وأدوات تقنية تساعد المترجم في القيام بعمله، ومثال ذلك ذاكرات الترجمة. إن ما تقوم به ذاكرات الترجمة هو ببساطة إنشاء قاعدة بيانات ترجمة لوثيقة ما أو عدة وثائق. ويقوم برنامج ذاكرة الترجمة -والذي يجب عدم الخلط بينه وبين برامج الترجمة الآلية- بتسجيل ما يقوم المترجم بترجمته ومن ثم ربط ما يسمى بالوحدات النحوية للغة المصدر بتلك المطابقة لها في اللغة الهدف. وتكون هذه الوحدات النحوية جمل أو فقرات، وعندما يواجه المترجم وحدة نحوية ترجمت سابقا يعرض البرنامج في الحال الترجمة الموجودة للمترجم إذا ما أراد استخدامها (Salaberry 1999).

يمكن استخدام ذاكرة الترجمة كبرنامج ترجمة آلية عندما يتم تطوير ذاكرة ترجمة ذات حجم كبير. وباستخدام وظيفة تسمى (ما قبل الترجمة) وهي شائعة في معظم ذاكرات الترجمة، يترك المترجم المهمة للحاسوب لإيجاد كامل النص الذي تمت ترجمته مسبقا، ومن ثم فإن كل ما على المترجم القيام به هو ترجمة الأجزاء التي لم تترجم من قبل. وبتكرار العملية، تتوسع ذاكرة الترجمة وعند ترجمة وثيقة أخرى فيما بعد، ستكون الترجمة الجديدة المتطلبة اقل.

إن الفائدة الرئيسية من الترجمة بمساعدة الحاسوب هي أن الترجمة لا تزال ترجمة بشرية، كما أن جودة المسودة الأولى المنتجة تكون اقرب إلى الجودة الصالحة للنشر من تلك التي تنتجها برامج الترجمة الآلية (Chapelle 1997). وبالإضافة إلى ذلك، فان المترجمين الذين يستفيدون من برامج الترجمة بمساعدة الحاسوب هم أكثر إنتاجا ويكون عملهم متناسقا بشكل اكبر من أولئك المترجمين الذين لا يستخدمون هذه التقنية. وفي الوقت الحاضر، هناك جهود تبذل في مجال صناعة اللغة لإيجاد طرق مثمرة لدمج هاتين التقنيتين (الترجمة الآلية والترجمة بمساعدة الحاسوب).

أما برامج الترجمة على الانترنت هي برامج تفاعلية مُحملة على صفحات الانترنت لتقديم خدمة ترجمة النصوص الى لغات أخرى، وتتم عن طريق الحاسوب بشكل فوري، والأجمل أنها

مجانية! وتتم الترجمة على الانترنت من خلال برنامج يقوم بتحليل النص على حسب القواعد اللغوية المعرفة مسبقا ويقوم بعدها ببناء النص للغة اخرى على حسب القواعد المطابقة للغة الهدف (Jodal 1995). وعلى عكس القواميس الألكترونية الموجودة على الانترنت التي تقوم بترجمة الكلمات الفردية او عبارات فقط، فأن مواقع الترجمة على الانترنت بأمكانها ترجمة نصوص أكبر او حتى صفحات انترنت كاملة.ولاشك أن بعض برامج الترجمة على الأنترنت افضل من البعض الآخر، ولكنها جميعها تحمل شيئا مشتركا، إذ لايمكنها تقديم ترجمة كاملة للنص المترجم من لغة اخرى (Parlog 1999). وتكمن الفائدة الكبرى في هذا النوع من الترجمة في أنه عندما يتصفح الإنسان المواقع المتعلقة بالنصوص الحاسوبية على الانترنت، فإنه يجد صفحات مكتوبة بلغات أخرى لا يفهمها، عندئذ تكون برامج الترجمة على الانترنت هي الخيار الأفضل؛ حيث يقوم المتصفح ببساطة بنسخ ولصق النص، او أخذ رابط الصفحة اذا كان برنامج الترجمة يقدم خدمة ترجمة الصفحات، ويختاراللغة التي يريد ان يقوم البرنامج بترجمة النص اليها، ومن ثم يحصل على ملخص لتلك الصفحة.

علم المصطلح ومفهوم التخطيط اللغوي

يعتبر علم المصطلح (terminology) أحد المفاهيم الحديثة نسبياً في علم اللغة المعاصر، ويهدف إلى وضع معايير وأسس لوضع المصطلحات العلمية الحديثة. وتجعل دراسة تكوين المصطلحات ومدى تمثيلها للبناء المعرفي هذا التخصصَ أحدَ فروع علم المعجمية،أو ما يعرف بـ (lexicology). ومن الأفضل النظر إلى علم المصطلح كحقل متعدد التخصصات؛ ذلك أنه يرتبط بالمنطق، وعلم المعلومات، والتصنيف، وكذلك علم الدلالات (الحمزاوي 1982).

وفي العقود الماضية نما علم المصطلح نمواً كبيراً استجابةً للانفجار المعرفي الحديث، والذي نتج عنه تدشين مئات المصطلحات سنوياً للتعبير عن المستجدات الحديثة في العلوم والتكنولوجيا. ويعتبر وستر (Wuster 1955) وسكولمان (Scholmann 1970) من أوائل العلماء الذين ساعدوا على تأسيس علم المصطلح المعاصر (القنيعر 1997م). ويعد هولم ستورم (Holmstorm 1970) أول من عمل في تسيس علم المصطلح إبان عمله في منظمة اليونسكو (UNESCO)، حيث أنشأ ما يعرف الآن بـ أنفوترم (Infoterm). وقد أقترح وستر بعض الأسس التي يجب أن تقوم عليها عملية وضع المصطلحات، نوردها فيما يلي:

1. يجب أن يعبر المصطلح عن المفهوم بشكل واضح ومباشر.
2. يجب أن نضع في الاعتبار البناء الصوتي والصرفي للغة المنقول إليها المصطلح.
3. يجب أن يكون المصطلح قابلاً للاشتقاق ما أمكن ذلك.

4. يجب تجنب التواتر قدر الإمكان، أي لا يجب التعبير عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح.
5. يجب أن يعبر المصطلح عن معنى واحد فقط.
6. يجب أن تكون دلالة المصطلح واضحة، حتى وإن كان خارج السياق.
7. يجب أن يكون المصطلح قصيراً ما أمكن ذلك، دون إخلال بالمعنى. (انظر القحطاني 2002).

ومن أهم وجوه تطوير اللغة العربية في نظر المختصين هي عملية وضع المصطلحات وخصوصاً العلمية منها والتقنية؛ غير أن التمسك بالطرق التقليدية في التعريب أصبح موضعاً للنقد من قبل بعض الباحثين الذين يرون أن التمسك بهذه الطرق التقليدية وعدم إضافة غيرها ساهم في بطء أو عدم فاعلية وضع المصطلحات العلمية (الخوري 1989م). كما أن تعدد المعاني للمفردة الواحدة (الترادف)، أو تعدد المفردات للمعنى الواحد يخلق إشكالية من نوع آخر عند التعامل مع المصطلحات. وقد حاول بعض اللغويين العرب أمثال ابن فارس نفي صفة الترادف عن العربية؛ حيث يرى أبن فارس أنه لايوجد كلمتان لهما نفس المعنى تماماً، مشيراً إلى أن اللغات لاتجيز هذا الترادف اللغوي. و ما يعرف على أنه "ترادف" هو في الواقع مشاركة نسبية في المعنى، أي أن لكل مفهوم كلمة "واحدة" فقط ترتبط به ارتباطاً اعتباطياً (وإن كان ابن فارس يفضل علاقة الدال بالمدلول)، أما ماعدا ذلك من الكلمات التي تشترك في الدلالة على هذا المفهوم فهي من باب الصفات.

أما فيما يتعلق بمفهوم التخطيط اللغوي ومدى اسهامة في حل الإشكالات المتعلقة بترجمة النصوص التقنية، فإن ظاهرة التعريب معروفة وممارسة؛ولذلك فإن لفظة التعريب لازالت تشير إلى عملية استقطاب كلمات أو مفردات من لغات أخرى. يمكن تعريف التخطيط اللغوي من خلال الإجراءات والممارسات التي يمارسها المخططون اللغويون، ومن خلال الخطوات التي ينتهجونها أثناء عملية التخطيط وفق الأهداف التي يأملون تحقيقها (إيستمان 1983م). ويتفق رواد التخطيط اللغوي ومنهم فيشمان، وكوباريوبس، وايستمان، وكوبر، وكابلان _ على أن عمليات التخطيط اللغوي يمكن تعريفها من خلال أهدافها أو موضوعاتها، وأنواعها الرئيسية هي:تخطيط الذخيرة اللغوية: (Corpus Linguistics) ويتناول التخطيط المتعلق بالاستعمال للغة معينة. وتخطيط وضع اللغة: ويتناول تخطيط وضع لغة معينة مقارنة مع لغة أخرى، وأخيرا تخطيط الانتشار اللغوي: والذي يهدف إلى زيادة عدد المستخدمين.

والنوعين الأول والثاني من التخطيط اللغوي معروفان منذ زمن بعيد،كما تشير إلى ذلك الدراسات. أما النوع الثالث فهو حديث نسبياً؛ حيث إن كوبر (Cooper 1989) هو أول من طرح

هذا النوع كأحد أمثلة التخطيط اللغوي المعاصر. وكما يشير كوبر: "تخطيط الانتشار اللغوي يعنى بالبرامج التي تهدف إلى زيادة عدد المتكلمين بلغة معينة أو لهجة معينة، و هذا النوع من التخطيط لا يندرج تحت تخطيط وضع اللغة". وهو يشير بصفة خاصة إلى عملية وضع مصطلحات عربية أي مشتقة من اللغة العربية بدلاً من المصطلح الأجنبي. وكما تشير الدراسات فإن هذه العملية اللغوية قديمة قدم اللغة العربية نفسها، ولكنها أصبحت أكثر بروزاً مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي تزامناً مع ثورة الاتصالات، واتصال اللغة العربية باللغات الأوربية بشكل مباشر. فقد بدأ المشتغلون بالصحافة والطب في تعريب المصطلحات الأجنبية في بداية النهضة العربية (El-Mouloudi 1986).

ومع بداية القرن العشرين وتحت تأثير انتشار الثقافة الغربية في المجتمعات العربية؛ برزت الملامح الأولية للقومية العربية، ومحاولة الإصلاح اللغوي وخصوصاً فيما يتعلق بنقل العلوم التقنية والتطبيقية إلى العالم العربي. ورغب أصحاب القرار من القادة العرب أن يطوروا بلدانهم لتلحق بالركب الحضاري كما في الدول المتقدمة، و تم إنشاء مؤسسات علمية هدفها التطوير ونقل العلوم العصرية (المولودي 1986). وتم إنشاء أول مجمع علمي للغة العربية في دمشق عام 1919م. وهذا الحدث يعد أول خطوة مهمة في مسيرة التعريب في العالم العربي المعاصر، باعتبار التعريب أهم مقومات الوحدة العربية وأحد القضايا الوطنية الكبرى؛ وذلك من أجل اللغة العربية قادرة على استيعاب المستجدات الحضارية والعلمية.

الخلاصة

ويتضح مما سبق أن هناك إشكالات مرتبطة بترجمة النصوص في مجال الحاسب الآلي، بعضها مرتبط بالجوانب اللغوية (التراكيب الدلالية، والبنوية، والنحوية، والبعد الثقافي في لغة المصدر، الخ)، وبعضها مرتبط بالوسائل المستخدمة في عملية الترجمة، وبعضها مرتبط بالاستراتيجيات المستخدمة أثناء عملة الترجمة. ومن هنا فإن عملية ترجمة النصوص في مجال الحاسب الآلي تتضمن أبعادا كثيرة لابد من دراستها، وتحليلها، ووضع الحلول للإشكالات المرتبطة بها خاصة، غير سائر النصوص في المجالات الأخرى. كما أن هذه العملية تتضمن نقل المعنى الصحيح بخصائصه الثقافية من لغة إلى أخرى. وهذا يستدعي أن يكون لدى المترجم القدرة اللغوية والثقافية الكافية في كلا اللغتين، بحيث يتسنى له خلق شعور عند قارئ النص المترجم مساوي للشعور عند قارئ النص الأصلي ولا يشعره انه مترجم. ويتطلب ذلك الحرص على متابعة المصطلحات والتعابير الحاسوبية الجديدة التي تتطور يوما بعد آخر.

مشكلة البحث وأهمية الدراسة

لقد كانت المشكلة الأساسية التي حاول هذا البحث تقصيها وبحث سبل علاجها هي الصعوبة التي يواجهها الطلاب عند التعامل مع نصوص الحاسب الآلي، ومدى ارتباط هذه المشكلة بالاستراتيجيات التي يستخدمه الطلاب أثناء عملية والترجمة، والنتائج المترتبة على ذلك. ويتضح من النقاش الذي تم طرحه في الفقرات السابقة بأن هناك حاجة للتعرف أولا على أنواع الإشكالات التي تواجه المترجم عند التعامل مع نصوص الحاسب الآلي، وتحديد هذه الإشكالات، والتعرف على مسبباتها الأساسية؛ وثانيا معرفة الاستراتيجيات التي يستخدمها الطلاب عندما تواجههم هذه الإشكالات. ومن أجل تحقيق تلك الأهداف وضعت الدراسة الحالية.

تصميم الدراسة وطرق جمع البيانات

لقد تم تصميم هذه الدراسة على شكل استبيان متعدد المحاور يهدف أولا إلى التعرف على الإشكالات الرئيسة التي يواجهها الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي، وثانيا: تصنيف هذه الإشكالات، بحيث يتم التعرف على الإشكالات المتعلقة بالمصطلحات التقنية في القواميس والمعاجم، والإشكالات المتعلقة بالقضايا اللغوية (تركيب الجمل، والسياق، الخ)، والإشكالات المتعلقة بإستراتيجيات الترجمة. وقد تضمن المحور الأول (محور القواميس والمعاجم) 8 أسئلة وضعت على شكل عبارات، بحيث يضع الطالب مدى موافقته للعبارة من عدمها وفق 5 درجات (موافق بشدة، موافق، لا أدري، غير موافق، غير موافق بشدة)، بينما أشتمل المحور الثاني (الإشكالات اللغوية) على 11 عبارة، والمحور الثالث(استراتيجيات الترجمة) على 10 عبارات. (مرفق نسخة من الاستبيان في الملحق أ).

وقد تم توزيع الاستبيان على أكثر من 125 طالبا، موزعين على 5 تخصصات: اللغة الإنجليزية، اللغة الفرنسية، اللغة الأسبانية، اللغة الفارسية، اللغة التركية، بواقع 25 طالبا في كل لغة. وجميع هؤلاء الطلاب يدرسون في كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود في المستوى الثامن، (يتكون البرنامج من عشر مستويات، موزعة على خمس سنوات، حيث يقدم في كل عام دراسي مستويان). وقد تم رصد درجة صدق الاستبانة وفق الأساليب الإحصائية المتعارف عليها.

التحليل

تم تحليل البيانات على مستويين: المستوى الأول، وهو مستوى اللغة الواحدة (التخصص الواحد) مثل اللغة الإنجليزية، ثم اللغة الفرنسية ثم الأسبانية، ثم التركية، و أخيرا الفارسية. أما المستوى الثاني فهو على مستوى اللغات جميعا (عبر جميع التخصصات). وقد أشتمل التحليل

على إجراء إحصاءات على مستويات متعددة، شملت: حساب متوسط المتغيرات (ANOVA)، وحساب التكرار (Frequency)، والنسبة المئوية، وأخيرا الترتيب. وقد روعي أستخدام وسائل احصائية سلسلة وشفافة من أجل أن تكون دلالات هذه الإحصاءات سهلة ومباشرة للقارئ. وتم تحليل المحاور على مستوى التخصص الواحد ثم مقارنة المحاور الثلاث ببعضها البعض لمعرفة المحور الأكثر تأثيرا في النتائج، ومقارنة الاستجابات ضمن المحور الواحد بهدف معرفة المتغير الأكثر تأثيرا. وفيما يلي عرض شامل للإحصاءات التي تضمنتها الدراسة.

أولا: التحليل على مستوى التخصص الواحد

1. اللغة الإنجليزية

المحور الأول: الإشكالات المرتبطة بالقواميس

جدول رقم (1): أراء طلاب تخصص اللغة الإنجليزية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الأول (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	القواميس احادية اللغة	ت	1	6	6	8	4	2.68	8
		%	4.0	21.4	13.8	15.6	6.8		
2	تعدد التعريفات في القاموس	ت	2	9	9	3	2	3.24	7
		%	8.0	29.0	17.6	5.0	3.2		
3	عدم التحديث للقاموس	ت	7	10	7	1		3.92	2
		%	28.0	21.7	12.1	1.6			
4	عدم التخصص الكمي	ت	2	17	3	3		3.72	4
		%	8.0	54.8	4.4	4.3			
5	عدم التخصص النوعي	ت	3	9	7	5	1	3.32	6
		%	12.0	26.5	13.6	8.6	1.6		
6	الاقتصار على المعنى الحرفي	ت	7	10	3	5		3.76	3
		%	28.0	21.7	5.2	8.3			
7	قلة المصطلحات المركبة	ت	5	12	4	3	1	3.68	5
		%	20.0	30.0	6.9	4.9	1.6		
8	عدم الشمولية	ت	8	12	3	1	1	4	1
		%	32.0	24.5	4.9	1.6	1.6		
	المتوسط العام للمحور الأول							3.54	

نلاحظ أن عدم شمولية القواميس تمثل الإشكالية الأكثر تأثيرا في هذا المحور، حيث جاءت في المرتبة الأولى، وبالتالي فإن أحادية اللغة في القواميس _مثلا_ لا تعتبر عائقا فعليا في ترجمة نصوص الحاسب الآلي. أما فيما يتعلق بالمتوسطات الحسابية، فإننا نرى أن هناك تقارب بين المتغيرات في المحور نفسة، وهذا يدل على أن جميع المتغيرات لها وزن حقيقي في هذا المحور، أي أن لكل متغير أهمية مقاربة للمتغيرات الأخرى ضمن محور القواميس. ونلاحظ أيضا أن الإشكالية المرتبطة بعدم تحديث القواميس تعد مشكلة حقيقية في ترجمة نصوص الحاسب الآلي، وهو مايتفق مع حقيقة تدفق مصطلحات الحاسب الآلي بشكل يومي.

المحور الثاني: الإشكالات اللغوية

جدول رقم (2) : أراء طلاب تخصص اللغة الإنجليزية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثاني (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
9	الاسماء المركبة	ت	8	11	2	3	1	3.88	2
		%	32.0	22.4	3.3	4.9	1.6		
10	الأفعال المركبة	ت	2	8	2	10	3	2.84	11
		%	8.0	25.8	4.1	19.6	5.0		
11	الاختصارات	ت	7	4	2	11	1	3.2	10
		%	28.0	8.7	3.9	20.9	1.6		
12	عدم وجود مقابل عربي	ت	5	10	4	5	1	3.52	5
		%	20.0	25.0	7.3	8.6	1.6		
13	الاسماء التجارية	ت	4	9	7	5		3.48	6
		%	16.0	24.3	13.4	8.5			
14	المصطلحات الحديثة جدا	ت	9	11	3	2		4.08	1
		%	36.0	21.2	4.8	3.1			
15	مصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية)	ت	2	9	13	1		3.48	6
		%	8.0	29.0	25.5	1.6			
16	اختلاف نظام التشغيل (عربي)	ت	3	9	7	5	1	3.32	9
		%	12.0	26.5	13.6	8.6	1.6		
17	اختلاف السياق	ت	6	12	2	4	1	3.72	3
		%	24.0	27.9	3.4	6.6	1.6		
18	الاستخدام المجازي	ت	5	9	3	7	1	3.4	8
		%	20.0	22.5	5.6	12.5	1.6		
19	الترادف ضمن مجال الحاسب نفسه	ت	3	13	4	3	1	3.58	4
		%	12.5	38.8	6.7	4.8	1.6		
المتوسط العام للمحور الثاني								3.50	

أتت النتائج في المحور الثاني داعمة للنتائج في المحور الآول، حيث نجد أن المصطلحات الحديثة جدا هي الإشكالية الآولي التي يواجهها الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي، يليها إشكالية الأسماء المركبة في نصوص الحاسب. وفي الواقع أن الأسماء المركبة مثل (Hypertext)، تمثل صعوبة عند ترجمتها إلى العربية، وربما يعود ذلك إلى حقيقة أن اللغة العربية تعتمد على الإشتقاق قي توليد المصطلحات، بينما تعتمد اللغة الإنجليزية على التركيب. ومن هنا فإن اللغتين تقفان على طرفي نقيض في هذا الخصوص، وهو مأشرنا له في أدبيات هذا البحث. أما اختلاف السياق (الذي جاء في المرتبة الثالثة) فربما يستحق مزيدا من البحث، إذ أننا نتوقع أن سياق النص في الحاسب الآلي، قد لا يختلف عن سياق النص في اللغة بشكل عام. ومما يثير الدهشة أن الأفعال المركبة في نصوص الحاسب الآلي مثل (sign up) لا تمثل صعوبة حقيقية عند ترجمة نصوص الحاسب على عكس الاسماء المركبة؛ وربما يعود ذلك إلى سهولة وضع المقابل العربي بكلمة واحدة.

المحور الثالث: الإشكالات المرتبطة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

جدول رقم (3): أراء طلاب تخصص اللغة الإنجليزية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثالث (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
20	تعريفات المنتديات	ت	7	10	6	2		3.88	1
		%	28.0	21.7	10.4	3.2			
21	قلة المناهج المتخصصة	ت	3	13	5	3	1	3.56	6
		%	12.0	38.2	8.4	4.8	1.6		
22	قلة المصادر الحاسوبية المترجمة	ت	6	10	4	5		3.68	3
		%	24.0	23.3	7.1	8.4			
23	خصوصية النصوص (البرمجة)	ت	3	14	5	3		3.68	4
		%	12.0	41.2	8.2	4.7			
24	قلة شروحات البرامج باللغة العربية على الانترنت	ت	4	9	5	6	1	3.36	9
		%	16.0	24.3	9.6	10.5	1.6		
25	تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية	ت	3	12	4	5	1	3.44	8
		%	12.0	35.3	7.0	8.3	1.6		
26	ترجمة المتخصصين في الحاسب (غير اللغويين	ت	3	9	4	6	3	3.12	10
		%	12.0	26.5	7.8	10.9	5.0		
27	عدم الإلمام بوظائف الحاسب	ت	5	11	3	5	2	3.46	7
		%	19.2	27.3	5.3	8.5	3.2		
28	استخدام برامج الترجمة الآلية	ت	3	6	7	9		3.12	11
		%	12.0	17.6	15.3	16.7			
29	قلة المقررات في الترجمة الآلية	ت	9	7	5	3	1	3.8	2
		%	36.0	13.5	8.6	4.8	1.6		
30	استخدام القوالب اللغوية (التعميم)	ت	4	11	7	2	1	3.6	5
		%	16.0	29.7	12.6	3.3	1.6		
المتوسط العام للمحور الثالث								3.52	

توضح النتائج في المحور الثالث أن تعريفات وشروحات نصوص الحاسب الآلي التي يتم تدوالها عادة في منتديات الأنترنت تكون محيرة للطلاب أثناء ترجمة النصوص (أعلى متوسط 3.88)، وربما يعزى ذلك، لأن هذه التعريفات هي مجرد اجتهادات من المستخدمين العاديين للحاسب. كذلك تحول قلة المقررات المخصصة للترجمة الآلية دون تعرض الطلاب للآليات والاستراتيجيات التي تستخدم عادة في ترجمة نصوص الحاسب الآلي بما ينعكس ايجابا على جودة ترجمة هذه النصوص. أما قلة مصادر الحاسوبية وخصوصية النصوص في جانب معين من جوانب الحاسب الآلي فتتساوى في الأهمية (3.68) لكليهما. و نلاحظ أن استخدام برامج الترجمة

الآلية، وترجمة غير المتخصصين، لاتمثلان أهمية كبرى امام الطلاب (3.12 أقل متوسط) عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي. وأخيرا نلاحظ أن هذا المحور هو المحور الأهم (المتوسط العام 3.52) مقارنة بالمحورين السابقين.

2. اللغة الفرنسية

المحور الأول: الإشكالات المرتبطة بالقواميس

جدول رقم (4): أراء طلاب تخصص اللغة الفرنسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الأول (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	القواميس احادية اللغة	ت	7	11	4	3		3.88	2
		%	28.0	23.9	6.8	4.9			
2	تعدد التعريفات في القاموس	ت	2	9	9	5		3.32	7
		%	8.0	29.0	17.6	8.4			
3	عدم التحديث للقاموس	ت		10	8	7		3.12	8
		%		40.0	14.5	11.4			
4	عدم التخصص الكمي	ت	8	12	5			4.12	1
		%	32.0	24.5	8.1				
5	عدم التخصص النوعي	ت	4	9	7	4	1	3.44	6
		%	16.0	24.3	13.4	6.8	1.6		
6	الاقتصار على المعنى الحرفي	ت	8	8	3	6		3.72	4
		%	32.0	16.3	5.2	10.1			
7	قلة المصطلحات المركبة	ت	6	9	5	5		3.64	5
		%	24.0	20.9	9.1	8.5			
8	عدم الشمولية	ت	9	5	6	4		3.79	3
		%	37.5	9.5	10.5	6.5			
المتوسط العام للمحور الأول								3.63	

نلاحظ في المحور الأول للغة الفرنسية أن عدم التخصص الكمي جاء في المرتبة الآولى (4.12)، وهذا يعنى أن الطلاب في تخصص اللغة الفرنسية يواجهون صعوبة في الحصول على قواميس متخصصة (من حيث الكم) في مجال الحاسب الآلي. كما أن القواميس أحادية اللغة تمثل صعوبة أيضا (3.88)، مما يعني أن عدد القواميس ثنائة اللغة غير كافي؛ ويتوافق هذا مع الوضع في اللغة الإنجليزية كما أشرنا آنفا.أما عدم تحديث القاموس (المتوسط 3.12) فهو أقل المتغيرات أهمية في هذا المحور، مما يعني أن طلاب تخصص اللغة الفرنسية لا يواجهون صعوبة في عملية تحديث القواميس.

المحور الثاني: الإشكالات اللغوية

جدول رقم (5): أراء طلاب تخصص اللغة الفرنسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثاني (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
9	الاسماء المركبة	ت	6	9	6	4		3.68	3
		%	24.0	20.9	10.9	6.7			
10	الأفعال المركبة	ت	2	11	8	3	1	3.4	7
		%	8.0	35.5	14.4	4.8	1.6		
11	الاختصارات	ت	5	10	6	2	2	3.56	4
		%	20.0	25.0	10.9	3.3	3.3		
12	عدم وجود مقابل عربي	ت	8	8	7	2		3.88	1
		%	32.0	16.3	12.2	3.2			
13	الاسماء التجارية	ت	4	9	9	3		3.56	4
		%	16.0	24.3	17.2	5.0			
14	المصطلحات الحديثة جدا	ت	5	7	7	3	3	3.32	9
		%	20.0	17.5	13.9	5.2	5.0		
15	مصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية)	ت	7	7	9	1	1	3.72	2
		%	28.0	15.2	16.6	1.6	1.6		
16	اختلاف نظام التشغيل (عربي)	ت	4	7	10	2	2	3.36	8
		%	16.0	18.9	20.4	3.4	3.3		
17	اختلاف السياق	ت	5	7	10	2	1	3.52	6
		%	20.0	17.5	19.8	3.3	1.6		
18	الاستخدام المجازي	ت	3	4	9	9		3.04	11
		%	12.0	11.8	21.5	16.6			
19	الترادف ضمن مجال الحاسب نفسه	ت	4	7	3	9	2	3.08	10
		%	16.0	18.9	6.1	17.3	3.3		
المتوسط العام للمحور الثاني								3.47	

نلاحظ في هذا المحور أن عدم وجود المقابل العربي (المتوسط 3.88) هو أكثر المتغيرات أهمية لدى الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في تخصص اللغة الفرنسية. ونلاحظ ان المصطلحات المركبة، ومصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية) تأتي في المرتبة التي تلى ذلك (3.72، 2.68). وهذا ربما يعزى إلى حقيقة اختلاف تركيب اللغة الفرنسية عن اللغة الإنجليزية. كما نلاحظ أن الاستخدام المجازي للمصطلحات لايمثل صعوبة كبرى في تخصص

اللغة الفرنسية إذا جاء في الترتيب الأخير (11). وأخيرا فإن المحور الثاني في تخصص اللغة الفرنسية هو الأقل تأثيرا عن بقية المحاور (المتوسط العام 3.74).

المحور الثالث: الإشكالات المرتبطة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

جدول رقم (6): أراء طلاب تخصص اللغة الفرنسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثالث (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
20	تعريفات المنتديات	ت	9	6	10			3.96	4
		%	36.0	11.5	17.4				
21	قلة المناهج المتخصصة	ت	9	10	3	3		4	2
		%	36.0	19.2	4.9	4.8			
22	قلة المصادر الحاسوبية المترجمة	ت	13	10	1	1		4.4	1
		%	52.0	15.6	1.4	1.4			
23	خصوصية النصوص (البرمجة)	ت	9	6	8	1	1	3.84	6
		%	36.0	11.5	13.9	1.6	1.6		
24	قلة شروحات البرامج باللغة العربية على الانترنت	ت	7	10	3	5		3.76	8
		%	28.0	21.7	5.2	8.3			
25	تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية	ت	3	7	3	12		3.04	11
		%	12.0	20.6	6.3	23.6			
26	ترجمة المتخصصين في الحاسب (غير اللغويين)	ت	4	13	3	5		3.64	9
		%	16.0	35.1	5.1	8.2			
27	عدم الإلمام بوظائف الحاسب	ت	12	8	1	1	3	4	3
		%	48.0	13.1	1.5	1.5	4.5		
28	استخدام برامج الترجمة الآلية	ت	7	13	1	3	1	3.88	5
		%	28.0	28.3	1.6	4.8	1.6		
29	قلة المقررات في الترجمة الآلية	ت	10	7	4	2	2	3.84	6
		%	40.0	12.7	6.6	3.2	3.1		
30	استخدام القوالب اللغوية (التعميم)	ت	7	7	4	4	3	3.44	10
		%	28.0	15.2	7.4	6.9	5.0		
المتوسط العام للمحور الثالث								3.80	

في هذا المحور، نلاحظ أن قلة المصادر الحاسوبية المترجمة في تخصص اللغة الفرنسية هي العنصر الأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في ذلك التخصص (أعلى متوسط 4.4). كما أن قلة المناهج المتخصصة وعدم الإلمام بوظائف الحاسب تأتي بعد ذلك مباشرة. أما تعود المستخدم على التعامل باللغة الإنجليزية في مجال الحاسب الآلي فلا يمثل أهمية كبرى لدى الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفرنسية (3.04 أقل متوسط). أما من حيث

وزن هذا المحور مقارنة بالمحورين السابقين، فنجد أن هذا المحور هو الأكثر تأثيرا (متوسط عام 3.80)، وهو ما يتوافق مع الوضع في اللغة الإنجليزية كما ورد آنفا.

3. اللغة الأسبانية

المحور الأول: الإشكالات المرتبطة بالقواميس

جدول رقم (7): أراء طلاب تخصص اللغة الأسبانية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الأول (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	القواميس احادية اللغة	ت	13	7	3	2		4.24	2
		%	52.0	10.9	4.4	2.9			
2	تعدد التعريفات في القاموس	ت	5	13	4	2	1	3.76	5
		%	20.0	32.5	6.7	3.2	1.6		
3	عدم التحديث للقاموس	ت	2	16	4	2	1	3.64	6
		%	8.0	51.6	6.0	2.9	1.4		
4	عدم التخصص الكمي	ت	4	3	14	4		3.28	7
		%	16.0	8.1	33.2	6.5			
5	عدم التخصص النوعي	ت	12	4	4	3	2	3.84	4
		%	48.0	6.6	6.3	4.6	3.0		
6	الاقتصار على المعنى الحرفي	ت	10	10	2	2	1	4.04	3
		%	40.0	18.2	3.2	3.1	1.5		
7	قلة المصطلحات المركبة	ت	9	16				4.36	1
		%	36.0	30.8					
8	عدم الشمولية	ت		14	6	5	2	3.19	8
		%		51.9	9.3	7.3	2.8		
المتوسط العام للمحور الأول								3.79	

في هذا المحور، نجد إن قلة المصطلحات المركبة في القواميس هي العقبة الأولى التي تواجه الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الأسبانية (4.36 أعلى متوسط)، ثم يلي ذلك القواميس أحادية اللغة، وهو ما يتوافق مع الوضع في اللغة الإنجليزية وفي اللغة الفرنسية كما أشرنا إلى ذلك آنفا. أما اقتصار القاموس على المعنى الحرفي، فهي الإشكالية التي نجدها بارزة في تخصص اللغة الأسبانية، حيث أحتلت المركز الثالث (متوسط 4.04)، وهي الإشكالية التي لم تكن بارزة في التخصصين السابقين. ونلاحظ أخيرا أن عدم شمولية القواميس في اللغة الأسبانية لا

تمثل إشكالية جوهرية لدى الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الأسبانية. أخيرا، هذا المحور هو الأقل تأثيرا (المتوسط العام 3.79) من المحورين الآخرين في هذا التخصص.

المحور الثاني: الإشكالات للغوية

جدول رقم (8): أراء طلاب تخصص اللغة الاسبانية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثاني (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
9	الاسماء المركبة	ت	6	13	3	2	1	3.84	7
		%	24.0	30.2	5.0	3.2	1.6		
10	الأفعال المركبة	ت	3	14	3	4	1	3.56	9
		%	12.0	41.2	4.9	6.3	1.5		
11	الاختصارات	ت	5	9	4	3	4	3.32	11
		%	20.0	22.5	7.5	5.3	6.8		
12	عدم وجود مقابل عربي	ت	10	10	3	1	1	4.08	5
		%	40.0	18.2	4.7	1.5	1.5		
13	الاسماء التجارية	ت	5	12	8			3.88	6
		%	20.0	30.0	13.8				
14	المصطلحات الحديثة جدا	ت	5	5	13	2		3.52	10
		%	20.0	12.5	27.4	3.2			
15	مصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية)	ت	10	10	3	2		4.12	4
		%	40.0	18.2	4.7	3.1			
16	اختلاف نظام التشغيل (عربي)	ت	17	4	4			4.52	1
		%	68.0	5.3	5.2				
17	اختلاف السياق	ت	11	9	4	1		4.2	2
		%	44.0	15.5	6.2	1.5			
18	الاستخدام المجازي	ت	9	11	5			4.16	3
		%	36.0	21.2	8.0				
19	الترادف ضمن مجال الحاسب نفسه	ت	3	15	2	4	1	3.6	8
		%	12.0	44.1	3.2	6.2	1.5		
المتوسط العام للمحور الثاني								3.89	

يوضح الجدول أعلاه أن اختلاف السياق يعد الإشكالية الأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب في اللغة الأسبانية (4.16 أعلى متوسط)، ويأتي الاستخدام المجازي في المرتبة التي تلي ذلك (4.2). وتأتي بقية المتغيرات في المراتب التي تلي ذلك، غير أن الاختصارت مثلا

تعد هي الإشكالية الأقل تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الأسبانية. وبناء على ذلك، يمكننا القول أن الأختصارات هي ظاهرة مرتبطة باللغة الإنجليزية أكثر من أي لغة أخرى، وبالتالي فإن تأثيرها في اللغات الأخرى يكاد يكون معدوما.

المحور الثالث: الإشكالات المرتبطة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

جدول رقم (9): أراء طلاب تخصص اللغة الاسبانية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثالث (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
20	تعريفات المنتديات	ت	3	16	5	1		3.84	4
		%	12.0	47.1	7.7	1.5			
21	قلة المناهج المتخصصة	ت	3	17	4		1	3.84	5
		%	12.0	50.0	6.0		1.4		
22	قلة المصادر الحاسوبية المترجمة	ت	6	6	13			3.72	7
		%	24.0	14.0	25.5				
23	خصوصية النصوص (البرمجة)	ت	3	14	4	4		3.64	8
		%	12.0	41.2	6.5	6.3			
24	قلة شروحات البرامج باللغة العربية على الانترنت	ت	2	15	4	4		3.6	9
		%	8.0	48.4	6.2	6.0			
25	تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية	ت	5	17	3			4.08	3
		%	20.0	42.5	4.6				
26	ترجمة المتخصصين في الحاسب (غير اللغويين	ت	13	8	2	2		4.28	2
		%	52.0	12.5	2.9	2.9			
27	عدم الإلمام بوظائف الحاسب	ت	15	7	3			4.48	1
		%	60.0	10.0	4.1				
28	استخدام برامج الترجمة الآلية	ت	5	4	4	12		3.08	11
		%	20.0	10.0	8.7	23.7			
29	قلة المقررات في الترجمة الآلية	ت	5	13	4	3		3.8	6
		%	20.0	32.5	6.7	4.8			
30	استخدام القوالب اللغوية (التعميم)	ت	3	9	11	2		3.52	10
		%	12.0	26.5	21.4	3.2			
المتوسط العام للمحور الثالث								3.81	

في هذا المحور، أتى عدم الإلمام بوظائف الحاسب في المرتبة الأولى من حيث الصعوبة التي يواجهها الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي (4.48 أعلى متوسط)، وهذا ربما يعزى إلى ضعف إلمام الطلاب في هذا التخصص بوظائف الحاسب الآلي. وقد أتت ترجمة المتخصصين في

الحاسب (غير اللغويين) في المرتبة التي تلي ذلك من حيث الصعوبة، ثم تعود المستخدمين على التعامل باللغة الإنجليزية (بدلا من الأسبانية –مثلا) عند استخدام الحاسب الآلي. اما استخدام برامج الترجمة الآلية، واستخدام أسلوب التعميم في عملية الترجمة فليس لهما تأثير كبير في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الأسبانية (3.52، 3.08). ونلاحظ أن هذا المحور هو المحور الأكثر أهمية بين المحاور الثلاثة (3.81 المتوسط العام)، وهو ما يتفق مع اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

4.اللغة التركية

المحور الأول: الإشكالات المرتبطة بالقواميس

جدول رقم (10): أراء طلاب تخصص اللغة التركية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الأول (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	القواميس احادية اللغة	ت	14	6	3	2		4.28	2
		%	56.0	9.0	4.3	2.8			
2	تعدد التعريفات في القاموس	ت	3	17	2	2	1	3.76	5
		%	12.0	50.0	3.0	2.9	1.5		
3	عدم التحديث للقاموس	ت	3	15	4	2	1	3.68	6
		%	12.0	44.1	6.3	3.1	1.5		
4	عدم التخصص الكمي	ت	3	15	4	1	2	3.64	7
		%	12.0	44.1	6.3	1.5	3.0		
5	عدم التخصص النوعي	ت	6	19				4.24	4
		%	24.0	44.2					
6	الاقتصار على المعنى الحرفي	ت	17	5	1	1	1	4.44	1
		%	68.0	6.6	1.3	1.3	1.3		
7	قلة المصطلحات المركبة	ت	13	7	4	1		4.28	2
		%	52.0	10.9	5.9	1.4			
8	عدم الشمولية	ت	3	10	10	1	1	3.52	8
		%	12.0	29.4	18.7	1.6	1.6		
المتوسط العام للمحور الأول								3.98	

نلاحظ في الجدول أعلاه أن الاقتصار على المعنى الحرفي بعد ألإشكالية الأكثر أهمية لدى الطلاب عند ترجمة النصوص التقنية في اللغة التركية (4.44 أعلى متوسط)، وربما يعزى ذلك إلى قلة التعريفات والشروحات في القواميس بين التركية والعربية. ونلاحظ أيضا أن قلة المصطلحات

المركبة في تلك القواميس يمثل صعوبة أمام الطلاب، حيث جاءت هذه الإشكالية في المركز الثاني. أما عدم شمولية القواميس، فيبدو أنها الإشكالية الأقل تأثيرا في ترجمة نصوص الحاسب الآلي في تخصص اللغة التركية (3.52 اقل متوسط). ويعتبر هذا المحور (محور القواميس) هو الأكثر تأثيرا مقارنة بالمحورين الآخرين، وكذلك مقارنة ببقية اللغات التي أستعرضناها آنفا.

المحور الثاني: الإشكالات للغوية

جدول رقم (11): أراء طلاب تخصص اللغة التركية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثاني (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
9	الاسماء المركبة	ت	5	15	2	2	1	3.84	4
		%	20.0	37.5	3.2	3.1	1.5		
10	الأفعال المركبة	ت	2	16	4	1	2	3.6	10
		%	8.0	51.6	6.0	1.5	2.9		
11	الاختصارات	ت	3	12	9	1		3.68	9
		%	12.0	35.3	15.7	1.6			
12	عدم وجود مقابل عربي	ت	5	12	7	1		3.84	5
		%	20.0	30.0	12.1	1.6			
13	الاسماء التجارية	ت	2	19	2	2		3.84	6
		%	8.0	61.3	2.7	2.7			
14	المصطلحات الحديثة جدا	ت	3	11	9	1	1	3.56	11
		%	12.0	32.4	16.3	1.6	1.6		
15	مصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية)	ت	4	18	1	1	1	3.92	3
		%	16.0	48.6	1.5	1.5	1.5		
16	اختلاف نظام التشغيل (عربي)	ت	2	20	1	1	1	3.84	7
		%	8.0	64.5	1.3	1.3	1.3		
17	اختلاف السياق	ت	4	18	1	1	1	3.92	2
		%	16.0	48.6	1.5	1.5	1.5		
18	الاستخدام المجازي	ت	7	14	4			4.12	1
		%	28.0	30.4	6.4				
19	الترادف ضمن مجال الحاسب نفسه	ت	4	16	2	2	1	3.8	8
		%	16.0	43.2	3.1	3.1	1.5		
المتوسط العام للمحور الثاني								3.81	

نلاحظ في الجدول أعلاه أن الاستخدام المجازي يمثل العنصر الأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة التركية من وجهة نظر الطلاب (4.12 أعلى متوسط). يلي

ذلك اختلاف السياق، ثم مصطلحات الحواسيب غير الشخصية (3.92). بينما نجد أن العناصر الآخرى مثل الاسماء المركبة والأفعال والاختصارات تأتي في مراتب أقل أهمية، ويعزى ذلك إلى أن التركيب اللغوي في اللغة التركية يختلف جذريا عن التركيب في اللغات التي سبق تحليلها. ومن هنا نجد –على سبيل المثال – بأن الأفعال المركبة لا تمثل إشكالية في اللغة التركية إذ جاءت في المرتبة العاشرة (3.6). وأخيرا فإن قضايا المصطلحات الحديثة جدا لا تشكل صعوبة أمام الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة التركية (3.56 أقل متوسط).

المحور الثالث: الإشكالات المرتبطة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

جدول رقم (12): أراء طلاب تخصص اللغة التركية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثالث (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
20	تعريفات المنتديات	ت	3	13	9			3.76	11
		%	12.0	38.2	15.2				
21	قلة المناهج المتخصصة	ت	2	19	2	2		3.84	8
		%	8.0	61.3	2.7	2.7			
22	قلة المصادر الحاسوبية المترجمة	ت	7	7	11			3.84	8
		%	28.0	15.2	20.3				
23	خصوصية النصوص (البرمجة)	ت	7	8	10			3.88	6
		%	28.0	17.4	18.1				
24	قلة شروحات البرامج باللغة العربية على الانترنت	ت	6	16	1	1	1	4	4
		%	24.0	37.2	1.6	1.5	1.5		
25	تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية	ت	4	15	3	3		3.8	10
		%	16.0	40.5	4.8	4.7			
26	ترجمة المتخصصين في الحاسب (غير اللغويين)	ت	3	22				4.12	3
		%	12.0	64.7					
27	عدم الإلمام بوظائف الحاسب	ت	3	18	2	2		3.88	6
		%	12.0	52.9	2.9	2.9			
28	استخدام برامج الترجمة الآلية	ت	10	14	1			4.36	1
		%	40.0	25.5	1.5				
29	قلة المقررات في الترجمة الآلية	ت	4	18	1	1	1	3.92	5
		%	16.0	48.6	1.5	1.5	1.5		
30	استخدام القوالب اللغوية (التعميم)	ت	6	19				4.24	2
		%	24.0	44.2					
المتوسط العام للمحور الثالث								3.97	

يوضح الجدول أعلاه أن استخدام برامج الترجمة الآلية يمثل العنصر ألأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة التركية (4.63)؛ وربما يعزى ذلك إلى قلة برامج الترجمة الآلية من وإلى اللغة التركية، فضلا عن الاختلاف في التركيب اللغوي الذي أشرنا له في المحور السابق. وتأتي إشكالية استخدام القوالب اللغوية العامة في المرتبة التي تلي ذلك (4.24)، ثم إشكالية ترجمة غير المتخصصين (4.12). أما العناصر الأقل تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب في اللغة التركية فهي تعريفات المنتديات (3.76)، و تعود الطلاب على استخدام اللغة الإنجليزية عند التعامل مع الحاسب الآلي (3.8).

5.اللغة الفارسية

المحور الأول: الإشكالات المرتبطة بالقواميس

جدول رقم (13): أراء طلاب تخصص اللغة الفارسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الأول (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	القواميس احادية اللغة	ت	15	6	2	2		4.36	1
		%	60.0	8.6	2.8	2.7			
2	تعدد التعريفات في القاموس	ت	11	5	9			4.08	2
		%	44.0	8.6	14.6				
3	عدم التحديث للقاموس	ت	7	8	10			3.88	6
		%	28.0	17.4	18.1				
4	عدم التخصص الكمي	ت	7	10	7	1		3.92	5
		%	28.0	21.7	12.1	1.6			
5	عدم التخصص النوعي	ت	7	14	3	1		4.08	2
		%	28.0	30.4	4.8	1.6			
6	الاقتصار على المعنى الحرفي	ت	8	12	3	2		4.04	4
		%	32.0	24.5	4.9	3.2			
7	قلة المصطلحات المركبة	ت	4	14	7			3.88	6
		%	16.0	37.8	11.5				
8	عدم الشمولية	ت	5	5	13	1	1	3.48	8
		%	20.0	12.5	27.4	1.6	1.6		
	المتوسط العام للمحور الأول							3.97	

تشير النتائج في هذا المحور إلى أن القواميس أحادية اللغة تمثل العنصر ألاكثر أهمية في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية (4.36 أعلى متوسط)، وهو ما تتفق فيه اللغة الفارسية مع معظم اللغات التي تطرقنا لها. ويأتي تعدد التعريفات في القاموس في المرتبة

التي تلي ذلك (4.08). أما عدم شمولية القاموس في اللغة الفارسية، فلا يعد ذا أهمية بالغة في ترجمة نصوص الحاسب الآلي (3.48 أقل متوسط)، وهذا ربما يعزى إلى اللغات التي تستقبل نصوص الحاسب الآلي من لغات أخرى مثل الإنجليزية قد لا تستطيع إفراد قاموس متخصص في الحاسب، بل تنزع إلى القواميس أحادية اللغة كما أشرنا. ويتضح أن هذا المحور (محور القواميس) هو المحور ألأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية، حيث بلغ المتوسط العام للمحور 3.97، وهو المتوسط الأعلى مقارنة بالمحورين التاليين.

المحور الثاني: الإشكالات للغوية

جدول رقم (14): أراء طلاب تخصص اللغة الفارسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثاني (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
9	الاسماء المركبة	ت	8	8	8	1		3.92	3
		%	32.0	16.3	14.0	1.6			
10	الأفعال المركبة	ت	9	6	9	1		3.92	2
		%	36.0	11.5	15.6	1.6			
11	الاختصارات	ت	12	6	6	1		4.16	1
		%	48.0	9.8	9.3	1.5			
12	عدم وجود مقابل عربي	ت	6	9	9	1		3.8	8
		%	24.0	20.9	16.4	1.6			
13	الاسماء التجارية	ت	4	14	4	2	1	3.72	9
		%	16.0	37.8	6.6	3.2	1.5		
14	المصطلحات الحديثة جدا	ت	5	12	7	1		3.84	6
		%	20.0	30.0	12.1	1.6			
15	مصطلحات الحواسيب الكبرى (غير الشخصية)	ت	6	13	3	2	1	3.84	7
		%	24.0	30.2	5.0	3.2	1.6		
16	اختلاف نظام التشغيل (عربي)	ت	6	5	2	10	2	3.12	11
		%	24.0	11.6	4.0	19.4	3.3		
17	اختلاف السياق	ت	12	5	2	6		3.92	5
		%	48.0	8.2	3.1	9.2			
18	الاستخدام المجازي	ت	3	10	12			3.64	10
		%	12.0	29.4	22.5				
19	الترادف ضمن مجال الحاسب نفسه	ت	10	4	10	1		3.92	4
		%	40.0	7.3	17.2	1.5			
المتوسط العام للمحور الثاني								3.80	

تشير النتائج في هذا المحور إلى أن الأختصارات التي تزخر بها نصوص الحاسب الآلي تمثل الإشكالية الأكثر تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية (4.16 أعلى

متوسط). وربما يعزى ذلك إلى اللغة الفارسية من اللغات التي لا تنزع إلى استخدام الاختصارات مثلها في ذلك مثل اللغة العربية، ومن هنا أتت صعوبة التعامل مع الاختصارات في نصوص الحاسب الآلي. وتأتي الأفعال المركبة ثم الأسماء المركبة في المراتب التي تلى ذلك، وهذا يعود إلى اختلاف تركيب اللغة الفارسية عن اللغة الأصلية التي أتت منها هذه النصوص (غالبا اللغة الإنجليزية). أما أختلاف نظام التشغيل في الأجهزة، وكونه باللغة العربية فلا يمثل أهمية كبرى في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية (3.12 أقل متوسط).

المحور الثالث: الإشكالات المرتبطة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

جدول رقم (15): أراء طلاب تخصص اللغة الفارسية حول الإشكالات المرتبطة بالمحور الثالث (التكرار والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي)

م	الإشكالية		موافق بشدة	موافق	لا أدري	غير موافق	غير موافق إطلاقاً	المتوسط الحسابي	الترتيب
20	تعريفات المنتديات	ت	6	15	2	2		4	1
		%	24.0	34.9	3.2	3.1			
21	قلة المناهج المتخصصة	ت	6	14	3	2		3.96	2
		%	24.0	32.6	4.9	3.2			
22	قلة المصادر الحاسوبية المترجمة	ت	7	7	9	1	1	3.72	6
		%	28.0	15.2	16.6	1.6	1.6		
23	خصوصية النصوص (البرمجة)	ت	4	9	12			3.68	7
		%	16.0	24.3	22.9				
24	قلة شروحات البرامج باللغة العربية على الانترنت	ت	3	17	2	3		3.8	4
		%	12.0	50.0	3.0	4.4			
25	تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية	ت	3	12	3	7		3.44	9
		%	12.0	35.3	5.2	11.8			
26	ترجمة المتخصصين في الحاسب (غير اللغويين)	ت	4	13	6	2		3.76	5
		%	16.0	35.1	10.1	3.2			
27	عدم الإلمام بوظائف الحاسب	ت	3	9	9	2	2	3.36	10
		%	12.0	26.5	17.5	3.3	3.3		
28	استخدام برامج الترجمة الآلية	ت	4	14	7			3.88	3
		%	16.0	37.8	11.5				
29	قلة المقررات في الترجمة الآلية	ت	4	8	12		1	3.56	8
		%	16.0	21.6	23.7		1.6		
30	استخدام القوالب اللغوية (التعميم)	ت	3	4	9	5	4	2.88	11
		%	12.0	11.8	21.5	9.2	6.8		
المتوسط العام للمحور الثالث								3.64	

نلاحظ أن تعريفات المنتديات في الانترنت المتعلقة بنصوص الحاسب الآلي واستخداماته تمثل العنصر الأكثر تأثيرا في خلق صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية (4 أعلى متوسط)، ويلي ذلك قلة المناهج المتخصصة في مقررات الحاسب الآلي، وعدم استخدام برامج للترجمة الآلية في تلك اللغة. أما عدم الإلمام بوظائف الحاسب الآلي من قبل الطلاب، أو استخدام القوالب اللغوية العامة فلا تمثل أهمية بالغة في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الفارسية كما تشير النتائج أعلاه (2.88 أقل متوسط). ويتضح أيضا أن هذا المحور (المحور الثالث) هو أقل المحاور تأثيرا مقارنة بالمحورين السابقين (المتوسط العام 3.64).

ثانيا: التحليل على مستوى جميع التخصصات

المحور الأول: جدول رقم (16): المتوسطات الحسابية في جميع التخصصات

التخصص	المتوسط
اللغة الاسبانية	3.79
اللغة الانجليزية	3.54
اللغة التركية	3.98
اللغة الفارسية	3.97
اللغة الفرنسية	3.63
المتوسط العام	3.78

أما على مستوى جميع التخصصات فنرى أن اللغة التركية حققت أعلى متوسط (3.98) في المحور الأول المتعلق بالمشكلات المرتبطة بالقواميس، يليها في ذلك اللغة الفارسية (3.97). وهذا يدل على أن هناك إشكالية حقيقية في القواميس التي تعنى بمصطلحات ونصوص الحاسب الآلي في هاتين اللغتين، إذ أن الطلاب يواجهون صعوبة في الترجمة بسبب هذه الإشكالية. ونلاحظ أن إشكالية القواميس لا تمثل عنصرا مهما في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الإنجليزية (3.54)، وهذا مرده إلى الثراء الواضح والمعروف في قواميس الحاسب الآلي في اللغة الإنجليزية، وتوفرها على الأنترنت، وتحديث مدخلاتها بشكل مستمر، وبالتالي فإن الطلاب لا يواجهون صعوبة حقيقية مرتبطة بالقواميس عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي من اللغة الإنجليزية.

المحور الثاني: جدول رقم (17): المتوسطات الحسابية في جميع التخصصات

التخصص	المتوسط
اللغة الاسبانية	3.89
اللغة الانجليزية	3.50
اللغة التركية	3.81
اللغة الفارسية	3.80
اللغة الفرنسية	3.47
المتوسط العام	3.69

أما في المحور الثاني، فنجد ان اللغة الأسبانية حققت أعلى متوسط (3.89) في المحور الثاني المرتبط بالإشكالات اللغوية، يليها في ذلك اللغة التركية ثم الفارسية (3.81 و 3.80)؛ وهذا دليل على أن اللغات الثلاث هي اللغات الأبعد في التركيب عن اللغة الأصلية لنصوص الحاسب الآلي (غالبا الإنجليزية. ونلاحظ أن اللغة الفرنسية التي تقترب من اللغة الإنجليزية نوعا ما، لا تمثل الإشكالات اللغوية فيها عنصرا مهما في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي. ونلاحظ أن هذا المحور هو أقل المحاور الثلاث صعوبة في جميع اللغات، إذ بلغ المتوسط العام 3.69، وهو أقل محور.

المحور الثالث: جدول رقم (18): المتوسطات الحسابية في جميع التخصصات

التخصص	المتوسط
اللغة الاسبانية	3.81
اللغة الانجليزية	3.52
اللغة التركية	3.97
اللغة الفارسية	3.64
اللغة الفرنسية	3.80
جميع اللغات	3.75

أما في المحور الثالث، فنجد ان اللغة التركية حققت أعلى متوسط (3.97) في المحور الثالث المرتبط بالجوانب المساندة في عملية الترجمة، بما يعنى أن صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة التركية تعود إلى جزئيا إلى الجوانب المساعدة في عملية الترجمة- تلك الجوانب التي تشمل توفر المصادر المتخصصة، وزيادة المقررات، وما إلى ذلك. وتأتي اللغة الأسبانية في الترتيب الثاني في هذا الخصوص (3.81)، ثم اللغة الفرنسية، ثم الفارسية. ونلاحظ أن المتوسطات التي حققتها اللغة الإنجليزية هي الأقل في جميع المحاور (3.54 في المحور الأول، 3.50 في المحور الثاني، وأخيرا 3.52 في المحور الثالث). وتفسير هذا الإنخفاض في مستوى صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الإنجليزية أن اللغة الإنجليزية لديها ثراء كبير في القواميس، والمصطلحات، وفي الخدمات المساندة لعملية الترجمة.

النتائج والتوصيات

نلاحظ أن عدم شمولية القواميس تخلق صعوبة لدى الطلاب عند التعامل مع نصوص الحاسب الآلي في بعض التخصصات ولكنها لا تعتبر عائقا فعليا في ترجمة نصوص الحاسب الآلي على مستوى التخصصات جميعا. و نلاحظ أن الإشكالية المرتبطة بعدم تحديث القواميس تعد مشكلة حقيقية في ترجمة نصوص الحاسب الآلي، وهو مايتفق مع حقيقة تدفق مصطلحات الحاسب الآلي بشكل يومي. ومن هنا فإنه يجب أن يتم اختيار قواميس شاملة لجميع مصطلحات الحاسب الألى، مع ضمان استمرار تحديثها بشكل دوري، وهذه هي أحدى التوصيات التي تقدمها هذه الدراسة.

وتعد قلة المصطلحات المركبة في القواميس هي العقبة الأولى التي تواجه الطلاب عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي في معظم التخصصات (غير الإنلجيزية). وفي الواقع أن الأسماء المركبة مثل (Hypertext)، تمثل صعوبة عند ترجمتها إلى العربية، وربما يعود ذلك إلى حقيقة أن اللغة العربية تعتمد على الإشتقاق قي توليد المصطلحات، بينما تعتمد اللغة الإنجليزية على التركيب. ومن هنا فإن اللغتين تقفان على طرفي نقيض في هذا الخصوص، وهو مأشرنا له في أدبيات هذا البحث. أما اختلاف السياق فربما يستحق مزيدا من البحث، إذ أننا نتوقع أن سياق النص في الحاسب الآلي، قد لا يختلف عن سياق النص في اللغة بشكل عام.ومما يثير الدهشة أن الأفعال المركبة في نصوص الحاسب الآلي مثل (sign up) لا تمثل صعوبة حقيقية عند ترجمة نصوص الحاسب على عكس الاسماء المركبة؛ وربما يعود ذلك إلى سهولة وضع المقابل العربي بكلمة واحدة. وبذلك يجب أولا إعطاء شرح مبسط للطلاب عن هذه الفروق اللغوية قبل البدء في عملية الترجمة، وتوضيح الاستراتيجيات التي يجب على الطالب وضعها في الحسبان عند التعامل مع المصطلحات المركبة، وفي سياقات متباينة، وهذه توصية أخرى تقدمها هذه الدراسة.

أما اقتصار القواميس على المعنى الحرفي فيمثل إشكالية في تخصص اللغات الأسبانية والتركية والفارسية. وربما يعزى ذلك إلى قلة التعريفات والشروحات في القواميس المتخصصة في تلك اللغات. ويلاحظ أن تعريفات وشروحات نصوص الحاسب الآلي التي يتم تدوالها عادة في منتديات الأنترنت تكون محيرة للطلاب أثناء ترجمة النصوص، وربما يعزى ذلك، لأن هذه التعريفات هي مجرد اجتهادات من المستخدمين العاديين للحاسب. كما أنأن الاختصارت مثلا تعد هي الإشكالية الأقل تأثيرا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في جميع التخصصات. وبناء على ذلك، يمكننا القول أن الأختصارات هي ظاهرة مرتبطة باللغة الإنجليزية أكثر من أي لغة أخرى. ولذلك يجب أن تحتوي قواميس الحاسب الآلي على شروحات وتعريفات عن الوظيفة الفنية للمصطلح، بالإضافة إلى المقابل الحرفي وهذه من أحدى التوصيات التي تقدمها هذه الدراسة.

وقد وجدنا أن إشكالية القواميس لا تمثل عنصرا مهما في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغة الإنجليزية، وهذا مرده إلى الثراء الواضح والمعروف في قواميس الحاسب الآلي في اللغة الإنجليزية، وتوفرها على الأنترنت، وتحديث مدخلاتها بشكل مستمر، وبالتالي فإن الطلاب لا يواجهون صعوبة حقيقية مرتبطة بالقواميس عند ترجمة نصوص الحاسب الآلي من اللغة الإنجليزية.

ويعد استخدام برامج الترجمة الآلية ذا تأثير بارز في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في بعض اللغات، وربما يعزى ذلك إلى قلة برامج الترجمة الآلية فيها، فضلا عن الاختلاف في التركيب اللغوي الذي أشرنا له سابقا. فقد وجدنا أن اللغة الأسبانية حققت أعلى متوسط (3.89) في المحور الثاني المرتبط بالإشكالات اللغوية، يليها في ذلك اللغة التركية ثم الفارسية (3.81 و3.80)؛ وهذا دليل على أن اللغات الثلاث هي اللغات الأبعد في التركيب عن اللغة الأصلية لنصوص الحاسب الآلي (غالبا الإنجليزية. ونلاحظ أن اللغة الفرنسية التي تقترب من اللغة الإنجليزية نوعا ما، لا تمثل الإشكالات اللغوية فيها عنصرا مهما في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي. وعليه فإن أحدى التوصيات التي تقدمها هذه الدراسة هي وجوب إعطاء جرعة كافية في المنهج عن استخدام برامج الترجمة الآلية عند التعامل مع نصوص الحاسب الآلي.

وأخيرا فإن الأختصارات التي تزخر بها نصوص الحاسب الآلي تلعب دورا بارزا في صعوبة ترجمة نصوص الحاسب الآلي في اللغات الفارسية والتركية والأسبانية. وربما يعزى ذلك إلى اللغة الفارسية-مثلا- من اللغات التي لا تنزع إلى استخدام الاختصارات مثلها في ذلك مثل اللغة العربية، ومن هنا أتت صعوبة التعامل مع الاختصارات في نصوص الحاسب الآلي. وفي هذا السياق، توصى الدراسة بضرورة وضع قاموس مفرد للأختصارات (Acronyms & Abbreviations) المرتبطة بنصوص الحاسب الآلي، بحيث يستطيع الطلاب التعرف على المصطلح كاملا قبل ترجمته.

Students' Perception of Problems Associated with Translating Computer-Related Texts

Saad Al-Hashash, *college of Languages and Translation, King Saud University, Saudi Arabia.*

Abstract

This study aims at exploring students' perception of problems associated with translating computer-related texts into five different languages. The problems are categorized into three groups: problems pertaining to dictionaries, problems pertaining to linguistics, and problems pertaining to resources. The subjects of this study were 125 male students enrolled in five different majors (English, French, Spanish, Turkish, and Persian) at the college of Languages and Translation, King Saud University, Saudi Arabia. The study reports important findings and presents new ideas that can be incorporated when teaching translation.

قدم البحث للنشر في 2007/1/24 وقبل في 2007/7/15

المصادر والمراجع

الحمزواي، محمد. (1992م). "نحو نظرية مصطلحية عربية". ندوة **استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات**. مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، جامعة الملك سعود (1998م). "مختصر البحوث لمؤتمر تعميم التعريب وتطوير الترجمة". مركز الترجمة، جامعة الملك سعود بالرياض.

الخوري، شحادة. (1989م). "**دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**". دار طلاس للنشر. دمشق.

القحطاني، سعد هادي. (2002م). "**التعريب ونظرية التخطيط اللغوي**". مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

القنيعير، حصة. (1997م). "**المصطلح الطبي والتقني**". رسالة دكتوراه. جامعة الملك سعود بالرياض.

Adams, V. (1973). *An introduction to Modern English Word-formation*, London, Longman.

Arnold, D. et al. (1998). '*Machine Translation: An Introductory Guide*'. Blackwell, Manchester & Oxford.

Bauer, M. (1983). *English Word-Formation*, Cambridge, Cambridge University Press.

Cannon, G. (1987). *Historical Change and English Word-Formation*, Bern, Peter Lang.

Cannon, G. (1989). "*Abbreviations and Acronyms in English Word-Formation*", American Speech 64:99-127.

Cannon, G. (1993): "Alphabet-based Word-creation." *Encyclopedia of Language and Linguistics*, Pergamon and Aberdeen University Press.

Chapelle, C. (1997). '*CALL in the year 2000: still in search of research paradigms?*' Language learning and technology 1/1: 19-43.

Collin, S.M.H. (1997). *Dictionary of Personal Computing and the Internet*, Teddington, PeterCollin.

Cooper, R. (1989). *Language Planning and Social Change*. New York,Cambridge University Press.

El-Mouloudi, A. (1986). *Arabic Language Planning*: the Case of Lexical Modernization Georgetown University, unpublished Ph. D. Dissertation.

Fox, G. (1998). 'The Internet: making it work in the ESL classroom'. *The Internet TESL Journal*, 4/9.

Jodal, Endre, (1995). '*Dicționar de Tehnică de Calcul Englez-Român*'. Editura Albastră, Cluj-Napoca, 1995.

Linder, D. (1999). "Translating Abbreviations from Technical Texts into English", *The American Translators Association Chronicle* 9, 53-59.

Macmillan English Dictionary For Advanced Learners, Macmillan Publishers Limited, 2002.

New Oxford Dictionary of English, Oxford University Press, 2001.

Newmark, Peter. (1998). '*A Textbook of Translation*'. Prentice Hall, New York, 1998.

Nord, C. (1991).*'Text Analysis in Translation*. Theory, Methodology, and Didactic Application of a Model for Translation-Oriented Text Analysis, translated from German by C. Nord e P. Sparrow, Amsterdam.

Pârlog, Hortensia şi Maria Teleagă Dicționar de Colocații Nominale Englez—Român, Ed. Mirton, Timişoara, 1999.

Porto, B. (1998) 'The Internet, E-mails and Foreign language teaching'. *ELT News & views*, *Supplement* 5.1: 11-15.

Renner, C. E. (1998). 'Learning to surf the net in the EFL classroom'. *ELT News & views*, *Supplement* 5.1: 11-15.

Rodríguez, F. (1991). "Translation and Borrowing of Acronyms: Main Trends." *International Review of Applied Linguistics* 29, 2, 161-170.

Rodríguez, F. and Cannon, G. (1994). "Remarks on the Origin and Evolution of Abbreviations and Acronyms." *English Historical Linguistics*. 113, 261-272.

Sager, J.C., Dungeon, D. and McDonald, P. (1980). *English Special Languages: principles and practice in science and technology*, Wiesbaden, Oscar Brandstetter Verlag.

Salaberry, R. (1999). 'CALL in the year 2000: still developing the research agenda'. *Language learning and technology* 3/1: 104-107.

Shuttlework, Mark (1999). '*Dictionary of Translation Studies*'. ST. Jerome Publishing, Manchester, UK, 1999.

Singhal, M. (1997). 'The Internet and foreign language education: benefits and challenges'. *The Internet TESL Journal* 3/6.

Skinner, B. & Austin, R. (1999). 'Computer conferencing – does it motivate EFL students ?'. *ELT Journal* 53/4: 270-279.

Teleoacă, Anca Irinel (2002). 'Computer Collocations and Computer Metaphors'. TE*SL Reporter*, 31.

Warschauer, M. (1996). *Computer-assisted language learning: an introduction*. In S. Fotos (Ed.), (pp.3-20). Tokyo: Logos International.

Warschauer, M. (1997). 'The Internet for English Teaching: guidelines for teachers'. *TESL Reporter*, 30/1: 27-33.

Websites:

http://translation2.paralink.com

http://world.altavista.com

http://worldlingo.com

http://www.accurapid.com/journal/27romania.htm

http://www.freetranslation.com

http://www.lai.com/glossaries.html

http://www.lexicate.com

http://www.polartext.com/online_dic.htm

http://www.reverso.net/textonly/default.asp

http://www.translationdirectory.com/article146.htm

http://www.translationdirectory.com/article229.htm

http://www.translationdirectory.com/article362.htm

http://www.translationdirectory.com/article591.htm

الملاحق

المحور الأول: الإشكالات المتعلقة بالقواميس والمعاجم

	موافق بشدة	موافق	لا ادري	غير موافق	غير موافق بشدة
1. يواجهني صعوبة في استخدام القواميس الالكترونية التي تقتصر على اللغة الانجليزية فقط.					
2. تكمن صعوبة ترجمة نصوص الحاسب في تعدد تعريفات المصطلح الواحد في القاموس.					
3. معظم المعاجم والقواميس لا تواكب التدفق السريع لمصطلحات الحاسب الحديثة.					
4. القواميس المتخصصة في الحاسب الآلي غير كافية من حيث الكم.					
5. لا يوجد قواميس مقتصرة على المصطلحات لأكثر استخداماً في مجال الحاسب الآلي والإنترنت.					
6. معظم قواميس الحاسب الآلي تعطي المعنى الحرفي للكلمة دون إعطاء شرح عن وظيفتها في الحاسب.					
7. لاتحتوي معظم قواميس الحاسب الآلي على عدد كاف من المصطلحات المركبة مثلRecovery-system.					
8. لا تتوفر جميع مصطلحات الحاسب الآلي في قاموس شامل واحد.					

المحور الثاني: الإشكالات اللغوية

	موافق بشدة	موافق	لا ادري	غير موافق	غير موافق بشدة
9. يواجهني صعوبة في فهم بعض الأسماء المركبة مثل Hot link لعدم وجود مقابل حرفي لها في العربية.					
10. يواجهني صعوبة في فهم بعض الأفعال المركبة مثل Sign Up.					
11. يواجهني صعوبة في فهم المصطلحات المختصرة في مجال الحاسب الآلي (Acronyms &abbreviations).					
12. يواجهني صعوبة في ترجمة المصطلحات الحاسوبية التي لا يوجد لها مرادف مناسب في اللغة العربية مثل (Hyperlink).					
13. يواجهني صعوبة في نقل المصطلحات التي تعد اسماً تجارياً أو علامة مسجلة إلى اللغة العربية.					
14. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات الحاسوبية الحديثة جداً مثل (Digitization)					
15. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات التي تستخدم في الحواسيب الكبرى (غير الشخصية).					
16. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات الحاسوبية عندما يكون نظام التشغيل في جهازي باللغة العربية.					
17. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات التي تختلف معانيها بحسب السياق.					
18. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات الحاسوبية التي تستخدم بشكل مجازي مثل Firewall.					
19. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض المصطلحات التي لها مرادف آخر ضمن مجال الحاسب الآلي نفسه.					

المحور الثالث: إشكالات متعلقة بالجوانب المساندة في عملية الترجمة

	موافق بشدة	موافق	لا ادري	غير موافق	غير موافق بشدة
20. يواجهني صعوبة في ترجمة المصطلحات التي تتعدد تعريفها في منتديات الانترنت.					
21. يواجهني صعوبة في ترجمة النصوص الحاسوبية بسبب قلة المناهج المخصصة لتدريس هذا الموضوع.					
22. يواجهني صعوبة في ترجمة النصوص الحاسوبية بسبب قلة المصادر المكتوبة استراتيجيات ترجمة نصوص الحاسب.					
23. يواجهني صعوبة في ترجمة النصوص الحاسوبية الموجهة للمبرمجين في مجالات الحاسب.					
24. يواجهني صعوبة في البحث عن شروحات نصوص الحاسب باللغة العربية على شبكة الانترنت.					
25. إن تعود المستخدم على التعامل باللغة الانجليزية تغني عن ترجمة نصوص الحاسب إلى اللغة العربية.					
26. يواجهني صعوبة في فهم النصوص التي قام بترجمتها متخصصون في الحاسب من غير اللغويين.					
27. يواجهني صعوبة في ترجمة بعض نصوص الحاسب الآلي لعدم معرفتي ببعض وظائف الحاسب.					
28. يواجهني صعوبة في استخدام برامج الترجمة الآلية في مجال الحاسب الآلي.					
29. المقررات الدراسية في مجال الترجمة الآلية قليلة جدا.					
30. أستخدم الكلمات العامة (التقريبية) عندما لا أجد المصطلح المناسب.					

الْمَبادِئُ الْمُؤَسِّسَةُ لِنَحْوِ العَرَبِيَّةِ النَصِّيِّ

"مُقارَبَةٌ في التُراثِ اللُغَويِّ"

أحمد أبودَلو *

ملخص

الْبَحْثُ مُحاوَلَةُ استِكْشافٍ في تُراثِ اللُغَوِيّينَ الْعَرَبِ ابْتِغاءَ تَبَيُّنِ مَلامِحِ "نَحْوِ الْعَرَبِيَّةِ النَصِّيِّ" بالْكَشْفِ عَنْ الْوَثائِقِ الشاهِدَةِ ، في نَظَرِيَّةِ النَحْوِ الْعَرَبِيِّ، عَلى إنْجازِ اللِسانِيَاتِ الْعَرَبِيَّةِ في مَجالِ تَأْسيسِ "نَحْوِ النَصِّ."

لَقَدْ قَدَّمَ اللُغَوِيّونَ العَرَبُ- وَهُمْ يَبْنونَ نَسيجَ نَظَرِيَّتِهِم في النَحْوِ- تَفْسيراتٍ دَقيقَةً مُتَّصِلَةً بِأَهَمِّ الْمَبادِئِ الَّتي يَتَأَسَّسُ عَلَيْها نَحْوُ النَصِّ (أَو اللِسانيّاتُ النَصِّيَّةُ) في الدِراساتِ اللُغَوِيَّةِ المُعاصِرَةِ.

وَعَلى ذلِكَ كانَ هَمُّ الدِراسَةِ الْوُقوفَ عَلى أَبْرَزِ الْقَضايا الْمُتَّصِلَةِ بنحوِ النَصِّ ممّا عالَجَهُ اللُغَوِيّونَ الْعَرَبُ بِفِكْرٍ مُغايِرٍ لِما تَتَضَمَّنُهُ مَبادِئُ نَحْوِ الجُمْلَةِ؛ فَاتَّخَذَتْ الدِراسَةُ، لِتَحْقيقِ ذلِكَ، مَنْهَجاً مُسْتَنِداً إلى قاعِدَتَيْنِ أَساسِيَّتَيْنِ في نَظَرِيَّةِ " نَحْوِ النَصِّ " :

الأولى: رَبْطُ النَصِّ الْمُنْجَزِ (أَو الظاهِر) لُغَوِيّاً بِمَقامِ النَصِّ أَو عالَمِهِ (السِياقِ الْمحيطِ بِالْنَصِّ).

الثانِيَة: تَفْسيرُ آلِيَاتِ التَرابُطِ أَو التَعالُقِ بَيْنَ الْجُمَلِ النُصوصِ (الجُمَلِ النَصِّيَّةِ) مِنْ الْمُسْتَوى التَرْكيبِيِّ الْواحِدِ. حَيْثُ تَخْتَزِلُ هاتانِ الْقاعِدَتانِ أَهَمَّ الْمَبادِئِ الَّتي يَتَأَسَّسُ عَلَيْها "نَحْوُ النَصِّ" في الدِراساتِ اللُغَوِيَّةِ الْمُعاصِرَةِ .

تَمْهيد: النَصُّ وَنَحْوُهُ

بِاسْتِقْراءِ أَهَمِّ الدِراساتِ المُهْتَمَّةِ بِعِلْمِ النَصِّ نَكادُ نَطْمَئِنُّ إلى تَقْريرِ أَنَّ الخُروجَ بِاتِّفاقٍ عَلى تَعْريفٍ جامِعٍ مانِعٍ لِلنَصِّ أَمْرٌ مُتَعَذِّرٌ وَمَسْأَلَةٌ غَيْرُ مَنْطِقِيَّةٍ مِنْ جِهَةِ التَصَوُّرِ اللُغَوِيِّ، وَمَعَ ذلك فَلا بُدَّ لِلْبَحْثِ مِنَ الذهابِ إلى مَواطِنِ التقاءِ تعريفاتِ اللِسانِيّين والمُهْتَمّينَ بِعِلْمِ النَصِّ لِهذا المُصْطَلَحِ لِتَجَنُّبِ الاستِقصاءِ الذي لا يخدمُ البَحْثَ ولا يَتَّسِعُ له المقامُ، ولِجَنْيِ مُحَصِّلَةٍ جامِعَةٍ لأهمِّ مَلامِحِ "النَصِّ" تصلحُ قاعِدَةً للبناءِ عَلَيْها؛ فضلاً عَنْ قيامِ دراساتٍ أُخرى بِتَحَمُّلِ عِبْءِ استقصاءِ تعريفاتِ "النَصِّ" ومُلاحَقَتِها على نَحْوٍ مِن التَفْصيلِ[1].

* قِسمُ الُغَةِ العَرَبيّةِ، جامِعَةُ اليَرموكِ، إربِد – الأُردنّ.

وَأَوَّلُ نقاطِ اللقاءِ التي يُطْمَأَنُّ لِلتَأْسيس عَلَيْها المَعاني اللُغَوِيّةُ التي تَتَّفِقُ على دَلالةِ الارتِفاعِ والظُهورِ؛ جاءَ في اللِسانِ[2]: "النَصُّ رَفْعُكَ الشَيْءَ. نَصَّ الحديثَ يَنُصُّهُ نَصّاً: رَفَعَهُ. وَكُلُّ ما أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ. وَوُضِعَ عَلى المنَصَّةِ، أَيْ على غايةِ الفَضيحَةِ والشُهْرَةِ والظُهورِ....، ونَصُّ كُلِّ شَيْءٍ مُنتهاهُ، ومِنهُ قيلَ: نَصَصْتَ الرجُلَ إذا استَقْصَيتَ مَسألَتَهُ عَنْ الشيءِ حَتّى تُخرجَ كُلَّ ما عندَهُ....، ومِنْهُ قَولُ الفُقَهاءِ: نَصُّ القُرْآنِ ونَصُّ السُنَّةِ، أَيْ ما دَلَّ ظاهِرُ لَفظِهما عَلَيْهِ مِن الأَحْكامِ".

أَمّا ما يَتَّصِلُ بِالمَفْهوم الاصْطِلاحيِّ لِلنَصِّ فَقَدْ أفادَ مِنْ فِكْرَةِ الظُهورِ أو البُروزِ التي قامَ عَلَيْها المَعنى اللِسانِيُّ وربط هذه الفكرة بالوظيفةِ التي يقومُ بها النَصُّ في سِياقِهِ لِتَأْسيسِ قاعِدَةِ المَفْهومِ العامِّ لِلنَصِّ. ولا بَأْسَ هُنا مِن الاستِعانةِ بِنَصٍّ نَحْوِيٍّ تُراثيٍّ يُمَثِّلُ، عَمَلِيّاً، إدْراكَ اللِسانِيِّ العَرَبيِّ لدلالةِ لَفْظَةِ (النَصِّ) عَلى الظُهورِ والوُضوحِ: "إذا كانَ المُبْتَدَأُ **نَصّاً** في القَسَمِ حُذِفَ الخَبَرُ"[3] و"يُحْذَفُ الخَبَرُ وُجوباً إذا عُطِفَ عَلى المُبْتَدَأِ اسمٌ بِواوٍ، وهي نَصٌّ في المَعِيَّةِ، نحوَ: كُلُّ رَجُلٍ وضَيْعَتَهُ، وكلُّ صانعٍ وما صَنَعَ"[4]. إنَّ فِكْرَةَ الظُهورِ والارتِفاعِ التي تُعَدُّ قوامَ مَفْهومِ النَصِّ، والتي ارتبطَ بِها مُصْطَلَحُ النَصِّ في التُراثِ اللُغَوِيِّ، قَدْ جَعَلَتْ الدرسَ اللِسانِيَّ الحديثَ يتوسَّلُ بها في فَهمِ إجراءِ "النَصِّ" في الاصْطِلاحِ على كائِنٍ لُغَوِيٍّ؛ فَهوَ يُطلَقُ عَلى "ما بِهِ يَظهَرُ المَعْنى؛ أي الشكلِ الصوتيِّ المَسموعِ مِن الكَلامِ أو الشكلِ المَرئِيِّ مِنْه عِندما يُتَرْجَمُ إلى المَكْتوبِ"[5]. وهذا الكَلامُ المُنْجَزُ نُطْقاً أو كِتابَةً لا بُدَّ، لِيكونَ نَصّاً، مِن تَحْقيقِهِ وَظيفَةَ الاتِّصالِ؛ أي لا بُدَّ مِن ارتِباطِهِ بالسِياقِ الذي يَجْعَلُ مِنْهُ مُفيداً مُهمّاً كانَ شَكْلُ بِنْيَتِهِ النِهائِيَّةِ (السَطْحِيَّةِ)؛ فَقَدْ يَكونُ النَصُّ المُنْجَزُ الظاهِرُ على السطحِ دونَ الجُمْلَةِ كاللفظِ المفردِ مثلاً، وقَدْ يَكونُ النَصُّ مُساوِياً في حَجْمِهِ الجُمْلَةَ، وقَدْ يَتجاوَزُ حُدودَها؛ كُلُّ ذلكَ يَكونُ نَصّاً إنْ ارتبطَ بالمَقامِ. ويَرى بعضُ الباحِثينَ أنَّ النَصَّ يُطلَقُ على "الوِحْداتِ اللُغَوِيّةِ ذاتِ الوظيفةِ التَواصُلِيَّةِ الواضحةِ التي تَحْكُمُها جُمْلَةٌ مِن المَبادِئِ، منها الانسِجامُ والتَماسُكُ والإخبارِيَّةُ" [6]. إنَّ الأَساسَ المُعْتَمَدَ، إذاً، في اتِّسامِ الكَلامِ المُنْجَزِ بالنَصِّيَّةِ هُوَ الوظيفةُ التَواصُلِيَّةُ التي يُحَقِّقُها بارْتِباطِهِ بِالمَقامِ، ومِن هُنا يَتَيَسَّرُ تَفْسيرُ التساؤلِ الذي يثيره الزَنّاد إذ يقول: "النَصّ يحتوي الجُمْلَة وما يفوقها وما هو دونها، فإذا ما حصلَ التطابقُ بينَ النَصِّ والجُمْلَةِ في الكمية، فلِقائِلٍ أنْ يَقولَ: ما الفائدةُ مِنْ نَحْوٍ آخرَ يَدرُسُ المَوْضوعَ نَفْسَهُ....، أَمّا إذا تَلَفَّظَ المُتَكَلِّمُ بما هُوَ دونَ الجُمْلَةِ وفُهِمَ عِندَ سامِعِهِ، فَيُطْرَحُ سُؤالٌ مِنْ نوعٍ آخرَ يَتَعَلَّقُ بآلياتِ ذلكَ الفهمِ ومفاتيحِهِ...، أَمّا إذا تلفَّظَ المُتَكَلِّمُ بما يَفوقُ الجُمْلَةَ الواحِدَةَ، وفُهِمَ عندَ سامِعِه، يُطْرَحُ سؤالٌ يتعلقُ بآلياتِ الفهمِ....، والمستوياتُ الثلاثةُ في دلالتِها ترتبطُ بالمقامِ ارتباطاً واحداً، وهذا الارتباطُ يَعتمدُهُ طَرفا التَواصُلِ في تَرْكيبِ الكَلامِ وتَحْليلِهِ..."[7]. هذا النَصُّ يَنْطَوي على مَبادِئَ مُهِمّةٍ في مَجالِ بَحْثِ "نَحْوِ النَصِّ" أَهَمُّها إشارَتُهُ إلى تَبايُنِ مجالِ كلٍّ مِنْ "نَحْوِ الجُمْلَةِ" و"نَحْوِ النَصِّ" مِنْ حَيْث مادّةُ كلٍّ مِنْهُما ومَهَمَّتَهُ، أَمّا أَكثَرُ هذِهِ المَبادِئِ وُضوحاً فَماثِلٌ في أَنَّ

الأساسَ الذي يَعتَمدُ عَلَيْهِ النَحْوُ الخاصُّ بالنَصِّ فَهْمُ السامعِ المُتَكَلِّمَ، مَهْما اخْتَلَفَ شَكْلُ النَصِّ وحَجْمُهُ، فَهْماً مُتَأَسِّساً عَلى المَقامِ الذي وَصَفَهُ القُدَماءُ بدِقَّةٍ وعَبْقَرِيَّةٍ بأنّه الإفادَةِ التي لا تَكونُ إلاّ في سِياقٍ تَواصُلِيٍّ.

وثَمَّةَ مَبْدأٌ مُهِمٌّ آخَرُ يَدْعونا النَصُّ إلى العِنايَةِ بِهِ يَتَمَثَّلُ في أنَّ التطابُقَ الظاهِرَ بَيْنَ الجُمْلَةِ والنَصِّ لَيْسَ حَقيقياً وإنَّما شَكْلِيٌّ؛ إذْ لا بُدَّ لِلنَصِّ، وإنْ كانَ مُساوِياً للجُمْلَةِ، أَنْ يَرْتَبِطَ بِنَصٍّ آخَرَ مِن المُسْتَوى نفسِهِ، أو أَنْ يَرْتَبِطَ النَصُّ المُنْجَزُ (الظاهِرُ) نَحْوِيّاً بسياقٍ خارجيٍّ أو نَصٍّ غائِبٍ، وليسَ شَيْءٌ مِن ذلكَ للجُمْلَةِ التي تُدْرَسُ العلاقاتُ بينَ عَناصِرِها في مُسْتَوى مُخْتَلِفٍ يخدمُهُ النَحْوُ المَعْروفُ بِنَحْوِ الجُمْلَةِ.

لَقَدْ توسَّعَ مجال البَحْثُ اللِسانِيُّ ليضُمَّ مَسائِلَ نَحْوِ النَصِّ انطِلاقاً مِنْ ضَرورَةِ التَحَرُّرِ مِنْ قُيودِ نَحْوِ الجُمْلَةِ والحاجَةِ إلى وَسائِلَ لَمْ يَتَضَمَّنْها تَضبِطُ التَرابُطَ في بِنيةِ النَصِّ وتُفَسِّرُ آليةَ التَعالُقِ بَيْنَ الجُمَلِ (النُصوص) المُتَتابِعَةِ المُتَساوِيَةِ في المُسْتَوى، وَهِي الأشْكالُ النَصِّيَّةُ التي جَرى إقْصاؤُها في الدَرْسِ اللُغَوِيِّ التَقْليدِيِّ الذي قامَ على الفَصْلِ بَيْنَ النَحْوِ، ومَجالُهُ الجُمْلَةُ، والبلاغَةِ، ومَجالُها النَصُّ؛ "فَكانَ "الوَصْلُ والفَصْلُ" و "الابتِداءُ والاستِئْنافُ" و"المَقامُ" حِكْراً عَلَيْها، وما خُروجُ النحاةِ إلى هذه القَضايا إلاّ ضَرورَةٌ"[8]، وهذه القضايا تُمَثِّلُ أهَمَّ الأشكالِ التي تُدْرَسُ الآنَ في إطارِ نَحْوِ النُصوصِ لأَهَمِّيَّةِ دَوْرِ المَعْنى والسياقِ فيها مِنْ جِهَةٍ، ولأَنَّ نَحْوَ الجُمْلَةِ، مِنْ جِهةٍ أُخرى، لَمْ يُقَدِّمْ تَفْسيراتٍ كافيَةً مُقنِعَةً لآلياتِ التَرابُطِ في كَثيرٍ مِنْ الظَواهِرِ التَرْكيبيّةِ نَحْوَ مَسائِلِ "الفَصْلِ والوَصْلِ" أو "الابتداءِ والاستئنافِ" أو الجملِ المُترابِطَةِ بلا روابطَ شَكْلِيَّةٍ وهي من مُسْتَوى تركيبيٍّ واحدٍ كالجُملِ التَفْسيريةِ أو المؤكِّدةِ، على سبيل المثال، من الجُمَلِ التي اكْتفى النُحاةُ بوَصفِها بالجُمَلِ التي لا مَحَلَّ لَها مِن الإعْرابِ.

إن معظم الدراسات اللُغَويّة الحديثة التي اتخذت من البَحْث في "نَحْو النَصّ" مَوضوعاً لها وانتقلت إليه موجهة انتقادها إلى نَحْو الجُمْلَة، لا تبتغي إلغاءَ قيمته أو مَحْوَ عظمةِ التُراث النَحْويّ الضخم واستبدال نحو آخر به[9]، بل إنها تُؤَكِّد أن نَحْو النَصّ إنما هو منهج آخر موازٍ لنَحْو الجُمْلَة مجاله النَصّ بوصفه الوحدة اللُغَويّة الكبرى، من خلال استكشاف زوايا متعددة في النَصّ أهمها الاتساق والانسجام وأدواتهما، والإحالة بوصفها عنصراً مهماً من عَناصِر بناء النَصّ وتَماسُكه، والسِياق النَصّي أو المقام وقناة الاتصال، وأطراف الحدث التَواصُلِيّ في النَصّ[10]. وبذلك فإن نَحْو النَصّ قد حددت له وظائف لا يتأتّى له إنجازها لو بقي منهج النَحْو مقيداً بحدود الجُمْلَة، رغم أن بعض الظواهر التي كانت تعالج في إطار النَصّ، بوصفه وحدة كبرى، شكلت الأساس لبحوث نَحْويّة سابقة كانت تعد الجُمْلَة أكبر وحدة في التحليل، غير أن نَحْو النَصّ اتجه إلى عَناصِر إضافية في التحليل ولجأ في تَفْسير النُصوص ودراستها إلى مَبادِئ دلالية ومنطقية مع

القواعد التركيبية ابتغاء صياغة قوانين ناظمة تحكم تَماسُك أجزاء النَصّ. المَسْأَلَة، إذاً، بين نَحْو الجُمْلَة ونَحْو النَصّ، أن الأول قد عرض لمَسائِل مُهِمّة متصلة بظواهر تركيبية نصية "بِشَكْلٍ منظم وفي إطار أهداف محددة، ولكن عندما اتسع مجال البَحْث بإدخال تصورات أكثر شمولية، صار من الضروريّ نقلُها إلى إطار نظريّةٍ كلّيّةٍ لا تتقيّد بحدود الأشكال المدروسَة"[11]. وكوّنتْ هذه التصورات المَبادِئ الأساسية لنَحْو النَصّ الذي يسعى، وفق أكثر التعريفات مباشرة وأقلها تشعباً[12]، إلى محاولة تَأْسيس مَبادِئ (أو قواعد) شَكْلِيّة لُغَويّة أو دلالية تحكم عملية انتظام متتالية من الجمل في نص ما. فنحوُ النَصِّ متّصِلٌ بنحو الجملة، إلاّ أنّ غياب الجوانب الدلاليّة والتواصلِيّة من النحو التقليديّ دفع علماء النصِّ إلى البحث عن صيغة يمكنها جمع تلك الجَوانِبِ[13].

التُراث اللُغَوِيّ ونَحْو النَصّ

لعلّ من نافلة القول الإشارَة إلى أن البَحْث لا يقصد بحال ما إلى إبطال نسب نَحْو النَصّ وارتباطه بالدراسات اللِسانِيّة الحديثة لإثبات نسبه إلى التُراث اللُغَوِيّ العَرَبِيّ، بل يبتغي مقاربة هذا التُراث لتجميع صورة مُتَّسِقة تظهر ملامح نحو آخر مغاير لنَحْو الجُمْلَة الذي تفرد بالعناية والدرس، بحيث تُمَثِّل أجزاء هذه الصورة مَبادِئ مؤسسة لنحو عَرَبِيّ مجاله أو مادته النَصّ لا الجُمْلَة، فالدِراسَة، إذاً، تُحاوِل الوقوف على إسهامات المتقدمين فيما يَتَّصِل بنَحْو النَصّ وفق ما يَرْتَبِط بهذا المُصْطَلَح الحديث من مفاهيم تؤلف بناءه. ومع أن التُراث اللُغَوِيّ العَرَبِيّ لم يخص هذا الموضوع بباب مستقل، وأنّ الإشارات المتصلة به تتعاون في تقديمها، دونما اتفاق، علوم لُغَوِيّة مُخْتَلِفَة؛ فإن الدِراسَة ارتأت استنطاق التراثَ النَحْوِيَّ بِشَكْلٍ خاصّ مع الإِشارَة إلى مَسائِل ضُمَّتْ، لغاياتٍ تنظيمية مَنْهَجِيَّة، إلى علم المعاني الذي يصلح بدوره أن يكون نموذجاً متكاملاً لنحو العَرَبِيّة النَصِي، ويُمَثِّل من وجهة نظر الباحث، مُسْتَوى متقدماً من النَحْو مجاله النَصّ. وقد لا يصح، عملياً، الفصل بين علم النَحْو، بمَفْهومه العامّ، وعلم المعاني، لِكَوْنِ الثاني يُمَثِّلُ مُسْتَوىً أعلى من مستويات الربط النَحْوِيّ. والعلمان، وإنْ اختلفا نظرياً، يكونان معاً صورة متكاملة لنسيج الدرس اللُغَوِيّ، وتُمَثِّل العَلاقَة بينهما إشكالية لدى الدارسين المحدثين. وثمة دِراسَة تحسن الإِشارَة إليها في هذا المجال، حاولت بحث هذه الإشكالية[14]، أَكّدَتْ أنّ العَلاقَة بين العلمين لم تكن ملبسة عند القُدَماءِ ولم تشكل عَلَيْهم، وأنّ المُتَأَمِّلَ في كلِّ بابٍ يجد أنّ هناك " تراسلاً بين النحاة وعلماء المعاني، فأعمالهم يكمل بعضها بعضاً، وليس أدلّ على ذلك من أن علماء المعاني أخذوا عن النحاة أهمّ أصل من أصول النَحْو، وهي مقولة (الأصل).... وهذا التآلف لا ينقض استقلالية كل علم في منحاه وهدفه وغايته ومفرداته"[15].

ويبدو أنَّ ضمان استقلال كل منها عن الآخر من القضايا الأساسية التي تمسك بها القُدَماءُ رغم إدراكهم أنهما يُمَثِّلان مستويين من مستويات النظام اللُغَوِيِّ وأنهما، كما وصفهما السكاكي (626هـ)، مُتَكامِلانِ يفتقر الفهمُ الكاملُ لأحدهما إلى فهم الآخر[16]. فنجدهم يجتهدون في وضع الحدود بينهما؛ فعلم النَحْو هو "أنْ تَنحوَ معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً"[17]، وعلم المعاني: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يَتَّصِل بها من الاستحسان وغيره، لتحترز بالوقوف عَلَيْها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[18]، فكل منهما مكمل للآخر وإن كان النَحْو أساساً لعلم المعاني والثاني متمم للأول كما يشير القُدَماءُ، إلا أن الأول ينطلق من المبنى إلى المعنى، والثاني ينطلق من المعنى مستقصياً التراكيب الموافقة التي تلبّي حاجات السياق والأحوال المُخْتَلِفَة. ويُؤَكِّد ابن الأثير (637هـ)، أن موضوع علم النَحْو "الألفاظ والمعاني" والنَحْو يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللُغَوِيّة، وموضوع "علم المعاني" الفصاحة والبلاغة ومصاحبة يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية[19].

إنَّ طَبيعةَ العَلاقَةِ التكامُليَّةِ بَينَ العِلمَيْنِ التي تَتَراوَحُ بَينَ الاتِّصالِ والانفِصالِ تُنْكِرُ وُقوعَ أَيِّ إِشكاليَّةٍ في هذه العَلاقَةِ وتُؤَكِّدُ إمكانيَّةَ دِراسَةِ كُلِّ مُسْتَوىً مستقلاً أو متكاملاً مع الآخر، ولَعَلَّ أهَمَّ ما يدعَمُ هذا الرأيَ الحقيقةُ الماثلةُ في تُراثِ القُدَماءِ التي تُؤَكِّد اعتمادَ علمِ المعاني، بلْ البلاغة، على النَحْوِ، وأَنَّ الدرسَ البَلاغِيَّ التَمَسَ بداياتِهِ مِنْ عِلْمِ النَحْوِ وأَنَّ صَرْحَ البَلاغَةِ تَأَسَّسَ عَلى جُهودِ النُحاةِ واللُغَوِيِّينَ. كَما أَنَّ أَهَمَّ أعلامِ البلاغة كانوا مِن النَحْوِيِّينَ، فعبدُ القاهرِ الجُرجانِيُّ (471هـ) صاحبُ أهمِّ أثرٍ بلاغيٍّ "دَلائِلِ الإعجازِ"، لَهُ في النَحْوِ: العواملُ المائةُ في النَحْوِ، والمُقْتَصِدُ في شَرْحِ الإيضاحِ والجُملِ في النَحْوِ، ونَجدُ تَرْجَمَته مع النحاة، فهو نَحْوِيّ وظف فهمه النَحْوِيّ الدقيق في صياغة نَظَرِيَّة النظم وعلوم المعاني التي تُمَثِّل مُسْتَوى متقدماً من النظام اللُغَوِيّ تجاوز الحدود التي وقف عندها النَحْو العَرَبِيّ بوصفه نحو جُمْلَة.

النحوُ العَرَبِيُّ نحوُ جُملَة

لا بُدَّ للدارس وهو يتعامَل مع التُراث النَحْوِيّ العَرَبِيّ من الاهتمام بالواقع الذي تأسس عَلَيْه كلام النحاة والغاية التي ارتبطت نشأته به، وهذا الفهم مهم لإدراك طبيعة الدرس النَحْوِيّ حتى "لا يحاكم النحاة بغير هذا المنحى ولا بغير هذه الغاية، وحتى لا تشكل عناية النَحْوِيّ بالتركيب ولا تلتبس بعناية البلاغي"[20] ولَقَدْ كان النحاة واضحين جداً في وصفهم وظيفة النَحْو اعتماداً على الغاية منه؛ ويُمَثِّل نص ابن جني (392هـ) الآتي تقييداً واضحاً لوظيفة الدرس النَحْوِيّ،

يقول:"ليلتحق من ليس من أهل اللغة العَرَبيَة بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"[21].

ومن طرف آخر نجدهم مدركين أن كل ما تجاوز الغاية التي أسسوا نحوهم عَلَيْها انتقل من النَحْو (نَحْو الجُمْلَة) إلى مجال آخر من الدرس اللُغَوِيّ، ويطالعنا في هذا الشأن نص ثمين لابن هشام(761هـ) لا يقبل التأويل، حينَ يؤَكِّدُ في كلامه على تقدير محذوف في الجُمْلَة أنّ: "الحذف الذي يلزم النَحْوِيّ النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خَبَراً بدون مُبْتَدأ، أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء، أو معطوفاً بدون معطوف عَلَيْه، وأمّا قَوْلُهُم في نَحْو:" **وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَني إسْرائيل**" أنّ التقدير: **ولَمْ تُعَبِّدْني**، فَفُضولٌ في فَنِّ النَحْو، وإنّما ذلك للمُفَسِّر، وكذا قولُهُمْ: يُحذَفُ الفاعِلُ لِعَظمتِهِ وحَقارَةِ المَفعولِ، أو بالعكس، أو لِلجَهلِ بِهِ أو للخوفِ عَلَيْهِ أو مِنْهُ أو نَحْو ذلكَ، فَإنَّه تَطَفُّلٌ مِنْهُمْ عَلى صِناعَةِ البَيان"[22]؛ فما اتَّصَلَ بغايَةٍ غَيْرِ الغايَةِ الأَصْلِيَّةِ التي وُضِعَ مِنْ أَجْلِها النَحْوُ عُدَّ فُضولاً وتَطَفُلاً مِنْ النَحْوِيِّ، وتَدَخُّلاً في عَمَلٍ لَيْسَ لَهُ. والنَصُّ، وإنْ قَطَعَ كُلَّ تَأْويلٍ أو احتِمالٍ في وظيفَةِ النَحْوِ التي قَرَّرَها النُحاةُ، يتضمن إشارَةً مُهِمَّة إلى مُسْتَوى آخر من النظام اللُغَوِيّ يتجاوز حدود نَحْو الجُمْلَة لكنه بالضرورة، يمر به أو يَتَأَسَّس عَلَيْه.

إنَّ النَحْو العَرَبِيّ، ككُلِّ نحو تَقْليدِيّ، ينتمي إلى نَحْو الجُمْلَة الذي قيد وظيفته داخل حدود الجُمْلَة التي يرى فيها أكبر وحدة لُغَوِيّة يحق له تحليلها، وليس يخفى أن فِكْرَة اختصاص النَحْوِ بالجُمْلَة قد سيطرت على صياغة القواعد في جميع لغات العالم في القَديم والحديث، وأنّ الاتجاه إلى "نَحْو النَصّ" أخذ يفرض وجوده مع بدايات النصْفِ الثاني من القرن العشرين بعد نشر "زيلينغ هارِس" (Zelling Harris) دراستين اكتستبا أَهَمِّيّة مَنْهَجِيّة في تاريخ اللِسانِيّات الحديثة، تحت عنوان تَحْليل الخِطابِ[23]، وعَلَيْه فإن توجه منهج اللِسانِيّات الحديثة إلى "نَحْو النَصّ" لا ينطوي على أي انتقاد أو تهمة يمكن أن توجه إلى التُراث النَحْوِيّ، ويُؤَكِّد "سعد مصلوح" أن التأكيد على ضرورة إنجاز نقلة مَنْهَجِيّة في دِراسَة النَصّ العَرَبِيّ باستخدام تقنيات "نَحْو النَصّ" بريء كل البراءة من "شبهة الرزاية[24] على التُراث النَحْوِيّ العَرَبِيّ، أو الإدلال على الأسلاف[25]، وإنما هو ثمرة إجلال لهم، واعتراف بعظمة جهودهم ورغبة صادقة في أن نعالج قضايا لغتنا في هذا العصر بمثل الجدية التي عالجها بها الأسلاف في عصرهم"[26]. غير أنه يرى أن مكمن الخطر في قضية النَحْو العَرَبِيّ عدم الإحساس بالحاجة إلى تحليل نَحْوِيّ لِلنُصوصِ رغم ما في هذه النقلة المَنْهَجِيّة من توجه لإخراج النَحْو العَرَبِيّ من حدوده الضيقة وارتباطه بغاية ضئيلة لا تليق به.

وفي السِياق نفسه يُقَدِّم مَصْلوح أساسين مهمين يوجهان الحكم على النَحْو[27]:

الأول: إن النَحْو ليس اللغة، فتطبيق منهج جديد على النَحْو لا يمكن أن يعني هدماً للغة لكنه يكشف عن خصائص علاقات ربما كانت خارجة عن سلطان الملاحظة والتسجيل.

والثاني: إن المشتغلين باللِسانِيّات العَرَبِيّة لا يبدءون من نقطة الصفر المنهجي لِأنَّ ذلك يعني، في هذه المقام، "إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللِسانِيّ المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العَرَبِيّة وأسرار تراكيبها، وذخائر تُراثها.."[28].

إنّ العلماء- منذ ابن مضاء (592هـ)- يجاهدون في سبيل الدعوة إلى معاودة النظر في النحو، ودعواتهم في معظمها نقيّة أساسها الإيمان بالحاجة إلى تطوير النظرية النحويّة العربيّة. ويشير "مصلوح" إلى هذه الجهود مع تهوينه من شأن معظم المحاولات التي تدعو لمراجعة النحو بأسماء مختلفة، كإصلاح النحو وإحيائه وتحريره ونقده وتهذيبه وتيسيره، وكذلك ما كان منها "نعتاً لصورة جديدة من صور النحو، يهدف الباحث إلى صياغتها ودعوة الناس إليها، مثل النحو "الجديد" و"المعقول" و"والواضح" "والمصفى"[29]. والظاهر أنّ ضعف قيمة هذه المحاولات آتٍ من تشبّثها بالتقعيد ليكون النحو أكثر انسجاماً مع غايته الأولى: تقويم اللسان أو إصلاح المنطق أو تجنب اللحن. ومع دلالة تلك المحاولات على شعور قوي بضرورة التغيير[30]؛ فإنّ النحو -بصورة عامّة- لم يفِد منها وظلّ يراوح مكانه داخل إطاره التعليمي المقيِّد محافظاً على صورته الأولى التي ولد بها وكانت وقتئذٍ متوافقة مع غايته وظروف نشأته. ولعلّ أكثر ما يعنينا في كلام "مصلوح" على رحلة نحو العربية من مستوى الجملة إلى مستوى النصّ أنّه- مع إجلاله للتراث اللساني العربي - يُقرّر أنّ النحو العربي لا يمتلك، بصورته المألوفة،منهج النحو النصّي، وأنّ ذلك متّصلٌ بما أطلق عليه: المعوقات المنهجية لنجاح استخدام النحو العربي في التحليل النحوي للنصوص[31] نوردها بإيجاز:

1- النحو العربي موضوع لتحليل الشواهد والأمثلة، ومعظم ذلك جمل مجتزأه أو مصنوعة، وثمة شواهد هي أخبار آحاد، أو آثار لهجات قديمة تداخلت ففتحت باباً لا يغلق للشذوذ والجواز، ما أضعف النحو[32].

2- اتّخذ النحو سمة تشريعية ذات طابع تعليمي معياري، ما قيّد قدرته على تحليل الظواهر اللغوية بمنأىً عن دائرة الصواب والخطأ، إلا ما تأثّر من كتب أصول النحو بعلوم الأصول ومصطلح الحديث كالمزهر للسيوطي[33].

3- استبعد النحو العربي فكرة التغير اللغوي، ورأى أنّ أيّاً من مظاهر التغير الحادثة لحناً اللغة بريئة منه، تسليماً بأنّ منتصف القرن الثاني الهجري يمثّل - على رأي الجمهور- الحدّ الذي يقف الاحتجاج عنده، وهذا الموقف يُعَدّ نقطة افتراق بين النحو العربي واللسانيات الحديثة التي تعترف بإمكان دراسة اللغة تزامنياً"Synchronic" أو تعاقبياً "Diachronic" إذ فكرة الزمانية من التصورات المنهجية الهامة لصياغة نحو النص، أما النحو العربي فهو لا زماني (Achronic)[34].

رابعاً: لم تعتنِ كتب النحاة بأمر السياق أو المقام في قواعد النحو إلاّ في حيزٍ هامشيٍّ، وظلّ هذا المنهج هو الغالب على دراساتهم منذ اتخذت صورتها المستقرة في القرن الرابع الهجري[35]. غير أنّ مصلوح يشير إلى التفاتات مهمّة في كتب المتقدمين من النحاة مثل "سيبويه" ساهمت في التقاء تياري البحث النحوي والدرس البلاغي ليتشكل منهما "علم المعاني" أو ما يمكن تسميته: النحو المقاميّ الذي يعدّ الجرجاني النحويّ(471هـ) واضع أصوله إحياءً لروح المعنى والحس والتذوق في علم النحو بعد أن "أجهز النحاة على كل هذا بتعليلاتهم وتحليلاتهم وحججهم الدائرة حول قضية الإعراب، فحولوه هدفاً أولاً وأخيراً" على حدّ كلامه[36].

ويرى "مصلوح" أنّ هذه المعوقات المنهجية تجعل من الموروث النحوي عاجزاً عن التعامل مع نحو النص، وأنّه افتقد خاصية النظامية المنهجية التي تعترف للغة بمستويات تحليلية ينهض يدرسها علم من علوم اللسان، "فكان من الطبيعي أن تغيب عنه فكرة تحديد العلاقة بين هذه المستويات ... "[37].

ورغم حكمه المطلق فإنه يعود ليستثني منه كتاب المفتاح للسكاكي (626هـ) الذي يراه نسيج وحده في الجمع بين مستويات البحث اللساني جمعاً على وجه التَدَرُّج واللزوم ما يؤهله أن يكون صيغة مناسبة نستعين بها لصياغة "نحو النص" العربي والدخول في حوارٍ منهجيٍّ مع الأسلوبيات اللسانيّة [38].وهذا من الناحية النظرية صحيحٌ بناء على ما قرّره "السكاكي" في مقدمة الكتاب، وبناء على أسلوبه في الجمع بين مستويات البحث اللساني جمع تَدَرُّجٍ ولُزومٍ، أمّا عمليّاً فإن "السكاكي" لم يُوفّق كثيراً في الربط بين تلك المستويات وتوظيف فائدة كل مستوى في الذي يليه،رغم تأكيده أن ذلك كان من أهم أهداف الكتاب [39].

المبادئ المُؤَسِّسَةُ لنَحْوِ النَصِّ وَنَظَرِيَّة النحوِ العربيِّ

تأسيساً على ما تقدّم وبموافقة "مصلوح" في معظم ما ذهب إليه وبتأكيد أنّ الدرس النحوي العربيّ رسم له النحاة إطاراً محدداً ومعالم واضحة، وأنّه يختلف في منهجه وغايته عن

"نحو النصِّ"، نستطيع اتخاذ منهج متوازن يبحث في التراث اللساني عن مبادئ تصلح أساساً لنحو العربية النصّيّ، اعتماداً على أنّ الموروث النحوي تضمن اشارات إلى الاكتفاء بالسياق التواصلي لتحقيق انسجام النصّ. ومراعاة المقام والغرض التواصلي بين المرسِل والمتلقّي، ما يُعدّ أهمّ أساسٍ في "نحوِ النَصِّ"(40).فضلاً عمّا قدّمه التراث النحويّ مِن تحليلات مهمة للتعالق بين أجزاء الجملة، ما يعَدّ أساساً لبحث نحو النص من مستوى الجملة وما دونها، من حيث الشكل، والمتواليات الجملية، وشروط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب، وأشكال السياقات الاكتفاء بعلم المخاطب وغير ذلك مما يتصل بربط النص المنجَز بالمقام، وغيرها من الظواهر التي يمكن البناء عليها في بحث نحو العربية النصّيّ.

وليس من شأن الدِراسَةُ هُنا أن تُعنى بِبَحْثِ شروط النَصِّيَّة، لكنها تنطلق من مُسَلَّمَةِ النَصِّيَّةِ هذه مُكْتَفِيَةً بأنْ يَكونَ النَصُّ المَقْصودُ في " نَحْوِ النَصِّ " ما كان كلاماً مُنْجَزاً في عمليةٍ تَواصُلِيَّةٍ ومحققاً الانسِجامَ بمراعاةِ المقامِ. أما أهم ما تعنى به فمتصل بما ورد في تُراثنا اللُغَوِيّ من كلام اللُغَويّين وتعليقاتهم على ربط النَصّ المُنْجَز (المتحقق على السطح)، أو بعضه، بسِياق خارج النَصّ مهما كان حجم ذاك النَصّ: جُمْلَة أم دونها أم فوقها (41)، ومهما كانت طبيعة هذا السِياق. وبالقَدْر نفسه ستهتم الدِراسَة بما أورده القُدَماءُ لتَفْسير آلية الربط بين جملتين (أو أكثر) من المُسْتَوى التركيبي نفسه (42). ومع أَهَمِّيَّة الكشف عَنْ مُنْجَزاتِ القُدَماءِ في مَجالِ تَأْسيسِ مَبادِئِ نَحْوِ النَصِّ مِنْ خِلالِ شُروحاتِهِم وتعليقاتهم، فثمة أَهَمِّيَّة أخرى لا تقل عنها تتجلى في إدراكهم الدقيق لشروط النَصِّيَّة فيما يَتَّصِل بصياغة النَصّ، كشرط التَرابُط بين العَناصِرِ المكونة لِلنَصِّ وبخاصّة الجمل، وفيما يَتَّصِل بكون النَصّ صيغة لُغَوِيّة مُنْجَزة بما يقتضيه الإنجاز من بيان القصد والفائدة ومراعاة المقام وأطراف العملية التَواصُلِيّة لتحقيق الانسِجام (43).

أما منهج الدِراسَة في عرض إسهامات اللُغَوِيّين العرب، فيستند إلى أساسين مهمين يُمَثِّل الأول ربط النَصّ المُنْجَز لُغَوِياً بما هو خارج النَصّ، أي مقام النَصّ أو سِياقه، قصد تَفْسيره أو توضيح وظيفته، ويُرادُ بالسِياقِ هنا: سِياق الحال وسِياق اللغة. أمّا الأساسُ الثاني فَمُتَّصِلُ بتوضيح آليات الربط بين النُصوص (الجمل) من المُسْتَوى التركيبي الواحد؛ أي أنّ الأول قائم على مبدأ الإحالة على سِياق خارج النَصّ، والثاني يقوم على مبدأ التَرابُط بين الجمل النُصوص.

وَتَجْدُرُ الإشارَةُ هُنا إلى أنَّ علماءَ النَصِّ المُعاصِرينَ يَعْتَنونَ كثيراً بالقضايا المتصلةِ بتحليلِ عَناصِرِ النَصِّ استناداً إلى عالَمِ خارجِ النَصِّ، وهو نوعُ من النَحْوِ ينْضَمُّ إلى غيرِهِ مِنْ "الأَنْحاءِ" التي تتعامَلُ مع النَصِّ، على اختلافِ كلٍّ منها في اتجاهاتِهِ وأصولِهِ التي يقومُ عَلَيْها، ويُسَمّيهِ البَعضُ: النَحْو التَفْسيريّ(44)، ووظيفَتُهُ تحليلُ عَناصِرِ النَصِّ (أو مكوّناتِهِ) وأوجه التَرابُط النَصّي

للمستويات المتعددة التي تؤثر في تشكيل النَصّ وانسجامه، وبحث العوامل المكوّنة لِلنَصِّ ووظائفها المُؤَسِّسَة للكلام وإدراج الكلام (النَصّ) في سِياقاتٍ ومقاماتٍ [45].

الأساسُ الأوَلُ: رَبْطُ النَصِّ المُنْجَزِ بالمَقامِ (السِياق المحيط بالنَصِّ):

أولاً: البناءُ على عالَمِ النَصِّ (السِياق المَقامِيّ)

يُكْثِرُ النُحاةُ في تَفْسيراتِهِمْ بَعْضَ التراكيبِ أو تَحْليلِ دلالاتِها النَحْوِيَّةِ مِن اللجوءِ إلى شرحِ السِياقِ المُحيطِ بالنَصِّ، أي أنَّهُمْ يَسْتَعينونَ، لتحقيقِ انسِجامِ النَصِّ، بسِياقٍ اجتماعيٍّ ليسَ جُزْءاً من التركيبِ النَصِّيِّ [46] ما يعدّ أساساً مهماً لدى علماء النص المعاصرين فيما يتصل بعلم لغة النص [47].

ونجد في "الكتابِ" أدلَّةً واضحةً على اعتمادِ سيبويه (180هـ) على القرائِنِ الحالِيّةِ أو الظروفِ المحيطةِ بالنَصِّ اللُغَويِّ، وبخاصّة في كلامه على حذف عَناصِر لُغَويّة من النَصّ اعتماداً على دلالات عَناصِر الموقف في تحقيق انسِجام النَصّ واستحضار المحذوف. ومن أهم الوثائق الشاهدة على وضوح الفِكْرَة عند سيبويه ما ذكره عن إمكانية حذف المُبْتَدأ مع بقاء الخَبَر اكتفاء بقرينة الحال المُرْتَبطَة بإحدى الحواسِّ، وذلك "أَنَّكَ رأيتَ صورةَ شخصٍ فصارَ آيةً لكَ على معرفةِ الشخصِ فقلتَ: عبدُ اللهِ وربّي، كأَنَّكَ قُلْتَ: ذاك عبدُ اللهِ، أو هذا عبدُ اللهِ، أو سمعتَ صوتاً فعرفتَ صاحبَ الصوتِ، فصارَ آيةً لكَ على معرفَتِهِ فقلتَ: زيدُ وَرَبّي، أو مَسَسْتَ جسداً أو شَمَمْتَ ريحاً فقلتَ: زيدُ أو المسكُ، أو ذُقْتَ طعاماً فقلتَ: العَسَلُ"[48]، أو "إذا رأيتَ رَجُلاً مُتَوَجِّهاً وِجْهَةَ الحاجِّ قاصِداً في هيئةِ الحاجِّ فقلتَ: مكَّةَ وَرَبِّ الكعبةِ، حيثُ زَكِنْتَ[49] أنَّهُ يُريدُ مَكَّةَ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: يُريدُ مكةَ واللهِ. ويجوز أَنْ تقولَ: مكةَ واللهِ، على قولِكَ: أرادَ مكةَ واللهِ...، أو رأيْتَ رجلاً يُسَدِّدُ سَهْماً قِبَلَ القِرْطاسِ، فَقُلْتَ: القرطاسَ واللهِ. أي يُصيبُ القرطاسَ، وإذا سمعتَ وقْعَ السهْمِ في القرطاسِ قلتَ: القرطاسَ واللهِ، أي أصابَ القرطاسَ[50].ويرى "سيبويه" أنَ كثرةَ الاستعمالِ عاملُ مُهِمُّ ساهَمَ في تَحَوّلِ بنِيَةِ النَصّ واستغنائِه عن جزء من التركيب لدلالة القرينة الحالية (سياق الحال) عليه[51].

ومن أمثلته ما أورده سيبويه في سِياقِ كلامِهِ على حَذْفِ المُبْتَدأ اكتفاءً بما يظهر من دلالة السِياق ومقتضى الحال عَلَيْه، وهي تُمَثِّل نوعاً من النُصوص التي جرت كالأمثال بين الناس وتكون في كل عصر بوصف اللغة ظاهرة اجتماعية؛ فمما أورده مستنداً في تَفْسيره على سِياق الحال قولهم:" مَنْ أَنْتَ زَيْدُ" أَيْ "مَنْ أَنْتَ كلامُكَ زَيْدُ" [52].

وقد أورد "ابن جنّي" في الخصائص بعض أمثلة "سيبويه" وأضاف أمثلة أخرى معلقاً بأن "المحذوف إذا دلت الدلالة عَلَيْه كان في حكم الملفوظ به" [53]، وأن "دلالة الحال عَلَيْه نابت مناب اللفظ به" [54]، أو بعبارة أخرى فإن سِياق الحال يقوم مقام النَصّ الغائب لبناء النَصّ أو تَفْسيره، من ذلك " قولهم لرجلٍ مُهْوٍ بسيفٍ في يده: زيداً، أي: اضرب زيداً، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به. وكذلك قولهم للقادم من سفر: خيرَ مقدمٍ...، أي قدمت من خير مقدم، وكان "رُؤْبَةُ" إذا قيل له: كيف أصبحْتَ؟ يقول: خَيْرٍ عافاك اللهُ، أي بخيرٍ، يحذف الباء لدلالة الحال عَلَيْها بجري العادة والعرف بها" [55]. والعرفُ والعادةُ وما جرى ببين الناس كالمثلِ عَناصِرُ مُهِمَّةٌ في تشكيلِ عالَمِ النَصِّ الذي يقوم طرفا الاتصال بالاستناد إليه عند إنتاج النَصِّ أو تلَقّيهِ؛ فالمُتَكَلِّمُ (المُرْسِلُ) يعتمد على السِياق الاجتماعي وقدرةِ المُخاطَبِ (المُتَلَقّي) على ملء العَناصِرِ الغائبة من النَصّ، وبالمقابل فإن المخاطب (المُتَلَقّي) يعتمد على السِياق الاجتماعي وافتراض أن النَصّ منسجم وأن هذا الانسِجام يتحقق باستحضار العَناصِرِ الغائبة من النَصّ. وكما يرى المبرد (285هـ)، فإنّ ما كان معلوماً في القول جارياً عند الناس يجوز حذفه لعلم المخاطب، ومثلُ هذا كثيرٌ في كلام العربِ[56].

التركيب النَصِّيُّ، إذاً، يُمكِنُ الاستغناءُ عن جزءٍ منه أو بعض أجزائه ولا يختلُّ انسِجام النَصّ الذي يعني، بصورة ما، تحقق التواصل أو حدوث تفاعل تام بين عَناصِرِ النَصّ أو أجزاء عالمه أو سِياقاته المتنوعة، وهذا بالضبط ما جاء به علماء النَصّ في كلامهم على عَلاقَة النَصّ بسِياقاته ضمن مقولاتهم في علم لغة النَصّ، وبخاصّة في مقولاتهم عن تحقق التَماسُك الدلالي، أي الوظائف التي تتشكل من خلالها مكونات عالم النَصّ [57].

إنَّ استنادَ النَحْوِيِّ في تَفْسيرِ النَصِّ اللُغَوِيِّ المُنْجَزِ عَلى عالَمِ النَصِّ أو سِياقِهِ (غيرِ اللُغَوِيِّ) ليس من قبيلِ البَحْثِ في التَماسُكِ التركيبيِّ لِلنَصِّ، إذ لا يَنْشَغِلُ أَيُّ مِن المُرْسِلِ أو المُتَلَقّي بملءِ الفراغاتِ التي تركها النَصُّ الغائِبُ لُغَوِيّاً بِقَدْرِ ما يَهْتَمُّ كلٌّ مِنْهُما بِانْسِجامِ النَصِّ، بارتباطه بسِياقه المحيط، من هنا يزداد تقديرنا لعلمائنا القُدَماءِ الذين أشاروا إلى هذه المَسائِل التي تبحث الآن في مُسْتَوى متقدم من مستويات "نَحْوِ النَصّ" لتجاوزها مُسْتَوى الربط بالسِياقات اللُغَوِيّة إلى مُسْتَوى الربط بالسِياقات غير اللُغَوِيّة.

لَقَدْ اشترط النحاة لتحقيق انسِجام النُصوص المفسرة، استناداً إلى سِياقات غير لُغَوِيّة، توافر عنصر المقبوليَّة الذي يَعْني تماماً إحداثَ التَفاعُل بين طَرَفَي الرِسالَةِ اللُغَوِيَّةِ: (المُرْسِلِ والمُتَلَقّي / المُتَكَلِّم والمخاطَب). ولذلك يشيرون في تَفْسيراتِهِمْ انسِجامَ تلكَ النُصوصِ إلى كثرةِ الاستعمال التي يعممونها في تَفْسيرِ كثيرٍ مِن أنواعِ الحذفِ النَحْوِيِّ، و"سيبويه" يُفْرِدُ لِهذا السببِ باباً خاصّاً: "ما حُذِف منه الفعل لِكثرتِهِ في كلامِهِم حتى صار بِمَنْزِلَةِ المَثَلِ" [58]، ونجده يفرد باباً لما

جرى من الأمر والنهي على إضمارِ الفعلِ المستعمل إظهاره إذا علمتَ أنّ الرجلَ مُستَغنٍ عن لَفظكَ بالفعلِ"[59]، من ذلك قول العربِ في مثَلٍ من أمثالهم: "اللهمّ ضَبعاً لا ذِئباً" إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل"[60]. ومنه قول العرب: "أمرَ مُبكِياتك لا أمر مُضحِكاتك.. و"الظباءَ على البقرِ" يقول: عليك أمر مبكياتك، وخَلِّ الظِباءَ على البَقَر"[61]، "ولو رأيت أناساً ينظرون لهلالٍ وأنت منهم بعيد فكبَروا لقلتَ: الهلالَ وربِّ الكعبةِ، أي: أبصروا الهلالَ"[62].

فهذه النُصوصُ، وما تقدّم مِنْ نُصوصٍ مُماثِلَةٍ، تُمَثِّلُ شواهِدَ واضِحةً على النُصوصِ المُنْجَزةِ في بِنىً سطحيةٍ غيرِ مكتملةٍ نَحْوِيّاً لكنّها مكتملةٌ دلالياً وهي ما يُسَمّيهِ علم لغةِ النَصِّ "النَصّ الأقل من الجُمْلَة"، غير أن خطورة هذه النُصوص تكمن فيما أحاط بها من تحليلات دقيقة للنحاة اعتمدوا فيها على ربط النَصّ الظاهر على السطح بالسِياق الاجتماعي، وهم عندما يقومون بذلك إنما يُقَدِّمون أسساً مُهِمَّة تصلح مَبادِئ للنَحْو النَصّي العَرَبيّ خاصّة أنهم في تحليلاتهم يُقَدِّمون تَفْسيرات مُهِمَّة في إطار نَحْو النَصّ، منها ربط النَصّ المُنْجَز غير المكتمل نَحْوِيّاً بالمقام الخارِجيّ، وتقديم تَفْسير للحذف من حيث سببه أو غرضه، وهما أمران يتقاطعان لكن في نقطة خارج النَصّ ما يجعل الكلام المتصل بهما من أولويات نَحْو النَصّ.

ثانياً: مَرْجِعِيَّةُ عِلْمِ المُخاطَبِ (تَفْسيرُ النَصِّ اكتِفاءً بِمَعرِفَةِ المُتَلَقّي)

إنَّ الشَبَكَةَ التي تُؤَسِّسُ عملية التخاطب شبكة معقدة تؤكد أنَّ العناصر غير اللغوية تُحَدِّدُ خَصائِصَ الخِطابِ إذ يُعتَمَدُ، مثلاً، على الخِبرة المشتركة بين المُتَكَلِّمِ والمُتَلَقّي في تحديد خصائص الخِطابِ[63].

ويُصَرِّحُ "سيبويه" بأن العرب "قد تترك الخَبَر (الجواب) في كلامهم لعلم المخَبَر لأي شيء وضع هذا الكلام" [64]، ومع أن الإحالة على علم السامع في تَفْسير النَصّ تختلط في بحث النحاة لها مع حذف الأجوبة الذي يكثر وقوعه في الشرط والقسم والطلب استغناءً بما يدل عَلَيْه في النَصّ (سِياق مقالي)؛ فإنهم فرقوا بين النوعين وقدموا تعليقات مُهِمَّة تنتمي بِشَكْلٍ صريح إلى علم نَحْو النَصّ بالمَفْهوم المعاصر، وهم في كل ذلك يفرقون بين دليل السِياق المقالي على المحذوف، ودليل معرفة المخاطب عَلَيْه، وهو (أي الثاني) ما نحن مهتمون به هنا، أمّا الأول فنعود إليه حين الحديث عن الإحالة إلى السِياق اللُغَوِيّ (المقالي).

إن الشواهد اللُغَوِيّة على حذف جواب الشرط (مثلاً) لعلم المخاطب به كثيرة، نحو حذف جواب (لو) استناداً إلى معرفة المخاطب، وهو ما يعده القُدَماءُ من سنن العرب وأنه مَعْروف كثير الورود في العَرَبِيّة[65]. يقول "المبرد": "فأمّا حذف الخَبَر فمَعْروف جيد من ذلك قوله: **{وَلَوْ أَنَّ**

قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً} [الرعد: 31] لم يَأْتِ بخَبَرٍ لِعِلْمِ المُخاطَب. ومثل هذا الكلام كثيرٌ ولا يجوزُ الحذفُ حَتَى يكونَ المحذوفُ معلوماً بِما يَدُلُّ عَلَيْهِ مِن مُتَقَدِّمِ خَبَرٍ أو مُشاهَدَةِ حالٍ" [66]. والمبرد في هذا المثال وغيره يرد أمر الحذف مع بقاء انسِجام النَصّ الى علم المخاطب كقول القائل مستنداً إلى فهم المخاطب: "لو رأيت فلاناً وفي يديه السيف" [67]. ويرى "ابن هشام" أن تقدير الجواب في قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}** [الرعد: 31] هو: "**لَما آمنوا**"، خِلافاً للنَحْوِيّينَ الذينَ يُقَدِّرونَ: " **لَكانَ هذا القُرْآن**"[68]. ومثله قوله تعالى: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}** [السجدة: 12]، أي: لرأيت أمراً فظيعاً[69]، ومثله **{وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ }** [الأنعامَ: 27] أي لرأيت أمراً فظيعاً لا تكاد تحيط به العبارة[70]، إذ يضاف إِلى الاتكاء على فهم المخاطب لتَفْسير النَصّ توسيع مدى الدلالة الممكنة لِلنَصِّ الى أقصى غاية.

ولما كان هدفنا هنا التمثيل لا الحصر نذكر الأمثلة الآتية من نظائر هذا النوع من الحذف استناداً إِلى فهم المخاطب مع الإِشارَة إِلى مواضع تعليق النحاة عَلَيْها:

- قوله تعالى: **{فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ}** [الأنعامَ: 35] جوابه الغائب: فافعل [71].

- قوله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}** [النور:10] أي لهلكتم [72]، أو لأخذكم بما فعلتم[73].

- قوله تعالى: **{ حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}** [الزمر: 73] حذف الجواب استغناء بدلالة الموقف وفهم المخاطب ولإطلاق كل تصور ممكن من المخاطب لهذا الموقف الغني بالتوقعات[74].

ويعلق "المبرّد" على قوله تعالى:**{إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}** [الانشقاق:1-2] بأن قال قوم فيه:" الخَبَر محذوف لعلم المخاطب كقول القائل عند تشديد الأمر: إذا جاء زيد. أي إذا جاء زيد علمت. وكقوله: إن عشت. ويكل ما بعد هذا إِلى ما يعلمه المخاطب. كقول القائل: لو رأيت فلاناً وفي يده السيف" [75].

إن تتبع تعليقات سيبويه في الكتاب على ما وقع فيه الحذف من الكلام يُؤَكِّد اهتمام سيبويه بالإحالة على علم المخاطب لتَفْسير انسجام النَصّ، ولا بأس من إيراد بعض الأمثلة للتدليل على هذه العناية، وهي أمثلة مختارة على سبيل الإشارَة إلى الكثير بالقليل.

يقول في الحذف الواقع في كلام العرب "حينئذ الآن": "وإنما يريد: حينئذ واسمع إلي الآن، فحذف واسمع كما قال: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً، أي كرجل أراه اليوم رجلاً. وإنّما أَضمَروا ما كانَ يَقَع مُظْهَراً استخْفافاً، ولأنّ المخاطَبَ يَعلَم ما يُعْنى، فجَرى بمنزلة المثل كما تقول: لا عليك، وقد عرف المُخاطَبُ ما تعني أنه: لا بأسَ عليك، ولا ضرَّ عليك ولكنّهُ حُذِفَ لِكَثرةِ هذا في كلامِهِمْ"(76).

وله تعليق طريف في كلامه على الاكتفاء بعِلْمِ المخاطب في تَفْسير أولوية إعمال الثاني (الأقرب) في تركيب التنازع من نحو قولك: ضربتُ وضربَني زيدٌ، وضربَني وضربتُ زيداً، يقولُ: "وإنّما كانَ الذي يليه أولى لقربِ جوارِهِ، وأنّهُ لا ينقض معنىً وأنّ المُخاطَبَ قَدْ عَرَفَ أنّ الأوّلَ قَدْ وقعَ بزيدٍ...، ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب قوله عزّ وجلّ: **{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ}** [الأحزاب: 35] فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه ومثل ذلك: ونخلع ونترك من يفجرك"(77).

ومن الأمثلة تعليقه على حذف المستثنى لعلم المخاطب بما يقصد له في نحو قولهم: (ليس غير)، و (ليس إلا)، يقول:" كأنه قال: (ليس إلا ذاك)، و(ليس غير ذاك)، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعِلْمِ المخاطب ما يعني" (78). وفي كلامه على الاستثناء بليس ولا يكون يقول:" قولك: ما أتاني القوم ليس زيداً، وأتوني لا يكون زيداً، وما أتاني أحد لا يكون زيداً، كأنه حين قال: أتوني، صار المخاطب عنده قد وقع في خلده أنّ بعض الآتين زيد، حتى كأنه قال: بعضهم زيد، فكأنه قال: ليس بعضهم زيداً" (79). إن تعليقات سيبويه وتعقيباته تُمَثِّل بوضوح اهتمامه بربط النَصّ المُنْجَز بعِلْمِ المخاطب بحيث يعتمد في ملء فراغات سطح النَصّ على علم المخاطب، أي على المقام الخارجيّ، وهذه الأمثلة المختارة من أقوال النحاة الكثيرة على ربط النَصّ بالمقام الخارجيّ كافية لدعم فرضية تضمن النَحْو العَرَبيّ مَبادِئ مُهِمّة بل أساسية في مَفْهوم نَحْو النَصّ.

ثالثاً: مرجعية السِياق اللُغَوِيّ. (القرائن المقالية)

اهتم الدرس النَحْويّ القَديم بالإحالة على السِياق المقالي كثيراً في إطار بحث المَسائِل المتعلقة بالحذف للاكتفاء بالنَصّ المُنْجَز، وقد وردت مُصْطَلَحات متعددة عند القُدَماءِ تشير إلى ظاهرة الحذف اعتماداً على السِياق المقالي، ونكتفي بالإشارَة إلى بعض هذه المُصْطَلَحات ومصادر ورودها في مظانها، فَقَدْ استخدم سيبويه مثلاً مُصْطَلَحات مُخْتَلِفَة للدلالة على الحذف اعتماداً

على الظاهر من النَصّ، فأكثر من استعمال مُصْطَلَح (الاستغناء) ومشتقاته في مواضع متفرقة من الكتاب[80]، فضلاً عن إفراده الاستغناء بأكثر من باب[81]، وقد سبقت الإشارَة في الدِراسَة إلى نص سيبويه في كلامه على الحذف في نحو: (ليس إلا) و(ليس غير) اكتفاءً بعِلْمِ المخاطب. ومع تردد ورود مُصْطَلَح الاستغناء (أو مشتقاته) كثيراً في كتاب سيبويه فَقَدْ استخدم مُصْطَلَحين آخرين على نحو قليل جداً بالمقارنة مع مُصْطَلَح الاستغناء، هما مُصْطَلَح الاكتفاء ومُصْطَلَح الاجتزاء[82].

ونَجِدُ النُحاةَ بعدَ "سيبويه" يَتَّبِعونَ طَريقَه في استعمالِهِ مُصْطَلَحَ "الاستغناءِ" أو غيرِه مِن المُصْطَلَحاتِ الدالَّةِ على بقاءِ تَمامِ الفائِدَةِ في الجُمْلَةِ، أو الانسِجامِ في النَصِّ رغمَ غِيابِ عَناصِرَ لُغَوِيَّةٍ من النَصِّ المُنْجَزِ. ومع أننا نجد اختلافات أحياناً عند بعضهم أو أحدهم في طرح أحد المُصْطَلَحات أو تبني مُصْطَلَح بعينه، ورغم أن النحاة جميعاً، وعلى رأسهم سيبويه، يتعامَلون مع هذه المُصْطَلَحات أحياناً في سِياقات مُخْتَلِفَة، بل في موضوعات متباينة؛ فإنَّ كثيراً من إشاراتِهم تتفقُ مع مَطْلَبِنا هُنا في استِكْشافِ أقوالهم وآرائهم في ربط النَصّ المُنْجَزِ بسِياق مقالي داخل التركيب المُعْطى للتحليل أو خارجه. ولما لم يكن من أهداف الدِراسَة تتبع المواضع التي تضَمَّنَتْ استعمالَ النحاةِ للمُصْطَلَحاتِ السابقةِ على نَحْوٍ استِقْرائيٍّ دقيقٍ، فَسَيُكْتَفى بالإشارَة إلى بعض هذه المواضع في مظانِّها بِشَكْلٍ انتقائيٍّ [83]، لتصل الدِراسَة، مِنْ بَعْدُ، إلى إيراد عدد من الأمثلة التي تُمَثِّلُ وثائِقَ شاهِدَةً على اهتمامِهِمْ بهذا الجانب الذي يشكِّلُ حَيِّزاً أساسِيّاً في بَحْثِ المُعاصِرينَ لأُسُسِ نَحْوِ النَصِّ.

من ذلك ما أورده "ابن هشام" في الباب الذي أفرده للحذف في الكلام، وفصل في شروط وقوعه، فكان منه الحذف المتعلق بدليل مقاليّ، "كقولك لمن قال: من أضرب؟ "زيداً"، ومنه **{وَإِذَا قِيلَ لَهُم: مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُواْ: خَيْراً}** وإنما يحتاج إلى ذلك إذا كان المحذوف الجُمْلَة بأسرها كما مثلنا، أو أحد ركنيها نحو: "قال: سلام، قوم منكرون"، أي: سلام عليكم، أنتم قوم منكرون؟ فحذف خَبَر الأولى ومُبْتَدَأ الثانية..."[84].

يتضمن هذا النَصّ إشارات مُهِمَّة تبين اعتناء النَحْويّ بتقديم تَفْسير واضح لبنية النَصّ (الظاهر) وعَناصِره استناداً إلى قرينة لفظية (سِياق مقالي) في النَصّ، والحذف الذي يطرأ على هذا النوع من النُصوص يسهم في تشكيل النَصّ وانسجامه. وتكمن مقبولية هذه النُصوص في سهولة ربط العَناصِرِ اللُغَوِيّة الظاهرة بالسِياق المقالي لإعادة بناء النَصّ: ماذا انزل ربكم؟ - خيراً

فَقَدْ حذف الفعل والفاعل من جُمْلَة الجواب وظهر على سطح النَصّ بنية دون الجُمْلَة (خيراً) مرتبطة بالعَناصِر اللُغَويّة المكونة لجُمْلَة الاستفهام **{مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ؟}** [النحل: 24] التي تُمَثِّل قرينة لفظية دالة على الحذف ومسوغة له.

يُزَوِّدُنا نَصُّ "ابن هشام" المُتقدِّمُ بمَلْحَظٍ مُهِمٍّ له زاويتان: الأولى اختلاف الوظائف النَحْويّة التي تشغلها العَناصِر اللُغَويّة الغائبة عن النَصّ (المحذوفة) كمّاً ونوعاً؛ ففي المثال الأول: (خيراً) ثمة جُمْلَة كاملة بطرفي إسنادها: (الفعل والفاعل) قد حُذِفت، وفي المثال: قال: سلامٌ ← **(سلامٌ عليكم)**، قومٌ مُنْكَرون ← **(أنْتُم قومٌ مُنْكَرون)**، ثمة جملتان وقع فيهما الحذف، الأولى حذف منها الخَبَر والثانية حذف منها المُبْتَدَأ.

أمّا الزاوية الثانية المُشَكِّلَةُ لِلْمَلْحَظِ المَذكورِ فهي أن الجمل المُتَرابِطَة في الأمثلة السابقة من مُستَوى تركيبي واحد، وأن الحديث عن تَرابُطها بإعادة بناء النقْص اعتماداً على السِياق المقالي إشارَة مُهِمَّة جداً في بحث كيفية تَرابُط الجمل مباشرة، أي بلا رابط شَكْلِيّ.

- ماذا أنزل ربكم؟. (*أنزل ربُّنا*) خيراً
- سلامٌ (*عليكم*). (*أنتم*) قومٌ منكرون.

إنّ أَهَمِّيَّة ما جاء به "ابن هشام" في الباب الذي عقده لبحث موضوع (الحذف) تتجلى في أمرين، الأول تعليقاته المُهِمَّة جداً على بعض الأمثلة بشَكْلٍ يُؤَكِّد بقوة دور التُراث النَحْويّ في رسم ملامح عَرَبِيّة واضحة لأهم مَبادِئ نَحْو النَصّ، أمّا الثاني فهو تتبعه جميع مظاهر الحذف في الكلام استناداً إلى السِياق المقالي فجاء بأمثلة كثيرة جداً [85]، وسنكتفي بالإِشارَة إلى بعضها على سبيل المثال: يقول في كلامه على "حذف الكلام بجملته": "يقع ذلك باطراد في مواضع، أحدها: بعد حرف الجواب، يقال: أقام زيد؟ فنقول: نعم. وألم يقم زيد؟ فنقول: نعم، إن صدقت النفي، وبلى، إن أبطلته، ومن ذلك قوله:

قالوا: أخِفْتَ؟ فَقُلْتُ: إنَّ، وخيفَتي ... ما إنْ تزالُ مَنوطةً برَجائي" [86].

وذكر من هذا النوع:

"قالت بَناتُ العَمِّ: يا سَلْمى وإنْ ... كان فَقيراً معدماً؟ قالت: وإنْ

أي: وإنْ كان كذلك رضيتُهُ" [87].

ومن الإشارات اللطيفة كلامه على الحذف في سِياق الشرط؛ يقول عن حذف جُمْلَة الشرط: "هو مطرد بعد الطلب نحو: **{فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}** [آل عمران: 31]، أي فإن تتبعوني

يحببكم الله"... وجاء بدونه نحو: { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت: 56] أي فَإنْ لَمْ يَتَأَتَّ إخلاصُ العبادَةِ لي في هذه البلدة، فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ، في غيرها.... {أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ } [الأنعام157] أي: إن صدقتم فيما كنتم تعدون به أنفسكم فَقَدْ جاءكم بينة وإن كذبتم فلا أحد أكذب منكم، فمن أظلم.... وحذف جُمْلَة الشرط بدون الأداة كثير كقوله:

فَطَلِّقْها فلَسْتَ لَها بِكُفْءٍ **وَإلاّ يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسامُ**

أي: وإلاّ تُطَلِّقْها ؟ " [88].

فهذه الإِشارَة إلى حذف جُمْلَة كاملة مكونة من فعل وفاعل ومفعول به مُهِمَّة لاتساق التركيب الشرطي بشقيه، الشق الحاضر من النَصّ وهو الجزاء والشق الغائب المستحضر بقرينة السِياق المقالي "فطلقها".

ومن الإشارات الواضحة التي نجدها لدى ابن هشام في باب الحذف المطول في كتابه المغني تعليقات على أمثلة "حذف أكثر من جُمْلَة"[89] من الكلام يقول:" أنشد أبو الحسن (الكسائي):

إِنْ يَكُنْ طِبُّكِ الدَلالا فَلَوْ في **سالِفِ الدَهْرِ والسنين الخوالي**

أي إن كان عادتك الدلال فلو كان هذا فيما مضى لاحتملناه منك... وفي قوله تعالى: {فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ } [الفرقان: 36] إن التقدير: فَأَتَياهُمْ فَأَبْلَغاهُمْ الرسالةَ فكذّبوهُما فَدَمَّرْناهُمْ"[90]، إذ لا يمكن تصَوُرُ وقوعِ العذابِ على الذين كفروا إلا بَعْدَ أنْ كذّبوا بالرِسالَةِ التي بلّغوها؛ وهذا الاستِحْضارُ لِلنَصِّ الغائِبِ ليسَ خاصّاً بالانسِجامِ الدلاليِّ القائِمِ على العلاقاتِ المنطقِيّةِ بينَ الأحداثِ المرتَبَةِ فَحَسْب، بَلْ إنَّهُ مُهِمٌّ للرَبطِ التركيبيِّ الذي يُفسِّرُ اقترانَ النتيجةِ الظاهرةِ في النَصِّ {فَدَمَّرْنَاهُمْ} بالفاء التي تربط بين سببٍ ونتيجةٍ. إن هذه الإِشارَة المُهِمَّة، في كلام "ابن هشام"، إلى الاعتمادِ على النَصِّ الغائبِ (المُكوَّن من عِدَّةِ جُمَلٍ هُنا) في تَفْسير انسِجام النَصّ واتساقه تُؤَكِّد اهتمام القُدَماءِ بمَبادِئَ مُهِمَّةٍ للنَحْوِ النَصّيِّ، من جهةِ كون هذه الإِشارَةِ متّصلةً بأساسين مُهِمَّيْن: الأول آلية الربط التركيبيّ بين جملتين (أو عدة جمل)، من مُسْتَوىً واحدٍ، والثاني أنَّ النَصَّ المُنْجَزَ لا يكون مُتَّسِقاً إلا باستِحضارِ النَصِّ الغائِبِ (المحذوفِ) المرتبطِ بِهِ.

الأساسُ الثاني: التَماسُكُ التَرْكيبيُ لِلنَصِّ (الرَبْطُ النَحْويُ بَيْنَ الجُمَلِ)

"إذا تَوَفَّرَ في أيِّ نَصٍّ جُملتانِ أو أكثر ارتَبَطَتْ الواحدةُ منْهُما بالأُخْرى ارتِباطاً بأَداةٍ أو بغَيْرِ أَداةٍ "[91]؛ هذه القاعِدَةُ، رغمَ بَساطَتِها والتسليمِ بها، تُشيرُ إلى مَسْأَلَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ عِنْدَ الحديثِ عن التَرابُطِ بين أجزاءِ النَصِّ؛ الأولى أن المعطى اللُغَويَّ المُتَرابطَ لا بُدَّ أن يكونَ نَصاً، وهذه حقيقة يمكن قراءتها بالمقلوبِ، أي أن النَصَّ، ليكونَ نصاً، لا بُدَّ من كونِهِ مُتَرابطاً. والثانية تتَمَثَّل في أن التَرابُطَ والربطَ ليسا شيئاً واحداً في اصطلاحاتِ علماءِ النُصوص؛ فَقَدْ يكون النَصّ مُتَرابطاً بلا روابطَ شَكْلِيَةٍ، عندما تَتَرابَطُ الجمل في النَصِّ بلا أدواتِ ربطٍ. ومع أن هذه القاعِدَةَ لم تتضمن نَظَرِيَّةً جديدةً، كما تقدمَ، فإنَّ صياغتَها قد اكتملت على أيدي علماءِ المعاني العربِ في كلامِهِم الدقيقِ على الفَصْلِ والوَصْلِ بين الجملِ اللذَيْنِ اختصَّ ببَحثِهِما درسُ "البلاغةِ" التي كان مجالُها النَصّ خلافاً للنحوِ بحدودِهِ وأغراضِهِ المتصلةِ بالجُمْلَةِ، ومع ذلك نجد إشارات مُهِمَّةً لدى النحاة تخدم مَسْأَلَة التَرابُط خارج مُسْتَوى الجُمْلَة، فضلاً عن دورهم الرائد في تَأْسيس المَبادِئ النَحْويّة للتَرابُط بين الجمل اعتماداً على نَظَرِيَّة النَحْو العَرَبيّ في التَرابُط بين عَناصِر الجُمْلَة الواحدة، وتفصيلات النحاة في حديثهم عن العطف بين الجمل، ومحال الجمل من الإعراب والعَلاقَة بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب في العطف والاستئناف وما يَتَّصِل بهذه القضايا مما يخدم مَبادِئ نَحْو النَصّ.

وبالنظر إلى قاعِدَة الربط التي تصدق على كل شكل من أشكال التَرابُط النَصّي بين الجمل، نؤيد رأي "الزَنَاد" في توليد قاعدتين، وفقاً لأداة الربط"؛ القاعِدَة الأولى: قاعِدَة الربط البياني: "كل جملتين متتاليتين في النَصّ ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة"[92] وهي القاعِدَة التي بنى عَلَيْها القُدَماءُ مَبادِئَ الفصل.

القاعِدَة الثانية: "قاعِدَة الربط الخلافي (بالأداة):" كل جملتين متتاليتين في النَصّ ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط"[93]. وهي تماماً قاعِدَة "الوصل" عند القُدَماء.

ونستطيع التأكيد بقوة أن علماء العَرَبيّة في صياغتهم مبحث "الفَصْل والوَصْل"، قد أنجزوا عملاً محكماً دقيقاً، يلخص أهم مَبادِئ التَرابُط بين الجمل، وسجلوا سبقاً مهماً في تَأْسيس نَظَرِيَّة النَحْو النَصّي[94]. ينتهي عبقري العَرَبِيَّة النَحْويّ عبد القاهر الجُرجانِيّ، بعد عرضه الأصول والقوانين التي قام عَلَيْها بابُ " الفَصْلِ والوَصْلِ " في العَرَبِيَّةِ، إلى أنَّ الجملَ على ثلاثةِ أضربٍ:

"جُمْلَة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها، لو عطفت، بعطف الشيء على نفسه. وجُمْلَة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا

الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف، وجُمْلَة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة؛ فترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين فاعرفه"[95].

الجُرجانِيّ، بهذا النَصّ، يصوغ المَبادِئ التي يَتَأَسَّس عَلَيْها الربط التركيبي (النَحْوِيّ) بين الجمل في النَصّ، فيبين حالات الفصل بين الجمل الذي يُمَثِّل الربط المباشر بلا أداة، وبين حالات الوصل الذي يُمَثِّل قاعِدَة الربط الخلافي غير المباشر (باستخدام الأداة)، ولعل أهم ما تضمنه النَصّ انطلاق الجُرجانِيّ في وصف آليات التَرابُط في مُسْتَوى الجمل من الأسس النَحْوِيّة القارة في نَظَرِيَّة النَحْو العَرَبِيّ (نَحْو الجُمْلَة) كامتناع العطف بين الصفة والموصوف، وبين التأكيد والمؤكد، وامتناع عطف الشيء على نفسه، والمشاركة في الحكم بين الجملتين المُتَرابِطَتَيْن؛ فيكون العطف. أو كون كل منهما أجنبية عن الأخرى، فيمتنع العطف. وهي مَسائِل فصل فيها الجُرجانِيّ واستشهد لها بأمثلة كثيرة معلناً منذ البدء منهجه الواضح المؤسس على قواعد النحاة في ضبط علامات العَناصِر اللُغَوِيَّة في الجُمْلَة:" واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجُمْلَة فننظر فيها ونتعرف حالها"[96]، ما يُؤَكِّد اتصال نَظَرِيَّة النَحْو النَصّي، المتُمَثِّلة هنا بالفَصْل والوَصْل بين الجمل، بالنَظَرِيَّة النَحْوِيَّة العَرَبِيَّة التي اعتنت بالتَرابُط بين العَناصِر اللُغَوِيَّة داخل الجُمْلَة الواحدة. وقياساً على القواعد الناظمة للتَرابُط بين عَناصِر العطف في الجُمْلَة فإن الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما يجري مجرى عطف المفرد على المفرد، وذلك أن يكون للجُمْلَة المعطوف عَلَيْها موضع من الإعراب فيكون حكمها حكم المفرد ويكون عطف الثانية عَلَيْها كعطف المفرد على المفرد فتظهر الحاجة إلى الواو[97]، والضرب الثاني الذي يصفه بما يشكل أمره فهو العطف على جُمْلَة عارية الموضع من الإعراب كقولك:" زيد عالم، وعمرو قاعد" بالعطف الذي لا يستوي مع ترك العطف كأن تقول: "زيد قائم، عمرو قاعد"[98].

يظهر جلياً من كلام الجُرجانِيّ تَأْسيسه مَبادِئ عطف الجمل على أصل نَحْوِيّ: "عطف المفرد على المفرد" خاصّة في العطف على الجمل التي لا محل لها من الإعراب. وهو يؤسس على طبيعة العَلاقَة بين الأسماء الواصفة وموصوفها، أو المؤكدة ومؤكدها، حيث يستغنى عن الروابط الشَكْلِيَّة بين التابع والمتبوع؛ فالصفة، على حد قوله، " لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها، وكالتأكيد الذي لا يفتقر، كذلك، إلى ما يصله بالمؤكد. كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جُمْلَة كانت مؤكدة

للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد"[99]، من ذلك أنَّك إذا قلت: جاءني زيد الظريف، وجاءني القوم كُلّهم، لم يكن الظريف وكُلّهم غير زيد وغير القوم[100]، ويقاس عَلَيْه في الجمل قوله تعالى: **{الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }**[البقرة: 1-2] قوله: **"لا ريب فيه"** بيان وتوكيد وتحقيق قوله **"ذلك الكتاب"** وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: "هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب" فيعيده مرة ثانية لتثبيته، وليس يثبت الخَبَر غير الخَبَر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عَلَيْه[101]. وتكتفي الدِراسَة هنا بتقديم عرضٍ موجَزٍ لإسهامِ " الجُرجانِيِّ " في بناءِ نَظَرِيَّة النَحْوِ النَصِّيِّ العَرَبِيِّ التي انطلق في وضع ملامحها من القواعد النَحْوِيّة المتصلة بالنَحْو بوصفه نحو جُمْلَة، أمّا الأمثلة التي فصل في تحليلها فنورد بعضَها على سبيل التمثيل دون مناقشتها اكتفاءً بما تقدم، ولأن الدِراسَة مهتمة أكثر بالأصول النَحْوِيّة المؤسسة لمَبادِئِ نَحْوِ النَصِّ التي استثمرها الجُرجانِيّ وهو يصوغ أسس مبحث "الفصل الوصل" الذي يغطي حيزاً مهماً في فضاء نَحْو النَصّ[102].

1- الأمثلة[103]:

قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}** [البقرة: 6-7].

قوله تعالى: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ}** [البقرة: 8-9].

وقوله:**{وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}**[البقرة: 14].

وقوله: **{ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ}** [يوسف: 31].

2- القضايا الأساسية:

أ- أسس التَرابُط بين الجمل خاصّة الجمل التي لا محل لها من الإعراب.

ب- ترك العطف بين الجمل لأمرٍ عارض تصير به الجُمْلَة أجنبية عما قبلها [104].

ج- الاستئناف عقب ما يقتضي سؤالاً [105]، أو الاستئناف بجُمْلَة في موضع الجواب عن سؤال مُقَدَّر.

د- العطف المتباعد، وذلك أن تتوسط جُمْلَة، أو أكثر، بين الجُمْلَة المعطوفة والجُمْلَة المعطوف عَلَيْها [106].

هـ- الربط بين الشرط المُرَكَّب والجزاء المفرد[107]، نحو قوله تعالى: **{وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً}** [النساء: 112]؛ إذ الجواب مترتب على مجموع أمرين معاً:

من كسب الخطيئة أو الإثم+رمى به بريئاً فـ **قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً** (من الآية: النساء 112)

(شرط) (جواب)

لَقَدْ ارتأت الدراسَة الإشارَة أولاً إلى إنجاز "الجُرجانِيّ" في بحثِ التَماسُكِ النَصِّيِّ بين الجمل ضمن دراستِهِ بابَ "الفصل الوصل" الذي يُعَدُّ نَظَرِيَّةً ناضِجَةً في إطارِ النَحْوِ النَصِّيِّ لِتعودَ مِن بَعْدُ إلى المَبادِئِ التي صاغَها النُحاةُ وَشَكَّلَتْ أُسُساً مُهِمَّةً لا بُدَّ مِن اعتِمادِها في استِكْشافِنا مُساهَمَةَ الدرسِ النَحْوِيِّ في بناءِ نَحْوٍ عَرَبِيٍّ لِلنَصِّ، لأَنَّ هَمَّ الدِراسَةِ الأَوَّلَ البَحْثُ عن تلك المَبادِئ في ثنايا أقوال النحاة وهم ينسجون نظريتهم المكتملة في ما يطلق عَلَيْه نَحْو الجُمْلَة [108].

الدِراسَة، إذاً، تبحث هنا في إسهام الدرس النَحْوِيّ العَرَبِيّ في تَأْسيس مَبادِئ مُهِمَّة تحكم التَرابُط التركيبي بين الجمل على أساس قواعد الربط بالأداة أو بغير أداة، وهو ما عرف، كما تقدم، بالوَصْل والفَصْل في علم المعاني، وهو باب أفاد البلاغيون في بنائه من حديث النحاة عن تَرابُط أجزاء النَصّ بالعطف (الوصل) أو بترك العطف (الفصل).

ومن الإشارات المُهِمَّة في هذا السِياق كلام "سيبويه" على الاستئناف بجُمْلَة في موضع الإجابة عن سؤال مُقَدَّر؛ يقول: "وأمّا قولهم: نعم الرجل عبدُ اللهِ، وعبدُ اللهِ نِعْمَ الرجلُ، كأَنَّهُ قال: نعم الرجل، فقيل له: من هو؟ فقال: عبدالله، وإذا قال: عبدالله، فكأنه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نعم الرجل"[109]. وهذا كلام صريح في تحقق التَماسُك النَصّي بين أجزاء النَصّ بلا رابط شَكْلِيّ، ومثله قوله في موضع آخر معلقاً على قول الشاعر:

ولَقَدْ خَبَطْنَ بُيوتَ يَشكر خَبْطَةً   أخوالُنا وهُمُ بَنو الأَعْمامِ

"كأنه حين قال: خبطن بيوت يشكر" قيل له: من هم: فقال: أخوالنا، وهم بنو الأعمام"[110].

ومنه كلامه على: مررت بعبد الله، أخوك، كأنه قيل له: من هو؟ أو: من عبدالله؟ فقال: أخوك [111].

"وتقول: مررت برجلٍ الأسد شدة، كأنك قلت: مررت برجلٍ كامل، لأنك أردت أن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟"[112]. فسيبويه في كل هذه النُصوص يتحدث بوضوح في أهم مَسائِل الفصل بين الجمل وتعليق بعضها بنص مُقَدَّر، ويصرح باستعمال مُصْطَلَح الاستئناف الذي يعني هنا التَرابُط بين أجزاء النَصّ بلا رابط شَكْلِيّ لئلا يعطف جواب على سؤال، مع تأكيد أن السؤال هنا غير ظاهر على سطح النَصّ وإنما يقتضيه النَصّ ليكون مُتَّسِقاً. وتُمَثِّل هذه الإشارات الدقيقة سبقاً مهماً في باب تَرابُط الجمل في النَصّ بالعطف أو بتركه أفاد منه البلاغيون عندما حددوا ملامح "الفَصْل والوَصْل".

ومن الإشارات المُهِمَّة والطريفة التي لا بُدَّ أن تستوقف كل من يمر بها ما أورده "الفراء" في تعليقه على موضعين متشابهين من القُرآن، وذلك في قوله تعالى: **{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}** [البقرة: 49] وقوله: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}** [إبراهيم: 6] حيث يقول: "فمعنى (الواو) أنه يمسهم العذاب غير التذبيح، كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح، ومعنى ترك (الواو) كأنه تَفْسير لصفات العذاب، وإذا كان الخَبَر من العذاب أو الثواب مجملاً في كَلِمَة ثم فسرته فاجعله بغير الواو، وإذا كان آخره غير أوله فبالواو" [113].

إنَّ "الفراء"(207هـ) يسهم هنا في تَأْسيس مبدأ مهم من المَبادِئ التي قام عَلَيْها التَرابُط النَحْويّ بين الجمل بالفصل أو بالوصل؛ فإذا كانت الجُمْلَة الثانية مبينة للأولى أو مفسرة لها أو لم تكن شيئاً سواها فلا تحتاج إلى رابط يربط بها، وإذا كانت الثانية غير الأولى إلا أنها تشترك معها في معنى فحقها الوصل. وهاتان القاعدتان اللتان صاغهما "الفراء" بدقة من أهم قواعد التَرابُط النَصّي التي يعتمدها علماء النَصّ المعاصرون[114] في بحثهم موضوع نَحْو النَصّ بمسميات مُخْتَلِفَة نحو: الربط المباشر والربط غير المباشر، أو الربط البياني والربط الخلافي [115]. ومن قبل كانت الأساس المكتمل الذي بنى عَلَيْه علماء المعاني بحثهم في الفَصْل والوَصْل، وفوق ذلك نجد "الفراء" في مواضع أخرى من كتابه [116]، يُؤَكِّد إدراكه العميق لهذه المَسْأَلَة وأشكالها المُخْتَلِفَة ويصرح باستعمال مُصْطَلَح "الفصل"؛ يقول في تَرابُط الجمل بلا أداة اعتماداً على سؤال غير ظاهر في النَصّ (سؤال مُقَدَّر) معلقاً على ترك العاطف بين الجملتين في قوله تعالى: **{قَالُواْ**

أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: 67] "وهذا في القُرْآن بغير الفاء كثير، وذلك لأنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عَلَيْه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال: كذا وكذا. فكأن حسن السكوت يجوز به طرح الفاء، وأنت تراه في رؤوس الآيات لأنها فصول حسنة" (117).

ونجد النحاة يشيرون في كلامهم على المحال الإعرابية للجمل المُتَرابِطَة إلى مَسْأَلَة التَرابُط بين الجمل بترك أداة الربط بين جملتين الثانية فيهما استئنافية؛ يذكر "ابن هشام" في حديثه عن أنواع الجمل المستأنفة أن منها:" الجُمْلَة المنقطعة عما قبلها نحو "مات فلان، رحمه الله" وقوله تعالى: **{ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ}** [الكهف: 84] (118) ويرى أن أهل البيان يخصون الاستئناف بما كان جواباً لسؤال مُقَدَّر نحو قوله تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْه فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ}** [الذاريات: 24] فإن جُمْلَة القول الثانية جواب لاستفهام مُقَدَّر تقديره: فماذا قال لهم؟" ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عَلَيْها" (119).

ومنه أيضاً قول الشاعر:

زَعَمَ الْعَواذِلُ أَنَّني في غَمْرَةٍ. صَدَقوا، وَلكِنْ غَمْرَتي لا تَنْجَلي

إذ إنَّ قوله "صدقوا" جواب لسؤال مُقَدَّر، تقديره: أصدقوا في ذلك أم كذبوا؟ فصار هذا السؤال مقتضى الحال فبنى عليه (120).

خلاصة

لَقَدْ صاغ النَحْو العَرَبيّ الموصوف بنَحْو الجُمْلَة مَبادِئ مُهِمَّة تُؤَكِّد إسهام النحاة الأوائل في رسم ملامح نسخة عَرَبِيَّة من نَحْو النَصّ، وهذه المَبادِئ التي استخلصناها من مقولات مختارة للنحاة في أبواب مُخْتَلِفَة كانت مقصودةً لذاتها وتكشفُ عن تضمُّنِ نَظَرِيَّة النَحْو العَرَبيّ تَحْليلاتٍ دقيقةً تنْطوي عَلى أهَمِّ المَبادِئِ التي يَتَأَسَّسُ عَلَيْها نَحْوُ النَصِّ في الدراساتِ اللسانيَةِ المُعاصِرَةِ.

فقد اتخذت الدراسة منهجاً متوازناً بحث في التراث اللساني عن مبادئ صالحة لنحو العربية النصّيّ، اعتماداً على أنّ التراث النحوي تضمن إشارات إلى الاكتفاء بالسياق التواصلي لتحقيق انسجام النصّ. ومراعاة المقام والغرض التواصلي بين المرسِل والمتلقّي، ما يُعدّ أهمّ أساسٍ في "نحوِ النَصِّ". أما أهم ما عنيت به فمتصل بما ورد في تُراثنا اللُغَويّ من كلام اللُغَويّين وتعليقاتهم على ربط النَصّ المُنْجَز (المتحقق على السطح)، أو بعضه، بسِياق خارج النَصّ مهما كان حجم النَصّ، ومهما كانت طبيعة السِياق. ومع الكشف عَنْ مُنْجَزاتِ القُدَماءِ في مَجالِ تَأْسيسِ

مَبادِئِ نَحْوِ النَصِّ، بحثت الدراسة في مدى إدراكهم الدقيق لشروط النَصِّيَّة فيما يَتَّصِل بصياغة النَصّ، كشرط التَرابُط بين العَناصِر المكونة لِلنَصِّ، وفيما يَتَّصِل بكون النَصّ صيغة لُغَوِيّة مُنْجَزة بما يقتضيه الإنجاز من بيان القصد والفائدة ومراعاة المقام وأطراف العملية التَواصُلِيّة لتحقيق الانسِجام.

لقد حاولت الدراسة التعرف إلى المَبادِئِ التي صاغَها النُحاةُ في بناءِ نَحْوٍ عَرَبِيٍّ لِلنَصِّ في ثنايا أقوالهم وهم ينسجون نظريتهم المكتملة في ما يطلق عَلَيْه نَحْو الجُمْلَة.

Arabic Text Grammar.
The principles in linguistic inheritance

Ahmad M. Abu-Dalu, *Arabic Dept., Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This research is an exploration in the Arab linguists' legacy with the aim of recognizing features of Arabic Text Grammar by clearing up, in the theory of Arabic grammar, the documented evidences for Arabic linguists' performance in the domain of setting up Text Grammar.

Arab linguists, while setting up the texture of their theory of grammar, had presented precise interpretations connected with principles of Text Linguistics in the contemporary linguistic studies.

The study, thus, is concerned with the most important issues, related to Text Grammar, that linguists have discussed with methods or thoughts not required in the theory of Sentence Grammar. Accordingly, the study approach had two basic principles in Text Grammar theory:

1- Textual relations between Situational context, in which the text is produced, and Linguistic Performance.

2-The mechanisms of cohesion between text-sentences that have same structural levels.

The two principles represent the most important methods and aspects of Text Grammar approach in the modern Linguistic studies.

قدم البحث للنشر في 2007/9/11 وقبل في 2008/1/29

الهوامش:

(1) يُنظَرُ: البحيري، سعيد، **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1997، ص 101-107، 137؛ الزِّنَاد، الأزهر: **نسيج النص**، بيروت، المركز الثقافي العَرَبيِّ، ط1، 1993، ص 12- 16؛ فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 164، سنة 1992، ص 229؛ دي بوجراند، روبرت: **النص والإجراء والخطاب**، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998، ص 103-105؛ الخطابي، محمد: **لِسانِيَات النص، مدخل إلى انسِجام الخطاب**، بيروت، المركز الثقافي العَرَبيِّ، ط1، 1991، ص 13-15؛ الشاوش، محمد: **أصول تحليل الخطاب في النَظَرِيَّة النَحْويَّة العَرَبِيَّة**، تونس، جامعة منوبة والمؤسسة العَرَبِيَّة للتوزيع، 2001، 1/25-41؛ مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعريِّ:استراتيجيَّة التناصِّ**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص119-120.

(2) ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، مادة (نصص): 7/ 109.

(3) ابن هشام، جمال الدين: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، بيروت، دار إحياء العلوم، ط2، 1985، ص 74-75.

(4) المرجع السابق نفسه.

(5) **نسيج النص**، ص 12.

(6) المرجع السابق، ص 15. والإخباريَّةُ: تَوَفُّرُ مَضْمونٍ مُفيدٍ في النَّصِّ.

(7) المرجع السابق، ص 16.

(8) المرجع السابق، ص 19.

(9) ينظر: **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، ص 133-135؛ وانظر: ستيتيَّة، سمير: **منازل الرؤية، منهج تكامليِّ في قراءة النصِّ**، عمَّان، دار وائل للنشر، ط1، 2003، ص26-27؛ وانظر: **تحليل الخطاب الشعريِّ**، المدخل: ص7-16.

(10) المرجع السابق، ص 134. وينظر الفقي، صبحي: **علم اللغة النصي بين النَظَرِيَّة والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للنشر، ط1، 2000م، ص 36.

(11) **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، ص 135.

(12) هذا التعريف من **المعجم الموسوعي لعلم اللغة التطبيقي**: Johnson, Keith and Helen: Encyclopedia Dictionary of Applied Linguistics, Blackwell Publishers, 1st Published, Oxford, Uk, 1998, p. 352.

(13) انظر: **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، ص 135-136، نقلاً عن "فان دايك". وانظر: **أصول تحليل الخطاب في النَظَريّة النَحْويّة العَرَبيّة**، 80/1.

(14) ينظر: السيد، عبد الحميد: **دراسات في اللِسانِيَات العَرَبيّة**، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 181-184.

(15) المرجع السابق، ص182.

(16) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص75، حيث يقول "السكاكي عقب تعريفه علمَ النحوِ: " وسيزداد ما ذكرنا وضوحاً في القسم الثالث إذا شرعنا في علم المعاني ".

(17) المرجع السابق نفسه.

(18) المرجع السابق، ص 161.

(19) ابن الأثير، أبو الفتح: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط بيروت، 1999، ص 26؛ وانظر: السيد، عبد الحميد، مرجع سابق، ص 182.

(20) **دراسات في اللِسانِيَات العَرَبيّة**، ص 172.

(21) ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2، ج1، ص 34.

(22) ابن هشام، جمال الدين: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، بيروت، دار الجيل، ط1، 1999، ج2، ص 394-395.

(23) مصلوح، سعد: العَرَبيّة من نَحْو الجُمْلَة إلى نَحْو النَصّ، مقالة في: **الكتاب التذكاري المهدي إلى الأستاذ عبد السلام هارون**، الكويت، جامعة الكويت، كلية الآداب، 1989-1990، ص 407-408. وانظر: **أصول تحليل الخطاب في النَظَريّة النَحْويّة العَرَبيّة**: 76/1.

(24) الرزاية: الإصابة بالانتقاص. انظر: **لسان العرب**، (رزأ): 104/1-105.

(25) الإدلال على الأسلاف معناه الاجتِراءُ عليهم. انظر: **لسان العرب**، (دلل): 297/11.

(26) مقالة سعد مصلوح في: **الكتاب التذكاري المهدي إلى الأستاذ عبد السلام هارون**، ص 408-409.

(27) المرجع السابق، ص 422-423.

(28) المرجع السابق، ص 423.

(29) المرجع السابق، ص424.

(30) يُعَدّ إنجاز تمام حسّان: "اللغة العربية، معناها ومبناها "من أهمّ المحاولات القليلة التي تصلُح منطلقاً لدخول آفاق جديدة يكون النحو فيها أهم الطرق التحليلية في دراسة النص.انظر: **"اللغة العربية: معناها ومبناها"**، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط2، 1979، الصفحات: 337 – 344.

(31) انظر مقالة سعد مصلوح في: **الكتاب التذكاري المهدي إِلى الأستاذ عبد السلام هارون**، ص425-426.

(32) المرجع السابق، ص425.

(33) المرجع السابق، ص426.

(34) المرجع نفسه. ويطلق على المنهج التزامني: التعاصُرِيّ، وعلى التعاقبي التطوّري. أمّا مصطلح Achrony فهو التجرد عن التعاقبية والتزامنية، وهو مفهوم يستعمله السيميائيون لدحض نظريّة "دي سوسير" في التعاقبية والتزامنية ولتأكيد أنّ البنيات المنطقية الدلالية العميقة تقع خارج إطار الزمن. انظر: يعقوب، إميل، وبركة وشيخاني، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987، ص:109، 120، 133.

(35) مقالة سعد مصلوح في: **الكتاب التذكاري المهدي إِلى الأستاذ عبد السلام هارون**، ص426-427.

(36) الجرجاني، عبد القاهر، **المقتصد في شرح الإِيضاح**، تحقيق: كاظم بحر المرجان، العراق، وزارة الثقافة، 1982، مج 1، مقدمة المحقق، ص14.

(37) مقالة سعد مصلوح في: **الكتاب التذكاري المهدي إِلى الأستاذ عبد السلام هارون**، ص428. ولا يقصر "مصلوح" هذا الوصف على النحو وإنما يعممه على أي معالجة للظواهر اللسانية في التراث التي تأتي مفرقة أشتاتاً، حتى إن الظاهرة الواحدة لتعالج في علوم مختلفة، أو تعالج في العلم الواحد تحت أبواب متفرقة، ومع أن التراث اللساني العربي قد تضمن معالجات علمية متميزة لكثير من مسائل الأصوات والصرف والنحو والدلالة فإنه لم يستثمر فكرة المستوى التحليلي الذي ينتظم مفردات المسائل ويفسر علاقاتها النظامية فيما بينها، ويعالج علاقات المستوى الواحد بغيره من المستويات التي تقع دونه أو فوقه في سلم العلاقات الوظيفية.

(38) المرجع السابق، ص428، 431-432.

(39) انظر: **مفتاح العلوم**، ص7-8.

(40) انظر في ذلك:**علم لغة النص**، ص 133-135. وانظر: مفتاح، محمد: **ديناميّة النصّ، تنظير وإنجاز، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990**، ص42. **وعلم اللغة النصي**، ص 36، وانظر: **نسيج النص**، ص 16، وانظر: أبو غزالة، إلهام **مدخل إلى علم لغة النصّ: تطبيقات لنظرية "روبرت ديبوجراند و"ولفانج دريسلر"**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1999، ص:11-22.

(41) المستويات الثلاثة التي ترتبط في دلالتها بالمقام ارتباطاً واحداً معتمداً طرفا التواصل في تركيب الكلام وتحليله، انظر: **نسيج النص**، ص 16.

(42) تخرج تبعاً لهذا المبدأ الجمل التي لها وظائف نحوية أو ما يطلق عَلَيْها في النَحْو العَرَبيَ الجمل التي لها محل من الإعراب.

(43) تشمل هذه الخصائص جميع المعايير التي أوردها "دي بوجراند" لجعل النصية أساساً مشروعاً لإيجاد النُصوص واستعمالها. **النص والإجراء والخطاب**، ص 103-105.

(44) يُنظَرُ: **علم لغة النصَ**، ص 150.

(45) المرجع السابق نفسه.

(46) يورد "نهاد الموسى" أمثلة مهمة شاهدة على إدراك "سيبويه" لعالم النص وتوظيفه البعد الخارجي في تحليل النصَ، وهي أمثلة تجمع بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق وتتضمن إشارات تؤكد إدراك النحاة ما بين اللغة وسياقها الاجتماعي من علاقة عضويّة لا بدَ من استثمارها عند تحليل النصّ. يُنظر: الموسى، نهاد، **نظريّة النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، عمّان، دار البشير، ط2، 1987، ص 97-102.

(47) انظر: Longacre, Robert; *The Grammar of Discourse*, New York,Plenum Press, 1983; P.337.

(48) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، طبعة دار الجيل، ط1، 1991؛ 2/ 130.

(49) أي ظننتَ ظناً بمنزلة اليقين. انظر **لسان العرب**، (زكن): 240/13.

(50) **الكتاب**، ج1، ص 257؛ وانظر الصفحات:255، 256، 280. وينقل "سيبويه" عن "الخليل"(160هـ) أنهم حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه. انظر **الكتاب** 295/1.

(51) انظر المرجع السابق، ج280/1.

(52) المرجع السابق، ج1، ص 321، و**الخصائص**: 284/1-285.وانظر: السيوطي(911هـ)، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1987؛ ج40/2.

(53) **الخصائص**، 284/1. و"ابن جنّي" جعل هذا النصَ عنواناً للباب.

(54) المرجع السابق، 285/1.

(55) المرجع السابق، ج1، ص 285.

(56) المُبرّد، أبو العبّاس: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة،، بيروت، عالم الكتب؛ 81/2.

(57) انظر: **علم لغة النص**، ص 143-146.

(58) **الكتاب**: 1/ 280. باب: " يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل"، ومن الأمثلة التي ترد في الباب قولهم:" هذا ولا زعماتك" أي هذا الحق ولا أتوهم زعماتك. وانظر تعليق "الرضيّ الاستراباذي" على هذا المثل في: **شرح الكافية**، تقديم وفهرسة: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998؛ ج253/1. وانظر: صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي: دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، العدد 92، خريف 2005؛ ص97-98.

(59) **الكتاب**، ج1، ص 253.

(60) المرجع السابق، ج1، ص 255.

(61) المرجع السابق، ج1، ص 256.

(62) المرجع السابق، ج1، ص 257.

(63) المرجع السابق: ج3، ص 103.

(64) يُنظَر: بلحبيب، رشيد: أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، مجلّة اللسان العربي، العدد (47)، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، سنة 1999؛ ص: 239-242. ويُنظر: براون. ج ب. و يول. ج: تحليل الخِطاب، ترجمة منير التريكي ومحمد الزليطني، الرياض، جامعة الملك سعود، 1993؛ ص49.

(65) انظر: **المقتضب**، 81/2، وانظر: الثعالبي(430هـ)، أبو منصور عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وأسرار العَرَبيّة**، تحقيق: سليمان البواب، دمشق، منشورات دار الحكمة، 1984، ص 361. وقد أورد "الثعالبيّ" كلامه في فصل إلغاء الخبر اكتفاءً بما يدلّ عليه الكلام وثقةً بفهم المخاطَب، وقال: إنه من سنن العرب.

(66) **المقتضب**، 81/2.

(67) المرجع السابق، 79/2.

(68) **مغني اللبيب**، 391/2.

(69) المرجع السابق نفسه.

(70) انظر: حموده، طاهر سليمان، **ظاهرة الحذف في الدَرْسِ اللُغَوِيِّ**، الاسكندرية-مصر، الدار الجامعيّة للطباعة والنشر والتوزيع، ص94. وينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القاهرة؛ طبعة دار الحديث، المركز الإسلامي للطباعة، القسم الأول/ج2 ص: 655-659، حيث يورد المؤلف المواضع القرآنية التي حذف فيها جواب "لو".

(71) **مغني اللبيب**، 391/2، وانظر: **ظاهرة الحذف في الدَرْسِ اللُغَوِيِّ**، ص 255.

(72) **مغني اللبيب**، 391/2. وانظر: **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القسم الأول/ج2 ص: 685-686.

(73) **ظاهرة الحذف في الدَرْسِ اللُغَوِيَ**، ص 255.

(74) ينظر: **الكتاب**، 103/3؛ **مغني اللبيب**، 581/1. وانظر: **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القسم الأول/ج2 ص: 157-166.

(75) **المقتضب**، 170/1.

(76) **الكتاب**، 224/1.

(77) المرجع السابق، 74/1.

(78) المرجع السابق، 344/2-345.وقد أورد "المبرَد" كلام "سيبويه" في كلامه على: ما يحذف لعلم المخاطَب بما يقصد له. انظر: **المقتضَب**: 429/4، وانظر: 152/2، 129/4.

(79) المرجع السابق، 347/2.

(80) يُنظر على سبيل المثال: **الكتاب**: 25/1، 66، 76، 81، 240، 245، 275، 295، 340، 345؛ 90/2، 91، 125، 346، 347، 366، 367.

(81) يُنظَر المرجع السابق:

أ. باب ما يكون في اللفظ من الأعراض (الحذف، والاستغناء، والعوض): 24/1.

ب. باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه: 273/1.

ج. باب "ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مُسْتَغْنٍ عن لفظك بالفعل ": 253/1.

(82) انظر المرجع السابق: 391/1؛ 36/2-37، 244-245؛ 580/3-581.

(83) يُنظَر مثلاً: الفرَاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**،، بيروت، عالم الكتب: 36/1، 40، 59، 62؛ 37/2، 56؛ 84/3، 85، 260، 274؛ **المقتضب**: 152/2، 76/3، 429/4، وانظر: **مغني اللبيب**: 345/2-347، 352-365؛ ويشار إلِى أنَ "ابن جني" أفاد كثيراً مما انتهى إليه النحاة قبله في موضوعات الحذف اكتفاء أو استغناء أو اجتزاء أو تخفيفاً...إلخ؛ واستعار بعض ألفاظهم في كلامه على الحذف وأنواعه وأغراضه، بل إنه أفرد أبواباً خاصّة للاستغناء والاكتفاء: (باب الاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب)،**الخصائص**: 173/3. (باب الاستغناء عن الشيء بالشيء)، **الخصائص**: 266/1- 271، فضلاً عن إشاراته الكثيرة الأخرى في ثنايا كتابه **الخصائص**، انظر: 152/1، 391، 370/2-371، 425، 173/3-177.

(84) **مغني اللبيب**، ج2، ص 324.

(85) ينظر: المرجع السابق، 352/2-395.

(86) المرجع السابق، 392/2.

(87) المرجع السابق، 393/2-394.

(88) المرجع السابق، 388/2-389.

(89) المرجع السابق، 394/2.

(90) المرجع السابق، 392/2-395.

(91) **نسيج النص**، ص 28.

(92) المرجع السابق نفسه.

(93) المرجع السابق نفسه.

(94) يعدّ إسهام عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التقاءً بالغ الأهمية مع الأفكار التي يقدمها المحدثون الغربيون؛ فهي من أهم دراسات القدماء المنهجية المتصلة بعلم لغة النص التي تدور في معظمها حول مبدأ التضامّ أو الاتساق. انظر: **مدخل إلى علم لغة النصّ: تطبيقات لنظرية "روبرت ديبوجراند و"ولفانج دريسلر"**، ص 17.

(95) الجُرجانيّ، عبد القاهِر، **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة – مطبعة المدني، جدّة – دار المدنيّ؛ ط3، 1992، ص 243.

(96) المرجع السابق، ص 222.

(97) يُنظر المرجع السابق ص 223.

(98) المرجع السابق نفسه.

(99) المرجع السابق، ص 227.

(100) انظر المرجع السابق نفسه، وانظر: **لِسانِيّات النص**، ص 101.

(101) **دلائل الإعجاز**، ص 227.

(102) ينوي الباحث إعداد دِراسَة تفصيلية تكشف عن إسهامات "الجرجاني" في مجال اللِسانِيّات النصية والعلاقات الناظمة للمقولات اللُغَويّة بمستوياتها المُخْتَلِفَة.

(103) انظر: **دلائل الإعجاز**، ص 227-233.

(104) من ذلك قوله تعالى: **{ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}** فجاءت "**اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** " ممتنعةَ العطفِ على " **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** " وجوباً، لأن الجُمْلَة

المتبوعة حكاية عن المنافقين والتابعة خَبَر من الله تعالى أنه يجازيهم على استهزائهم. انظر: **دلائل الإعجاز**، ص 231-332.

(105) **دلائل الإعجاز**، ص235-236. ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

زَعَمَ العَواذِلُ أنَّني في غمرةٍ   صدقوا، ولكن غمرتي لا تنجلي

على تقدير: وما جوابك عن قولهم ؟ (أي العواذل)، أو: أصدقوا أم كذبوا ؟. انظر **مُغني اللبيب**: 16/2.

(106) ومن ذلك قول المتنبَي:

تَولَّوا بَغْتَةً فكأَنَّ بَيْناً   تَهَيَّبَني، فَفاجَأني اغْتيالاً

فكانَ مسير عيسهم ذميلاً   وسير الدمع إثرَهم انْهِمالاً

فقوله:" فكان سير عيسهم" معطوف على "تَوَلَّوا بغتةً"، وبغير ذلك يفسد المعنى. انظر **دلائل الإعجاز**، ص 244.

(107) **دلائل الإعجاز**، ص 245-246.

(108) يَكشِفُ علم المعاني في بعض أبوابه عَنْ ظهور ملامح نَظَرِيَّةٍ مكتملةٍ في " نحو العَرَبيّة النَصِّيّ "، وقد سبقت الإشارَة إلى أن الباحث يُعِدُّ لِدراسَة جوانب هذه النَظَرِيَّة عند "عبد القاهر الجرجاني". انظر هامش رقم (100) من هذه الدِراسَة.

(109) **الكتاب**، 176/2-177.

(110) المرجع السابق، 14/2-15.

(111) المرجع السابق، 16/2.

(112) المرجع السابق، 17/2.

(113) **معاني القُرْآن**، 68/2.

(114) انظر: *The Grammar of Discourse*, P.45-48, 52-58, 93-94, 95-98, 106-107 وانظر الصفحات التالية التي جمع فيها المؤلف مختلف أشكال أدوات الربط: P.81, 83, 89, 91, 94, 95, 98, 101, 106, 110, 112.

وانظر: Dijk, Teun Adrian Van, *Text and Context,Exaploration in the Semantics and Pragmatics of Discourse*, London, Longman Linguistic Library,5th impression, 1989, P:93-94, 95-98, 106-107.

(115) انظر: **نسيج النص**، ص 28.

1. قاعِدَة الربط البياني (المباشر): " كلّ جملتين متتاليتين في النصّ ثانيتهما بيانٌ للأولى ترتبطان بلا أداة ".

2. قاعِدَة الربط الخلافي(غير المباشر): " كلّ جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط ".

(116) انظر **معاني القُرْآن**، 1/43-44، 144.

(117) المرجع السابق، 1/144.وانظر بحث هذه المسألة عند "الخطابي"، **لسانيات النصّ**، ص109.

(118) **مُغني اللبيب**، 2/16.

(119) المرجع السابق نفسه.

(120) **مفتاح العلوم**، ص 263؛ وانظر: **مغني اللبيب**، 2/16؛ و"السكاكي" يورد أمثلة كثيرة على هذا النوع من تعليق الكلام على نص غير ظاهر(سؤال مقدّر)، انظر: **مفتاح العلوم**، ص261-265. ولزيادة تفصيل يرجع إلى مناقشة المثال في: **لسانيات النصّ**، ص109-110.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الفتح، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط بيروت، المكتبة العصرية، 1999.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2.

ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003.

ابن هشام، جمال الدين، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، بيروت، دار إحياء العلوم، ط2، 1985.

ابن هشام، جمال الدين، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، بيروت، دار الجيل، ط1، 1999.

أبو غزالة، إلهام، **مدخل إلى علم لغة النصّ**: تطبيقات لنظرية "روبرت ديبوجراند و"ولفانج دريسلر"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1999.

الاستراباذي، رضيّ الدين، **شرح الكافية** (كافية ابن الحاجِب)، تقديم وفهرسة: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998.

البحيري، سعيد، **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1.

بلحبيب، رشيد، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، **مجلّة اللسان العربي**، الرباط، مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1999؛ العدد(47)، سنة 1999.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وأسرار العَرَبيّة**، تحقيق: سليمان البواب، دمشق، منشورات دار الحكمة، 1984.

الجرجاني، عبد القاهر، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: كاظم بحر المرجان، العراق، وزارة الثقافة، 1982.

الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة – مطبعة المدني، جدّة – دار المدنيّ، ط3، 1992.

حسّان، تمام، **اللغة العربية: معناها ومبناها**، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط2، 1979.

حموده، طاهر سليمان، **ظاهرة الحذف في الدَرْسِ اللُغَوِيّ**، الاسكندرية-مصر، الدار الجامعيّة للطباعة والنشر والتوزيع.

الخطابي، محمد، **لِسانِيّات النص**، مدخل إِلى انسِجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي العَرَبيّ، ط1، 1991.

الزَنّاد، الأزهر، **نسيج النص**، بيروت، المركز الثقافي العَرَبيّ، ط1، 1993.

ستيتيّة، سمير، **منازل الرؤية، منهج تكامليّ في قراءة النصّ**، عمّان-الأردن، دار وائل للنشر، ط1، 2003.

السكاكي، أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، طبعة دار الجيل، ط1، 1991.

السيد، عبد الحميد، **دراسات في اللِسانِيّات العَرَبِيّة**، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

السيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، ط2، مؤسسة الرسالة، 1987.

الشاوش، محمد، **أصول تحليل الخطاب في النَظَرِيَّة النَحْويَّة العَرَبِيّة**، تونس، جامعة منوبة والمؤسسة العَرَبيّة للتوزيع، 2001.

صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي: دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، العدد 92، خريف 2005.

عضيمة، محمد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القاهرة، طبعة دار الحديث، المركز الإسلامي للطباعة.

الفَرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، بيروت، عالم الكتب.

فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 164، سنة 1992.

الفقي، صبحي: **علم اللغة النصي بين النَظَرِيَّة والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للنشر، ط1، 2000م.

المُبرّد، أبو العبّاس، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.

مصلوح، سعد، العَرَبيّة من نَحْو الجُمْلَة إلِى نَحْو النَصّ، مقالة في: **الكتاب التذكاري المهدي إلِى الأستاذ عبد السلام هارون**، جامعة الكويت، كلية الآداب، الكويت، 1989-1990.

مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعريّ:استراتيجيّة التناصّ**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.

مفتاح، محمد، **ديناميّة النصّ، تنظير وإنجاز**، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990.

الموسى، نهاد، **نظريّة النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، عمّان، دار البشير، ط2، 1987.

يعقوب، إميل، وبركة وشيخاني، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.

المراجع الأجنبية:

- المترجمة:

براون، ج ب. و يول، ج. **تحليل الخِطاب**، ترجمة منير التريكي ومحمد الزليطني، الرياض، جامعة الملك سعود، 1993.

دي بوجراند، روبرت، **النص والإجراء والخطاب**، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998.

- غير المترجمة:

Dijk, Teun Adrian Van, *Text and Context,Exaploration in the Semantics and Pragmatics of Discourse*, London, Longman Linguistic Library,5th impression, 1989.

Johnson, Keith and Helen, *Encyclopedia Dictionary of Applied Linguistics*, Blackwell Publishers, 1st Published, Oxford, Uk, 1998.

Longacre, Robert; *The Grammar of Discourse*, New York,Plenum Press, 1983.

نشر المعرفة العلمية: الإشكالية اللغوية

بتول المحيسن، جامعة اليرموك، إربــد، الأردن.

ملخص

يسعى هذا البحث إلى طرح إشكالية دور اللغة في نشر المعرفة العلمية وتعميمها لدى الجمهور العريض من القراء، وذلك من منظور علم اللغة الحديث فيدرس الصعوبات والعوائق التي تصادف من يتصدى لهذه العملية، ويقترح مجموعة من الوسائل والآليات التي من شأنها الإسهام في توصيل أفضل للمعرفة العلمية إلى القراء، مستندا إلى كتاب بيير لأسلو "تعميم المعرفة العلمية".

* The paper was received on Jan. 15, 2006 and accepted for publication on July 12, 2007.

Bibliographie

Adam, Jean-Michel. (1993). *Le récit*, "Que sais-je" N˚ 2149, presse universitaire de France, Paris.

Henry, Georges. (1987). *Comment mesurer la vulgarisation lisibilité*, Bruxelles, Editions Labor., paris.

Jacobi, Daniel. (1987). *Textes_et images de la vulgarisation scientifique*, InterEditions, Berne.

Laszlo, Pierre. (1993). *La vulgarisation scientifique*,:Que sais-je",No.7030, presse universitaire de France,Paris.

Lévy-Leblond, Jean-Marc. (1996). *Aux contraires (l'exercice de pensée et la pratique de la science)*, Gallimard, Paris.

Raichvarg, Daniel. (1991). *Savants et ignorants: une histoire de la vulgarisation des sciences*, Le Seuil, Paris.

Roqueplo, Philippe. (1974). *Le partage du savoir: science, culture, vulgarisation*, Le Seuil Paris.

communes aux fleurs ordinaires, des pièces qui servent habituellement à des fonctions très différentes".

Un autre exemple, celui de Carl Segan, astronome et chimiste, qui a présenté des films de vulgarisation scientifique. Son succès a été assuré par son style: ruptures de rythme du récit et analogies avec la vie quotidienne, ton anecdotique.

Conclusion

Il est souhaitable que le processus de la vulgarisation scientifique soit prise en charge par les scientifiques eux-mêmes ou qu'ils y participent.

A travers les quatre chapitres de son livre, l'auteur Pierre Laszlo ne cesse de relever la saveur des bons livres de vulgarisation écrits par les scientifiques eux-mêmes. *La vulgarisation scientifique* est un plaidoyer pour la popularisation de la science: le souci de l'auteur est de montrer les lignes directrices de la démarche vulgarisatrice. Toute la responsabilité de cette tâche revient aux scientifiques qui publient des livres pour le grand public. Leur rôle est peu commun et donc ils doivent faire preuve de créativité et d'imagination.

Les vulgarisateurs doivent se distancer par rapport à leurs modes de communication usuels. Ils doivent élaborer des traductions cohérentes en des termes simples, regroupant dans leur travail les compétences d'un interprète, d'un enseignant, d'un journaliste et d'un communicateur de métier, servant de liaison entre la communauté scientifique et le grand public (Roqueplo 1974: 315-316). La tâche n'est pas simple, mais, comme l'auteur le montre, les résultats sont vraiment des chefs d'œuvres artistiques.

Il ne faut pas oublier que l'acte d'instruire peut être concilié avec l'acte de divertir. Ce n'est pas tâche facile, mais la pratique d'un style familier, de l'humour et l'enracinement de la vulgarisation dans la vie courante peuvent mener à des résultats fructueux.

Le texte sera réaliste et plus facile à lire. Ainsi, elles fournissent à la lecture des points d'accrochage forts qui aident à capter l'attention du lecteur.

Il ajoute que les images de la vie courante aident à enlever le mystère qui entoure la vie scientifique et par la suite la mystification disparaît.

5. Rapport de la description de la nature avec l'image. Depuis la Renaissance, il existe une tradition pour décrire la nature. Pierre Lazlo considère que les naturalistes devraient premièrement: exploiter les ressources du vocabulaire (celles de l'analogie) et de la métaphore pour décrire les merveilles de la nature; deuxièmement: récompenser le lecteur par une belle image de la nature.

6. L'importance de la légende: la légende est fonction du contenu didactique qu'on veut donner à l'image. Le rôle de la légende est d'expliquer l'image, d'inviter à la lecture du texte et de résumer le texte, sans faire doublon avec celui-ci (Adam 1993: 91-92).

Selon Laszlo, une bonne légende doit être facile à comprendre, utiliser un style plat, sans relief, sobre et précis. Une légende trop longue ne motive pas le lecteur à lire le texte.

Les avantages des modèles anglo-saxons dans le domaine de la «vulgarisation scientifique»

Selon Pierre Lazlo, la culture anglo-saxonne a des points forts qui ont facilité l'épanouissement de la vulgarisation scientifique.

Jacobi Daniel (1987:116) a donné la même image que Laszlo sur la créativité de la langue anglaise en matière de néologismes des constructions (telles que a "*meat-and-potatoes restauran"t* ou "*a just-pretend-I'm-not-here observer*") ainsi que sur la démarche inductive des chercheurs anglo-saxons qui commencent par étudier les faits pour aboutir à des théories scientifiques. Leur approche est expérimentale et empirique plutôt que théorique. Enfin, l'Angleterre possède une puissante industrie de la communication qui vise à comprendre et à expliquer les blocages de la communication et à y trouver des remèdes (Hollywood, Madison Avenue, des périodiques tels *Times*, *Newsweek* en sont quelques exemples).

L'ouvrage *La vulgarisation scientifique* donne plusieurs exemples d'auteurs anglo-saxons qui ont fait un très bon usage des règles de vulgarisation, comme: Stephen Gould, qui a contribué à la théorie de l'évolution. Son style est simple et familier. Il présente l'information à partir d'exemples particuliers, pour aboutir à la généralisation. Voici un exemple: "les orchidées fabriquent leurs instruments compliqués qui leur permettent la pollination croisée à partir des composants

13. Illustration explicitant un point du texte: les vulgarisateurs doivent utiliser l'illustration, pour animer et ponctuer les textes. Ainsi, cette utilisation enrichit le récit et le rend captivant.

Moyens d'illustrer le texte (la relation entre texte et image)

L'apprentissage peut se faire simultanément par le mot et l'image surtout quand on s'adresse à la jeunesse ou aux enfants. Pour les textes écrits, les images parallèles au texte ont été présentées depuis le Moyen Age jusqu'à nos jours.

"Le rôle de l'image est d'aider le lecteur à se figurer le phénomène naturel ou l'instrumentation servant à l'étudier, ou bien l'objet de pensée dans lequel il est désirable de le transcrire". (Jacobi 1987: 112)

Selon Pierre Lazlo (1993: 89), toute illustration possède un format (grand ou petit) et un style (réaliste ou schématique).

La relation entre texte et image

Selon l'auteur, il existe un rapport entre le texte et l'image qui illustre le contenu scientifique. Il décrit la relation entre ceux-ci de la manière suivante:

1. Toute lecture est plurielle: lorsqu'on a un texte accompagné d'une iconographie, on fera deux lectures: celle du texte écrit et celle de l'image qui accompagne le texte (texte – illustration). Le rôle de l'image est de séduire le lecteur. On peut par, exemple, utiliser: les schémas, les graphiques ou les diagrammes variés.

Adam (1993: 215-216) a confirmé ce concept. Selon lui, l'illustration d'un texte doit obéir à certaines règles; d'abord l'image doit avoir un but précis. Puis, elle doit former une séquence logique avec le texte. Ensuite, elle doit avoir une quasi autonomie, tout en étant en symbiose avec le texte. Enfin, elle doit animer le texte et récompenser le lecteur pour son effort intellectuel.

2. Le réalisme: lorsqu'on a une représentation graphique et non pas une photographie, il est recommandé que l'image préserve les détails essentiels, l'échelle et le relief de l'original. L'image doit être réaliste et simplifiée pour aider le lecteur à saisir les points essentiels auxquels le texte fait référence.

3. Rapport proximité – distance avec le texte: l'image fait le contrepoint du texte, elle évoque les faits scientifiques d'un texte.

4. Convoquer les images de la vie courante: selon Raichvarg (1991: 125), "*choisir des images de son univers familier va aider le lecteur à comprendre que la science est utile*". Selon Laszlo (1993: 110), un autre avantage de ces images, c'est qu'elles obligent la narration à les englober.

6. Structures syntaxiques simples: pour présenter les idées, il est recommandé d'utiliser des phrases dont l'ordre syntaxique est simple et précis, pour améliorer leur lisibilité. Ce moyen permet de s'initier plus facilement à la problématique proposée.

   Exemple: au lieu de dire: "en commun, les cellules ont un certain nombre d'éléments", on dit: " les cellules ont un certain nombre d'éléments en commun.".

7. Phrases courtes: la longueur des phrases va de pair avec le style: si ce dernier le permet, la phrase restera facile à comprendre, même pour une longueur qui dépasse trente mots. Si le style ne le permet pas (si les mots sont trop longs), la phrase ne devrait pas dépasser vingt mots.

8. Mots courants et courts: les mots rares enrichissent le vocabulaire du lecteur, donc ils sont désirables, mais pas en trop grand nombre car ils peuvent rendre la lecture plus difficile. On doit préférer des mots plutôt courts que des mots longs pour que le texte soit moins touffu.

9. La redondance: elle est nécessaire dans l'enseignement. Elle est la reprise d'une idée sous une autre forme, ce qui fait passer le message plus facilement. C'est une bonne redondance lorsqu'on fait périodiquement le point ou lorsqu'on précise le stade du récit. Mais, il faut éviter la paraphrase systématique comme par exemple: donner un terme savant et le faire suivre par une longue définition (Exemple: Liaison covalente. On entend par là le lien entre deux atomes identiques, au moyen d'une paire d"électrons attirés par les charges positives des deux noyaux).

10. Concision d'ensemble: selon Pierre Lazlo, plus un texte est bref, plus il est de qualité. Un texte de vulgarisation gagne en concision, si on élimine les mots techniques non nécessaires, et on utilise des mots simples (au lieu des périphrases) et des conjonctions (donc, ainsi), cela sans altérer le sens du texte.

11. Eviter les sigles: les spécialistes recourent souvent aux sigles qui font partie de leur domaine. L'auteur de *La vulgarisation scientifique* donne le conseil d'éviter les sigles parce que, d'abord ils sont incompréhensibles pour les non spécialistes, puis on les retient mal. Enfin les sigles homonymes prêtent à la confusion. Par exemple: RMN désigne aussi bien «la Résonance Magnétique Nucléaire» que la «Réunion des Musées Nationaux».

12. Eviter les termes techniques: l'auteur considère qu'il est bien d'éviter les termes techniques pour rendre le texte plus explicite pour les lecteurs, et moins «lourd». Par exemple: au lieu de dire; " molécules antigéniques ", on dit: " protéines étrangères à l'organisme "

- l’information: précise, juste
- maîtrise totale du sujet
- extrême concision
- style: alerte et chaleureux
- importance des renvois (implicites ou explicites).

* Moyens de rendre le texte plus lisible

Pour les gens ordinaires, les textes scientifiques ne sont pas faciles à comprendre. C’est pour cela que les ouvrages de vulgarisation devraient respecter des contraintes liées à leur organisation textuelle.

L’ouvrage «La vulgarisation scientifique» présente quelques règles qui doivent être respectées, dans un texte scientifique, pour que celui-ci soit plus lisible pour les lecteurs.

1. Titre adéquat: d’abord, le titre d’un ouvrage doit être attrayant, simple, bref, mi-sérieux, mi-opaque et mémorable. Puis, les bons titres sur la couverture sont comme «des drapeaux» qui incitent à la lecture. Enfin, les bons titres doivent recentrer le thème de l’ouvrage dans l’univers familier des lecteurs.
2. Chapeau: c’est une sorte de sous-titre, grand format qui donne une idée générale sur le contenu de l’ouvrage, et qui complète l’information d’un titre. Les caractéristiques d’un bon chapeau sont les suivantes: d’abord, un contenu pas trop long; puis, éviter les majuscules et résister à l’hyperbole; ensuite faire la publicité sans exagérer. Enfin, éviter l’utilisation des expressions toutes faites.
3. L’entrée en matière: elle doit mettre en évidence d’une manière simple et claire l’objet de l’étude. On peut commencer l’entrée par une question ou une description brève du sujet de l’ouvrage.
4. Les intitulés des paragraphes: si on a décidé de mettre un titre aux paragraphes, il doit être court (un ou deux mots) et résumer les arguments des paragraphes. Les intitulés sont utiles pour donner une structuration au texte.
5. Des paragraphes courts: le paragraphe doit être bref et avoir une structure ternaire. D’abord, il doit avoir un lien avec le paragraphe précédent. Puis, il doit avoir un développement cohérent dans lequel on crée un enchaînement toutes les deux ou trois phrases. Enfin aménager une liaison avec le paragraphe suivant.

pays anglo-saxons, où les scientifiques s’occupent eux-mêmes de la vulgarisation des résultats de leurs recherches.

Conseils linguistiques

* Les moyens pour maintenir l’attention du lecteur:

L’auteur, Pierre Lazlo, propose plusieurs moyens pour maintenir l’attention des lecteurs:

1) l’honnêteté du propos,

2) la simplicité de la terminologie et de la présentation,

3) la communication d’un enthousiasme et l’absence de paternalisme.

* Un livre de vulgarisation doit enseigner la démarche propre à une discipline, pour fournir des outils de pensée accessibles aux lecteurs. Les parenthèses et les digressions sont des moyens de créer une liaison entre la réalité quotidienne et les idées scientifiques, cela est pour éviter le didactisme.

* Pour faciliter la compréhension des textes scientifiques, l’auteur propose de combiner les données purement scientifiques avec des données biographiques faisant partie de l’expérience du chercheur. La présentation d’un texte doit inclure des fragments, qui synthétisent ce qui précède et créent une liaison avec ce qui suit. Si on a utilisé des termes techniques, ils doivent être accompagnés par une définition.

L’utilisation des symboles typographiques (majuscules, guillemets) peut donner des dimensions nouvelles aux textes. Par exemple les majuscules peuvent donner une couleur mythologique. Les lettres en italiques ou en gras peuvent souligner une idée.

* La structure du texte doit être préférablement narrative et similaire aux contes. Le développement chronologique du récit fournit un texte facile à lire.

On regrette ici que l`auteur n'ait pas développé cette piste car il existe des formes d'écriture qui ont tenté un accès plus facile à la science en empruntant un détour par la fiction, la littérature de science fiction.

* Les images et les métaphores qui relient une découverte scientifique à une image de la vie courante, donnent la description d’un phénomène et sont facilement assimilables à l’expérience personnelle des lecteurs.

* Les vignettes qui associent une notice textuelle et une illustration sont des tranches de savoir. La rédaction d’une notice fait état des connaissances actuelles sur un point précis. Les caractéristiques d’une notice de qualité, pour un impact maximal, seraient:

forcement une modification de l'écriture d'où par exemple la présence du discours apporté sous ses différentes formes.

En outre, pour le bon fonctionnement de la transmission de l'information vers le grand public, le vulgarisateur scientifique devrait tenir compte du faible niveau d'homogénéité de ses lecteurs (Lévy-Leblond 1996: 211). Ainsi, le public intéressé par les ouvrages de vulgarisation d'expression française, comprend des Français et des Francophones (se dit d'une personne qui parle le français comme langue première ou seconde) dont le niveau d'éducation et la formation varient beaucoup (Lévy-Leblond 1996: 93).

Le contexte de *vulgarisation scientifique*

On inclut dans le cadre de la vulgarisation des facteurs qui échappent au domaine purement linguistique, et qui proviennent du contexte économique, social et historique. IL est claire que les périodes qui connaissent une prospérité économique, un développement industriel, une liberté de pensée favorisent la vulgarisation. Le contexte, considère l'auteur de cet ouvrage, a été favorable à la vulgarisation pendant la Renaissance jusqu'au XIXe siècle. Parmi les précurseurs et les grands anciens de la vulgarisation, il énumère: Pline l'Ancien, Galilée, Jonathan Swift, etc. Chacun de ces auteurs est cité pour illustrer les bonnes qualités d'une vulgarisation réussie (Henry 1987: 110).

Dans le deuxième chapitre de son ouvrage intitulé «La fin de l'âge d'or», Pierre Lazlo émet l'hypothèse que pendant le XXe siècle, la puissance scientifique française a connu un déclin, marqué par une coupure entre la science et l'homme ordinaire en France.

Parmi les facteurs qui seraient responsables de ce déclin, il énumère:

1) L'impossibilité de reprendre une partie des pensées scientifiques du XXème siècle pour les simplifier. Exemple: la théorie de la relativité d'Einstein.

2) Le plaisir de présenter les notions simples d'une manière complexe et abstraite, ce qui rend les idées scientifiques incompréhensibles pour les gens ordinaires.

3) Une tentation de simplifier la vision du monde pour la présenter en tant que système unifié.

4) Entre les spécialistes et le public s'interposent les médiateurs qui se donnent comme *«indispensables»* traducteurs de la langue savante à la langue usuelle. Ces médiateurs peuvent changer le sens du message scientifique. La présence des *«médiateurs linguistiques»* qui serait, selon l'auteur, caractéristique de la scène scientifique française, pose un problème linguistique d'interprétation. On ne trouve pas ce même problème dans les

«partage avec autrui des instruments de lecture du quotidien» (Laszlo 1993: 29).

Le contenu de l'ouvrage *«la vulgarisation scientifique»*

L'auteur se propose de montrer les splendeurs de la vulgarisation scientifique et d'analyser les pièges à éviter dans l'écriture de textes de popularisation. Le livre contient de nombreux exemples de réussites, mais aussi plusieurs cas de présentation malhabile prise parmi les articles et les livres de vulgarisation de tous les siècles.

Quant aux réussites, l'auteur souligne qu'un bon ouvrage de vulgarisation doit satisfaire à la fois *un besoin instructif* (celui de mieux connaître sa place dans le monde environnant) et un *besoin de se divertir*.

Certaines présentations malhabiles sont données comme exemples à éviter.

L'auteur a estimé dans cet ouvrage la place du livre. Il considère que face aux nombreux moyens de s'informer qui sont destinés au public (ordinateur, radio, journaux, T.V., etc.), le livre reste le meilleur instrument d'information pour tous ceux qui voudraient apprendre seuls (*les autodidactes*). Mais nous pensons que l`auteur n'estime pas à sa juste valeur l'apport de nouvelles technologies et le rôle qu'elles peuvent jouer dans la transmission des savoirs scientifiques. Prenons par exemple les possibilités énormes qu`offre le réseau Internet qui a largement démocratisé la communication scientifique.

Les participants

«La vulgarisation scientifique» comprend trois participants:

Spécialistes Message ______________________________ public
(médiateur linguistique) = «vulgarisateur»

Les spécialistes qui sont la source de l'information s'adressent en principe à un public bien ciblé, mais le message, qui vise un large public constitué de non-spécialiste, subit des transformations pendant le processus de vulgarisation.

Selon Pierre Laszlo (1993: 55-56), le passage par le médiateur linguistique n'est ni obligatoire ni désirable, car il y a des spécialistes qui sont des talentueux vulgarisateurs et les médiateurs linguistiques sont souvent moins experts que les spécialistes, ce qui donne moins de chances de réussite à leur démarche de vulgarisation. Mais ce schéma proposé par Laszlo ne tient pas compte du fait que la voix du vulgarisateur n'est pas la seule présente dans le texte car le discours vulgarisateur connaît une multiplication des intervenants. On y trouve des réflexions de spécialistes, des experts, des témoignages qui entraînent

The Arab Journal For Arts Vol. 5 No. 1, 2008, pp. 17-26

Diffusion du savoir scientifique : La problématique linguistique

Batoul AL-Muhaissen*

Abstract

In the light of modern linguistics and on the basis of Piere Laszlo's work, this study aims at examining the rule of language in the diffusion and dissemination process of scientific knowledge among the public of readers. It tackles the difficulties and suggests certain methods and mechanisms toward a better transmission of knowledge to the readers.

Introduction

L`ouvrage, "*La Vulgarisation scientifique*", dont il s'agit ici de synthétiser les problèmes linguistiques est traversé par la problématique de la diffusion du savoir scientifique du grand public ou de la société. Il s'attache aux aspects descriptifs et techniques de la *Vulgarisation scientifique* (Laszlo 1993, presse universitaire de France).

En effet, La vulgarisation scientifique de *Laszlo* s'attache aux problèmes techniques et pratiques de la diffusion scientifique.

L'auteur commence par justifier la nécessité de la vulgarisation scientifique par l'intérêt que porte le public au plaisir de s'informer sur les dernières découvertes de la science. Ce souci reste une constance historique puisqu'il date de la Renaissance.

Selon l'auteur, le public a besoin d'informations scientifiques; la vulgarisation revient donc aux chercheurs qui doivent simplifier, restructurer et reformuler ce message scientifique.

Dans le *dictionnaire de langue*, le mot «vulgaire» apparaît avec deux sens principaux: le premier; qui manque d'élévation ou de distinction; l'autre; populaire.

Dans cet ouvrage le mot «vulgariser» est utilisé avec son deuxième sens: «populariser», c'est-à-dire, *«communiquer en termes faciles à comprendre des réponses aux interrogations de la science»* (Laszlo 1993: 23). Ajoutons que l'auteur a proposé aussi une autre définition pour le mot «vulgariser», c'est le

* Université de Yarmouk, Irbid, Jordan.

CHARAUDEAU, P.; MAINGUENEAU, D. (2002). *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil,.

CARLO, M. (de). (1998). *L'interculturel*, Paris, CLE International,.

Centre européen de la jeunesse. (1996). «*Tous différents. Tous égaux. Kit pédagogique. Idées, ressources, méthodes et activités pour l'éducation interculturelle informelle avec des adultes et des jeunes*», *Conseil de l'Europe*, Strasbourg. Texte publié en ligne:

http://www.coe.int/T/E/Human_Rights/ECRI/3-Educational-resources/Education-Pack/Kit%20pedagogique.pdf

GALISSON, R.; COSTE, D. (1976). *Dictionnaire de didactique des langues*, Paris, Hachette.

GALISSON, R. (1990). «De la linguistique appliquée à la didactologie des langues-cultures», in *ELA* n°79.

GOFFMAN, E. (1973). *La mise en scène de la vie quotidienne*, Paris, Éditions de Minuit.

GOFFMAN, E. (1974). *Les rites d'interaction*, Paris, Éditions de Minuit.

GUNDARA, J. (1991). *Intercultural education*, London, Kogan Page,.

KERBRAT-ORECCHIONI, C. (1977). *La connotation*, Lyon, Presses Universitaires de Lyon.

KRAMSCH, C. (1993). *Context and culture in language teaching*. Oxford, O.U.P.

MUHAMMAD, R. (2005), *«Encourager la communication interculturelle»*. Article en ligne: http://www.unesco.org/ian/id/fre/rtf/di_Muhammad.rtf

SEMPRINI, A. (1997). *Le multiculturalisme*, Paris, Presses Universitaires de France, coll. «Que sais-je ?».

SIOUFFI, G.; VAN RAEMDONCK, D. (1999). *100 fiches pour comprendre la linguistique*, Rosny, Bréal.

TODOROV, T. (1992). *Nous et les autres. La réflexion française sur la diversité humaine*, Paris, Seuil.

ZARATE, G. (1986). *Enseigner une culture étrangère*, Paris, Hachette.

ZARATE, G. (1993). Représentations de l'étranger et didactique des langues, Paris, Didier.

les prénoms. Il a le choix entre les termes de parenté (e.g. *ma tante/mon oncle*) ou les termes de respect, qu'ils soient religieux (e.g. "*hajj*" = *personne ayant effectué le voyage de pèlerinage à la Mecque*) ou professionnels (e.g. *docteur = médecin/professeur d'université*).

(9) Dans le sens où le cours n'est pas conçu, à la base, pour travailler des fiches pédagogiques ou des exercices visant à envisager la culture étrangère. L'objectif initial de ce cours est d'initier les apprenants aux notions linguistiques de base nécessaires à toute réflexion approfondie sur une langue. Il s'agit plus précisément de: maîtriser un certain métalangage et se doter d'un bagage linguistique nécessaire à tout apprenant désirant mener une étude purement linguistique d'une langue; définir et expliquer une certaine terminologie linguistique jugée nécessaire aux apprenants d'une langue étrangère; présenter aux apprenants les divers courants et écoles linguistiques qui constituent les étapes principales de l'histoire de la linguistique durant les cent dernières années; présenter aux apprenants quelques techniques de description et d'analyse linguistiques nécessaires à toute étude linguistique.

(10) Plusieurs études menées sur l'interculturel se sont posées et se posent encore ces mêmes questions.

(11) Voir, à ce sujet, les exemples évoquées dans les pages précédentes sur la connotation, le système gestuel arabe et français, les expressions idiomatiques, les mots argotiques, etc.

(12) Centre européen de la jeunesse, *«Tous différents. Tous égaux. Kit pédagogique»*, Conseil de l'Europe, Strasbourg, 1996, p. 47.

(13) CARLO Maddalena (de), *L'interculturel*, Paris, CLE International, 1998, p. 77.

(14) *Idem*., pp. 103-104.

(15) Ce sont les habitants de la ville de Tafilé située au sud de la Jordanie.

RÉFÉRENCES BIBLIOGRAPHIQUES

ABDALLAH-PRETCEILLE, M. (1996). «Compétence culturelle, compétence interculturelle», in *Le Français Dans Le Monde*, n° spécial «Cultures, culture».

ABDALLAH-PRETCEILLE, M.; PORCHER, L. (1996). *Éducation et communication interculturelle*, Paris, Presses Universitaires de France.

ABDALLAH-PRETCEILLE, M. (1999). *L'éducation interculturelle*, Paris, Presses Universitaires de France, coll. «Que sais-je ?».

Footnote

(1) Ces dessins prennent leur nom à partir du nom du personnage principal y figurant: Abou Mahjoub. Ce dernier, représente, en effet, le citoyen jordanien typique par ses gestes, ses mimiques, ses mouvements, son accent, ses expressions linguistiques régionales; bref, par sa mentalité et sa façon d'être. Le choix de ces dessins pour travailler les gestes culturellement connotés relève de leur représentativité à ce niveau, mais aussi de leur caractère humoristique, donc ludique.

(2) La recherche se faisait, entre autres, sur les très nombreux sites-internet consacrés à la civilisation française et dans le grand nombre de magazines français dont dispose la bibliothèque universitaire.

(3) CARLO Maddalena (de), *L'interculturel*, Paris, CLE International, 1998, p. 101.

(4) Certains auteurs ont entrepris plusieurs classifications au niveau de la connotation dont celle qui distingue entre autres «les connotations stylistiques (problème du registre de langue ou niveau de langue), les connotations énonciatives (affectives ou axiologiques, socioculturelles ou idéologiques), et toutes sortes de «valeurs associées» de provenance diverse», *in*: P. Charaudeau, D. Maingueneau, *Dictionnaire d'Analyse du Discours*, Paris, Seuil, 2002, p. 132.

(5) «Le linguiste danois Louis Hjelmslev emploie le terme *connotation* dans un sens bien précis. Il parle de connotation lorsque c'est le fait même d'utiliser telle ou telle langue qui a une signification», *in*: G. Siouffi, D. Van Raemdonck, *100 fiches pour comprendre la linguistique*, Rosny, Bréal, 1999, p. 173.

(6) La recherche se faisait de manière personnelle dans des documents écrits, des chansons, sur des sites-internet traitant de la civilisation française, ou encore grâce aux entretiens avec les professeurs de nationalité française travaillant au département du français.

(7) Concernant la culture jordanienne, on peut se demander si la culture occidentale n'a-t-elle pas eu d'influence directe sur la connotation de la couleur noire chez un locuteur jordanien ? Car l'habit traditionnel d'une femme jordanienne se compose entièrement, à l'origine, de la couleur noire.

(8) Nombreux sont les exemples qui montrent qu'un locuteur français peut appeler une personne de l'âge de ses parents par son prénom. Un jeune français a la possibilité ou le choix d'appeler le père ou la mère de son ami par leurs prénoms. Alors que c'est complètement inenvisageable dans le contexte jordanien où le locuteur doit utiliser un terme d'adresse autre que

valeurs culturelles dont il est lui-même le produit. Il faut qu'il ait une conscience forte et positive de ses appartenances culturelles, mais en même temps qu'il prenne conscience de la relativité de ses valeurs et de ses références. Chaque culture est un ensemble de systèmes de significations symboliques qui s'organisent autour des codes souvent implicites, mais qui peuvent être partagés et dont il faut déceler le fonctionnement. Il faut prendre conscience de sa propre subjectivité pour atteindre la subjectivité de l'autre.

Cet idéal éducatif s'avère aujourd'hui encore plus nécessaire qu'avant et s'impose dans tout type d'enseignement. Il permet à l'apprenant de développer ses capacités cognitives en lui donnant les moyens d'observer, d'interpréter et de reconnaître les comportements de l'autre ainsi que ses propres comportements. Le domaine de l'enseignement des langues étrangères représente, à mon avis, le lieu idéal pour atteindre cet objectif.

مساق اللغويات كبيئة خصبة للمقاربة ما بين الثقافات

رهام جرادات، قسم اللغات الحديثة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

ملخص

يقدم المقال مساق اللغويات على أنه مناخ ملائم لعملية التعليم ذات الأبعاد البين ثقافية من خلال التركيز على النهج الذي يتبنى تلك الأبعاد. و يحث المتعلمين على أن يلعبوا دوراً فاعلاً في عملية استيعاب و فهم الثقافة الأجنبية مع الحفاظ على هويتهم الثقافية في الوقت نفسه. و عليه، يقدم المقال مساق اللغويات كسياق مناسب و كتأمل معمق لتبادل بعض المزايا و المجالات الثقافية. و لتحقيق هذه الغاية تهدف العملية برمتها إلى إشراك المتعلمين بالمقاربة بين الثقافات، حيث يسوق المقال أمثلة عدة تبرهن على أن مثل هذا المساق يمكنه أن يطور و يشكل القدرات البين ثقافية لدى متعلمي اللغة الأجنبية.

* The paper was received on Jan 15, 2007 and accepted for publication on July 12, 2007.

interculturelles. La prise en compte de la réalité culturelle propre aux apprenants peut aussi être utilisée comme base pour rechercher et découvrir de nouvelles idées et expériences. Explorer de nouvelles idées, analyser de nouvelles informations, découvrir de nouvelles dimensions de la réalité sont autant des démarches qui contribueront ultérieurement au développement personnel de l'apprenant. La réflexion sur leur propre réalité culturelle donne aux apprenants le moyen d'apprécier leur propre culture et ce par rapport au contexte plus large des différentes cultures du monde. En même temps, elle leur permettra de développer un plus grand respect pour la différence quelle que soit sa source. Les apprenants auront ainsi le moyen de parvenir à comprendre et respecter la différence à la fois dans son sens large (respecter la différence de la culture, la religion, l'ethnie, la couleur de peau ou la nationalité…) et dans son sens plus restreint à l'intérieur d'une même société (respecter la différence provenant du statut socio-économique, du niveau d'éducation, de l'origine géographique…). Bref, l'éducation interculturelle est un véritable processus d'éducation sociale qui dépasse largement les limites d'une simple éducation "scolaire". C'est un processus par lequel les apprenants s'enrichissent continuellement et se construisent un monde plein de nouvelles réalités.

Conclusion

Comme tout le monde le sait, le maniement de l'enseignement des règles culturelles est beaucoup plus complexe que l'enseignement des grammaires linguistiques, surtout que l'implicite occupe une place très importante dans les comportements culturels. Le cours de linguistique traitant des thèmes linguistiques liés directement à la culture offre un terrain fertile pour aborder différemment la culture étrangère; ce qui donne la possibilité à l'enseignant d'intégrer la problématique de l'altérité dans ses objectifs d'enseignement. Il lui permet d'aborder la culture étrangère sans recourir à la description simplifiée et, surtout, stéréotypée de cette culture. L'objectif est d'inciter les apprenants à réfléchir de façon autonome sur les correspondances et les différences entre leur culture maternelle et celle de l'autre. Il faut que les apprenants adoptent un regard critique vis-à-vis du monde dans lequel ils vivent et vis-à-vis des réalités et des affirmations qui leur apparaissent évidentes, neutres, ou objectives. L'exemple des connotations associées aux mots a montré comment la démarche suivie exige des apprenants d'exercer un esprit critique pour prendre conscience des diverses valeurs culturelles. La démarche interculturelle sert de révélateur. C'est un moyen de découvrir la différence et de prendre conscience qu'il existe d'autres perceptions de la réalité que les nôtres.

La démarche interculturelle est aussi une aide certaine à la connaissance de son système culturel de référence. Pour que l'apprenant puisse identifier les correspondances et les différences avec l'autre, il faut qu'il maîtrise bien les

culturelles et d'autre part, ils font l'objet d'analyse de la manière dont les différents peuples opèrent des catégorisations sur eux-mêmes et sur les autres.

Les histoires drôles, comme les histoires belges ou autres, pourraient également constituer un très bon support pour atteindre le même objectif. Outre le grand nombre de connotations sociales et culturelles qu'elles véhiculent, elles permettent aussi de «*comprendre des gens, d'entrer en contact avec eux, de retrouver dans leur comportement et dans leur mentalité des éléments familiers, d'en découvrir de nouveaux*»(14). L'intérêt des apprenants se trouve ainsi mobilisé grâce, certes, à l'observation de ces particularités de la culture étrangère, mais aussi grâce à la mise en relation de cet aspect culturel particulier avec l'aspect culturel correspondant dans leur culture d'origine. La correspondance entre les histoires belges en France et les histoires drôles sur les Tafilis(15) en Jordanie s'est avérée, à ce niveau, incontournable. Les personnages principaux –Belges ou Tafilis- y figurant appartiennent au groupe auquel on attribue la propriété de ne pas être intelligent. Ce trait, que personne ne prétend appartenir à la définition du Belge ou du Tafili, est associé au domaine de la connotation sur laquelle se fonde le comique de l'histoire (G. Siouffi, D. Van Raemdonck 1999: 172).

Les différentes connotations véhiculées par le lexique pourraient également constituer un excellent moyen pour aborder les points de convergence et de divergence culturels. À ce niveau, on remarque que la motivation des apprenants augmente encore plus lorsque les exemples illustratifs sont relevés de leur système de référence à eux en tant que jeunes et en tant qu'étudiants à l'université jordanienne. Mentionnons, à titre d'exemple, le cours où ont été abordées les connotations d'offrir des roses à quelqu'un. On découvre, dans ce cours, que la connotation d'un tel acte change complètement dans le milieu estudiantin. Suivant le contexte universitaire dans lequel ils se trouvent, les étudiants confèrent une connotation particulière à l'action d'offrir des roses. Si un candidat masculin offre des roses aux étudiantes le jour des élections des représentants de chaque département universitaire au Conseil des étudiants, cela signifie que c'est un moyen par lequel le candidat essaye de gagner le maximum possible des voix féminines. Comme ils se sentent impliqués, les apprenants réfléchissent sur ce genre d'exemples avec beaucoup d'amusement et d'enthousiasme. Un tel exemple leur donne le sentiment que la perception des caractéristiques culturelles peut devenir une source de plaisir et d'identification de soi. L'apprenant ne procède pas seulement par la recherche de l'identité maternelle, mais aussi par une recherche de son identité individuelle, en tant que membre appartenant à un groupe plus restreint et mieux identifié.

L'apprenant, qui s'approprie ce genre d'exemples culturels, s'impliquera certainement davantage dans les activités d'analyse et de réflexion

panoramique, toute la scène culturelle qu'ils observent. Parallèlement, les apprenants se placent en position idéale pour objectiver leur culture maternelle. Ils découvrent, en fin du compte, que culture maternelle et culture étrangère se composent des mêmes éléments culturels, mais les abordent de manière différente. Tout ce qui est connu en culture maternelle sert alors à rendre moins ambigu l'inconnu de la culture étrangère.

Cet exercice d'observation de leurs propres comportements culturels donne aux apprenants la possibilité de parler d'une part de leurs propres perceptions culturelles et de l'autre d'exprimer les images ou les représentations qu'ils ont des gens appartenant à leur propre culture. Ce n'est qu'à partir de là que les apprenants se mettent à se renseigner sur les caractéristiques culturelles de l'étranger et à confronter les habitudes, les valeurs et les croyances qu'il partage ou non avec eux. Cette étape ne consiste pas seulement à enseigner les savoirs constitutifs de la culture cible, mais également à donner aux apprenants les moyens de savoir relativiser les acquis de leur culture maternelle. Acquérir une compétence culturelle en langue étrangère signifie un double questionnement sur le fonctionnement de la culture cible et de la culture maternelle des apprenants. Le but de cette démarche interculturelle «*est donc la formation d'un individu conscient de la relativité de ses valeurs, en mesure d'opérer des choix autonomes, capable d'élaborer une pensée divergente*»(13). L'objectif est de rendre l'apprenant capable de reconsidérer de manière maîtrisée la construction de son identité culturelle, en harmonie avec la découverte de la culture étrangère dans toute sa différence.

En effet, c'est une manière d'acquérir un savoir culturel basé sur la motivation et la réflexion de l'apprenant. De plus, c'est une façon de donner à l'apprenant le moyen de construire un savoir culturel pour récompenser un peu le fait qu'il ne peut pas acquérir ce savoir culturel en dehors de la classe étant donné que l'apprentissage ne se fait pas dans le pays de la langue-culture cible.

La phase de réflexion sur la culture de l'autre commence donc par une première phase de réflexion sur soi-même et par une réinterprétation de soi. Comme je l'ai précédemment signalé, il s'agit de partir du connu, de l'évident, du naturel pour pouvoir entrer en contact avec l'inconnu, l'étonnant, donc l'étranger et même parfois l'étrange.

À titre d'exemple, les cours de linguistique où sont abordés les thèmes des dénotations et connotations des différents mots indiquent à quel point les découvertes interculturelles passionnent les apprenants. Elles leur donnent le sentiment d'entrer en contact avec quelque chose d'humain et de vivant. Les proverbes et les dictons, qu'ils soient nationaux ou étrangers, en sont le meilleur exemple. Ils permettent, d'une part, de relever beaucoup de connotations

Il s'agit, dans la manière d'aborder l'interculturel en cours de linguistique, d'une démarche réflexive et non d'une démarche purement descriptive. C'est pourquoi les apprenants sont souvent amenés à chercher eux-mêmes les exemples susceptibles d'illustrer le concept linguistique en question[11]. Comme les notions linguistiques abordées en classe s'appliquent à toutes les langues, les apprenants sont censés observer leur propre langage au quotidien et leurs propres comportements culturels afin d'en tirer des exemples illustratifs. Le point de départ est l'identité de l'apprenant: lorsqu'il arrive à réfléchir et à comprendre sa culture maternelle, il sera en mesure de comprendre les mécanismes d'appartenance à une culture autre que la sienne. C'est ainsi qu'il pourra se rendre compte que les mêmes réalités peuvent être organisées et distribuées de façon différente à l'intérieur de chaque système culturel. En matière d'éducation interculturelle, le point de départ de tout travail doit être la réflexion de l'apprenant sur lui-même et sur ses propres réalités sociale et culturelle. Il devrait être amené à réfléchir sur ses habitudes, ses façons de penser et ses modes de vie afin de comprendre qu'«*il existe d'autres réalités qui ne sont ni meilleures, ni pires, mais seulement différentes*»[12]. Cette démarche a également pour but d'amener l'apprenant à savoir réévaluer les jugements positifs ou négatifs dans sa réalité de façon à ce qu'il parvienne à se familiariser avec une autre réalité dissemblable de la sienne. Les réalités si évidentes dans son système culturel de référence ne seront désormais qu'une des réponses envisageables qui existent parmi tant d'autres.

L'objectif n'est pas seulement donc linguistique ou pragmatique ou communicatif, il est aussi et surtout formatif. C'est-à-dire savoir développer chez l'apprenant la capacité de relativiser son propre système de référence et ses propres certitudes de manière à l'aider à comprendre et à interpréter l'ambiguïté de certaines situations ou certains concepts qui relèvent de la culture étrangère. Ce qui, en fin du compte, rassure l'apprenant contre l'insécurité causée par l'inconnu ou l'ambigu dans la culture cible. Pour atteindre cet objectif, j'ai choisi d'amorcer mon travail avec des éléments culturels familiers et facilement observables par les apprenants. Il s'agissait d'aborder ces éléments de façon graduelle allant des plus visibles (les vêtements, les gestes…) aux moins visibles (l'usage de l'espace, la gestion du temps, les sentiments, les relations sociales, etc.). La réflexion sur ces éléments se faisait ensuite en introduisant les implicites culturels qui conditionnent notre comportement ainsi que celui de l'autre. L'exemple évoqué précédemment sur le système gestuel jordanien comparé à son équivalent français grâce aux caricatures sert ici de bon exemple. Les apprenants sont devenus des *observateurs* des deux systèmes culturels en question. Cette position d'observateurs a un triple avantage. Premièrement, elle leur donne la possibilité de porter un regard objectif sur la culture étrangère. Puisqu'ils en sont extérieurs, ils sont capables de reconstituer, du point de vue

réflexive qui incite l'apprenant à porter une vision critique vis-à-vis des réalités découvertes.

Il faut signaler, cependant, que de telles découvertes motivent les apprenants et suscitent encore plus leur curiosité à la fois vers la culture étrangère et vers leur propre culture. On peut dire que dans la confrontation avec l'altérité, les apprenants recherchent le plaisir de retrouvailles avec eux-mêmes, avec leur propre système de valeurs et de croyances. Toute perception de la différence de l'autre s'inscrit en quelque sorte dans une recherche de l'identité maternelle, de ce qui est connu, cohérent, naturel et acceptable pour soi afin d'essayer de découvrir la vérité de l'autre et de comprendre les points de divergence avec lui.

À ce niveau, les questions qui se posent sont les suivantes: le retour fréquent de l'apprenant au système de référence maternel témoigne-t-il d'un besoin naturel de se comprendre pour pouvoir comprendre l'autre, dans le sens où regarder la culture de l'autre oblige à regarder la sienne ? Ou interprète-t-il une tendance universelle à vouloir mettre sa culture en position dominante, c'est-à-dire de faire de l'ethnocentrisme? Mais les apprenants ne risquent-ils pas dans ce cas de juger et d'interpréter les valeurs ou les comportements de personnes culturellement différentes en leur appliquant les catégories de leur propre culture? Ou encore s'agit-il d'un moyen qui permet à l'apprenant d'appréhender une réalité culturelle qui lui est extérieure en se plaçant en position nouvelle pour observer de manière différente sa propre culture?[(10)]

Même si les réponses à ces questions restent encore indéterminées, l'expérience concrète avec mon public d'apprenants montre qu'au moins une chose est évidente: l'attitude des apprenants en classe témoigne que la complémentarité du moi et de l'autre est une étape nécessaire dans la compréhension interculturelle. Se référer à son système culturel d'origine apparaît comme un passage obligé vers la découverte et la compréhension du système culturel étranger.

Le cours de linguistique: un lieu privilégié de réflexion sur la culture d'origine et celle de l'autre

De nos jours, la formation interculturelle prime sur la formation linguistique proprement dite. La didactique des langues devient une didactique de langue-culture. Dans la perspective interculturelle, l'apprenant doit plus que jamais être impliqué dans le processus de formation et d'apprentissage interculturels. La classe de FLE devient donc le lieu idéal de proposer de nouveaux modes de relations entre cultures maternelle et étrangère. L'objectif est de faire de l'apprenant un acteur et un chercheur dans les démarches d'approches des deux cultures en question.

Je mentionne, à titre d'exemple, le cours où l'on aborde le sujet du contexte non linguistique d'une interaction verbale. Parler des relations interpersonnelles constitue l'un des meilleurs sujets qui favorise la confortation avec l'altérité et la référence à ses propres normes culturelles. Qu'elles soient de type horizontal ou vertical, les relations interpersonnelles déterminent certaines normes communicatives entre les partenaires à l'interaction. Par exemple, le choix des termes d'adresse se faisant en fonction de leurs valeurs relationelles reflète nombre de structures sociales qui régissent, à leur tour, les structures mêmes des interactions verbales. Les normes communicatives intériorisées par un apprenant jordanien indiquent que les différences d'âge des interlocuteurs devraient se manifester dans l'échange en attribuant aux plus âgés la position haute. Un adolescent, par exemple, ne peut absolument pas appeler une personne qui a le même âge que l'un de ses parents par son prénom, alors que les normes communicatives françaises le permettent suivant le contexte[(8)]. Comme on estime en général que les normes communicatives de sa propre culture sont les bonnes, les apprenants ont jugé choquante cette déviance par rapport à leurs normes. La hiérarchie familiale et sociale dans la société jordanienne étant différente de celle de la société française, les contraintes qu'elle implique au niveau du choix des formes d'adresse diffèrent entre les deux sociétés. Ce qui constitue pour l'apprenant un sujet de comparaison interculturelle sur lequel il applique les catégories de son propre système culturel. De ce fait, il risque de tomber dans le stéréotype car certains apprenants ont jugé qu'un jeune français peut ainsi mépriser ses aînés ou ne pas respecter les personnes âgées.

On peut évoquer, à ce niveau, le danger de prendre la comparaison comme point de départ d'analyse des cultures en question. Les comparaisons entre cultures risquent d'exposer l'apprenant à la hiérarchisation de ces cultures. Il risque également de considérer son propre schéma culturel comme le schéma culturel universel à partir duquel s'organiseraient toutes les autres cultures. Or, le rôle de l'enseignant s'avère ici crucial. Il aura pour tâche de développer chez l'apprenant une aptitude à la compréhension de la culture étrangère plutôt qu'à une aptitude à une simple connaissance de celle-ci. L'objectif est d'arriver à enseigner aux apprenants un système culturel, non pour lui-même, mais pour comprendre plutôt comment les gens appartenant à cette culture le mettent en œuvre et l'utilisent dans leurs pratiques habituelles et quotidiennes.

Comme le cours de linguistique n'est pas destiné *a priori* à l'enseignement culturel, il représente un lieu privilégié pour découvrir de façon indirecte le système culturel étranger. L'apprenant est amené constamment à considérer la culture de l'autre sous un angle différent de celui proposé par les "simples" cours de langue. L'objectif primordial de mon cours de linguistique étant purement théorique[(9)], la découverte de la culture étrangère se fait toujours de manière

locuteur français, lui, a le désir de participer au modèle auquel la langue anglaise est associée et de véhiculer les valeurs de ce même modèle.

Outre l'objectif spécifique de ces cours (celui d'expliquer ces deux termes linguistiques), les mots ou les expressions culturellement connotés se montrent particulièrement intéressants et efficaces pour pouvoir réaliser un autre objectif de type différent: développer chez l'apprenant une véritable compétence de communication en langue étrangère. À ce titre, les mots argotiques et les gros mots en langue française se trouvent parmi les exemples qui suscitent le plus la curiosité des apprenants en classe. Vu leur âge, ce genre d'exemples amuse généralement les apprenants. Il leur permet, surtout, de découvrir des personnes culturellement différentes qui pourraient appartenir, néanmoins, à un groupe de pairs susceptible de transgresser, lui aussi, certaines règles socio-communicatives.

Les activités proposées en classe sur le thème des registres de langue et sur celui de la sociolinguistique ont permis de révéler l'intérêt des étudiants pour apprendre les gros mots et les mots argotiques. La démarche suivie consistait, en premier lieu, à consulter les dictionnaires, et notamment les dictionnaires argotiques. En deuxième lieu, il s'agissait de comparer les données linguistiques en langue maternelle et langue étrangère. L'objectif était de pouvoir repérer les champs sémantiques auxquels appartenaient ces données afin de faire le lien, par la suite, avec la mentalité sous-jacente et de rapprocher les deux cultures en question. Quand certaines différences surgissaient, les apprenants ont été incités à faire des hypothèses sur leurs causes. Je peux mentionner l'exemple de gros mots d'origine arabe largement utilisés par les jeunes français. Observer ce phénomène en langue française a non seulement amusé les apprenants, mais aussi a suscité leur curiosité pour comprendre le fonctionnement et la structure de la société française contemporaine ainsi que les raisons historiques et politiques qui résident derrière eux.

L'expérience concrète avec les apprenants en classe montre également qu'à chaque fois qu'on aborde un aspect culturel quelconque lié à la langue étrangère, les apprenants ont tendance à référer tout de suite à l'aspect correspondant dans leur culture d'origine. C'est comme s'il s'agissait de poser un regard nouveau sur soi-même, sur ses valeurs ou son identité sociale à travers celles de l'autre. C'est dire en quelque sorte que prendre conscience des différences de l'autre implique prendre conscience de ses propres valeurs et de ses propres comportements culturels quotidiens. La classe de linguistique représente, en tant que classe de FLE, un lieu privilégié pour la prise de conscience de cette réalité. La confrontation avec l'autre est un moyen nécessaire, voire parfois incontournable, pour pouvoir construire une définition de soi.

Les cours où sont abordés les termes de "dénotation" et "connotation" représentent l'occasion idéale pour évoquer les mots ou les expressions qui sont porteurs d'une implication culturelle. Le travail effectué en classe sur les connotations consistait, d'un côté, à aborder la connotation énonciative[(4)] au niveau des couleurs, des animaux ou des oiseaux et de l'autre côté à considérer la connotation dans son acception spécifique, telle qu'elle est définie par le linguiste Louis Hjelmslev[(5)]. Pour travailler la connotation au niveau des couleurs, des animaux ou des oiseaux, la technique utilisée était celle du jeu des associations du type: «*À quoi te fait penser le mot … ?*». En réponse à cette question, les apprenants associaient naturellement les mots examinés aux contextes social, historique, géographique et idéologique de leur culture maternelle afin de trouver les connotations qu'ils véhiculent. Ils ont été amenés ensuite à chercher[(6)] les connotations correspondantes dans la culture étrangère. Pour un locuteur jordanien, la notion "objective" de telle ou telle couleur ou de tel ou tel animal renvoie à la même réalité que pour un locuteur français, mais c'est au niveau des connotations que les différences peuvent émerger. Ainsi, des mots tels que *chouette* ou *corbeau* en culture arabe jordanienne représentent-ils le mauvais augure ou le mauvais présage; alors qu'en culture française, ces mêmes mots peuvent découvrir des connotations complètement opposées. C'est notamment le cas de la *chouette* qui peut être vue comme un porte-bonheur dans le contexte culturel français. Quant au *corbeau*, il peut renvoyer, lorsqu'il désigne une personne, à l'image d'un homme avide, requin et sans scrupule. En revanche, certains exemples montrent que les différentes cultures peuvent posséder quelques connotations en commun. Ainsi, le renard a-t-il une réputation de ruse et d'adresse autant dans la culture française que dans la culture arabe. Il en va de même pour les couleurs. Le *noir* est généralement associé à la mort et au deuil dans les deux cultures en question[(7)], le rouge, lui, à l'émotion (honte, pudeur, timidité, colère…).

Les exemples abordés en classe sur la connotation, telle que l'entend L. Hjelmslev, présentaient également des moments de discussion et de réflexion fort intéressants avec mon groupe d'étudiants. À ce niveau, ces derniers ont pu apprendre que l'usage des anglicismes par beaucoup de membres de la société jordanienne n'est pas un phénomène qui leur est particulier. L'attrait pour la modernité, le dynamisme et la réussite économique représentés par le modèle américain (parlant donc anglais) touche également la société française, notamment les jeunes qui utilisent dans leurs conversations quotidiennes beaucoup de mots empruntés à l'anglais (G. Siouffi, D. Van Raemdonck 1999: 173). Si le locuteur jordanien cherche, à travers les anglicismes, à véhiculer une image socio-économique ou socio-professionnelle prestigieuse de soi-même, le

Alors que la lune peut figurer comme le symbole de la beauté dans la culture arabe (e.g. *être joli comme la lune*), ce même symbole peut comporter une connotation de "*stupidité*" chez un locuteur français (e.g. *con comme la lune*/ fr. familier).

Avec ce genre d'exemples, il est facile de remarquer à quel point les apprenants sont contents, un peu parfois intrigués ou même perplexes lorsqu'ils découvrent que ce qui a l'air différent dans les deux cultures ne l'est pas forcément et qu'au contraire, ce qui a l'air pareil ou identique est, en réalité, différent.

Certains exemples abordés en cours démontrent que les différentes langues n'expriment pas forcément les mêmes choses de manière différente. Les individus culturellement différents peuvent partager la même expérience et peuvent avoir une vision du monde commune. À titre d'exemple, les langues-cultures arabe jordanienne et française disposent, chacune, d'un nombre d'expressions idiomatiques et des proverbes qu'elles possèdent en commun (e.g. *le chat parti, les souris dansent / parler à quelqu'un du bout des lèvres / s'en mordre le doigt / mettre le doigt dessus (sur)…*). Ce qui prouve que les humains vivent des expériences identiques et forment, de ce fait, des jugements en commun concernant les objets de ces expériences.

En revanche, d'autres exemples prouvent plutôt le contraire. C'est notamment le cas des mots qui indiquent difficilement le même objet ou concept lorsqu'ils s'emploient dans deux langues différentes (e.g. le concept de lune évoqué plus haut). La démarche de rechercher ce genre d'exemples a pour but de confirmer, une fois de plus, que même si les mots relevant de langues différentes couvrent le même concept, la correspondance entre eux n'est jamais parfaite.

Le lien entre lexique et culture se manifeste dans les rapports qui s'instaurent entre un mot et sa signification connotative. Il existe une différence nette entre le sens conventionnel, dénotatif, celui que l'on trouve dans le dictionnaire d'un mot et sa signification situationnelle, c'est-à-dire celle qui change suivant les intentions communicatives du locuteur. La distinction entre les parties dénotative et connotative du sens d'un mot est exactement celle qui permet de distinguer la sémantique et la pragmatique. Si la démarche sémantique repose sur le principe que le langage décrit la réalité et que le sens d'un mot, d'une expression ou d'une phrase ne reflète que la signification conventionnelle de ces séquences, la démarche pragmatique, elle, permet de rendre compte de l'ensemble des valeurs qui viennent se surajouter aux traits dénotatifs de ces séquences. Autrement dit, elle permet de montrer ce que le locuteur "veut dire" réellement en les utilisant.

d'un cours consacré à la communication non verbale. La démarche suivie consistait à introduire des éléments interculturels en observant les gestes et les mimiques dans les cultures française et jordanienne. Pour cela, on a utilisé des dessins des journaux humoristiques d'un très célèbre caricaturiste jordanien nommé Imad Hajjaj[1].

La démarche consistait, tout d'abord, à rassembler les idées du groupe de la classe sur les gestes et les mimiques des personnages figurant dans les dessins et qui leur semblaient véhiculer des connotations culturelles. Les apprenants exposaient ensuite leurs propres interprétations de ces gestes et mimiques et qui résument, pour la plupart, celles de la société jordanienne. À Partir de là, ils ont été amenés, en premier lieu, à chercher[2] des caricatures, des photos ou des images dans lesquelles figurent des gestes ou mimiques qui leur paraissaient identiques ou proches de ceux observés dans les caricatures jordaniennes. En deuxième lieu, ils mettaient en relation les différents dessins relevant des deux cultures en question afin de déduire que les gestes qui semblaient être culturellement connotés dans l'une des deux cultures présentaient tantôt des ressemblances et tantôt des différences avec leurs correspondants dans l'autre culture. Ces correspondances figuraient même parfois là où on ne les attendait pas ! Le geste désignant le signe de victoire en culture française (et par généralisation occidentale) porte, dans certains contextes bien particuliers, une autre signification chez un Jordanien: celle de demander une cigarette !

L'objectif d'une telle démarche est de permettre aux apprenants d'apprendre à placer les données culturelles observées, qu'elles relèvent de la culture maternelle ou étrangère, dans leur contexte quotidien, et donc réel et contemporain.

On remarque souvent, pendant ce genre de cours, que l'attention des apprenants se ranime lorsqu'ils parviennent à voir que derrière les simples éléments linguistiques qu'ils apprennent, il existe tout un monde qui vit et qui s'exprime. La langue se transforme ainsi en une réalité vivante pour eux. Le lexique, par les connotations qu'il véhicule, constitue un lieu privilégié de culture dans la langue. «*L'environnement, les pratiques sociales, les techniques, les institutions, les croyances d'une population ou d'une nation sont exprimés par des mots. La présence ou l'absence, la richesse ou la pauvreté de certains types de vocables reflètent les mœurs et la vision du monde d'un peuple*»[3].

En travaillant les connotations véhiculées par le lexique, les apprenants ont été amenés à chercher des exemples de vocabulaire dont les connotations changent d'une culture à l'autre. Un vocable aussi familier que le mot «lune» a fait l'objet d'une discussion intéressante en classe car il illustrait parfaitement une certaine vision du monde qui change à chaque fois qu'on change de culture.

apprenants d'une langue étrangère. Cela permet à l'enseignant d'adopter quelques techniques de travail visant à impliquer davantage les apprenants dans le processus de formation interculturelle. Ces derniers peuvent devenir des acteurs et des chercheurs dans les démarches d'approche des deux cultures en question.

Il s'agit en fait de montrer à quel point les thèmes abordés en cours de linguistique engagent les apprenants à prendre une part active dans la compréhension de la culture étrangère tout en ayant conscience de leurs appartenances culturelles. L'objectif est de les rendre capables d'établir des liens plus ou moins objectifs entre leur culture maternelle et la culture étrangère afin de pouvoir éviter l'ethnocentrisme ou les images stéréotypées de l'étranger. Nombreux sont les exemples qui montreront qu'un cours de linguistique peut contribuer largement à développer une compétence interculturelle appropriée chez les apprenants d'une langue étrangère.

Le cours de linguistique: un lieu privilégié de rencontre avec la culture étrangère, mais aussi avec la culture d'origine

Le cours de linguistique que j'assure est un cours qui consiste en fait à aborder des thèmes très variés tels que: les différentes théories linguistiques; l'Histoire de la linguistique en tant que domaine de savoir interdisciplinaire; les principaux courants et les écoles linguistiques du XXe siècle; les notions linguistiques de base, et bien d'autres thèmes encore plus spécifiques. Pour la plupart, ce sont des thèmes qui témoignent une fois de plus que langue et culture sont étroitement liées. Les rapports (langue-culture) se manifestent clairement lorsqu'on évoque des thèmes tels que la synonymie, les registres de langue, les constituantes connotatives des sens des mots, l'implicite pragmatique, les sous-entendus, les composantes non linguistiques du contexte d'un échange linguistique et notamment la relation interpersonelle des participants à cet échange, etc. Donc, le cours de linguistique n'est pas conçu, à la base, comme un cours où on travaille des fiches pédagogiques ou des exercices traitant de la culture étrangère. C'est plutôt un cours où l'explication des termes et concepts linguistiques abordés exige un recours permanent à des exemples linguistiques et culturels qui permettent de faire une sorte d'analyse contrastive entre la langue-culture enseignée (le français, en l'occurrence) et la langue-culture d'origine des apprenants (la langue-culture arabe jordanienne).

Les exemples interculturels très fréquents dans ce genre de cours encouragent les apprenants à prendre conscience de ce qu'est la culture et à établir des liens entre leur propre culture et celle de l'autre. Les réactions des apprenants varient largement lorsqu'ils découvrent quelque chose en classe en confrontant les deux cultures en question. On peut mentionner, à titre d'exemple, le travail accompli en classe sur les gestes et mimiques du visage dans le cadre

The Arab Journal For Arts Vol. 5 No. 1, 2008, pp. 1-16

Quelle place la démarche interculturelle a-t-elle dans un cours de linguistique?

Riham Jaradat*

Abstract

This article presents a course in linguistics as an enabling environment for intercultural education. It focuses on showing the intercultural approach used in this course. The approach urges the learners to take an active part in the comprehension of the foreign culture while maintaining awareness of their own cultural properties at the same time. Therefore, the article suggests that a course of linguistics might serve as a context for a profound and thorough reflexions upon and exchange of certain cultural aspects. To this effect, these reflexions are to implicate learners in the formation of the intercultural process. Many examples the article alludes to show that such a course contributes broadly to the development of an appropriate intercultural competence among learners of a foreign language.

Introduction

Dans le cadre de mon travail d'enseignante du français langue étrangère, j'assure, entre autres, un cours d'initiation à la linguistique aux étudiants de quatrième année. Il s'agit d'un public d'adultes de 22 ans en moyenne. Ils ont passé trois ans à apprendre la langue française. Leur niveau "avancé" est censé leur permettre de suivre en français ce cours d'initiation à la linguistique. Cette expérience concrète d'enseignement montre que le cours de linguistique constitue un lieu privilégié de l'éducation interculturelle, au même titre que les autres cours de langue comme ceux de traduction, de littérature ou de civilisation.

Il présente d'un côté un lieu privilégié de rencontre avec la culture étrangère, mais aussi un lieu où l'apprenant se met à prendre conscience de ses propres comportements culturels. Il est ainsi amené à porter un regard nouveau sur sa culture d'origine dans l'objectif de mieux comprendre les particularités culturelles de l'autre.

De l'autre côté, le cours de linguistique peut être vécu comme un lieu de réflexion sur des aspects culturels plus profonds ou plutôt plus implicites que ceux proposés généralement par les manuels de civilisation destinés aux

* Department of modern languages, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Table of Contents

Articles in French

Articles in Arabic

- One copy of the issue in which the manuscript is published well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7211137
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author’s full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author’s full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa’aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors’ surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts
A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts (*AARUJA*) is a biannual refereed academic journal published by the Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

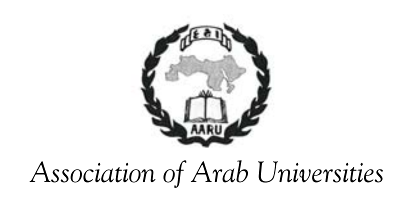
AARUJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board
- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion
- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word)
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages
- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief
- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA*.
- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



The Society of Arab Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 5 **No. 1** **1429/2008**